سلسلة التراجم الأندلسية

IX



لكتابي الموصول والصلة

تأليف

أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي

٦٣٤ - ٧٠٣ هـ

المجلد الخامس (السفر الثامن)

حققه وعلق عليه

الدكتور إحسان عباس   الدكتور محمد بن شريفة

الدكتور بشار عواد معروف



تونس

الطبعة الأولى 2012 م

دار الغرب الإسلامي
العنوان : ص. ب. 677 ، تونس 1035



٥

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى اللهُ على سيّدِنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه وسلَّم تسليمًا

١ - عليُّ[1] بن عبد الله بن محمد بن يوسُف بن أحمدَ الأنصاريُّ، كذا نقَلتُ نَسَبَهُ [من خطِّه][2]، فاسيُّ المولد، ومنها أصلُه قديمًا، ومن ناحيةِ دانيةَ حديثًا، قُرطُبيُّ [النشأةِ]. استوطنَ بأخرةٍ مَرّاكُشَ، أبو الحسن، ابنُ قُطْرال.

رَوى عن أبوي بكرٍ: [ابن الـجَدّ، وابن أبي] زَمَنِين، وأبي جعفر بن محمد بن يحيى ولازَمَه كثيرًا، وأبي [الـحَجّاج] ابن الشّيخ، وأبوَي الـحَسَن: ابن كَوْثَر ونَجَبَةَ، وأبي الـحُسَين يحيى ابن [الصائغ] وأبي خالدٍ ابن رِفاعةَ، وآباءِ عبد الله: ابن حَفْص ولازَمَه كثيرًا، وعرَضَ عليه عن ظهرِ قلبٍ من «صحيح البخاريِّ» ما عَرَضَ على الشَّرّاط، وابن حَـمِيد وابن زَرْقُون وابن سَعادةَ الشاطِبيّ وابن عَرُوس وابن الفَخّار، ولازَمَه، وأبوي العبّاس: ابن مَضَاءٍ، وحَضَرَ عندَه الـمُناظرةَ في «الـمُستَصْفَى»، ويحيى الـمَجْرِيطيِّ، قال: ولازمتُه كثيرًا، مسافرًا ومُقيمًا، وكان لي، رحمه الله، بمنزلةِ الوالد وآباءِ القاسم: ابن بَقِيّ، وابن رُشْدٍ الوَرّاق، وابن سَمَجُون، وابن غالب، ولازَمَهُ وعَرَضَ عليه عن ظهرِ قلب من أول «صحيح البخاريِّ» إلى آخرِ كتاب الصلاة، وابن جُـمْهور وابـن حَـوْطِ الله، وعبدِ الـحقّ

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٢٨٤٣)، وابن الزبير في صلة الصلة ٤/ الترجمة ٢٩٦، والذهبي في المستملح (٧١٥)، وتاريخ الإسلام ١٤/ ٧١٣، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٠٤، والعبر ٥/ ٢٠٩، والصفدي في الوافي ٢١/ ٢١٤، وابن الخطيب في الإحاطة ٤/ ١٩٠، وابن القاضي في جذوة الاقتباس (٥٥١)، وابن قنفذ في وفياته (٧٢)، وابن العماد في الشذرات ٥/ ٢٥٤، والمراكشي في الإعلام ٩/ ١٢٨، وله ذكر في برنامج التجيبي (٥٧، ٦٧، ٧٦، ٩٠، ١١٠، ١٢٩)، وإفادة النصيح (٧٦)، وكتاب الدكتور محمد بن شريفة: أمثال العوام ١/ ١٨-٢٣.

(٢) طمس في الأصل، وهي زيادة متعينة، وكل ما بين حاصرتين مما يأتي فهو منا استفدناه من مصادر الترجمة أو السياق، ولا نشير إليه مستقبلًا.

ابن بُونُه، وعبدِ الصَّمد بن يَعِيشَ، وعبدِ الـمُنعم ابن الفَرَس. وأجاز له ولم يلقَهُ: أبو القاسم ابنُ حُبَيْش.

[رَوى عنهُ] ابناه: أبو عبدِ الله محمد، وأبو محمدٍ عبدُ الله، وأبوا الـحَسَن: ابنُ ابنِه أبي محمدٍ عبد الله، وطاهرُ بن عليّ، وسِبطُه أبو يحيى عُبَيدُ الله الزَّجّاليُّ[1]، وأبوا عبدِ الله: ابنُ الأبّار، وابنُ[2] صَالح الشاطِبيُّ. وآباءُ محمد: ابنُ بُرطُلّه، وابن قاسم الـحَرّار، وابن محمد بنُ هارونَ الطائيُّ، وأبو يعقوبَ بن إبراهيمَ بن عُقَاب[3].

وحدّثنا عنه من شيوخِنا: أبو الـحَجّاج بنُ حَكَم، وأبو الـحَسَن الرُّعَيْنيُّ، وأبو الطيِّب صالحُ بن شَريف، وأبو عبدِ الله بنُ أُبَـيّ، وأبو القاسم العَزَفيُّ.

وكان قد جاوَرَني مُدّةً بدارٍ لي لِصْقَ دار مَولِدي وسُكناي، وكان كثيرٌ من طلبةِ العلم بمَرّاكُش يتنابونَهُ بها للرِّوايةِ عنه، وكنتُ حينئذٍ غيرَ مقصِّر عن كثير ممّن[4] كان يتردَّدُ إليه، ولم يكنْ هناك مَن يُرشِدُني للقراءة عليه والأخذِ عنه ولم

---

(1) هو مؤلف كتاب «ري الأوام» الذي استخرج الدكتور محمد بن شريفة منه أمثال العوام في الأندلس، راجع ترجمته مفصلة في القسم الأول من ص١ إلى ص٤٩. وفي ضمنها إشارة إلى تراجم ولدي ابن قطرال: محمد وعبد الله وحفيده علي. أما أبو الحسن طاهر بن علي فترجمته في بقية السفر الرابع من الذيل والتكملة (الترجمة ٢٨٤). وحفيد المترجم أبو الحسن ابن قطرال كانت له مشاركة وظهور في آخر دولة الموحدين حيث كان خطيب الحضرة، وسفر للواثق أبي دبوس آخر الموحدين لدى صاحب تلمسان. البيان المغرب (٤٦٩)، والعبر ٦/ ٥٥١، ٥٥٨ وولد هذا الأخير هو المجاور بمكة والمتوفى بها سنة ٧١٠هـ وله ترجمة في الإحاطة ٣/ ٢٠٠-٢٠٤.

(2) في ص: «وأبي»، وهو تحريف. انظر ترجمته في برنامج الوادي آشي: ١٣٦. والمصادر المذكورة فيه.

(3) جاء في إجازته لابن رشيد ما يلي: «وقرأت بشاطبة أيضًا على القاضي أبي الحسن علي بن عبد الله الأنصاري عرف بابن قطرال كتاب «الشمائل» و«الجامع الكبير» للترمذي و«الموطأ» وسمعت عليه البخاري ومسلمًا والدارقطني و«السنن» لأبي داود و«السير» و«الاستيعاب» و«الشهاب» و«المغازي» لابن حبيش و«التقصي» و«الملخص»، ولقيته بمراكش وسمعتُ عليه وأجازني إجازة عامة في كل ما يحمله» (الرحلة ٢/ ٣١٠-٣١١ ط. تونس).

(4) في ص: «مـمّا»، والصواب ما أثبتنا.

أتهَدَّ إلى ذلك مِن تِلقاءِ نَفْسي فحُرِمتُ الرِّوايةَ عنه معَ أهليّتي لها وتمكُّني من أسبابِها لو شاء اللهُ، والسَّماعُ رِزق[1].

وكان محدِّثًا راوِيةً عَدْلًا فيما يَأثُرُه، ثقةً فيما يحدِّثُ به، صحيحَ السَّماع، غيرَ أنّ [أصُولَ سَماعِه كانت قد ذهَبتْ حين امتُحِن] بالأسْر بأُبّذةَ وهو قاضٍ [بها بعدَ تغلُّبِ العدوِّ] الرُّوميِّ عليها [إثْر وقعةِ العِقاب][2]، ووَقَعَ بعدُ إلى يدِه منها «التقَصِّي» لأبي عُمر بن عبد البَرّ، فكان [يُسمعُ منه. وشاع] الخبرُ عن أسرِه صَدْرَ أيام المستنصِر من بني عبدِ المؤمن، فسَعَى عندَه [في افتكاكِه] كبيرُ وُزرائه أبو سعيدٍ عثمانُ بن أبي محمد بن عبد الله بن جامِع [لمَودّاتٍ كانت] بينَهما، فيسَّر اللهُ إنقاذَه من أسْرِه ذلك، وقُدِّم حينَئذٍ قاضيًا بشاطِبة، [فاستمرَّ قضاؤه بها إلى سنة اثنتينِ وعشرينَ وست مئة، فانتَقَلَ إلى مَرّاكُش، وحَضَرَ مجلسَ أبي الحَسَن ابن القَطّان، فكان ابنُ القَطّان يُجلُّه ويَعرفُ حقَّه ويحُضُّ أهلَ مجلسِه على[3] الرواية عنه والتردُّدِ إليه. ثم عاد إلى الأندَلُس، واستُقضيَ بشَرِيش وجَيّانَ وقُرطُبَةَ في أوقاتٍ مختلفة، وأعيدَ ثانيةً إلى قضاءِ شاطِبة مضافًا إلى الخَطابة بجامعِها، وفَصَلَ عنها سنةَ ستٍّ وثلاثين، فاستُقضيَ بسَبْتَةَ ثم فاسَ[4] ثم بأغماتِ وَريكة، ووَلِيَ خُطّةَ

---

(١) مثل المؤلف في هذا ابن الزبير الذي لم يتحقق أمله في الأخذ عن المترجم، قال: «أخذ عنه عالم كثير، وكنت بمدينة سلا أيام كونه بفاس، وكنت أتحدث بلقائه والأخذ عنه، فلم يقض ذلك...» (صلة الصلة ٤/ الترجمة ٢٩٦). ويبدو أن عبارة: السَّماع رزق، من العبارات المتداولة بين المحدثين، فقد قال ابن رشيد في بعضهم: «لو تشاغل بالسماع لكان عنده من ذلك ما يفرح به ولكن السماع رزق» (رحلة ابن رشيد ٢/ ٣١٧).

(٢) جاء في الروض المعطار: «وفي سنة ٦٠٩ مالت عليها (أي على أبذة) جموع النصرانية بعد كائنة العقاب، وكان أهلها قد أنفوا من إخلائها كما فعل جيرانها أهل بياسة، ولم ترفع تلك الجموع يدًا عن قتالها حتى ملكتها بالسيف وقتل فيها كثير، وأسَروا كثيرًا».

(٣) في ص: «عن».

(٤) كان بين ابن قطرال قاضي فاس وابن عميرة قاضي مكناسة مكاتبات. انظر كتاب الدكتور محمد بن شريفة: أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي ص١٣٢ وما بعدها.

الـمَناكح وقضاءَ النِّساءِ بمَرّاكُش غيرَ مرّة، وعُرِف في ذلك كلِّه بالعدلِ والنزاهة وشدّةِ الوطأةِ على أهل البِدَع وإخافتِهم وتطهيرِ مواضع نظَرِه منهم.

وكان رَيّانَ من الأدب كاتبًا بليغًا دَمِثَ الـخُلُق ليِّنَ الجانب، فقيهًا حافظًا، عاقدًا للشّروط متقدِّمًا في البَصَر بعِلَلِها؛ كتَبَ طويلًا عن قاضي الجماعة بمَرّاكُش أبي جعفر بن مَضَاءٍ ثم عن أبي القاسم ابن بَقِيّ أيامَ وَلِـيَ قضاءَ الجماعة أيضًا، وأسَنَّ مُمتَّعًا بحواسِّه جُمَع، صحيحَ البدَن، أزهرَ اللون، سريعَ المشي على كَبْرتِه، شاهدتُ ذلك منه، يَكتُبُ باللّيل من الخطِّ الدّقيق وهو قد ناهَزَ السبعينَ ما يكادُ يعجَزُ أكثرُ الفِتيانِ عن قراءتِه بالنهار إلّا بتعمُّل، ولقد حدَّثني الشيخُ أبو الـحَسَن الرُّعَيْنيُّ رحمه اللهُ قال[1]: كنتُ أقرأُ عليه روايتَه كتابَ «التقَصِّي» بدِهليزِ دارِ سُكْناه، وكان مُظلِمًا، وكان جلوسُه في قَعْرِه، وكنتُ أتحرَّى الجلوسَ في أضوإِ موضعٍ منهُ، فربّما وقَعَتْ في حواشي نُسختي منه رواياتٌ مختلفة، فأريدُ تمييزَ ما يوافِقُ روايتَه من غيرِه، فلا أستطيعُ ذلك؛ لدقّةِ خطِّها وإظلام الموضِع الذي كنتُ أقعُدُ فيه على أنه أضوأُ من غيرِه كما ذكرتُه، فيتناولُ الكتابَ من يدي فيقرأُها دونَ توقُّفٍ ويَعرِّفُني ما يوافقُ روايتَه منها فأُعلِّمُ [عليه]. وكان حينَئذٍ ابنَ نحوِ [سبعينَ سنةً وأنا ابنَ] واحدٍ وأربعين. وكان له [في ذلك وشِبهِه] ما يَكثُرُ منه العجَبُ، [وعرَفْتُه من وَصْفِ] شيخِنا أبي الـحَسَن الرُّعَيْنيِّ [ذلك الدِّهليزَ]؛ لأنه دِهليزُ داري التي تقَدَّم ذكْرُ سُكنَى الشّيخ أبي الـحَسَن ابن قُطْرال إيّاها.

وُلد بفاسَ سنةَ ثِنتينِ وستّينَ وخمس مئة، وتوفِّي عَفَا اللهُ عنه يومَ الاثنين لإحدى عشْرةَ ليلةً خَلَتْ من جُمادى الأُولى عامَ أحدٍ وخمسينَ وست مئة بمَرّاكُش وهو يتَولَّى خُطّةَ المناكح وقضاءَ النِّساء، ودُفنَ بجَبّانةِ بابِ المخزَن [من] أبوابِها الغربيّة، واحتَفَلَ الناسُ لحضورِ جَنازتِه، وكنتُ ممّن حضَرَها، وأثنَوْا عليه خيرًا، وكان أهلًا لذلك.

---

(١) لا توجد ترجمة ابن قطرال في برنامج شيوخ الرعيني ويوجد اسمه فقط ضمن ما جرده من أسماء شيوخه في آخر البرنامج. (انظر ص١٨٥).

وذكَرَه ابنُ الأبّار آخرَ رَسْم من الأندَلُسيِّينَ، وقال: من أهل قُرطُبة؛ لِـما غاب عنه مَولدُه ولتعصُّبِه المعهودِ منه[1]، وقال في وفاته: إنّها في ربيع الأول، ولم يُحقِّقْها، وأسقطَ أحدَ اليوسُفَيْنِ من نَسَبِه[2]، وذكَرَ في لقائه كثيرًا من أشياخِه خلافَ ما وَقَفْتُ عليه في خطِّ أبي الـحَسَن نفسِه، فرأيتُ التنبيهَ على ذلك تحقيقًا وتثبيتًا، فأقولُ: ذكَرَ أنه سَمِع ببلدِه، يعني قُرطُبَةَ، أبا العبّاس ابنَ مَضَاء، وقال ابنُ قُطرال: إنه لقِيَهُ بمَرّاكُش، وهو الصَّحيح؛ لأنّ ابنَ مضاءٍ لم يكنْ بالأندَلُس [وقتَ] طلَبِ ابن قُطْرَال العلمَ، وإنّما عاد إليها بأخَرةٍ، وبعدَ تأخيرِه عن القضاء كما تقَدَّم في رَسْمِه[3]. وذَكَرَ أنه سَمِع بقُرطُبَةَ أبا القاسم بنَ رُشْد القَيْسيَّ، وابنُ قُطرال إنّما لقِيَه بمَرّاكُش وقرَأَ عليه وناوَلَه وأجازَ له، كذا وقَفْتُ عليه في خطِّه، وقد كان أبو القاسم القَيْسيُّ هذا انقَطعَ إلى سُكنى مَرّاكُش قديمًا[4]. وذَكَرَ أنه لقِيَ ابنَ الفَخّار بمالَقةَ، وإنّما لقِيَه بمَرّاكُش[5] وزادَ فيمن لقِيَ بغَرناطةَ أبا بكر بنَ أبي زَمَنِين، ولم يُـجرِ له أبو الـحَسَن ذكرًا في شيوخِه. وقال: ولقِيَ بسَبْتَةَ أبا محمد بنَ عُبيد الله وأجاز له، وأجاز له أبو بكرٍ ابنُ الـجَدّ، وأبو عبد الله بنُ زَرْقون، وأبو محمد بن جُـمهُور، وأبو عبد الله بن حَـمِيد، وأبو العبّاس الـمَجْرِيطيُّ، وأبو محمدٍ عبدُ الـمُنعم ابن الفَرَس، ولقِيَ جميعَهم.

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: يقتضي هذا لقاءه إيّاهم وحَمْلَه عنهم بالإجازة لا غيرُ، فلا بدَّ من كيفيّةِ حَمْلِه عنهم بغير الإجازة حسبَما وقَفْتُ عليه في خطِّ أبي الـحَسَن، فأمّا أبو محمد بنُ عُبيد الله فقال: لقِيتُه بسَبْتَةَ وحضَرتُ مجلسَه وكتَبَ

---

(١) ذكر المؤلف في مواضع من كتابه أمثلة منه.

(٢) لا إسقاط في التكملة بل وجدنا التصحيح على «يوسف» الثاني بخط ابن الجلاب، ولعل المؤلف وقف على نسخة أخرى.

(٣) انظر الأخبار المتعلقة بتأخير ابن مضاء عن القضاء في السفر الأول من هذا الكتاب (الترجمة ٢٩١).

(٤) ترجمة أبي القاسم القيسي المذكور في التكملة رقم (٢٢٢) وانظر أيضًا الإعلام للمراكشي ٢/ ٨٧، وتاريخ الإسلام ١٢/ ٧٤٥.

(٥) ترجمة ابن الفخار المذكور في التكملة (١٥٠٦) وفيها العديد من مصادر ترجمته.

لي بجميع ما يحمِلُه؛ وأما أبو بكر ابنُ الـجَدّ، فقال: لقِيتُه بإشبيلِيَةَ، وحضَرتُ مجلسَه وسمِعتُ عليه أبوابًا من [«الموطَّإ»، وأجاز لي سائرَهُ] وجميعَ ما أَلَّفه وجميعَ ما يحمِلُه، وأمّا أبو محمدٍ[١] بنُ جُمهور فلم يَذكُرْ [أبو الـحَسَن لقاءهُ] إيّاه ولا أبعدَه، ولكنّ عُهدةَ لقائه على ابن الأبّار. وذكَرَ إجا[زتَه كذلك][٢].

وأمّا أبو عبد الله بنُ حَـمِيد فلم يُـجزِ له أبو الـحَسَن ذكْرًا في فِهرستِه، [وقد وقَفتُ على] ذكْرِه في شيوخِه بخطِّه في مكتوبٍ آخَرَ، وأمّا أبو العبّاس الـمَجْرِيطيُّ [فقد تقَدَّم] ذكْرُ ملازمتِه إياه، ونزيدُ الآنَ قولَ أبي الـحَسَن: قرأتُ عليه كتابَ «السُّنَن» [لأبي] داودَ، وأنشَدَني قصائدَ من شعرِه ولم يَذكُرْ أنه أجازَ له. وأمّا أبو محمد عبدُ الـمُنعم ابن الفَرَس فقال: لقِيتُه بغَرناطةَ فحضَرْتُ مجلسَه، وكان يقرأُ عليه دولةً من «سِيبوَيْه»، ودولةً من «الكامل» للمبرِّد قراءةَ تفهُّم وشَرْح، وأخرَجَ إليّ كتابَه في أحكام القرآن، فقرأْتُ عليه بعضَه، وناوَلَني سائرَه، وذكَرَ أنه ناوَلَه غيرَ ذلك، ولم يَذكُرْ أنه أجازَ له.

فهذا بيانُ ما أخَلَّ به ابنُ الأبّار من ذكْرِهم؛ وقد أغفَلَ منهم ابنَ عَرُوس ولقِيَه بغَرناطةَ وحضَرَ مجلسَه وناوَلَه بمنزلِه كُتُبًا ذكَرَها، ولم يَذكُرْ أنه أجازَ له؛ وأغفَلَ أبا عبد الله ابنَ سَعادةَ، قال أبو الـحَسَن: لقِيتُه بشاطِبةَ وسمِعتُ منه «كتابَ مُسلم» قراءةً علينا بلفظِه، ولم يَذكُرْ أنه أجاز له؛ وأغفَلَ أبا محمد بنَ حَوْطِ الله، وقال أبو الـحَسَن: رحلتُ إليه إلى مالَقةَ فقرأْتُ عليه الكتابَ العزيزَ بحرفِ نافع، وكتابَ البخاريِّ، و«الإيضاحَ» وعرَضتُه عليه عن ظهرِ قلبٍ في دُوَل، وقرأتُ عليه «أدبَ الكُتّاب» و«الحماسة»، وشاركتُه في كثيرٍ من شيوخِه ثم صَحِبتُه بعدَ ذلك مسافرًا ومقيمًا، وسمِعتُ عليه أكثرَ «كتابِ مُسلم» وقتَ كونِه قاضيًا بقُرطُبَةَ، ولم يَذكُرْ أنه أجاز له؛ وأغفَلَ أبا الـحُسَين ابنَ الصائغ، وقال أبو الـحَسَن: لقِيتُه بإشبيلِيَةَ وأجاز لي جميعَ ما يحمِلُه وكتَبَ لي بذلك؛ وزادَ

(١) في ص: «بكر»، ويبدو أنه تحريف أو غلط من الناسخ.

(٢) ترقيع منا نرجو أن يكون صحيحًا.

ابنُ الأَبّار فيهم أبا بكر بنَ أبي زَمَنين، وأبوي القاسم: ابنَ بَقِيّ وابنَ حُبَيْش، ولم يُـجِزِ لهم أبو الـحَسَن ذكْرًا في فِهرستِه ولم يَذكُرْ فيها إجازةَ أحدٍ ممّنِ اشتَملتْ عليه سوى مَن نبَّهْنا عليه فاعلَمْهُ، واللهُ الموفِّق.

٢ ـ عليُّ[1] بن أبي القاسم عبدِ الرحمن بن أبي قَنُّون: تلمسينيٌّ، أبو الـحَسَن.

رَوى عن أبي الـحَسَن شُرَيْح، وأبي عبد الله أحمد الـخَوْلانيّ، وأبي عليّ الصَّدَفيّ، وأبي عِمرانَ بين أبي تَلِيد، لم يَذكُرْ فيهم [ابنُ الأبّار أبا الـحَسَن شُرَيح وقال:] سمِعَ منهم بالأندَلُس فيما بَلَغني ويَبعُدُ ذلك عندي.

[قال المصنِّفُ] عَفَا اللهُ عنه: استبعادُه هذا ظاهرٌ، ويَقْوَى في حقِّ أبي [عبد الله الـخَوْلانيّ] لوفاتِه في شعبانِ ثمانٍ وخمس مئة، إلا أن يكونَ رُحِلَ به إلى الأندَلُس [صغيرًا وسَمِع] منه حينَئذٍ، ودونَه في الاستبعاد أبو عليّ بن سُكّرةَ؛ لاستشهادِه [يومَ الخميس] لستٍّ بَقِينَ من ربيع الأوّل سنة أربعَ عشْرةَ وخمس مئة، ودونه [فيه] أبو عِمرانَ؛ لوفاتِه في ربيع الآخِر سنةَ سبعَ عشْرةَ وخمس مئة؛ فأمّا شُرَيحٌ [فلا] بُعدَ في سَماعِه منه. وكانت وفاتُه عَقِبَ جُمادى الأولى سنةَ تسع وثلاثين.

رَوى عنه أبو الـحَسَن بن محمد بن خِيَار، وأبو الـخَطّاب ابنُ الـجُمَيِّل، وأبو طالبٍ عَقِيل بن عَطِيّة، وأبو عبد الله بن عبد الـحقّ، وأبو محمد قاسمٌ ابنُ الـحَشّاء.

وكان مُستبحِرًا في حفظِ الفقه، متحقِّقًا بأصُولِه، وله «المقتضَبُ الأشفَى، في اختصارِ الـمُستصفَى» وهو كتابٌ نبيلٌ مُستجاد، وكان سَرِيًّا فاضلًا كثيرَ المعروف نَفّاعًا بمالِه وبجاهِه. وَلِـيَ قضاءَ الجماعة بعدَ أبي يوسُفَ حَجّاج[2] فسار فيه أحسَنَ سيرة، وعُرِف بالعدل في أحكامِه والنّزاهةِ في أحوالِه.

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٢٨٥٧)، والمعجم في أصحاب القاضي الصدفي (٢٧١)، وابن الزبير في صلة الصلة ٤/ الترجمة ٣١٨، والذهبي في المستملح (٧٢٠)، وتاريخ الإسلام ١٢/ ٦٥٧، والمراكشي في الإعلام ٩/ ٦٠.

(٢) انظر ترجمته ومصادرها في الإعلام للمراكشي ٣/ ١١٦ (المطبعة الملكية).

وتوفِّي قاضيًا سنةَ سبع وسبعينَ وخمس مئة. قال ابنُ الأبّار: كان حيًّا في آخِرِ الثمانينَ وخمس مئة. ولم يَضبِطْ ذلك.

٣ ـ عليٌّ[1] بن عبد الرّحمن، إفريقيٌّ، أبو الـحَسَن التُّرُجْقِيُّ، بتاءٍ مَعْلوّ وراءٍ مضمومَيْنِ وجيم ساكن وقافٍ معقودَيْنِ منسويًا، ولذلك يَكتُبُه بعضُهم: التُّرُشْكيُّ.

رَوى فيما أحسِبُ عن أبي عبد الله المازَريّ، رَوى عنه أبو الـحُسَين بنُ زَرْقُون، وقال فيه: الأُرُجْقِيُّ، وهو وَهـمٌ، وتناوَلَ منه أبو القاسم أحمدُ بن عبد الودود بن سَمَجون. رَوى عنه بعضَ شعرِه.

٤ ـ عليُّ بن عَيّاش الأنصاريُّ، بغداديٌّ، أبو الـحَسَن، ابنُ الدَّقّاق. ووَهِمَ ابنُ الفَرَضيِّ فيه، فقال[2]: الدّقّاقُ، وفي اسم أبيه فجعله: شَيْبانَ.

تَلا على ابن مُجاهِد وغيرِه، ورَوى عن أبي بكرٍ ابن دُرَيْد، وقَدِم الأندَلُسَ بعدَ السّبعين وثلاث مئة، ونَزَلَ بَجّانةَ وأقرَأَ بها، وأتَى قُرطُبَةَ وأقامَ بها يسيرًا ولم يُقرئْ بها أحدًا، وأرى أبا الوليد ابنَ الفَرَضيِّ سَمِعَ منه حينئذٍ، ثم توَجَّه إلى تُطِيلةَ فأوطَنَها وأقرَأَ بها. وكان من أحفظِ الناس للقراءاتِ والتفسيرِ والمعاني، شديدَ الأخذِ على القُرّاء، ذا حظّ وافر من اللُّغة والعربيّة، وحُكِي أنه شرِبَ البلاذُرَ للحِفظ فدَخَلتْ عقلَه داخلةٌ، وتوفِّي بتُطيلةَ بعدَ الثمانينَ وثلاث مئة بيسير.

٥ ـ عليٌّ[3] بن عيسى بن عِمران [بن دافَالَ الوَرْدَمِيشيُّ]، بفتح الواو وسكونِ الرّاء وفتح الدّال وميم وياءِ مدّ وشين، [منسوبًا إلى إحدى] القبائل المجاورة بإزاءِ تِلِمْسين، سَكَنَ مَرّاكُش، وقال فيه ابنُ [الأبّار: من أهل] مِكْناسةَ، أبو الـحَسَن.

رَوى عن أبيه. رَوى عنه أبو الرَّبيع ابنُ سالم، [وأبو العبّاس] السَّبْتيُّ القَنْطَريُّ. وكان فقيهًا سَريًّا فاضلًا، واستُقضيَ بفاسَ [وغيرها. توفِّي سنةَ أربع] وتسعينَ وخمس مئة.

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٢٨٥٤)، وابن الزبير في صلة الصلة ٤/ الترجمة ٣١٧.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤١٢ (٩٣٣) وتبعه الذهبي في تاريخ الإسلام ٨/ ٤١٧.

(٣) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٢٨٥٨)، وابن القاضي في جذوة الاقتباس ٢/ ٤٨٢.

٦ ـ عليُّ[1] بن أبي نَصْرٍ فاتح بن عبد الله، بِجَائـيٌّ، [أبو الـحَسَن]، ابنُ أبي نَصْر.

وكان فاتحٌ أبوه رُوميًّا اشتراه أبو الـحَسَن عليُّ بن الأفرم، [فلمّا أَسَنَّ] أعتقَه.

أخَذَ أبو الـحَسَن ببلدِه عن أبي عبد الله بن إبراهيمَ الأصُوليّ، ودخَلَ [الأندَلُسَ]، وبَلَغَ من غربيِّها إلى مالَقةَ وإشبيلِيَةَ، ثم شرَّق في نحو ست مئة، وحَجَّ، وسَمِعَ بمكّةَ شرَّفَها اللهُ أبا محمد يونُسَ بن يحيى الهاشميَّ، وببيتِ المقدِس أبا الـحُسَين بن جُبَيْر، وبدمشقَ أبا القاسم عبدَ الصَّمد بن محمد الـحَرْستانيَّ وأبا محمد عبدَ الواحد بن إسماعيلَ بن طاهرٍ الدِّمياطيَّ، وبالإسكندَريّة أبوي القاسم: الـحُسَينَ بن عبد السلام وعبدَ الرحمن بن عبد الله عَتِيقَ بن أحمدَ بن باقا، وأبا الـحَسَن عليَّ بنَ إسماعيلَ الأبياريَّ. وقيل: إنه انتهى في رحلتِه هذه إلى خُراسان، وأنفَقَ فيها أموالًا كثيرةً، وإنه أخَذ بالـمَوْصِل والشام والعراقِ عن جماعةٍ من أهلِها. وقَفَلَ إلى بلدِه فاقرَأَ به وأسمع.

رَوى عنه أبو عبد الله ابنُ الأبّار، وأبوا العبّاس: ابنُ محمد ابن الغَمّاز، وابنُ الرُّوميّة. وحدَّث عنه بالإجازة أبو محمد مَوْلى سَعِيد بن حَكَم؛ واستُجيزَ من أقاصي البلدان وأدانيها؛ واستجازه لنفسِه ولابنَيْهِ أبو الـمُطرِّف بنُ عَمِيرة، فأجاز لهما، ولـمّا وصَلتْ إليه الإجازةُ كتَبَ إليه: «جَزَى اللهُ سيِّدَنا الـمُرتضَى خيرَ جزائه، وعمَّ ببركتِه طبقةَ أوليائه، وحَفِظَ شرَفَه بالعلم الذي هو من وَرَثةِ أنبيائه، إن من نِعَم الله على كثيرٍ من خَلْقِه أنْ جَعَلَ الصّالحينَ في قلوبِهم محبةً خالطت بَشاشتَها وأدركَتْ برحمتِه حُشاشتَها، وصارت لهم إليه جل جلاله وسيلةً منه تُدنيهم، وبها عندَه ونِعْمَتِ العُدّةُ والأُمنيّة، تَعِدُهم وتُمنِّيهم، وسيِّدُنا رضيَ اللهُ عنه حائزٌ شرفَهم، وبقيّة سلفِهم، والقائمُ على طريقتِه الـمُثلى، بعلوم الشريعة التي

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٢٨٧٢)، والغبريني في عنوان الدراية ١٣٧، والذهبي في المستملح (٧٢٧)، وتاريخ الإسلام ١٤/ ٧٣٠.

استَمْلَى وأملَى، وتأثَّلَ منها بمقدّمةِ الفوز بالنّعيم الذي لا يَبلَى، وكنتُ بها مَنَّ الله[1] عليَّ من عِلم بمكانِه من هذه الأُمّة، وألقَى بقلبي من [محبّتِه وله عليّ بذلك] أعظمُ الـمِنّة والنِّعمة، أرتادُ لمخاطبتِه وقتًا يُسهِّلُ [ورودَها، ورسولًا] يؤدِّي عنّي مقصودَها، إلى أن طَلَعتِ الآنَ عليَّ أثارةٌ من علومِه، [وإنارةٌ من زَهْرِ] نجومِه، وهي الإجازةُ التي تفَضَّل بها عليّ، وعلى عبدَيْه ابنَيّ، فقلتُ: [لقِيَ المتلَصِّصُ] مدخَلًا، ووجَدَ المترخِّصُ متأوِّلًا، وتناولتُ الإجازةَ لهما معي [مشترِكًا]، ووضعتُها على صدورِهما مُبرِّكًا ومتبرِّكًا، ورجَوْتُ أن يَجِدا بها التوفيقَ [بنَهْج] محجّتِه، ويَعقِلا ما عَقَلَ محمودُ بن الرَّبيع من صُحبتِه[2]، وما أرغبَني في أن أُعلِّي [روايتي] برؤيتِه، وأستشفيَ لحالي كلِّها ببركةِ رُقيتِه؛ وأنظُرَ إليه فأحصُلَ على عبادة، وآخُذَ عنه فأشفَعَ الـحُسنى بزيادة، أنعَمَ سيّدُنا جزاهُ اللهُ من الثّواب بأوفرِ قِسْطِه، بإجازتِه التي أرجو منها للولدَيْنِ بركةَ نيّتِه ولفظِهِ وخطِّه، ولي ولدٌ ثالث هو بوِلادتي أخَصّ، ولفظُها عليه ببعضِ الاعتبارات أنَصّ، وهو فلان، ولولا أنّي أتّهمُ نفسي بفتنةِ البُنُوّة، وعيني بالرِّضا المخرِج إلى الفعل ما يُظَنُّ أنه بالقوّة، لوَصَفْتُه بعبارةٍ أعرِفُ قصورَها، ولا أرضى له ميسورَها، وأرجو أنّ فِراستَه الإماميّة قد تنثَلُّ في مِرآتِها، وتَبُثُّ له القَبولَ بإثباتِها، وشهادتُها أصحُّ من شهادتي، ونسبةُ هذا الولدِ إلى خدمةِ العلم بين يدَيْه أشرفُ من وِلادتي، كما أنّ حُرمَتَه أعزُّ مَوْئلًا، وأحمى مَعقِلًا، من أن تُذكَرَ بسُقيا نبتٍ غَرَسَتْه، وعمارة بيتٍ هي أسَّستْه، واللهُ يُعلي بالعلم والعمَل مكانَه، ويَجْزي عنّا جميعًا تفضُّلَه وإحسانَه، بمنِّه، والسلامُ الكريم، الزاكي العميم، يخُصُّه من معظِّم محلِّه الأسمى، وشاكرِ يدِه العُظمى، ابنِ عَمِيرةَ، ورحمةُ الله وبركاتُه.

---

(١) في ص: «وكتب بها الله»، وهو تحريف ظاهر.

(٢) يشير إلى قوله: «عقلت من النبي ﷺ مجة مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلوٍ» أخرجه البخاري ١/ ٢٩، ٢١٢، ومسلم ٢/ ١٢٧.

وكان أبو الـحَسَن من أهل الإتقانِ والضَّبطِ والأمانة، متقدِّمًا في الثِّقة والعدالة، صَدْرًا في الزُّهدِ والوَرَع والإنفاق، ملتمَسَ الدعوة، معظَّمًا عندَ الخاصّةِ والعامّة من أهل بلدِه.

مَوْلدُه ببِجَايةَ سنةَ ستٍّ وستينَ وخمس مئة، وتوفِّي بها ليلةَ السّبت التاسعةَ والعشرينَ من جُمادى الآخِرة سنةَ ثنتينِ وخمسينَ وستِّ مئة، ودُفن ظُهرَ يوم السّبتِ المذكور، وصَلّى عليه الـخَطيبُ أبو بكر بنُ أحمد بن سيِّد الناس[1].

٧ ـ عليٌّ[2] بن القاسم بن محمد بن موسى بن عيسى الفنزاريُّ ـ وقد تقَدَّم بيانُ أصل هذه الشُّهرة في رَسْم أبي عليّ حَسَن بن عليّ منهم ـ سَلَويٌّ، أبو الـحَسَن، ابنُ عشَرة.

ويُذكَرُ أنّهم من عَقِب أحمدَ بن محمد ابن الـمُدبِّر الكاتبِ أخي إبراهيمَ وزيرِ المعتمِد وكبيرِه.

كان أبو الـحَسَن فقيهًا حافظًا سَرِيَّ أهل بلدِه وجيهًا [مؤْثرًا. استُقضيَ ببلدِه]، وأورَثَ عقِبَه سُؤدَدًا وشرفًا. ودَخَلَ الأندَلُسَ غازيًا سنةَ ثمانينَ وأربع مئة[3]، وامتَدحَه بها طائفةٌ من أُدبائها، وشرَّق حينَئذٍ، وامتَدحَ [بالـمَهْديّة ومِصرَ] وغيرهما، ثم عاد إلى بلدِه.

ومما يُؤْثَرُ من مَكارِمه أنّ أبا بكرٍ عيسى [ابنَ الوكيل اليابُريَّ] كان أيامَ لَـمْتُونةَ مُستعمَلًا في مَجابي غَرناطةَ، يُحكَى أنه انكسَرَ عليه [مالٌ جليل] يَبلُغُ عشَرةَ آلافِ دينار، فقُبِضَ عليه وأُشخِص منكوبًا إلى مَرّاكُش، [فلمّا بلَغَ] الموكّلونَ

---

(١) هو محمد بن أحمد بن عبد الله، أبو بكر اليعمري المعروف بابن سيّد الناس المتوفى سنة ٦٥٩هـ، والمتقدمة ترجمته في السفر الخامس من هذا الكتاب (الترجمة ١٢٤٥)، وينظر تاريخ الإسلام ١٤/ ٩١٦.

(٢) ترجمه الضبي في بغية الملتمس (١٢٣٥)، وابن الأبار في التكملة (٢٨٤٨)، وينظر بحث الدكتور محمد بن شريفة عن بني عشرة في مجلة تطوان ١٩٦٥م.

(٣) في التكملة: «ثمان وثلاثين وأربع مئة».

به مدينةَ سَلا خاطبَ القاضيَ مادحًا بقصيدةٍ ومُستجِيرًا به، [وطلَبَ] إيصالَـها إليه، ومطلعُ القصيدة [الطويل]:

سلِ البَرْقَ إذ يَلتاحَ من جانبِ البَلْقا: ... أقُرْطَيْ سُلَيْمى أم فؤادي حَكَى خَفْقا؟

ولِـمْ أسبَلَتْ تلك الغمامـةُ دمعَهـا ... أرِيعَتْ لِوَشْكِ البَيْنِ أم ذاقتِ العِشقا؟

يقولُ فيها:

غريبٌ بأقصى الغَـرْب فُـرِّق قلبُـهُ ... فـآوَتْ سَــلا فَرْقًـا ويـابُرةٌ فَرْقـا

إذا ما بَـكَى أو ناحَ لم يُلفِ مُـسعِدًا ... عـلى شَـجْوِه إلا الغمائـمَ والوُرْقـا

ومنها في المدح:

حياءٌ يغُضُّ الطَّرفَ إلّا عـن العُـلا ... وعِرضٌ كماءِ الـمُزْنِ في الـمُزن بل أنقَى

وفضلُ نَميـرِ الماء قد خَـضَّر الرُّبَـا ... وعدلُ ضميرِ النَّجم قد نوَّرَ الأُفْقا

بلَغْنـا بـنُعماكَ الأمـانيَّ كلَّهـا ... فـما بلَغَـتْ أُمنيّـةٌ غـيرَ أن تبقَـى

فعندَ وقوفِ القاضي عليها بادَرَ إلى مُخاطبة السلطان بتضمُّن المال وتحمُّلِه وسؤالِ الصَّفْح عنه والإبقاءِ عليه بإعادتِه إلى عمِله، فصَدَرَ جوابُه بالإسعافِ والإسعاد، وعاد ابنُ الوكيل إلى غَرناطةَ أنبَهَ مَعاد[1].

وتوفِّي أبو الـحَسَن بِسَلا سنةَ اثنتينِ وخمس مئة.

وممّن امتَدَحَه من جِلّة الشّعراء: أبو الوليد إسماعيلُ بن وَلّاد، ووقَفْتُ له على مجموع في أمداحِه ورثائه ومَدْح ابنِه وأخيه أبي العبّاس سمّاه: «نُزْهةَ الأدب»[2].

---

(١) انظر خبر ابن الوكيل اليابري مع ابن عشرة أيضًا في إعتاب الكتاب (٢٢٤-٢٢٥)، والروض المعطار (٦١٥-٦١٦) تحقيق د. إحسان عباس وكذلك بحث الدكتور محمد بن شريفة في بني عشرة المشار إليه آنفًا.

(٢) هنا بياض كثير في الأصل مقدار نحو صفحة، ولعل المؤلف كان يريد أن يسوق فيه بقية كلام عن بني عشرة. وانظر مدح ابن حمديس في بني عشرة في ديوانه (٥٥٧-٥٥٨)، وبغية الملتمس (٥٢١)، ومسالك الأبصار (مخطوط). أما ابن ولاد فلم نقف على ترجمته إلى الآن.

٨ ـ عليٌّ[1] بن خِيَار، فاسيٌّ، بَلَنسيُّ الأصل، أبو الحَسَن.

سَمِعَ بفاسَ على أبي عبد الله ابن الرَّمّامة ولازَمَه طويلًا وتفقَّه به، وأبي عَمْرٍو السَّلالقيِّ[2].

ورَحَلَ طالبًا، فأخَذَ بتِلِمْسينَ عن أبي الحَسَن بن أبي قَنُّون، وبسَبْتةَ عن أبي محمد بن عُبَيد الله، وبقُرطُبَةَ عن أبي بكر بن خَيْر وأبي القاسم ابن بَشْكُوال، وبمَرّاكُش عن أبي عبد الله ابن الفَخّار.

وكان فقيهًا حافظًا مُشاوَرًا، رافضًا التقليدَ مَيّالًا إلى النّظر والاجتهاد، متفنِّنًا حَسَنَ المشاركةِ في العربيّة وعلم الكلام وأُصولِ الفقه والتصوُّف، أُخِذَ عنه العِلمُ. ووُلد في رمضانِ إحدى وأربعينَ وخمس مئة، وكان حيًّا سنةَ إحدى وست مئة.

٩ ـ عليُّ بن محمد بن عبد الرّحمن التَّميميُّ، قَلْعيٌّ ـ قلعةَ حمّاد ـ أبو الحَسَن.

رَوى عن أبي محمد بن محمد التامغلتيِّ، رَوى عنه أبو عبدِ الله بن حَمّاد، وكان محدِّثًا حافظًا عَدْلًا مُسِنًا حاجًا.

١٠ ـ عليٌّ[3] بن محمد بن عبد المِلك بن يحيى بن محمد بن يحيى بن إبراهيمَ بن خَلَصةَ بن سَماحةَ الحِمْيَريُّ الكُتَاميُّ، فاسيٌّ، سَكَنَ مَرّاكُش، أبو الحَسَن، ابنُ القَطّان.

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٢٨٦٢) وهو فيه: علي بن محمد بن خيار، والذهبي في المستملح (٧٢١)، وتاريخ الإسلام ١٣/ ٤٠، وابن القاضي في جذوة الاقتباس ٢/ ٤٨٣، والكتاني في سلوة الأنفاس ٢/ ١٨٣، والمراكشي في الإعلام ٩/ ٦١.

(٢) ترجمته في التكملة (٢٦٦٥)، وهو عثمان بن عبد الله الأصولي صاحب «البرهانية» وإمام أهل المغرب في علوم الاعتقاد.

(٣) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٢٨٦٩)، وابن الزبير في صلة الصلة ٤/الترجمة ٢٨٥، والذهبي في المستملح (٧٢٤)، وتاريخ الإسلام ١٣/ ٨٦٦، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٠٦، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٠٧، والصفدي في الوافي ٢٢/ ٧٠، وابن ناصر الدين في التبيان، الورقة ١٥٢، وابن القاضي في جذوة الاقتباس ٢٩٨، والكتاني في الرسالة المستطرفة ١٣٣، والمراكشي في الإعلام ٩/ ٧٥، وينظر كتاب الدكتور بشار عواد معروف: الذهبي ومنهجه ١٧٣-١٧٥.

رَوى عن آباءِ جعفر: قريبِه ابن[1] يحيى ـ وفي إبراهيمَ الأقربِ يلتقيانِ ـ وابن عبد الرّحمن بن مَضَاء، وابن يحيى بن عَمِيرةَ الشهيد، وأبوَيْ إسحاق: السَّنْهُوريِّ[2]، والكَلاعيِّ، وأبي بكرٍ الفَصِيح، وآباءِ الـحَسَن: ابن أحمدَ بن عليّ الطُّلَيْطُلِيّ، وابن خَرُوف، وابن مُؤمن وابن النَّقِرات ولازَمَه ونَجَبة، وأبي الـخَطّاب بن [واجِب، وأبي الصَّبرِ بن عبد الله السَّبْتيِّ] الفِهْريِّ، وآباءِ عبد الله: ابنَي الإبراهيمَيْن: ابن البَـقّار[3]، [وابن الفَخّار، وابن] عبد الرّحمن التُّجِيبيّ، وابن عليّ ابن الكَتّانيّ، وابن عيسى [التَّميميِّ]، وأبوَي [العبّاس: ابن سَلَمةَ، والقَوارائـيِّ[4] الشاعـر، وأبـي عُمرَ بن عاتٍ، وأبـوَي [القاسم: ابن بَـقِيّ]، وعبد الرّحيم ابن الـمَلْجوم، وآباءِ محمد: ابني المحمّدَيْن: التادَليِّ[5]، وابن [السَّكّاك[6]، وعبد] العزيز بن زَيْدان، وأبوَي موسى: ابن شُعَيْبٍ الغافِقيّ، والقُزُوليّ، [وأبي يحيى أبي] بكر بن خَلَف ابن الـمَوّاق[7]. هؤلاء لقِيَهم وأكثَرَ عنهم.

(١) في ص: «أبي»، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، وقد تقدمت ترجمته في السفر الأول من هذا الكتاب، وهو أحمد بن يحيى المنبوز بالوزغي (الترجمة ٥٦٤).

(٢) جاء في ترجمته في التكملة ١/ ٢٩٨ ما نصه: «وقال أبو الحسن ابن القطان ـ وسماه في شيوخه ـ: قدم علينا تونس سنة اثنتين وست مئة واستجزته لابني حسن فأجازه وإياي، قال: وانصرف من تونس إلى المغرب ثم إلى الأندلس، وقدم علينا بعد ذلك مراكش مفلتًا من الأسر فظهر في حديثه عن نفسه تجازف واضطراب وكذب زَهَّدَ فيه، وإثر ذلك انصرف إلى المشرق راجعًا، وقد كان إذ أجاز ابني كتب بخطه جملة من أسانيده وسمى كتبًا منها «الموطأ» والصحيحان وغير ذلك، قال: وقد تبرأت من عهدة جميعه بما أثبت من حاله». وروى ابن الأبار أنه ضرب بالسياط وطيف على جمل مبالغة في إهانته في عهد الملك الكامل لأجل معاداته أبا الخطاب بن الـجُمَيِّل. وانظر كذلك ما نقله القاضي ابن إبراهيم المراكشي في شأنه في الإعلام ١/ ١٦٩-١٧٢.

(٣) في طبعتي جذوة الاقتباس: «ابن البقال»، وهو تحريف، وستأتي ترجمته في هذا السفر، وهو مترجم في التكملة (١٧٢٨).

(٤) هكذا ترسم أحيانًا والمراد: الجراوي.

(٥) التكملة (٢٢٠٦).

(٦) التكملة (٢٢٠٥)، وجذوة الاقتباس (٤٤٠).

(٧) التكملة (٥٩٦)، وجذوة الاقتباس (٢٧)، وسلوة الأنفاس ١/ ٢٢٤.

وكتَبَ إليه مُجيزًا: أبو [إسحاقَ] بن إبراهيمَ الأنصاريُّ[1]، وأبو الـحَسَن بن كَوْثَر، وأبو خالد يزيدُ بن رفاعة، وأبَوا عبد الله: ابن زَرْقُون، وابن عَرُوس، وأبو القاسم بن رُشْد الوَرّاق، وأبوا محمد: الـحَجْريُّ، وابن فَلِيج[2].

هؤلاءِ هم الذين سَمّاهم في «برنامجِه». ووقَفْتُ في خطِّه على روايتِه عن أبي إسحاقَ الكانميِّ الشاعر[3]. رَوى عنه ابناه: أبو محمدٍ حَسَنٌ شيخُنا[4]، وأبو عبد الله الـحُسَين، وابن أُختِه أبو عليّ عُمرُ بن محمد بن عليّ بن عـمّار، وأبو بكر بنُ محمد بن مُحرِز، وأبو الـحَجّاج بن موسى بن لاهِيَة، وأبوا زكريّا: ابن يافرتن بن راحِل[5] وابنُ أبي عبد الله بن مَرْوان، وآباءُ عبد الله: ابن حَـمّاد والزُّنْديّ وابن عِيَاض وابن الـمَوّاز، وأبو العبّاس: ابنُ محمد الـمَوْرُوريُّ وابن عِمرانَ بن أبي الفَضْل بن طاهر، وأبو القاسم عبدُ الكريم بن عِمران، وأبوا محمد: ابن عبد الحقّ وابن القاسِم الـحَرّار، وأبو موسى عيسى بن يعقوبَ الهسكوريُّ، وأبو يعقوبَ بن يحيى ابن الزَّيّات، في خَلْقٍ لا يُحصَوْنَ كثرةً أخَذوا عنه بمَرّاكُش وغيرِها من بلادِ العُدوة إلى إفريقيّة، وبالأندَلُس.

ومن شيوخِنا الرُّواة عنه سوى ابنِه أبي محمد: أبو الـحَسَن الكفيفُ، وأبو زيد ابنُ القاسم الطَّرّازُ، وأبوا عبد الله: ابن الطَّراوة وابنُ عليّ المدعوُّ بالشّريف، وأبو محمدٍ عبدُ الواحد بن مَـخْلوف بن موسى الـمَشّاط، وأبو يحيى أبو بكر الـجُمَلِّي[6].

---

(١) في ترجمته في التكملة (٤٠٧)، وجذوة الاقتباس (١٣) ما نصه: «حكى أبو الحسن ابن القطان أنه أجاز له جميع روايته في سنة اثنتين وثمانين وخمس مئة».

(٢) في ص: «مليح»، وترجمة ابن فَلِيج القاضي القصري في التكملة.

(٣) ترجمته في التكملة (٤٦١). وانظر نقول القاضي ابن إبراهيم في الإعلام (١٤)، ويضاف إليها تحفة القادم (١٠٩-١١٠).

(٤) هو مؤلف «نظم الجمان» وغيره من المؤلفات النفيسة التي ألفها للمرتضى الموحدي. انظر البيان المغرب (قسم الموحدين) (٤٥٢-٤٥٣).

(٥) كذا بالأصل، وفي بغية الوعاة ١/ ١٩٣ أنه يحيى بن راجل شارح الجزولية.

(٦) ضبطت في الأصل بتشديد اللام مصححة، وهي نسبة إلى جُـمَلَّة من أعمال مرسية. (وتنظر التكملة ١٥٨٣).

وكان ذاكرًا للحديث مُستبحِرًا في علومِه، بصيرًا بطُرُقِه، عارفًا برجالِه، عاكفًا على خدمتِه، ناقدًا مميِّزًا صَحيحَه من سقيمِه، مُثابرًا على التلبُّس بالعلم وتقييدِه عُمُرَه، وكتَبَ بخطِّه ـ على ضعفِه ـ الكثيرَ، وعُني بخدمةِ كُتُبٍ بَلَغَ فيها الغايةَ، منها نُسخةٌ بخطِّه من «صحيح مسلم» و«السُّنن» لأبي داودَ وغيرُ ذلك، وصنَّف في الحديثِ ورجالِه، والفقهِ وأصُولِه مصنَّفاتٍ نافعةً أُخِذت عنه، منها: «نَقْعُ [الغلَل، ونَفْعُ العَلَل»] في الكلام على أحاديثِ «السُّنَن» لأبي داود، وكمُلَ له نحوُ [.... في ثلاثةِ] أسفارٍ ضخمة، و«بيانُ الوَهم والإيهام الواقعَيْنِ في كتابِ الأحكام» [وكمُلَ له] أيضًا في مقدارِ «الأحكام الشّرعية» الكبير، وعليه وَضَعَه، وكتابٌ [في الردِّ على أبي] محمد بن حَزْم في كتابِ «الـمُحَلَّى» مما يتعلَّقُ به من علم الحديث، ولم يَتِمَّ، [وكتابٌ] في أحكام الجنان، مجلَّدانِ متوسِّطان، وشيوخِ الدّارَقُطنيِّ: مجلَّدٌ متوسِّط، وكتابُ «النظر، في أحكام النظر» مجلدٌ صغير. وهذا الاسمُ من تسمية ابنِه شيخِنا أبي محمد، و«النَّـزْعُ في القياس، لـمُناضلةِ من سَلَكَ غيرَ الـمَهْيَع في إثباتِ القياس»، وهو في الردِّ على أبي عليّ ابن الطّوير المذكور بعدُ إن شاء الله[1]، وهذه التسميةُ لشيخِنا أبي محمد ابنِه أيضًا، و«تقريبُ الفتح القُسِّي»: مجلَّدٌ متوسِّط، و«تجريدُ مَن ذكَرَه الخطيبُ في تاريخِه من رجالِ الحديث بحكايةٍ أو شعر»: مجلّدانِ متوسِّطان، وكتاب «ما يُحاضَرُ به[2] الأمراء»، وبيَّن فيه طريقَ مُفاوضتِهم: مجلَّدٌ متوسِّط. و«أسماءُ الخيلِ وأنسابُها وأخبارُها»: مجلّدٌ متوسِّط. و«أبو قَلَمون»[3]: مجلّدانِ ضَخْمان. وله كتابٌ حافلٌ جمَعَ فيه الحديثَ الصَّحيح محذوفَ السَّنَد حيث وقَعَ من المسنَدات والمصنَّفات،

---

(١) انظر رقم (٣٢).

(٢) في ص: «ما حاضر به».

(٣) أبو قلمون: ثوب رومي يتلون ألوانًا ولا سيما إذا أشرقت عليه الشمس، ويشبه به الدهر والروض وزمن الربيع، وتسمية الكتاب لطيفة، وقد يكون موضوعه شيئًا مما ذكر، وفي مقامات البديع:

أنـا أبـو قـدمون ... في كل لـون أكـون

كمُلَ منه كتُبُ: الطّهارةِ والصّلاة والـجَنائز والزّكاة، في نحوِ عشَرةِ مجلّدات[1].

و«مسائلُ من أصُولِ الفقه»، زَعَمَ أنه لم يَذكُرْها الأصُوليّونَ في كُتُبهم: مجلّدٌ لطيف.

وله مقالاتٌ منوَّعةُ المقاصد، منها: مقالةٌ في الإمامةِ الكبرى، ومقالةٌ في القراءةِ خلفَ الإمام، ومقالةٌ في الوصيّةِ للوارِث، ومقالةٌ في الـمَنْع من إلقاءِ التفثِ في عَشْر ذي الحجّة للمُضحِّي، ومقالةٌ في منع المجتهدِ من تقليدِ المحدِّث في تصحيح الحديثِ لذي العمَل، ومقالةٌ في الدَّين يوضَعُ على يدِ أمين فيتعدَّى فيه، ومقالةٌ في مُشاطرةِ العمّال، ومقالةٌ في الأوزانِ والمكاييل[2]، ومقالةٌ في الطلاقِ الثلاث، ومقالةٌ في الأيمانِ اللازمة، ومقالةٌ في الـخِتَان، ومقالةٌ في التسفير، ومقالةٌ في معاملةِ الكافر؛ جمَعَها للناصِر من بني عبد المؤمن حينَ وفَدَ عليه البابوجُ[3] أحدُ عُظماءِ النَّصرانيّة، سَوَّغ له فيها القيامَ إليه عندَ معاينتِه برأيه، فلم يَرضَها الناصرُ وتحايَلَ في تلقِّيه إيّاه قائمًا عن غيرِ قعود بخروجِه من الباب المعتاد لخروجِه إلى قُبّة جلوسِه وهو فيها عندَ وصُول البابوج إليه[4]، والمقالةُ المعقولة في حُكم فتوى الميِّت والفتوى المنقولة، ومقالةٌ في فَضْل عاشُوراءَ [وما وَرَدَ] في الإنفاق فيه على الأهل، ومقالةٌ في حثِّ الإمام على [القعودِ لسَماع مظالم]

---

(١) ذكره ابن سعيد في تذييل رسالة ابن حزم، قال: «وسمعت أنه كان اشتغل بجمع أمهات كتب الحديث المشهور وحذف المكرر» النفح ٣/ ١٨٠.

(٢) ينقل عنه مؤلف الدوحة المشتبكة (٧٨، ٨٣) تحقيق د. حسين مؤنس.

(٣) البابوج هنا والبيبوج في العبر (بالإمالة) والببوج في المعجب والمن بالأمامة والبيان المعرب لقب لملك ليون ELABABOSO وفسر عبد الواحد المراكشي هذا اللقب بأن معناه الكثير اللعاب، وفي الأنيس المطرب تفصيل لهذه الوفادة التي كانت حسب ابن خلدون خدعة ومكرًا (انظر المعجب: ٣٢٠، والعبر ٤/ ٣٩٢، والاستقصا، وكذلك أشياخ ٢/ ٩٩ وما بعدها، وعنان ٢/ ٢٩٠).

(٤) في الأنيس المطرب أنه رتب هذه الحيلة مع القائد أبي الجيوش عساكر (أو أبي الجيش محارب حسن البيان المغرب).

الرعيّة، ومقالةٌ في تبيينِ التناسُب بين قول النبيِّ صلى الله عليه [وسلم: «يتوبُ] اللهُ على مَن تاب»، وما قبلَه من الحديث، ومقالةٌ في تفسيرِ قولِ المحدِّ[ثينَ في الصّحيح]: إنه حَسَن، ومقالةٌ في تحريم التَّسابّ، ومقالةٌ في الوصيّةِ بالـجَنين، ومقالةٌ [في] إنهاءِ البحثِ مُنتهاه، عن مَغْزَى من أثبَتَ القولَ بالقياس ومَن نَفاه، وهذه التسميةُ لشيخِنا أبي محمدٍ ابنِه أيضًا، وأحاديثُ في فَضْل التلاوة والذِّكر، وبرنامَجُ [شيوخِه] وعَمِلَه بأَخَرةٍ، بعدَ الخمس والعشرينَ وست مئة، إلى غير ذلك من المعلَّقاتِ والفوائدِ في التفسير والحديثِ والفقه وأصُوله، والكلام والآدابِ، والتواريخ والأخبار[1].

وكان معظَّمًا عندَ الخاصّةِ والعامّة من آلِ دولة بني عبد المؤمن، حَظِيَ كثيرًا عند المنصُور منهم فابنِه الناصِر فالـمُستنصِر ابن الناصِر فأبي محمدٍ عبد الواحِد أخي المنصُور ثم أبي زكريّا المعتصِم ابن الناصِر، حتى كان رئيسَ الطَّلَبة مصروفةً إليه الـخُطَطُ النَّبيهة، مرجوعًا إليه في الفتاوَى.

وكان قد سَعِدَ عندَ المنصُور منهم كثيرًا، فكان المنصورُ يؤْثرُه على غيرِه من أهلِ طبقتِه، وجرَتْ له أخبارٌ طريفةٌ معَه، منها: أنه عيَّنَه لقراءةِ الحديث الذي كان يُقرَأ بين يدَيْه، وكان أبو الـحَسَن يَعترِيهِ بعضَ الأحيان توقُّفٌ في كلامِه، فابتدَأَ أوّلَ يوم القراءةِ فبَسْمَلَ وصَلّى على النبيِّ ﷺ، وكانتِ العادةُ إتباعَ القارِئ التّصلِيَة بالدُّعاءِ للمنصورِ بالرِّضا، فحينَ فَرَغَ أبو الـحَسَن من التّصلِية عرَضَ له التوقُّفُ الذي كان يَعترِيهِ، فمكَثَ قليلًا ثم قال: ورضِيَ اللهُ عنكم، واصلًا الدُّعاءَ بالتّصلِيةِ فيما رأى، ثم اعترَتْه سَكْتتُه أيضًا، ثم اندَفعَ يقرَأُ الحديثَ، فاستَبْشَرَ لذلك المنصُورُ واشتدَّ إعجابُه به واستحسانُه إيّاه، وقال: هكذا ينبغي أن يَقرَأَ الحديثَ مَن يقرأُه بينَ أيدينا، فاصلًا بين الدُّعاءِ لنا والتّصليةِ الـمُتبعة البَسْمَلة وبينَه وبينَ حديثِ النبيِّ ﷺ، فأمّا سردُ البَسْمَلة والتصلِية والدُّعاءِ لنا والحديثِ في نَسَق

(١) وصل إلينا من مؤلفات ابن القطان كتاب «الوهم والإيهام» وكتاب «إحكام النظر»، مخطوط في الإسكوريال، ومقالة في فضل عاشوراء مخطوط بخزانة ابن يوسف بمراكش.

من غير فَصْل بين ما يَخُصُّنا من الدَّعاءِ وما قبلَه وما بعدَه فإنّا نبرَأُ إلى الله منه، فعَجِبَ الحاضِرونَ لسعادةِ أبي الـحَسَن بما ظُنَّ أنّ فيه نَقْصًا عليه[1].

وكان ذا حظٍّ من الأدب وقراءة مُقَطَّعاتِ الشِّعر، منها: [قولُه في المصحف الإمام] الذي تقَدَّم في رَسْمِ أبي الـمُطرِّف أحمدَ بن عبد الله بن عَمِيـرةَ[2] أنّ عبدَ [المؤمن وبَنيهِ كانوا] يزعُمونَ أنه مصحفُ الإمام عثمانَ بن عفّانَ رضيَ اللهُ عنه، وقد وَضَعَه [المنصورُ]، من بني عبد المؤمن، في حِجْرِه بمحضَرِ الكُبَراءِ من رجالِه [المتقارب]:

[ألا] فاقـدُروا قَـدْرَ هـذا المقـامْ ... فهــذا الإمــامُ وهــذا الإمــامْ

إمــام المــصاحفِ في حِجـرِ مــن ... بــه حَفِــظَ اللهُ هــذا الأنــامْ

وناهيــكَ مِــن صُــحُفٍ كرِّمــت ... بحِجـرِ الكـريم سـليلِ الكـرامْ

فطُــوبى لــمَن فــاز مــن ذا وذا ... بــما فيــه حــظٌّ ولــو بالــسلامْ

أنشَدَنيه ابنُه أبو محمد عنه لنفسِه، وأنشَدَني أيضًا عنه لنفسِه في صفة نهرِ ماءٍ بضَيْعتِه التي كانت له خارجَ باب فاس، وتُعرَفُ هناك بتاووتي[3] [الكامل]:

ومهنَّــدٍ لــزِمَ التجــرُّدَ فهْــو لا ... ينفَــكُّ مَــسْلُولًا لغــيرِ قتــالِ

ضَمِنَ النَّسيمُ صفاءَ صفحةِ وجهِهِ ... فــتراه مــصقولًا بغــير صِــقالِ

وإذا تــنفَّس فيــه ســال فِرِنْــدُهُ ... وطَفَــا عليــه حَبابُــهُ كــلآلي

أعجِــبْ بــه مــن صــارمٍ آثــارُهُ ... نَقْـعُ الـصَّدى وتـنفُّسُ الآصـالِ

---

(١) لعل هذا أقدم نص في وصف المجالس الحديثية الملوكية التي ما تزال قائمة إلى يومنا هذا.

(٢) السفر الأول، الترجمة (٢٣١)، والمسند لأبي مرزوق، ص٤٥٦. وما بين الحاصرتين محو في الأصل ونقدر أنه ما أثبتنا.

(٣) ورد ذكر تاووتي بأنها قرية من جهات مراكش في التشوف (٣٠٠، ٣٠٩، ٣١٠) ويفهم مما ورد فيه أنها كانت معروفة ببساتينها غير بعيدة من باب المدينة (باب فاس).

ومنه، وقد عثَرَتْ به بغلتُه في وِجهتِه إلى ضَيْعتِه المذكورة وهو يسايرُ أبا عبد الله بنَ الـمُناصِف[1] رحمهما الله، فقال له ابنُ الـمُناصِف [البسيط]:

* ما بالُـها عثَرتْ وما لها قَلِقَهْ[2] *

فأجابه مُرتجِلًا ومُداعِبًا [البسيط]:

لم تعثُرِ البغلةُ السَّفْواءُ[3] إذ عثَـرتْ   من ضعفِ أيدٍ ولا من أنها خَرِقَـهْ[4]

لكنّها عَشِيَتْ من نورِ ما حَـمَلت   من العلـوم فخـرَّت تحتَـهُ صَـعِقَهْ

أنشَدَنيها عنهُ أيضًا ابنُه أبو محمدٍ حسَنٌ رحمه الله، وقال لي: كان متى ذكَرَهما يَستعبِرُ ويستغفرُ اللهَ منهما، وقد رأيتُه ضَرَبَ عليهما[5] في بعض معلَّقاتِه.

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: وَهِمَ بعضُ الطّلبةِ فعكَسَ هذه الحكايةَ بجَعْلِ بغلةِ أبي عبد الله ابن الـمُناصِف العاثرةَ والبيتينِ له، والأمرُ في ذلك كلِّه على ما ذكرتُهُ قبلُ، وقد سَمِعتُها غيرَ مرّة من شيخِنا أبي محمدٍ ورأيتُها[6] بخطِّه في غير موضِع على ما وصَفْتُ.

هذا بعضُ ما اشتُهِر من أحوالِه عندَ جُمهور الناس. وقد كان بعضُ من لقِيتُه ممّن لقِيَه لا يَرضاهُ ولا يَرى الرّوايةَ عنه، وينعَى عليه أمورًا كثيرة، منها: ما كان عليه دائبًا من الإرذال[7] بأفاضلِ أهل العلم، والغضِّ منهم [وتتبُّع سَقَطاتِهم] والتماسِ عَوْراتِهم، والتنكيتِ على الواردينَ منهم على آلِ عبد المؤمن [والوَضْع]

(١) انظر ترجمته في التكملة (١٦٣٢) وستأتي ترجمته في هذا السفر.

(٢) في ص: «وما بها قلبة»، ونقلت في الإعلام للمراكشي: «وما بها قلبت».

(٣) السفواء: السريعة.

(٤) في «الإعلام»: «حرقة»، كما قرئت صعقة: صفقة.

(٥) في ص: «منها، عليها». ولعله ضرب على البيتين لما فيهما من دعوى وإشارة خفية إلى الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

(٦) في ص: «ورأيته».

(٧) هكذا في الأصل وهو من أرذلهم أي لم يرضهم، ويصح أن تكون: الازراء.

من شأنِهم إلّا أن يَستشعرَ من أحدٍ منهم عودةً إلى وطنِه، فإنه كان [يحدِّثُ بقضاءِ] مآربِه، ويُجمِّلُ السَّعيَ في تخليصِ ما إليه قَصَدَ؛ لئلّا يُشتهرَ أمرُه فيقعَ [الاغتباطُ] به من أولي الأمر، وليعودَ إلى بلدِه مُذيعًا شكرَه مُحسِنًا الأُحدوثةَ عنهُ، [إعجابًا] بنفسِه، وحرصًا على تفرُّدِه بالرِّياسةِ وخلوِّ الوجوهِ له.

ومنها: إفراطُ الكِبْر وشدّةُ العُجب، فقد كان دَيْدَنُه أنه لا يبدأُ أحدًا بالسلام ولا يرُدُّه على من يبدَأُ به، وذاكرتُ بذلك شيخَنا أبا عبد الله المدعوَّ الشّريفَ[1]، وكان من المتشيِّعينَ فيه المتّشبِّعِينَ بذكْرِه المتعصِّبينَ له، فقال لي: إنه كان يُسألُ عن ذلك ويُذكَرُ له ما فيه عليه فيُجيبُ مُعتذرًا باستغراقِ فِكرِه واشتغال بالِه بالنّظرِ في أجوِبةِ ما وقَعَ من المسائل العلميّة بمجلسِ سُلطانِ الوقت أو في إعدادِ مسائلَ يُلقيها بينَهم به؛ فهُو لا يزالُ خاطرُه معمورًا بذلك وذهنُه مغمورًا به، زاعمًا أنه لا يَرى أحدًا مـمّن يمُرُّ هو به، فقلتُ له: يدفَعُ ذلك حكايتُه عن نفسِه مشاهدةَ ابن العُثْمانيِّ في مرورِه به على ما سآتي بذكْرِه إن شاء الله، فانقَطَعَ.

ومنها: استعمالُه الـمُسكِر، فقد صَحَّ عنه تناولُه إياه والتأوُّل فيه.

ومنها: غُلوُّه في آلِ عبد المؤمن وإفراطُ تشيُّعِه فيهم، حتى عَدَّ المنصورَ أبا يوسُفَ يعقوبَ بن أبي يعقوبَ بن عبد المؤمن في جُملةِ شيوخِه الذين ضمَّنَهم برنامجَه وصدَّرَهم بذكرِه تشيُّعًا له وغُلوًّا فيه، وليتَه لو وقَفَ في أمرِه عندَ هذا الـحَدّ ولكنْ تعَدّاهُ إلى منزلةٍ تُفضي بالهاوي منها إلى مَقْتِ الله والتعرُّض لشديدِ غَضَبِه وعظيم سَخَطِه؛ وهي أنه لـمّا ذَكَرَ من شيوخِه أبا القاسم ابنَ بَقِيّ وطُولَ مجالستِه إيّاه، ومُذاكرتَه معَه وسَماعَه منه ما لا يُحصَى من شِعرٍ أنشَدَه إيّاه، لنفسِه ولغيرِه، ثم قال: وليس بهذا الاعتبار أذكُرُه هنا، ولا أيضًا باعتبارِ ما سمِعتُ منه من «مسنَدِ» جدِّه بَقيّ وكتاب «التفسير» له وأنه كان أهلًا للرِّواية عنه، ثم قال: وإنّما ذكَرْتُه هنا؛ لأنّي قد كتبتُ عنه شيئًا أخبَرَني به، قال: قال الإمامُ أميرُ المؤمنينَ

---

(١) ما نقله القاضي ابن إبراهيم المراكشي لدى ترجمته في الإعلام (٥٧١) ٤/ ٢٨١ وما بعدها.

المنصورُ رضيَ اللهُ عنه: وُلدتُ ليلةَ الأربعاء الرابعةَ من ربيع الأوّل عامَ أربعةٍ وخمسينَ وخمس مئة، فعَجبتُ من ذلك؛ لتناسُبِ ما بين الأربعاء والرابعة، وربيع وعام أربعة، فكتبتُهُ عنه. فتأمَّلْ [إعجابَه بهذه الكلماتِ] الشَّوْهاء وإضرابَه عن جميع ما ذَكَرَ أنه سَمِعَه منه، كتفسيرِ القرآنِ [الكريم] لبقِيّ، ومسندِه، وما أنشَدَه أو سَمِع منه لنفسِه أو لغيرِه وما حاضَرَهُ به أو [ذاكَرَه فيه]، واطّراحَ ذلك ونَبْذَه إيّاه تهاونًا به واستخفافًا بقَدْرِه، وإيثارًا [لتاريخ] ولدِ خَلْق من خَلْق الله تعالى، لعلّه لا يُرضَى مثل ذلك الغُلوِّ في جانبه من أحد على جميع ما سَطَرَ وذكَر من فنونِ المقاصِد العلميّة التي يحرِصُ الأفاضلُ على نَيْل بعضِها من أكابرِ شيوخِهم، نسألُ اللهَ العصمةَ من الخِذلان، والسلامةَ من مُوجِباتِ الحِرمان. ولقد ذاكَرْتُ بهذا الفَصْل أيضًا شيخَنا أبا عبد الله المذكور، وأبدَيْتُ له ما فيه من الدِّلالة على قَبِيح الغلوّ، فاعتَذرَ عنه بأنّ حاملَهُ عليه تخوُّفُه من أبي عبدِ الله العادل ابن المنصُور، فإنه كان قد أخْـمَلَه كثيرًا وكان يتوقَّعُ منه شرًّا، فقلتُ له: إنّما وضَعَ برنامجَه بعدَ موتِ العادل وموتِ أبي القاسم ابن بَقِيّ. وأيضًا، فهلّا ذكَرَ ذلك في رَسْم المنصُور فيكونَ ذلك أتقنَ في التأليف وأجرى على سَنَنِ المصنِّفينَ في الإعلام بالشيوخ! فأمّا أن يَذكُرَ الشّيخَ في موضعٍ ومولدَهُ بعدَ رَسْمه بأربعةَ عشَرَ شيخًا فعملٌ لم تَـجْرِ العادةُ به، ولا خفاءَ بما فيه، ثم إنْ شاء ذكَرَ أبا القاسم بنَ بَقِيّ بما يَليقُ به إن رأى ذكْرَه في شيوخِه أو الإضرابَ عنه رأسًا، فلم يُـحْرِ جوابًا. وهذه عندي أكبرُ جَرْحةٍ في حقِّه؛ لِـما تضمَّنتْه من الإزراءِ بالعلم وأهلِه الذين لا يَمتري أنه به وبهم شرَفُه لوِ استضاءَ في عيانة هذه الغوايةِ بنورِ هُدى أو اعتصَم بجُنّة توفيق.

ومنها: تجرُّدُه للسَّعي بغايةِ الجِدّ في قَتْل الشّيخ وابنِه الـمُراهِق العُثمانيَّيْن، ثم استباحةُ أخْذِ دارِهما بعدَ قتلِهما مكافأةً له على تلك المحاولة، وانتقالُه إليها بالسُّكنى فيها إلى فصولِه عن مَرّاكُش ثم لم يعُدْ إليها كما سيأتي ذكْرُ ذلك إن شاء اللهُ تعالى.

ثم [كان] الفُضَلاءُ من أهل عصرِه ناقمينَ منه أحوالَه، ولقد حدَّثني الشّيخُ أبو الـحَسَن الكفيفُ ـ وكان رجُلَ صدق ـ أنه سَمِعَ الوَرِعَ الـمُجمَعَ على فضلِه

أبا سعيد يخلفتَن بنَ تنفليشت المتراريَّ البوغاغيَّ، رحمه اللهُ، وقد سُئل عنه فقال: ذلك شخصٌ يُصارحُ نفسَه في أن يكونَ مُهلَّبيَّ الملوك.

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: والذي أوجَبَ إيحاشَ العادل إيّاه ما حدَّثني به ابنُه أبو محمد وغيرُ واحدٍ من شيوخي، قالوا: لـمّا توفِّي [أبو يعقوبَ الـمُستنصِرُ] تَشاوَرَ أهلُ الـحَلِّ والعَقْد بمَرّاكُش في تعيينِ من يُقلَّدُ الأمرَ بعدَه، [فأشار بعضُهم] بتقديم أبي محمد عبدِ الواحِد أخي المنصور، وكان مذكورًا في [بيتِهم بحَزْم وجَوْدةٍ] وصلاح، وأشار بعضُهم بتقديم أبي محمد بن عبد الله العادل ابن المنصُور، وكان يُرمَى بالميل إلى البِطالة وإيثار الشَّهَواتِ والإخلادِ إلى الراحات، [وكان أبو الـحَسَن] حاضرًا لتلك الشُّورى، فأنشَدَ متمثِّلًا ومنبِّهًا على التفرِقةِ بينَهما [الطويل]:

إذا رَتَّـلَ القـرآنَ في جُـنحِ [ليلـةٍ] ... أُبيُّ بنُ كعـبٍ لم يُغـنِّ مُـخارِقُ[1]

---

(١) ورد البيت في آخر قطعة للقاضي الأديب الشاعر ابن حمادي الصنهاجي معاصر ابن القطان يهنئ باسترجاع بلاد إفريقية والظهور على يحيى بن إسحاق، وهي:

فتـوح لهـا في كـل يـوم تلاحُـقُ ... كما استبقت يوم الرهـان الـسوابقُ

تجـيء ومـا بـين الزمـانين مهلـةٌ ... كما نـسق المعطـوفَ بـالواو ناسقُ

بـشائرُ تعلوهـا تباشـير مـثلما ... تـبلّج صـبح أو تـألّق بـارقُ

وراقـت بـلادُ الله فهـي نـضارةٌ ... خمائـلُ ينـدى زهرهـا وحـدائقُ

كـذا فلـيكن فـتحٌ وإلا فـإنما ... جميـع فتـوح العـالمين مغـالقُ

إذا قـرأ القـرآن في غـسق الـدجى ... أبـيّ بـن كعـب لم يغـنِّ مخارقُ

ويبدو أن البيت للشاعر المذكور، فليس في القطعة ما يشعر بالتضمين، وتمثيل ابن القطان بالبيت مقبول من جهة التاريخ فقد قيلت القطعة قبل المناسبة التي تمثل فيها ابن القطان بالبيت.

وأُبي بن كعب: هو الصحابي البدري سيد القراء وأحد كتبة الوحي، أما مخارق: فهو أبو المهنى مخارق بن يحيى، من المغنين المشهورين في العصر العباسي، وفيه أيضًا يقول دعبل لما بويع إبراهيم بن المهدي بالخلافة:

إن كـان إبـراهيم مـضطلعًا بهـا ... فلتـصلحن مـن بعـده لمخـارقِ

انظر الوافي بالوفيات ٤/ ١٥٧.

ثم اتَّفَقوا على تقديم أبي محمد عبدِ الواحد أخي المنصُور عند وفاةِ المستنصِر إمّا منتصَفَ ذي الحجّة أو لأربعَ عشْرةَ ليلةً خلَت منه عامَ عشرينَ وست مئة، فاستمرَّت أيامُه إلى [يوم السّبت الـمُوفي عشرينَ] من شعبانِ إحدى وعشرينَ فخَلَعوه وأشهَدَ على نفسِه بالـخَلْع، ثم قتلوهُ صَبْرًا، [وهو] أوّلُ قَتيل غَدْرًا من بني عبد المؤمن، وقدَّموا ابنَ أخيه العادل وهو بمُرْسِيَة؛ كتَبوا إليه ببيعتِه، فأقبَلَ إلى مَرّاكُش، وقدَّم أخاه أبا العلاء إدريسَ الملقَّبَ بعدُ بالمأمون على جميع بلاد الأندَلُس، فأقام العادلُ بمَرّاكُشَ إلى يوم الأربعاءِ ولستٍّ بقِينَ من شوّالِ أربعةٍ وعشرين، وخَلَعوهُ، ثم بايَعوا أخاه المأمونَ على ما سألمعُ ببعضِه ملخَّصًا إن شاء اللهُ تعالى.

وقد كان أُنهِيَ إلى العادل إنشادُ أبي الـحَسَن البيتَ المذكور حينَئذٍ، وعرَفَ مقصِدَه فيه فأسرَّها في نفسِه، وخاف أبو الـحَسَن بعدَ ذلك من سُوءِ عاقبتِها، ولـمّا قَدِم العادلُ من مُرْسِيَةَ إلى مَرّاكُش كما تقدَّم هَمَّ بالقَبْض على أبي الـحَسَن والإيقاع به[1]، ثم رعَى له قِدَمَ انقطاعِه إلى أبيه وخِدمتِه إيّاه وأخاه الناصِرَ وابنَ أخيه المستنصِر وعمَّه بعدَهم، فكَفَّ عنه وصَرَفَه عن التعرُّض إلى القصرِ والدّخولِ فيه إلى محاضرِ خواصِّ الطَّلَبة، وكان يُكني عنه متى جَرَى ذكْرُه «الـمُخارِقَ» إشارةً إلى البيتِ الذي أنشَدَه أبو الـحَسَن، فكلّما نُمِيَ ذلك إلى أبي الـحَسَن يشتَدُّ قلقُه ويتأكّدُ استيحاشُه، وكان من غريبِ الاتّفاقات أنّ العادلَ لـمّا استقرَّ بمَرّاكُشَ بعدَ قَتْل عمِّه أبي محمد وانتهابِ أكثرِ كُتُبِ الـخِزانة[2] التي كانت بالقَصْر في جُملة ما

---

(١) في ص: «له».

(٢) كان لهذه الخزانة مكانة كبيرة عند خلفاء الموحدين، وكان الإشراف عليها من الخطط الرفيعة عندهم، وقد وليها عدد من الأعلام نذكر منهم أبا العباس أحمد ابن الصقر في عهد يوسف بن عبد المؤمن، وأبا محمد عبد الله العراقي في عهد الرشيد الموحدي، وأبا الحسن ابن شلبون، ويقول ابن عبد الملك في خطة الخزانة العالية: «وكانت عندهم من الخطط الجليلة التي لا يعين لتوليها إلا علية أهل العلم وأكابرهم». السفر الأول (الترجمة ٢٩٢) والسفر الخامس (الترجمة ٥٥٠) واختصار القدح المعلى (٤٦).
=

نُهِب من ذخائرِه، خرَجَ من قِبَل [الخليفة العادلِ إلى] أبي الـحَسَن عليِّ بن أبي جامع أمرٌ بنظرِ عليٍّ في ترتيبِ ما بَقِيَ [من كُتُبِ الخِزانة] وتمييزِ كاملِها من ناقصِها، وكان مرادُ العادل بعليٍّ وزيرَهُ المذكور، [فأخبرَ الوزيرُ أبا الـحَسَن] ابنَ القَطّان بذلك وأشعرَه بما فيه من التأنيسِ له والإيذان بالإقبالِ عليه، [فتولّاه] أبو الـحَسَن في أيام كثيرة، ثم لـمّا فَرَغَ منه طالَعَ العادلَ الوزيرُ بتمام ذلك [وترتيبِ جميع ما] اشتَمَلتْ عليه، فأمَرَ ثوابًا لمتولِّي ذلك بجُملةٍ وافرة من أمدادِ الزَّرع [وعددٍ كبير] من المال والكساء، وكان الزَّرعُ أحظاها؛ لِـما كان عليه الوقتُ من الشِّدةِ والتناهي في غلاءِ الأسعار، وقد كان ذلك توالَى على مَرّاكُش نحوَ سبعةِ أعوام، [حتى أثَّر] ذلك في كثيرٍ من أهلِها عمومًا، وفي ابن القَطّان خصوصًا؛ لكثرةِ عيالِه، وانقطاع موادِّ الفوائدِ عنه بعُطلتِه عن الأشغالِ التي كان يَنتفعُ بها ومنها. ولـمّا صار ذلك كلُّه إلى ابن القَطّان وحازَه، وحَسُنت حالُه به، وسُرَّ بما مُنِحَ منه، رَفَعَ إلى العادل شاكرًا له هذا الإنعامَ الجزيل، فأنكَرَ العادلُ ما صَدَرَ عن ابن القَطّانِ من ذلك ولم يعرِفْ سببَه، فسألَ وزيرَه عنه، فقال: إنه لـمّا خرَجَ الأمرُ بنظر عليّ في ترتيبِ الكُتُب لم يُخالِطْه شكٌّ في أنّ المرادَ بعليّ: ابنُ القَطّان؛ لأنه كان الناظرَ فيها في المدّةِ المتقدِّمة، ولأنه العارفُ بما يحاولُ مِن ذلك، وللعلم بأنه لا يقومُ أحدٌ في ذلك التصرُّفِ مقامَه، فقال العادلُ: أرَدْنا ابنَ أبي العلاء وأراد اللهُ مُخارِقًا[1]. ثم لم يأمَنْ أبو الـحَسَن على نفسِه حتى خُلِع العادلُ وقُتل كما تقَدَّم.

= ويحسن هنا تصحيح وهم وقع فيه ابن أبي زرع الذي يقول في الأنيس المطرب: «ومنهم الفقيه القاضي أبو عبد الله ابن الصقر ولي القضاء بإشبيلية، ثم نقله أمير المؤمنين يوسف إلى حضرته فولاه الخزائن وبيوت الأموال» ومن الواضح أنه فهم من خبر ولاية ابن الصقر خطة الخزانة أن المقصود خزانة المال، ومثل هذا الوهم قد يقع للمشارقة، وذلك لأن إطلاق الخزانة في اصطلاح المغاربة ينصرف إلى خزانة الكتب.

(١) هذا على قياس المثل: أردت عمرًا وأراد الله خارجة.

وفي نحو تمثُّلِه بالبيتِ المذكور في الفَرْق بين العادلِ وعمِّه ما صَدَرَ عنه في جانبِ الوزيرِ أبي سعيد بن أبي جامع، فإنّ أبا الـحَسَن كان شديدَ الاختصاص بأبي عبدِ الرّحمن محمدِ بن أبي عِمران التينمليّ، وكان أبو عبد الرّحمن هذا كثيرَ الاعتناءِ به، والتعظيم لجانبِه، والسعي الجميل له أيامَ وزارتِه حتى انتهت بسَعْيه خُططَ أبي الـحَسَن نحوَ ثلاثَ عشْرةَ خُطّة، كلُّها أو جُلُّها جليلٌ مفيد، وكلُّ واحدةٍ منها إنما كان يُعيَّنُ لها أكثرُ المرتسِمينَ بالعلم قَدْرًا وأبعدُهم صِيتًا، ولـمّا نُكِب ابنُ أبي عِمران المذكورُ وغُرِّب إلى مَيُورْقةَ انفردَ بالوِزارة بعدَه أبو سعيد بنُ جامع[1]، فاجتازَ به أبو الـحَسَن وهو جالسٌ في مجلس الوِزارة فأنشَدَ متمثِّلًا في التباعُدِ بينَه وبينَ ابن أبي عِمران [البسيط]:

كالـهرِّ يَـحكي انتفاخًا صُورةَ[2] الأسدِ

وبَلَغَ ذلك أبا سعيد، فحَقَدَها له، ولم يزَلْ يَـحُطُّ من خُططِ أبي الـحَسَن ويُصرِّفُ فيها غيرَه حتّى لم يبقَ بيدِه منها شيءٌ إلا القليلَ النَّـزْرَ الفائدة [وما لا غَناءَ فيه].

ولـمّا أخَذت مملكةُ آلِ عبد المؤمن في الاختلالِ أيامَ [الـمُستنصِر بسببِ ركونِه] إلى الـهُوينى، وعكوفِه على راحتِه، وإعراضِه عن التدبير فيما [يعودُ لشؤونِ الدولـة]، وتفويـض النظـرِ في الأمور كلِّها إلى وُزرائـه وحاشيـتِه[3] وضاعتِ

---

(١) انظر ما عند صاحب المعجب في أبي سعيد بن جامع ص٣١٠ وص٣٢٤ وكذلك الأنيس المطرب: ٢٣١، ٢٣٦ ويذكر المراكشي ابن أبي عمران الذي كان قبل ابن جامع ولكنه يجعله أبا عبد الله محمد بن علي بن أبي عمران الضرير جد يوسف بن عبد المؤمن لأمه، وقد أطلق لسانه بالثناء عليه، أما ابن عذاري فيسميه أبا يحيى بن أبي الحسن بن أبي عمران (قسم الموحدين ص٢٣٣).
وقال فيه ابن الخطيب: الشيخ أبو يحيى بن أبي عمران وزير الخلافة، وأورد قصيدة للكاتب المشرف محمد بن عبد الرحمن الغرناطي كتب بها إلى الوزير المذكور وهو بحال شكاية أصابته (الإحاطة ٣/ ٢١٢).

(٢) كذا بالأصل، والمروي: صولة أو سورة.

(٣) أشار ابن أبي زرع إلى «إدمانه على الخلاعة، وركونه إلى الملذات وتفويضه أمور مملكته ومهمات أموره إلى السفلة» (الأنيس المطرب: ٢٤٣ ط. دار المنصور).

[المصالحُ وتطاولت] أيدي الـمُعتَدين، وعاثَ أهلُ البَغْي في الأرض، وكَثُر في أقطارِ المغربِ [ونواحي] مَرّاكُش قَطْعُ السُّبل والمحارِبونَ الساعونَ في الأرض فسادًا، وكان [أكثرُهم، فيما] يُذكَر، يُساهمُ - فيما يَصيرُ إليه بالتغلُّب عليه وانتهابِه من أموالِ المسافرينَ [والتُّجّارِ] المتردِّدينَ - كبيرَ الوُزراء والمرجوعَ إليه من رجالِ الدولة أبا سعيدٍ ابنَ جامع، [حتى] ليُحكى أنّ بعضَ التّجّار سُلِبوا في توجُّهِهم إلى مَرّاكُش فجاءوا إلى أبي سعيدٍ ابن جامع متظلِّمين، رافعينَ إليه ما جَرى عليهم، وبينَما هم وقوفٌ على بابِ دارِه، ينتظرونَ تيسُّرَ أسبابِ الوصُولِ إليه وإلى مكالمتِه في رَفْع ما حَلَّ بهم، رأَوْا أحمالَهُمُ المنهوبةَ نفسَها وكثيرًا من أمْتِعتِهم على دوابَّ داخلةٍ إلى دارِه، فكَفُّوا عن التعرُّض إليه يأسًا من نجاح ما سَعَوْا فيه، وانقَلبوا عنه متأسِّفينَ متحسِّرين، واستمرَّتِ الأمورُ على هذه الحال وبهذه السبيل زمانًا، والمستنصرُ في غَفْلةٍ عن كلِّ ما يَجري، غير سائل عن رعيّتِه التي يُسأَلُ عنها، وإن سَألَ أجابَه الوزيرُ أبو سعيد بأنّ الجميعَ في سُبوغ نعمةٍ وشمولِ عافية، واتّساع أحوال وبَسْطِ أموال، فيقنَعُ بذلك، ويعودُ إلى انهماكِه في لَذّاتِه.

وأهمَلَ معَ ذلك جانبَ الأجنادِ الذين هم آلةُ الـمَلِك وأعوانُه، فأرجَلَ فرسانَهم، وصُرِفت رَجّالتُهم؛ فتفاقَمَ الأمرُ واستَشْرى شرُّ الـمُفسِدين وكَثُرَ إضرارُهم وعَمَّ عُدوانُهم.

ولـمّا تَمادى ظهورُ الفساد واشتَدّت شَوْكةُ أهلِه، أجرى أبو الـحَسَن ذكْرَ ذلك بمجلس الوزيرِ أبي سعيد، وأشار إليه بإنفاذِ جيش إلى بعض نواحي مَرّاكُش لرَدْع مَن نَجَم به من أهل البَغْي، فأجابَهُ بأنّ ذلك لا يُحتاجُ إليه، وأنه سيَكتُبُ إلى أهل تلك الناحية بالنُّفور إلى مَن تعرَّضَ إلى أرضِهم ومُدافعتِهم والقَبْضِ عليهم وقَتْلِهم ونحوِ هذا، فلم يُقنعْ ذلك أبا الـحَسَن فقال: لعلّ المانعَ من ذلك الاحتياطُ على المالِ الذي يَنُوبُ في تجهيزِ هذا الجيش، فقال له أبو سعيد: إنّ بيتَ مالِ المسلمينَ قد خَلا ونَفِدَ ما كانَ فيه بالإنفاقِ في مصالِـحهم، وكان [قولُ أبي سعيدٍ][1] تسلُّقًا

(١) كل ما بين الحاصرتين محو في الأصل، ولا يختلف لفظ الممحو عما أثبتنا.

إلى صرفِ أبي الـحَسَن عن التعرُّض لشيءٍ ممّا [ذَكَر، ثم] قال له أبو الـحَسَن: فالرأيُ عندي أن يوظَّفَ على بعضِ الأملياءِ[1] [قَدْرٌ من المال لإقامةِ] هذه الحركة، فقال له أبو سعيد: هذا لا سبيلَ إليه، ولا [نُوظِّفُ على الناس] ما أعفاهمُ اللهُ من بليّتِه مدّةَ آل عبدِ المؤمن، فيُخيفَهم ذلك ويُوحشَهم، [ولا نَخرُج منه بطائل]، فقال له أبو الـحَسَن: أنا الضّامنُ استخراجَه منهم متبرِّعينَ به [راضينَ] بإعطائه، طيِّبةً به نفوسُهم، فاغتنَمَها منه أبو سعيدٍ؛ ليوقِعَ كراهيتَه في [قلوبِ] أهل مَرّاكُش، وأباحَ له ذلك والنظرَ فيه، فنَهَضَ من عندِه، ولـمّا فَصَلَ أبو [الـحَسَن] من مجلسِ أبي سعيد، وصار إلى منزلِه، تصَوَّر في خاطرِه أنّ أوّلَ مَن يؤخَذُ معَه في ذلك المتصرِّفونَ بأموالِـهم وأعمالِـهم في مستغَلّاتِ الأملاك مُساقاةً في سوادِها أو مزارعةً في بياضِها، وهم في عُرف أهل مَرّاكُش: الـمُرابِعونَ؛ لأنهم كانوا يعمَلونَ في ذلك على أن يكونَ لهم الرُّبعُ من فوائدِها، أو للمحاوِلينَ شراءَ غللِها من زيتونٍ وعنبٍ وتين ورُمّان وخَضْراوات وغير ذلك ثم يبيعونَها، وهم في عُرف أهلِ مَرّاكُش أيضًا: القَشّاشونَ[2]؛ وبَعَثَه على التَّبدِية بهم ما تقَرَّرَ عندَه وعندَ غيرِه من أهل مَرّاكُش من اتّساع أحوالِـهم وبنائهم بما صار إليهم في تلك الـمُدّة من الفوائدِ لتوالي غلاءِ الأسعار، ونَفاقِ سِلعِهم، وارتفاع أثمانِها إلى حدٍّ لم يُعهَدْ مثلُه فيما تقَدَّم. فبَعَثَ في رجُلٍ كان يُذكَرُ أنه مِن أملاهُم وأعظمِهم جِدَةً، وكان اسمُه محمدَ بنَ عليّ ويُلقَّبُ بالذِّيب، وقد أدركتُ ابنَيْه، وبعضُ عقِبِه الآنَ بمَرّاكُش، وكان أوّلَ أمرِه حلفاويًّا، فلمّا حضَرَ عندَه أنكرَ إرسالَه عنه، لـمّا لم تَـجْرِ بينَهما مخالطةٌ ولا مُلابَسة، على كثرةِ مُداخَلةِ محمد بن عليّ هذا أصنافَ الناس ومُداينتِه إياهم، فتوهَّم أنّ بَعْثَه ليتدايَنَ منهُ، أو يُباحثَه في أمرٍ من أمورِ الأملاكِ أو غَلّاتِها، أو نحوِ ذلك ممّا كان بسبيلِه، فقال له أبو الـحَسَن مُفاتحًا له: أنت الذِّيب؟

---

(١) جمع مليء، وهو الغني المقتدر.

(٢) قال ابن مرزوق في «المسند» في تعريف القشاشين: «هم المتصرفون في بيع الأملاك وابتياعها والمعرفة بقدر غلاتها» (المسند الصحيح الحسن: ٣١١-٣١٢).

فاستَوْحشَ من مُلاقاتِه بهذا القول، وكان كيِّسًا مِقدامًا وَجّادًا للكلام، فقال له: لستُ الذِّيب، وإنّما أنا أحدُ بني آدَمَ، واسمي: محمدُ بن عليّ، فقال له: إنّما تُشهَرُ بالذِّيب وبذلك تُعرَف، فقال له: ذلك لقبٌ أجْراهُ عليّ بعضُ سُفهاءِ الناس وأراذِلِـهم، ولا أرضَى لكَ ما رَضُوهُ لأنفُسِهم، فمنصِبُك أعلى من هذا، فقال له: دَع الكلامَ في هذا وخُذْ فيما له بَعَثتُ فيك، فقال له: قُلْ أسمَعْ، فقال له أبو الـحَسَن: بَلَغَني أنّ عندَكَ اثنَيْ عشَرَ ألفَ قِنطار من الزَّيت في جملة [رِبَاع وضِياع وأموال]، فقال له: نعَمْ، شكرًا لله، فقال له: وما تصنَعُ بها؟ فقال: ما يصنَعُ الناسُ [بأملاكِهم وأموالِـهم]، فقال له: أعطِها لبيتِ[1] مالِ المسلمين، فإنه أحقُّ بها منك، فقال: ليس [لبيتِ مالِ المسلمينَ فيها] حقّ، فإنّي قد أدَّيتُ زكاتَها، فقال له: والقليلُ من ذلك يُقنِعُك [ويكفيكَ منه] دنانيرُ تُديرُها في الحلفاويِّينَ كما كنتَ، فقال له: إنّما أرجو من فضلِ الله [المزيدَ على ما عندي] من نعمتِه، فقال له: إن لم تفعَلْ ما ذكَرْتُ لك طوعًا وإلّا فعلتَهُ كَرْهًا، فقال: [لا أُخرجُ من] مالي مقدارَ خَرْدلةٍ بغير حقّ أبدًا، إلّا أن أُريقَ دمي عليه، ومن قُتِل دونَ مالِه [فهو شهيد]، وتراجَعا الكلامَ في ذلك طويلًا، وأبو الـحَسَن قد تمكَّن منه الغَيْظ، واستَولى عليه الغضَب؛ لإخفاقِ سَعْيه في المحاولةِ التي لم تنجَحْ، ثم صَرَفَه، وشاع بين أهل مَرّاكُشَ هذا المجلس، وتحدَّثوا بما جَرى فيه، ومَقَتوا أبا الـحَسَن بسببِه، وحصَلَ أبو سعيدٍ على مُرادِه في أبي الـحَسَن.

ثم تبغَّض أبو الـحَسَن عَقِبَ ذلك إلى وجوهِ دولة المستنصِر ووُزرائه وحُجّابه والمتصرِّفينَ في مشاطرةِ العمّال[2]، فإنه أحدَثَ بها وَحْشةً بين المستنصِر ورجالِ دولتِه، حتّى هَمَّ بالقَبْض عليهم واحدًا بعدَ واحد واستصفاءِ أموالِهم،

(١) في ص: «بيت».

(٢) تقدم أن لابن القطان مقالة في مشاطرة العمال، ويفهم من السياق أن وظيفة المتصرفين فيها أحدثت باقتراح من ابن القطان وبناء على مقالته، ومشاطرة العمال من باب محاسبة العمال التي لها أصل معروف في السنّة.

ولـمّا [تحسَّسوا] ذلك واستَشْعَروه، سَعَوْا في تخلُّصِهم منه بقتلِه، فدَسُّوا عليه من سمَّه فمات، وقد تقَدَّم الإيماءُ بذلك في رَسْم أبي إسحاقَ بن الحجر[١].

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: جَرى قبلَ هذا استباحةُ أبي الـحَسَن سكْنى دار العُثمانيّ، بعدَ سَعْيِه في قتلِه وقتل ابنِه، فرأيتُ إيرادَ قصّتِها؛ لئلا يتشوَّفَ إليها مُتشوِّفٌ، ولأنّها من أغربِ ما جَرى في ذلك الوقت، وقد وَقَفْتُ عليها في خطِّ أبي الـحَسَن نفسِه:

قال أبو الـحَسَن: كان بمَرّاكُش طالبٌ يذكرُ أنه عثمانيُّ النَّسَب من ذُرِّيّةِ عثمانَ ابن عَفّانَ رضيَ اللهُ عنه[٢]، وكان موثقًا شاهدًا بحَوْمةِ أجادير[٣] من مَرّاكُش، وكان له ابنٌ صغيرٌ يُذكَرُ بنُبل وذكاءٍ وتصرُّف في علوم على صِغَرِ سِنِّه، ثم ذُكِرَت عنه أشياءُ شنيعة، منها: أنّ بعضَ الطلبةِ أخبَرَني أنه بَلَغَه أن قائلًا قال في النبيِّ محمد ﷺ: لا نبيَّ بعدَ محمد، هو خاتمُ النبيين، فقال: ليس هو خاتمَ النبيئين، هذه كلمةٌ قد قالها موسى وعيسى، فبَعثْتُ عن أبيه، فلمّا حضَرَ عندي سألتُه عما نُسِب إليه من الأقوال، وقلتُ له: بَلَغَني أنه قال في نبيِّنا محمد ﷺ: هو خاتمُ النبيئين، هذه كلمةٌ قد قالها موسى وعيسى؛ [فأنكرَ أنّ ذلك] كان، وحَلَفَ من الأَيْمان ما أوجَبَت في الحالِ تصديقَه، والحملَ على الطالبِ الحاكي عنهُ، ثم قلتُ له: فهاتِ الآنَ حديثَ ابنِك،

---

(١) السفر الذي يحيل عليه المؤلف مفقود، وستأتي الإشارة إلى ترجمة هذا الطبيب الذي يبدو أنه كان له دور في سم الخليفة المذكور، ولم ترد هذه الرواية في مصدر آخر، والرواية المتداولة بين المؤرخين أنه نطحته بقرة فمات.

(٢) لم يسم المؤلف هذا العثماني وفي اختصار القدح (١٩٦-١٩٧) ترجمة لمن اسمه أبو القاسم عبد الرحمن العثماني، وقد جاء فيها: «وكان يذكر أنه من ذرية عثمان بن عفان» وقد لقيه ابن سعيد بسبتة وقال: إن أصله من طلياطة عمل إشبيلية وفارقه سنة ٦٢٧هـ، وذكر أنه كان معروفًا بالرفاهية وكانت له عوائد الخواص، ولكننا لا نعرف هل بقي في سبتة أم انتقل إلى مراكش، وثمة بعض المشابه بين تصرفات هذا الرجل والمذكور هنا. وبالجدير بالذكر أن المصادر الأخبارية التي وصلت إلينا لم تشر بشيء إلى هذه الحادثة.

(٣) فوقها كلمة صح في الأصل، وحومة أجادير كانت في عدد من مدن المغرب كتلمسان وفاس.

فقال: إنَّ ابني عبد الله لم أزل حريصًا على تأديبه وتعليمِه، فوفّقهُ اللهُ، فحصل في أيسر مُدةٍ وعلى صغر سنه ما يُسْتَعظم لذوي الأسنان العالية. ثم ذكرَ ما قرأ من القُرآن والعربيّة والعَدَد والآداب والتعديل، فأنكرتُ في نفسي أكثرَ حديثه عنه، بالقياس إلى ما كنتُ أشاهد من صغر سن الابن المذكور، في حال خطوري عليه، ولقائي له في الطرق. قال: ثم إنّ الله ابتلاهُ ببليةٍ ورزأني فيه برزيةٍ علمتُ أنها عينٌ أصابت، وقَدَرٌ نفذَ، فصارَ يرى مرائي يُكلم فيها بقرائن ويُنذر بإنذارات ويؤمر بأوامر ويكون ذلك بواسطة ملائكة تارة، وبواسطة أنبياء تارة، وربما اجتمع له الصِّنْفان، ويَتْلُونَ معه القُرآنَ، ويُخْبرونَهُ بما يكون، ويحدِّثونَهُ بما يتفق له ويشكل عليه الشيء مما قالوا له إذا استيقظ، فيأتونه بعد ذلك، فيسألهم عنه فيفسرونه. وذكرَ أنه رأى من الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وملكًا يُلازمه وهو أول من رأى وأول ما ابتدئ به اسمه شلانون، وهو الذي لا يكاد يغيب عنه ولا يغبه، وهو الذي يأخذه متى جاءه من شدة اتصال ما بينهما، وكثافته حاجب واحد، وأحيانًا كأنه طائر أخضر على قدر جَمَل، وأخذ في أشياء مثل هذا مما لا يسعه خاطر.

فقلت له: أنبئني عن أول ما اعتراه هذا.

قال: نعم، كنتُ عام أول في هذه الأيام أيام عيد الأضحى مصبحًا يومًا، إذ قال لي: يا أبت، رأيتُ البارحة في النوم شيخًا أتاني فقال لي: أقرئ أباك السلام من الـحُسين وإبراهيم.

قال: فقلت له: يا بني، وما هذا؟ ومَن الـحُسين وإبراهيم؟ قال: لا أدري، قال: ثم أتاه ليلة أخرى، فقال له: بلّغتَ أباك؟ فقال: نعم، ولكن مَن الـحُسين وإبراهيم؟ قال: سَيُفَسَّر لكم هذا. قال: فبعد أيام ابتليتُ بالمطالبة التي طالبني بها الزيادي، حين زعمَ أني سببتُ الـحُسَين عليه السلام[1]، واضمحلت عني تلك المطالبة بعد ما رأيتُ فيها من المشقة، ثم بعد أيام جرت لي مطالبة أخرى طالبني بها إبراهيم الكُتُبي سُجِنتُ عندها، ولم يصح ما نُسب إليَّ أيضًا من سب من زعم أني سببته من العُلماء.

---

(١) في هذا ما يدل على نزعة مروانية واضحة، وسيأتي ما يزيدها وضوحًا.

قال: وجاءه هذا الملك الذي هو شلانون، فقال له: لـمَ تركَ أبوك وِردَه من اللّيل في البيتِ الذي كان اتّخذَه في دارِه مسجدًا؟ قال: وقد كان لي وِردٌ من اللّيل في بيتٍ من داري شغَلَتْني عنه شواغلُ الدُّنيا، وصار سَهَري باللّيل إنّما هو على وثيقةٍ أُبيِّضُها أو فريضةٍ [أقيِّدُها، وحينَ] قال لي ذلك، بادرتُ إلى البيت، فبنَيْتُهُ بِنيةً جديدة [وجدَّدتُ فراشَه، وبَلَغتْ] نفَقتي فيه مئتي دينار، ووجدتُها بعدَ شهرٍ قد انخَلَفَت على الأعشَرين، ورجعتُ إلى صلاتي فيه كما كنتُ[1]، قال: وبقيَ لي البيتُ في الدار [وفي جُدرانِها] خَلَقٌ كأنه رُقعةٌ من غيرِ الثَّوب، فأحوَجَني ذلك إلى نفقةٍ في سائرِ [الدار].

قال: وقال لي مرةً أخرى: قُلْ لأبيك يُجرِّدِ الـجُبّةَ التي عليه التي أَخَذَ من فلانٍ في [كِرائه]، وقد كنتُ أخذتُها ممّن يَسكُنُ لي موضعًا، وربّما لم يكنْ عندَه ما يؤدِّي فأعطاني جُبّتَه، قال: فصُرِفتِ الـجُبّةُ على رَبِّها.

قال: واستمرَّت عليه هذه الـمَرائي وصار يُـخبَرُ بما يكونُ، حتى لَغابوا عنه مُدّة، ثم جاءوه أو من جاءه منهم فقال: أبطأتُم عنّي، قال: شُغلٌ عَرَضَ في شرقِ الأندَلُس شغلنا، قال: فجاء بعدَ أيام حديثُ حِصن شلفيره وأَخْذِ المسلمينَ إيّاه من أيدي النّصارى[2].

---

(١) في ص: «كانت».

(٢) شلفيره كما ورد هنا أو شنفيره كما في الروض المعطار أو شرفيره كما في التكملة والذيل والتكملة: حصن على أربع مراحل من مرسية. قال ابن الأبار وابن عبد الملك: «وفيها (أي في سنة ٦١٣هـ) استرجع المسلمون شرفيره من ثغور مرسية من أيدي النصارى» وقد خصه الحميري بمادة مطولة روى فيها قصة استرجاع هذا الحصن سنة ٦١٤هـ بحيلة دبرها محمد بن هود الذي كان يومئذ في جند الموحدين واشتهر بسبب ذلك عند أهل شرق الأندلس فصاروا يقولون: هو الذي استرجع شنفيره؛ وقد ترددت إثر استرجاع هذا الحصن مخاطبات وسفارات إلى مراكش، وكان مما قاله الوزير ابن جامع لسفير قشتالة اليهودي ابن الفخار: أخذناه في الصلح كما أخذ منا في الصلح. (انظر الروض المعطار: ٣٤٨) تحقيق د. إحسان عباس، والتكملة (٣٠٢١) والذيل، وثمة إشارات إلى سفارات الطبيب اليهودي أبي إسحاق إبراهيم بن الفخار في البيان المغرب ٣/ ٢٤٤ والمغرب ٢/ ٢٣ والعبر ٦/ ٥٢٤.

قال: وأخبَرَني مرّةً بخبرٍ جاء تأويلُه في رُفقةٍ أَتى عليها في الطَّريق دخَلَ مَن كان فيها من التجارِ مجرَّدين.

قال: وقد نَـهَى أن يَستجيبَ لمن يدعوهُ باسمِه أو بكُنْيتِه إلا أيوبَ، قال: وقد سألْـهم عن معنى ذلك فأخبَروه أنه إشعارٌ بمِحَن خفيفةٍ تصيبُه.

قال: وقد حدَّثوهُ بما يؤُولُ إليه أمرُه، وما يَبلُغُه مُلكُه، ومن يقومُ بسُلطانِه، وعُيِّن له زمنُ ابتدائه، وزمنُ استيساقِه أمرَه ومقدارُ عُمُرِه، وهو أحدٌ وثمانونَ عامًا، وأشباهُ هذا من الأحاديثِ عنهُ ممّا سيأتي ذكْرُه بعدُ.

فحينَ سمِعتُ هذا منهُ قلتُ له: قد عادَتْ لائمتي عليك، ولا ينفَعُك عندي تبرِّيكَ ونسبـةُ ذلك إليـه، فإنّي أرى أمرًا لا يَليـقُ بمَـن سِنُّه سنّ ابنِك، وما هذا بشيءٍ غبتَ عنهُ، فجَعَلَ يحلِفُ ويؤكِّدُ ما ذهَبَ إليه من التبرِّي، فقلت له: ما يُبرِّيك من هذا إلّا أن تجيئَني بالطِّفل حتى أرى ما يحدِّثُ به، وكيف يتحدَّثُ به، فقال: أجيئُك به اليومَ بعدَ صلاةِ العصر. ثم عدتُ إليه بنوع آخَرَ من اللَّوم، فقلتُ له: وأيضًا، فأين أنت من تأديبِه لأوّل مسموع من هذا المنكَرات؟ فقال: قد ضربتُه مئة وخمسينَ سَوْطًا، وهممتُ بضَرْبه مرّةً أخرى ففرَّ منِّي، ورمَى بنفسِه في البئر، وبعدَ لأيٍ أخرَجْناهُ، فقلتُ له: واللومُ أيضًا لاحقٌ في ذلك بما أرى مِن تحدُّثِك عنه وإذاعتِك لأخبارِه، فقال: وهذا أيضًا شيءٌ ما أذنبتُ[1] فيه، وإنّما غُلِبتُ عليه بصورة اتَّفقَتْ لي معَه هي التي شَهَرت أمرَه، وذلك أنه يَبيتُ عندَ أُمِّه، وهي ساكنةٌ ـ لمشاجَرةٍ بينَنا ـ [بيتًا] في دار رجُل أمين يَسكُنُ فيها جَماعةٌ من الناس، قال: فلم يَرُعني إلا [أحدُهم جاءني وقال: قد] مات ابنُك، فبادَرتُ فوجدتُ أُمَّه تَنُوحُ عليه والناسُ مجتمعونَ يتحدَّثونَ حديثَه، فدخلتُ إليه فوجدتُه ميّتًا؛ فسَعَطتُه بفُلفُل مدقوق فلم يَعطُس، فوضَعْتُ [ ] صُوفًا عند أنفِه فبدَا لنا تحرُّكُ بعض شَعَراتٍ منه، فعلمتُ أنه حيّ، فرفعتُه على ظهرِ خادم إلى منزلي، وتَبِعني من الناس خَلْقٌ، فدَخَلوا معي، ووُضِعَ بين يدَيّ، وصِرتُ أبكي عليه لفَجعَتي به، والناسُ يُصبِّرونَني، فمِن قائل يقول:

---

(١) في ص: «ما أذنت».

رُزِئتَ، ومن قائل يقول: لقد كان نبيلًا، ومن قائل يقول: العينُ أصابَتْه، فنحن على ذلك إذ قال بعضُ الحاضرين: أرى على يدِه حَرارة، فجَسَسْناهُ فصدَّقْنا ذلك، ثم مَدَّ يدًا أخرى، ثم رجلَه ثم الرِّجلَ الأخرى، ثم فتَحَ عينَيْه، فنادى باسم أُمِّه، فقلتُ له: يا بُنيّ، أنت في داري، فقال: ومتى جيء بي إلى هنا؟ ألم أكنْ عندَ أُمِّي، فقلت: أنا جئتُ بك، فقال لي: أيُّ وقتٍ هو، قلت: طَلَعتِ الشمس، قال: سبحانَ الله! فاتَتْني صلاةُ الصُّبح، فقام فتوضَّأ وصَلّى، فمزَجْتُ له شرابَ مُصْطَكا قصدتُ به تقويةَ قلبِه فقال لي: قد كنتُ بَيَّتُّ الصَّوم، ويسَّرتُ سُحوري، ففاتَني ذلك، ولا يفوتُني الصّومُ فأنا صائم، فقلت له: يا بُنيّ، وما الذي اعتَراكَ؟ وأيُّ شيءٍ دهاك؟ قال: بينا أنا نائمٌ إذْ عَرَضَ لي شيخٌ فقال: قُمْ، قلت: من أنت؟ قال: أنا أبوك إبراهيم، فقمتُ معَه فأخَذني فمشَى بي فهَويتُ في بعض الطريق في حُفرة، فقلت: ما هذه الحفرة؟ قال: هذه الحفرةُ التي أُوقِدَت لي فيها النار، ورُميتُ فيها، ثم سِرْنا في أرض سهلةٍ تغرَقُ فيها الأقدام، فانتَهيْنا إلى شخصٍ فأسلَمَني إليه، فسار بي، ثم انتَهى إلى آخَرَ فأسلَمَني إليه، ثم إلى آخَرَ فأسلَمَني إليه، وذَكَرَ أن هؤلاء: جبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ وهو آخرُهم، قال: فمشَى بي حتى أسلَمَني، فرأيتُ نورًا قد قَرُبتُ منه بمقدارِ أربعةِ أشبار فرُعِبتُ، فالتفتُّ إلى إسرافيلَ لأستأنسَ به فلم أجِدْهُ، ورأيتُ في التفاتي النورَ قد أحاط بي من كلِّ جانب، وبيني وبينَه ذلك المقدارُ، فسَمِعتُ صوتًا هالَني فسقَطتُ مَغْشيًّا عليّ.

قال: فخَرَجَ كلُّ مَن سمِع مقالَتَه، فأخَذَ كلُّ واحدٍ منهم يتحدَّث فيَزيدُ ويَنقُص، فوجدتُ الخبرَ ذائعًا، قائلٌ يقول: تنبَّأ، وقائلٌ يقول: أُسْرِيَ به، وزائدٌ يَزيدُ وناقصٌ يَنقُص، فجعَلْتُ أردُّ الباطلَ، وأخطئُ الخطأ، فهذا الذي أشاعَ عنهُ الحديث، وإلّا فما كنتُ بالذي يتحدَّثُ عنه بشيء. ولـمّا وجَّهتُ عليه اللّومَ في تَرْكِ تأديبِه تنصَّلَ عن ذلك [وتبرأ منه، ثم] قال لي أيضًا: لقد بَلغتُ من ذلك إلى أنْ خرجتُ به يومَ هذا(١) فقصَدتُ إرهابَه وإزالةَ ما في نفسِه، فأخذتُه فرفعتُه

(١) محو تام في الأصل، ويبدو أن الإشارة إلى عرض للجيش.

على حائطٍ [ليَفْزَعَ منه]، فلمّا أنزلتُه قلتُ له: يا بنيّ، أرأيتَ ما أعطى اللهُ تعالى أهل هذا الأمر من العزِّ والـمَهابةِ والأُبَّهة! فضَحِكَ وقال: الـجَزّارُ لا تَـهُولُه كثرةُ الغَنَم(١). ثم حدَّثْتُ بهذا [ولدَه] في المجلس الذي أحضَرَه فيه، فقلتُ له: أهكذا كان؟ فأطرَقَ ثم رفَعَ رأسَه فقال لي: أفيكذِبُ؟

ولـمّا سمعتُ منه هذا قلتُ له: انصَرِفْ وجِئْ به للموعِد، وفي خلال هذا جاء طلبةٌ فسَمِعوا بعضَ حديثِه، ورغِبوا في الحضور عشيّةَ سَماع الطفل فخَرَجوا، ولـمّا صلَّيتُ صلاةَ العصرِ جاء به كما وَعَدَ، ولم يستقرَّ به المجلسُ إلا وجماعةٌ قد استَوْفَتْ لم أرَهُ يتحفَّظُ من أحدٍ منهم، فأخذتُ في مُساءلتِه، فجَعَلَ الصبيُّ يحدِّثُ حديثًا لا يتلعثَمُ فيه ولا يتوقَّف، ولا يخجَلُ ولا يَـهَابُ، ولا يُبالي بإنكارِ مُنكَر، ولا يأنَسُ بموافقة، فعجِبتُ من حالِه، فأحوَجَني ذلك إلى السؤال عن سِنِّه، فأخبَرَ أنها ثِنتا عشْرةَ سنةً، فجَعلْتُ أسألُه عمّا أسمَعني أبوه إيّاه في المجلس المفروغ منه، فجَعَلَ يحدِّثُ به كذلك وما تَركَ أذْكَرَهُ به أبوه، وربّما أخَذَه عنه فكمَّلَه، وربما سُئل عن حديثٍ فأخَذَه عنه الأبُ وحدَّث به عنه، فيُصدِّقُه الابنُ.

وزاد في مسألةِ الصَّوت أنه سأل عن تفسيرِه إسرافيلَ في ليلةٍ أخرى، فقيل له: معناه: لا تخافا إنّني معَكما أسمَعُ وأرى، يعني: أنت وأبيك.

ولـمّا انتهى ذلك إلى هذه الغاية قلتُ له: يا بنيّ، أما تعلمُ أنّ هذا كلامٌ لا يُسمَحُ فيه، ولا يَعيشُ قائلُه بشَرْعٍ؟ فقال لي: قد سألتُ عن ذلك، فقيل لي: لا خوفَ عليك، وقد أُمِرتُ بالـجَهْر وإنذارِ الناس وتعريفِهم.

فقلتُ له: يا بُنيّ، ومن أمَرَك؟ قال: ربِّي. قلت: يا بُنيّ، كيف رأيتَ من رأيتَ منَ الأنبياءِ والملائكة بزَعْمِك؟ قال: رأيتُهم شيوخًا إلا محمدًا، فإنه كَهْل. قلتُ: وما الكَهْل؟ ـ أو قال ذلك أحدُ الحاضرين ـ قال: مَن(٢) وخَطَه الشَّيب.

---

(١) هذا مثل.

(٢) في ص: «قد».

قلتُ له: يا بُنيّ، المنامُ يَصدُقُ ويكذِب، ولا تَنبني عليه الأحكام، ويكونُ له التأويل، ويَبعُدُ فيه التفسير.

فقال: قد تيقَّنتُ ما قيل لي وما أُلقِيَ إليّ.

قلت [يا بُنيّ، ذلك من هـمَزاتِ][1] الشياطين والخيالاتِ الفاسدة من الـمَرَض الذي أصابَك.

قال: [ما هم شياطين، فإنّ] الشيطانَ لا يَتْلو القرآنَ ولا يتمثَّلُ بصُورةِ النبيِّ عليه [السلام].

قلتُ له: إذا رأيتَ ذلك، أتحسُّ بألمٍ أو تنتشرُ على بدَنِك حرارة؟ [قال: لا].

قلتُ: وهل ترى شيئًا في اليَقَظة؟

قال: قد رأيتُ شلانونَ في اليقَظة [مرّةً واحدة][2].

قلتُ: فحدِّثْ عما قالوا لك في تأمينِك.

قال: قد قلتُ لهم: أخافُ أن أُقتَل، فأمَّنوني وأمَروني أن أُنذِرَ الناسَ غيرَ خائف.

قلتُ له: وذكَرَ أبوكَ أنّك قد دخلتَ الجنّة؟

[قال: نعم، دخلتُها] فرأيتُها على مئتينِ وعشرينَ درجة، فرأيتُ فيها أبا محمد بن حَزْم[3] على مئة درجة وسبع درَج.

وذكَرَ أنه رأى آخَرينَ لا أعيِّنُهم الآنَ.

---

(١) ما بين الحاصرتين ممحو في الأصل، ولعله كما أثبتنا.

(٢) ما بين الحاصرتين يقتضيه السياق.

(٣) قد يكون في هذا دلالة على مذهبية هذه الأسرة العثمانية، وقد استغل بعض الخارجين عن الجماعة اسم ابن حزم، ومن أمثلة ذلك محمد الأندلسي صاحب الطائفة الأندلسية التي ظهرت بمراكش في عهد السعديين، وتجدر الإشارة إلى ما أثارته مؤلفات ابن حزم من جدل في عصر الموحدين. انظر مقالة للأستاذ محمد إبراهيم الكتاني بعنوان: مؤلفات ابن حزم ورسائله بين أنصاره وخصومه في مجلة الثقافة المغربية. ع. ١.

قال: ورأيتُ القاضيَ أبا عِمران بن عِمران[1] على إحدى عشْرةَ درجة، وأشيرَ لي إلى درجة، قيل: هناك كان قبلَ أن يليَ القضاء، فلمّا وَلِـي القضاءَ هَبَطَ، فعدَدْتُ ما بينه وبينَ تلك الدّرجة فوجَدتُ ثِنتَيْ عشْرةَ درجة، فعَلِمتُ أنه كان على ثلاثٍ وعشرينَ درجة.

فقال له بعضُ الحاضِرين: وكيف رأيتَ دَرَج الجنّة؟ أكأنّها هذه الأدراج؟

فضَحِك مُنكِرًا عليه، وقال: لا، بل هكذا: بابٌ وفوقَه باب وفوقَه باب، هكذا أبوابٌ صاعدةٌ بعضُها فوقَ بعض.

[وذكَرَ][2] أنه رأى على بابِ الجنّة طائرًا صغيرًا فقيل له: هذا الصبيُّ الذي قتَلَه النَّصرانيُّ في المقبُرة[3]، وأنه أُعطيّ في الجنّة [ثلاثَ][4] زجاجاتٍ شَرِبَ واحدة[5] كلَّها، ومن الأخرى نصفَها، ومن الأخرى ترَكَ منها يسيرًا، ولم يَدْرِ ما كان الشرابُ الذي فيها كلِّها.

وأنه قيل له: تأهَّبْ لانقضاءِ ثلاثةٍ وثلاثينَ يومًا، قال: فكمُلَ لهُ يومَ العيد سبعةٌ وعشرونَ يومًا وبقِيَ ينتظرُ ما يكونُ إلى تمامِها.

قال: ودخلتُ النارَ، فرأيتُ فيها أشياء، من ذلك: تابوتٌ من نار، فقلتُ للمَلَك الذي معي: ما هذا؟ قال: يا عافِ، فجاء شخصٌ عظيمٌ في يدِه مِفتاحٌ

---

(١) هو أبو عمران موسى بن عيسى بن عمران، كان هو وأبوه من قضاة الموحدين انظر البيان (١٢٥) والمعجب (٢٤٥، ٢٤٦، ٣١٣، ٣٢٥) والأنيس المطرب (٢٦٨) والمن بالإمامة (١٤١، ٤٧٢، ٤٩٥، ٥٠٤، ٥١٣، ٥٢٣)، وستأتي ترجمة المذكور هنا وتراجم أبيه وإخوته في هذا السفر. انظر الأرقام ٥، ٤٤، ١٧٦.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) الإشارة إلى حادثة كانت معروفة، ومن المعلوم أن فرقة من النصارى كانت في جيش الموحدين بمراكش.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) في ص: «الواحدة».

من نار كأنه جمرة، ففُتِحَ، فرأيتُ في التابوتِ شخصًا أبيضَ الجسم أسودَ الوجه في ساقَيْه كُبولٌ من نار. قلتُ: من هذا؟ قال لي: هذا من كانت تُضرَبُ على رأسِه الطبول وتُنشَرُ [له] الألوِيةُ في الدُّنيا، وسيُفسَّرُ لك بعدُ.

قلتُ له: فما الذي وُعدتَ به؟

قال: أخبَروني أنّي سأملِكُ الدنيا كلَّها.

وكان قد ذكَرَ في كلامِه أنه كثيرًا ما يرى في الذين يُكلِّمونَه سُليمانَ وذا القَرْنَيْن، فقلتُ له: وما المعنى في ذلك؟ قال: أنّي أملِكُ مثلَ مُلك ذي القَرْنَيْن ويُسخَّرُ لي ما سُخِّر لسُليمان، وذَكَرَ أنّ سُليمانَ ألبَسَه خُفَّيْن، [وأنّ ذا القَرْنَيْنِ فعَلَ] فعلًا لا أعيِّنُه الآن.

قلتُ له: ومتى قيل لك يكون هذا [الـمُلك؟

قال: يكونُ] ابتداؤه سنةَ ثلاثينَ وست مئة.

قال: وكمالُه واستيساقُه سنةَ [ثلاثٍ وثلاثينَ][1].

قال: وعُمري إحدى وثمانونَ سنة.

قال: وإذا استَوْسَقَ لِيَ الـمُلكُ بالمغربِ تَركْتُ فيه رجلًا يقال له: محمدُ بن أحمد.

قال: وحينَ ذلك أمشي إلى المشرِق فأجِدُ الـمَرْوانيَّ، وهو محمدُ بنُ عبد الله، [فأُبايعُه] عند الرُّكنِ والمقام، ويفتَحُ البلاد، ويَستولي على العراق، وهُو الذي يَتِمُّ [به] أربعونَ خليفةً[2].

---

(١) محو في الأصل.

(٢) يستفاد من هذه الفقرة أن هذا العثماني كان مأخوذًا بالدعوة المروانية وما تألف حولها من نظرية موازية لنظرية الشيعة في الإمامة والإمام المنتظر، ويبدو أن أصحاب التشيع المرواني أو العثماني كانوا يتوارثون هم أيضًا ما يشبه الجفر يتضمن أخبار الملاحم الآتية والحوادث المقبلة ورجوع الدولة الأموية وظهور السفياني وغير ذلك مما وقف عليه المسعودي في كتاب البراهين في إمامة الأمويين، وما قد يكون أضيف إليه فيما بعد. انظر التنبيه والإشراف للمسعودي (٢٩١-٢٩٢).

أما عدد الأربعين خليفة فلا نعرف أساسه ولكنه يمكن أن يتألف من عدد الخلفاء الراشدين والأمويين بالمشرق والمروانيين بالأندلس (مع مراعاة العد فيمن تكررت دولتهم) ثم من صاحبنا وخلفه محمد بن أحمد وأخيرًا محمد بن عبد الله.

وأنه قيل له: إنه تَتِمُّ عليه قبلَ استيساقِ أمرِه ثلاثٌ وأربعونَ هزيمة.

وأنّ من جُملةِ ما أوصَوْهُ به أن يكونَ قتالُه كلُّه بالكمائن، حتّى لو لم يكنْ معَهُ إلا عشَرةٌ من الفُرسان يصف بعضهم ويَكمُنُ بعضهم.

وأخبَرَ أيضًا عن مقتلِ أبيه في بعض المواطِن قبلَ استيساق أمرِه.

وأخبَرَ عن الطائفةِ المنصُورة المؤيَّدة بأنهم يتعلقُ من يَبقَى منهم بجِهاتٍ من بلاد النَّصارى[1] بالأندَلُس.

قال بعضُ الحاضِرين: ومن أنصارُك؟ قال: قد سألتُ عن هذا فقلتُ حين وُعِدتُ بهذا: وكيف يكونُ ذلك ومَن لي به ولا مالَ لي ولا عزَّ، ولا قَبِيل؟ فقيل: إذا كان ذلك الوقتُ أُعطِيتَ آيتَيْنِ، إحداهُما: أنك ترجِعُ تَطيرُ بالنهارِ كما تطيرُ باللّيل الآنَ، والأخرى: قضيبانِ أحدُهما أسودُ والآخَرُ أبيض، أضرِبُ بالأبيضِ على الأسود فيعودُ اللّيلُ نهارًا والقمرُ شمسًا، وأضرِبُ بالأسودِ على الأبيض فيعودُ النهارُ ليلًا والشمسُ قمرًا.

قال له بعضُ الحاضرين: ومن الذين يقومونَ بدعوتِك؟

فانتَدبَ الأبُ يعُدُّ القبائلَ حاكيًا عنه، فعَدَّ إحدى عشْرةَ قبيلةً أكثرُها صَحْراويّ، وكان الأبُ في أكثرِ هذا إمّا مشاركٌ له في الحكاية وإمّا مُذكِّرٌ بما يَترُكُ، فلم يَعدَمْ منّي ولا من الحاضِرينَ إنكارًا عليه وتعريفًا له بأنّ هذا مما يدُلُّ على أنّ أكثرَ هذا منك وإلّا فاترُكْه، فيَترُكُه قليلًا وتغلِبُه نفسُه فيعود.

وجَرى من الأحاديثِ غيرُ هذا ممّا لا أذكُرُه الآنَ، وقد تعلَّقَ الحاضِرونَ بأكثرِها فهي مبثوثة.

---

(١) لعل في هذا إشارة إلى ما وقع للبياسي وأخيه أبي زيد اللذين انحازا إلى النصارى عندما ضعف أمر الموحدين في الأندلس. انظر البيان المغرب والأنيس المطرب والروض المعطار والذخيرة السنية وغيرها.

وحين انتهى إلى هذه الغاية قلتُ له: يا بُنيّ، اعلَم الآنَ أنّ هذا أمرٌ لا يحِلُّ السكوتُ عليه، ولا بدَّ من إنهائه، وأنا الآنّ قد خَطرَ لي أن أحبِسَكما الليلةَ ها هنا حتى أبْرَأَ بكما إلى أهلِ الأمر، فقال: اصنَعْ ما بَدَا لك.

فقال أحدُ الحاضِرين: إذًا والله يا بُنيَّ يقتلونَك.

قال: يصنَعونَ أشدَّ [ما يقدِرونَ عليه].

قلت له: يا بُنيّ، والله لتُقتَلنَّ معجَّلًا أو مؤجَّلًا.

قال: واللهُ يقولُ الحقّ، فإنّ اللهَ لا يُخلِفُ وعدَه.

قلت له: الشيطانُ وعَدَك ومَنّاك وغَرَّك.

قال: لا، بل [هو وعدُ الله] تعالى.

قلت: فإن قُتِلت؟

قال: إذا قُتِلتُ أُقتَلُ مظلومًا وأمضي إلى الجنّة.

قلتُ له: [ها قد بَدَأَ] تناقُضُك، ها أنت ذا قد جوَّزتَ القتلَ وقد كنت تمْنَعُه.

قال: هذا على [فَرَضِك وتقد]يرِك.

قلت لهُ: اسمَع الآن، أنا إذا ذهبتُ بكَ غدًا لا تُسِئ معيَ [الأدب، فإنه] يلزَمُني لحقِّ الخِدمة أن أحمِلَك على تقبيلِ رؤوسِهم أو ما كان منهم حين السلام عليهم.

فقال: ما أفعَل.

فقال له بعضُ الحاضِرين: كيف لا تفعَلُ؟ ألا تقبِّلُ أيدي أهل الأمر؟

فرفَعَ إليه يدَيْه مُنكِرًا عليه. وقال: كيف أقبِّلُ أيدي قوم اليومَ وأنا أثورُ عليهم غدًا؟

وأخَذَه الحاضِرونَ بعدَ الانتهاءِ إلى هذا المقام بأنواع من الأخْذ، منه شيءٌ عليه، وشيءٌ على أبيه، فذَكَّرَه أبوه بها أعطَوْه، فقال: نعم، أعطَوْني شيئًا آمَنُ به وأخرَجَ من جيبِه صُرَرًا فيها أشياءُ سخيفةٌ لا تُعرَف.

وزَعَم أنّ شلانونَ قال له: ليلةَ الثلاثاءِ تأهَّبْ وزوِّدْ معَ ذلك الشيءِ الذي أعطيتُك قطعةً من عُودٍ رَطْب، فأرانا جميعَ ذلك.

ولـمّا انتهى هذا المجلسُ إلى هذا الحدّ أذَّن المؤذِّنُ بالمغرِب فصَرفْتُه واستوثَقْتُ من أبيه وانصرَفت.

وبعدَ انصرافِه عنّي نَدِمت، ورأيتُ أنّي ضيَّعتُ الـحَزْم، فإنّي خِفتُ أن يرجِعا معَ أنفُسِهما فيتبيَّنَ لهما أنّ المسألةَ قدِ انتهت إلى حدٍّ لا تُترَك فيستَخْفِيا، ولم يكنْ لي حيلةٌ إلى الصّباح، ولـمّا أصبَحَ غَدَوْتُ مُستخِيرًا اللهَ تعالى[1]، فعرفتُ بها مجملًا إلا مواضعَ منه عَرَفَ مَن أدام اللهُ عزَّهما وفَهِما منه ما فَهِما ممّا لا يفهَمُه غيرُهما.

وقال الشّيخُ الموقَّرُ المكرَّم أبو سعيد[2]: ينبغي أن نراه.

فقلتُ: وما تصنَعونَ برؤيتِه وهو شيطانٌ لا يُبالي ما يقول؟

فصَوَّب ذلك الشّيخُ أبو محمد[3] ووَجَّه بأنْ قال: أرأيتَ إن سمِعتُ منه في الأمر شيئًا، أأترُكُه؟ والله لأُفَكّنَّ عُنقَه، أو كلامًا هذا معناه.

فقال الشّيخُ المكرَّم أبو سعيد: ومعَ هذا لا بدَّ من أن يصيرَ هذا الخبرُ عِيانًا.

ثم قال لي: تولَّ هذا بنفسِك، اذهَب الآنَ فجِئْنا به، ففعَلتُ.

ولـمّا دَقَّ عليه الغلامُ البابَ ـ وقد كنت خائفًا ألّا أجِدَه ـ إذا به قد خرَجَ فقلتُ له: الطريق، فدخَلَ ودخلتُ معَه وإذا بابنِه.

فقلتُ: ما صَنَعَ هذا الطالبُ، هل رأى شيئًا البارحةَ؟ قال: لا، بل نام وقد نفَعَه ما أسمعتُموه، وأيضًا فإنه أكثرُ [ما يَرى الـمَرائيَ][4] إذا بات عندَ أمِّه.

---

(١) في طرة الأصل: «سبحانه».

(٢) هكذا بدون تحديد، وثمة أبو سعيد ابن المنصور، وأبو سعيد بن جامع، وأبو سعيد بن أبي حفص الهنتاتي. ولا نستطيع أن نعرف من المقصود.

(٣) أبو محمد كنية عدد من شيوخ الموحدين، ولا نستطيع أن نعرف المعني منهم هنا.

(٤) ما بين الحاصرتين ممحو في الأصل، وإكماله مستفاد من السياق، وكذلك ما يأتي.

قلت: ولعلّ هذا من إلقاءِ الأُمِّ إليه.

[فقال]: الصبيُّ: والله [ما هو] إلا كما أخبرَتُكم.

قلت: بسم الله، أنا قد أُمِرتُ أن أُحضِرَك، [فافعَلْ ما أمرتُكَ به.

فقال] الأبُ: قد عضَلْته البارحةَ في ذلك فأنابَ أن يفعَلَ ما تأمُرُه به من [آدابِ السلام] عليهم.

قلت: الحمدُ لله. قال: وقد عضَلته في أن لا يَذكُرَ شيئًا ممّا وُعِدَ به [ويتجنَّبَ] إسماعَه لأهل الأمر، فأنابَ إلى ذلك.

قلت: أمّا هذه فإنّي قد [أخبرتُهم بكلِّ] ما قلتَ من ذلك.

فقال لي كلامًا معناه: ما أفْضَيْتُ بهذه الحاجةِ إلّا [إليك.

فقال الابنُ]: لا أترُكُ شيئًا ممّا أُمِرتُ بالجهرِ به، وكلُّ ما قلتُ لك أقولُه لهم.

قلتُ له: ولا [تطوِّلْ] ولا تسيِّبْ لسانَك، ولا تقُلْ إلّا جوابَ ما أسألُك عنه. قال: نعم، فخرجْتُ معَهم.

ولـمّا دخَلَ الطّفلُ على مَن أدام الله عزَّهم، حمَلتُه إلى كلِّ واحد منهم، فسَلَكَ كما أردتُ، وجلَسَ واستُنطِقَ[1] فنطَقَ بكلِّ ما تقَدَّم ذكْرُه غيرَ متهيِّبٍ ولا متحرِّجٍ، غيرَ أنه بعدَ لأيٍ ما أخبرَ عما وُعِد به، ولم يفعَلْ إلا بعدَ أن قال له الشّيخُ الموقَّرُ أبو سعيد: يا بُنيّ، قد قلتَ ما هو فوقَ [هذا]، فلمَ سكتَّ عنه؟

قال: قد فُهِم عنّي المقصود.

فقلت له أنا: كيف يُفهَمُ عنكَ ما لم يُسمَعْ منك؟ أمّا أنا فقُلْ عنّي: إني فهمتُ مقصودَك؛ لأني قد سمِعتُ منك، أمّا هؤلاءِ الأشياخُ فمِن أين وهم لم يسمَعوا؟

قلت: أخبرت أنك تكونُ سُلطانًا.

---

(١) في ص: «واستوطن».

قال: نعم، وأخَذَ يحدِّثُ بكلِّ ما أريدُ أن يحدِّث به، حتّى خَطَرَ لي أنّ توقُّفَه إنّما كان لِـما قد رُبِطَ من أن لا يقولَ إلا جوابَ ما يسألُ عنه.

وممّا جرى في هذا المجلس أنّ الشَّيخَ المكرَّم أبا محمدٍ قال له: ولـمَ تُصلِّي وتصومُ وأنت ـ كما تزعُم ـ غيرُ بالغ؟

قال: أتطوَّع.

وقال له أيضًا: ولِمَ تَتعَبُ في القراءةِ وأنت يأتيك الخَبَرُ من السماء؟

قال: أخرُجُ عن صِنفي.

فقال له الشّيخُ الأجَلُّ المعظَّمُ أبو سعيد: وقد خرَجْتَ عنهم خروجَ سُوء، أو كلامًا هذا معناه.

وجَرى فيه أيضًا أنْ قلتُ له: لـمَ تكلَّمتَ بهذا الذي زعَمْتَ بأنك أُمِرتَ به؟

قال: أفأعصيه؟

قلت: وقد قلتَ: إنك لم تبلُغْ، فهذه الأوامرُ من جُملةِ ما لم يَلزَمْك.

قال: أفأعصيها؟ أو كلامًا هذا معناه.

قلت له: أدَّبك أبوك على هذا قطُّ؟

قال: نعم، ولكنه ظلَمَني، أو كلامًا هذا معناه.

قال له الشّيخُ الموقَّرُ أبو محمد: أوَلم تطلُبْ منهم ما يكونُ مصدِّقًا لك؟

قال: قد فعلتُ، وذكر قصّةَ القضيبَيْن. وحين انتهى المجلسُ إلى هذا الحدّ أمَروني [بردِّه إلى والِده] ففعلتُ وانصرَفْتُ إلى منزلي؛ وفي بقيّةِ هذا اليوم [ورَدَ عليّ] ما مكَّنَ الرَّيْبَ فيه، وحقّق التُّهمةَ في حقِّه، وقوَّى ذلك [عندي أنه] جاءني ذلك الطالبُ الحاكي عنه ما حَكَى من أمرٍ لا نبيَّ بعدَ [محمد، هو] خاتمُ النَّبيئين، فقلتُ له: أثبتَّ[1] على ما قلتَ لي؟ قال: نعم، واستَجْلبَ [أشياءَ أخرى]

---

(١) في ص: «أبنيت».

قَوَّت عندي ما أوجَبَ البكورَ بالتعريفِ بهذا كلِّه، وهاهنا سمِعتُ أنه في هذا اليوم أُمِر بالاستيثاقِ منهما بالتقييد.

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: هذا آخِرُ ما وجدتُ بخطِّ أبي الحَسَن ابن القَطّان من هذه القصّة، وعرَفتُ منَ ابنِه أبي محمد شيخِنا ومن غيرِه من شيوخِنا أنهما قُتِلا من الغدِ صَبْرًا بالسَّيف، وأنّ الأبَ رغِبَ في تقديم الابن حتى يشاهِدَ مصرعَه، ويحتسبَه عندَ الله سبحانَه وتعالى، ويحقَّ عندَه بُطلانُ ما كان يَصدُرُ عنه من تلك التخيُّلاتِ الكاذبة، فقُدِّم الابنُ على مقترَحِه، وأُتبعَ الأبُ، فكان أمرُه عِبرةً للسائلينَ وتحدَّث الناسُ به مُدّة.

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه[1]: ولـمّا توفِّي العادلُ مقتولًا كما تقَدَّم، اقتضَى نظَرُ أهل الحَلِّ والعَقْدِ بمَرّاكُش تقديمَ أخيه أبي العلاءِ إدريسَ الملقَّب بالمأمون. فبايَعوهُ وكتَبوا بيعتَهم إليه وهو بإشبيلِيَةَ، والأندَلُسُ كلُّها لنظرِه، فاستَخْلفَ على مَرّاكُشَ أبا حَفْص عُمرَ بن أبي حفص عُمرَ بن عبد المؤمن، ثم إنّهم استَبْطَأوهُ فنَكَثوا بيعتَه، وامتَنعَ من نكْثِها أبو حفصٍ هذا وأبو عليٍّ عُمرُ بن تفراجين، فقتلوهما وبايَعوا أبا زكريّا يحيى الملقَّبَ بالمعتصِم بنَ أبي عبد الله الناصِر، وكان ممّن حضَرَ نَكْثَ البيعةِ المأمونيّة وتقديمَ المعتصم أبو الحَسَن ابنُ القَطّان خوفًا على نفسِه من المأمون، إذ كان أخا العادل، وحرصًا على نَيْل الحُظوةِ عندَ المعتصم، كما كان حَظِيًّا عندَ أخيه المستنصِر، وأبيهما الناصِر وجدِّهما المنصُور. ولـمّا انتهى إلى المأمونِ نقْضُ ما أبرَمُوه من بَيْعتِه ونكثُهم إيّاها وتقديمُهم أبا زكريّا ابنُ أخيه وكان معظمُ كبارِهم قد كتَبَ كلُّ واحدٍ منهم كتابًا إليه بتأكيدِ البيعة وتقرير وسائلِه لديه ـ أحفَظَه ذلك، واشتدَّ حنَقُه عليهم، وأجاز منَ الأندَلُس

---

(١) عارض هذه الفذلكة التاريخية بما في الأنيس المطرب (٢٤٩-٢٥٤)، والبيان المغرب (٢٥٤-٢٦٤)، والذيل والتكملة (الترجمة ٧٧٣)، والإحاطة ١/ ٤٠٩-٤١٨، والوافي بالوفيات ٨/ ٣٢٠-٣٢٣.

في سبع مئةٍ أو نحوِها من النَّصارى[1] مستنجدًا بهم وبمَن التفَّ عليه من قبائل العرب ورئيسُ سُفيانَ منهم أبو الـحَسَن جرمون، وهسكورةُ، ورئيسُ قبيلةِ بني مصطا منهم أبو عليّ عُمرُ بن وقاريط، [فقصَدَ بهم مَرّاكُش] فبرَزَ إليه ابنُ أخيه بظاهرِها، فالتقَى الـجَمْعانِ على إيقليز: جبَل [مُطلّ على مَرّاكُش]، فهُزِمَ المعتصمُ وانتُهِبت مـحَلّاتُه، ودخَلَ المأمونُ مَرّاكُش [....] بقِينَ من جُمادى الأولى سنةَ سبع وعشرين وست مئة، فلمّا كان [يومُ الـجُمُعة] تقدَّم أمرُه إلى قارئ العَشْرِ[2] الجارية قراءتها قبلَ صعودِ الإمام الـمِنبر [حسَبَ العادة]، وعيَّنَ له قراءةَ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] الآيات إلى قولِه تعالى: [﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾] إلى آخِر الآية [الإسراء: ٣٣]، فاستَشْعرَ الباقونَ بمَرّاكُش من رؤساءِ الدولة أنّ المأمونَ [طالبُ ثأرِ] أخيه العادل، فلمّا كان من الغَدِ أُحضِرَ صَناديدُهم، وكانوا اثنينِ وأربعينَ رجلًا، إلى قُبّةِ جلوسِه، وهي القُبّة التي قد كان أحدَثَها الناصرُ بزاويةِ الرَّحْبةِ الكُبرى، وأحدُ مُفتَتَحَيْها يقابلُ الشَّمال والآخرُ يُقابلَ الغَرْب، وقد عَمَرَ الرَّحبةَ بنحوِ ألفَيْ فارس كاملي شِكّة الـحَرْب، ونحوِ ألفِ راجل من الجاري عليهم اسمُ عَبِيد الدار بحرابِهم، ولـمّا استقَرَّ به المجلسُ أمرَ القارئَ بقراءةِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١] الآيات إلى آخِر السورة، ولـمّا انتهى القارئُ إلى قولِه تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] نكَثَ المأمونُ في الأرضِ

---

(١) في البيان المغرب ٤/ ٢٦٥: أن المأمون وصل من الأندلس بنحو خمس مئة فارس من الروم، وفي الأنيس المطرب (٢٥١): أن العدد كان يتألف من اثني عشر ألف فارس من النصارى.

(٢) انظر في قراءة العشر يوم الجمعة البيان المغرب ٣/ ٣٩١ وهي عبارة عن قراءة القارئ عشر آيات من القرآن الكريم فيها مناسبة قبل صعود الإمام المنبر لخطبة الجمعة وقد ذكر ابن عبد الملك في ترجمة غصن بن إبراهيم القيسي الواداشي المتوفى بمراكش أنه كان «حسن الصوت استعمله الملوك في قراءة الأعشار أيام الجمع» الذيل والتكملة (الترجمة ٩٩٦) ويبدو أن هذا الترتيب من تراتيب الموحدين.

بِسِكّينٍ كان في يدِه، ولـمّا فَرَغَ القارئُ من قراءتِه، أقبَلَ المأمونُ على أبي الـحَسَن جرمون، وأبي عليّ بن وقاريط، وكانا مقيمَيْ دعوتِه، واستصغاهما إلى ما يَجري بينَه وبينَ أولئك الحاضِرينَ من أكابر الدولة، ومعظمُهم من الهنتاتيِّينَ وأهلِ تينمال، وقال لقاضيه أبي زيدٍ الـمَكّادي[1]: اقرَأْ هذه البيعةَ على هؤلاءِ الأشياخ، فقرَأَها عليهم، فلمّا فَرَغَ من قراءتِها قرَّرهم عليها، وقال لهم: أأنتمُ اجتمعتُم على مُبايعتي فيها ومُخاطبتي بما تضمَّنتْه؟ فقالوا: نعم، فدَفَعَ إلى القاضي كتابًا بعدَ كتابٍ من الكتُبِ التي كانوا قد كتَبوا إليه فقرَأه، فكلّما فَرَغَ من كتابٍ قَرَّر كاتبه عليه فأقرَّ بكَتْبِه إيّاهُ حتى أتَى على آخِرِها، فقال: أيُّها القاضي، احكُمْ بيني وبينَ هؤلاء، فإنّهم قَتلوا أخي وعمِّي وبايَعوني عامةً وخاصّة، ثم نكَثوا بيعتي وقَتلوا خليفتي ومن امتنَع مِن نَـكْثِ بيعتي، ولو أنهم دَعَوْني أولًا إلى مُبايعةِ ابن أخي لكنتُ أولَ مُبادرٍ إليها، ولم أتخلَّفْ على ما يَدخُلونَ فيه طرفةَ عَيْن حَسْمًا للخلاف، وإطفاءً لنارِ الفتنة، وقد كان [في نفسِه على أهل][2] تينمالَ حقدٌ لسببٍ يشنُعُ إيرادُه، وقد قيل لبعض القضاة: [ما... حكومة؟][3] فقال: إنفاذُ حكومةِ عدوٍّ في عدوّ، فقال القاضي: أسمعتُم [مقالةَ أمير المؤمنين]؟ قالوا: نعم، فقال لهم: ما جوابُكم عليها؟ فقالوا: لا جوابَ لنا عليها [إلّا رجاءَ العفْوِ من] سيِّدِنا أميرِ المؤمنين، فقال لهم: إنّ من جناياتِكم المسرودةِ عليكم [ما لا يجوزُ فيها] العفوُ،

---

(١) في البيان المغرب والأنيس المطرب: المكيدي (بالإمالة) ولعلها نسبة إلى مكادة أو مكيدة بالإمالة كما ترسم بالحروف اللاتينية MAQUEDA وهي بلدة تقع في منتصف الطريق بين طليطلة وطلبيرة. (معجم البلدان) أما القاضي أبو زيد فلم نقف على ترجمته، وسيذكره المؤلف في الآخذين عن أبي موسى الجزولي النحوي وقد كان قاضي الجماعة في عهد المأمون وولده الرشيد (البيان المغرب: ٣١١-٣١٢)، وثمة أبو إسحاق المكادي قاضي الجماعة في عهد المعتضد (رسائل ابن عميرة. مخطوط) والذيل والتكملة (الترجمة: ٤٠) وسيرد ذكره في هذا السفر، وهو ولد أبي زيد المذكور كما سيرد في هذا السفر اسم أبي العباس أحمد بن إبراهيم المكادي، ولعله ولده.

(٢) ما بين الحاصرتين ممحو في الأصل وما أثبتناه يقرأ بعضه بالمكبرة.

(٣) كذلك.

ومنها تَمالُؤكم على قتل خليفتي ومن تمسَّك ببيعتي عُدوانًا وظلمًا، وقد كان أحضَرَ في ذلك المجلس أولادَ خليفتِه المذكور، فقال للقاضي: احكُمْ [بما تراهُ] أيُّها القاضي في هذه الواقعة حُكمَ مَن لا تأخُذُه في الله لومةُ لائم، فعندَ ذلك قال القاضي: يا أميرَ المؤمنين، مَثَلُ هؤلاء القوم كمَثَل ما قال اللهُ تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ١٣٧ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٧-١٣٨]، وأشار إليهم مارًّا عليهم بسَبّابتِه، فأمَرَ المأمونُ حينَئذٍ بقتلِهم أجمعين، فأُخرِجوا عند مَشْرَع القُبّة وقُتلوا بالرِّماح واحدًا بعدَ آخَر، وكان فيهم شابٌّ تَرامَى إلى أبي عليّ ابن وقاريط مُستجِيرًا به، فقال أبو عليّ: يا سيِّدَنا، هذا قد استجارَني، وقد علمتُم قَدْرَ الدَّخيل عندَ قبيلِنا، فقال له المأمون: قد أجَرْنا من أجَرْتَ يا عُمر، ولو شَفَعْتَ في أكثرِهم لَقَبِلنا شفاعتَك، وكان فيهم شيخُ أحدِ بني عِمْران، فقال لأبي الـحَسَن جرمون ولأبي عليٍّ ابن وقاريط: عندي شهادةٌ أشهَدَني بها سيِّدُنا المنصُورُ معَ جماعةٍ غيري في حقِّ هذا الإنسان، يعني المأمونَ، أنه ليس بابنٍ له، وإنما هو ابنُ عِلْجٍ كان يَلِجُ عليه في قصرِه، فزَنَى بأُمِّ هذا فجاءت به لغبة، فهذا قد وجَبَ عليّ إعلامُكم به؛ لئلا تغتَرُّوا بهذا الإنسان وتحسَبوا أنه لرَشْدة، فقال له المأمون: هذه فِريةٌ اختصَصْتَ بها ولا بدَّ من إقامةِ الحدِّ عليك بسببِها، فأُمِرَ به فجُلدَ ثمانينَ جلدةً، ثم قال: ولنا تقريرُك بما نَراه، فأمَرَ بكسرِ أسنانِه فكُسِرت برأسِ سيف، ثم قُتل بالرِّماح.

ثم تجرَّدَ المأمونُ إلى محاربةِ مَن بقِيَ من أولئك القبائل الذين أنشأوا تلك الفِتَن، فكانت بينَهم وقائعُ كثيرة كان الظفَر فيها كلِّها للمأمونِ على المعتصم يحيى ابن أخيه، وقتَلَ من رجالِ أولئك القبائل آلافًا لا تُحصَى، حتّى لَـيُذكَرُ أنه عَمَّ شُرُفاتِ مَرّاكُش بتعليق رؤوسِهم فيها، وربّما عُلِّق في بعض الشُّرُفاتِ رأسان، والـمُطَّرَحُ في كلِّ معترَكٍ أكثرُ من أن يَحصُرَه عدّ أو يأتيَ عليه حساب، وفي ذلك يقولُ [الكامل]:

أهلُ الحَرابةِ والفسادِ من الوَرى ... يُعزَوْنَ بالتشبيهِ للذكّارِ[1]

[ففساده فيه الصّلاحُ لغيرِهِ ... بالقطع والتعليقِ في الأشجارِ

فرؤوسُهمْ ذكرى إذا ما أُبصِرَتْ ... فوقَ الجذوع وفي ذُرى الأسوارِ

وكذا القِصَاصُ حياةُ أربابِ النُّهى ... والعدلُ مألوفٌ بكلِّ جِوارِ

لو أنّ عفوَ الله عمَّ عبادَهُ ... ما كان أكثرُهم منَ أهلِ النارِ][2]

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: قد تغَلغَلَ بنا القولُ حتى خرَجْنا عن [شَرْطِ هذا] الكتاب أو كِدنا نَخرُجُ عنه، ولكنّها فوائدُ تعلَّقُ بعضُها بحُجَزِ بعض فأورَدْناها هنا؛ لأنّها قَلَّ أن توجَدَ مجموعةً في مكان، فلْنرجعْ إلى ذكْرِ أبي الحَسَن فنقول:

لـمّا دخَلَ المأمونُ مَرّاكُشَ على الوجهِ الشَّنيع الذي دخَلَها عليه، فصَلَ المعتصمُ من ظاهرِها في فَلِّ أصحابِه وشيعتِه، وكان منهم أبو الحَسَن ابنُ القَطّان متولِّيًا القضاءَ بينَ حِزبِه، فانتُهِبت دارُه وذهب كلُّ ما كان فيها من مالٍ وكُتُب، وكانت سبعةَ عشَرَ حِمْلًا، منها حملانِ بخطِّه، ولم يزَلْ مع مغرورِه المعتصِم في حركاتِه واضطرابِ أمرِه معَ المأمونِ عمّه إلى أنْ لجَأ المعتصمُ أمامَ عمِّه إلى سِجِلْماسة، فأدركَتْ أبا الحَسَن بها منيّتُه مبطونًا حَسِيرًا على ما فقَدَ من أهلِه وبيتِه وكُتُبِه وسائرِ مُمتلكاتِه، وكانت وفاتُه بين العشاءَيْن من اللّيلة التي أهَلَّ فيها هلالُ شهرِ ربيع الأوّل من سنة ثمانٍ وعشرينَ وست مئة، ودُفن بالرُّكنِ الواصِل بين الصَّفْحَيْنِ: الشَّماليِّ والغَرْبيِّ من الزَّنْقة لِصْقَ الجامع الأعظم بسِجِلماسةَ، وقبرُه هنالك معروفٌ إلى الآن، ومَوْلدُه بفاسَ فجرَ يوم عيدِ الأضحى من سنة اثنتينِ وستينَ وخمس مئة.

---

(١) الذكار: الذكور من ثمار النخل والتين التي تقطع وتعلق في أشجارها للتلقيح وهي من الفصيح المستعمل في المغرب.

(٢) ما بين معقفتين ساقط في الأصل ومحله بياض، والتكملة من الأنيس المطرب وغيره. وانظر بعض شعر المأمون في الوافي بالوفيات ٨/ ٣٢٠-٣٢٣.

١١ـ عليٌّ[1] بن محمد بن عليٍّ بن أبي عَشَرةَ، فاسيٌّ، أبو الـحَسَن.

كان فقيهًا حافظًا مُشاوَرًا بصيـرًا بالفتوى، متقدِّمًا في عَقْدِ الشروطِ والإشراف على معانيها مبرِّزًا في علم فرائضِ المواريث.

استُقضِيَ ببَلَنْسِيَةَ سنةَ سبعَ عشْرةَ، ثم بإشبيلِيَةَ قبلَ الفتنة، ثم قلَّدَه العادلُ قضاءَ الجماعة سنةَ إحدى وعشرين، فاستقَلَّ به أكملَ استقلال، وعُرِف بالعدالة والـجَزالةِ والإنصاف، فكان أبو زكريّا بنُ عليّ المدعوُّ بابن راحِيل[2] يقولُ: ما رأيتُ قطُّ قاضيًا أبصَرَ منهُ بموجِباتِ الأحكام، ولا أحسَنَ تهدِّيًا إلى مُثاراتِها ومواقع الفَصْل بين الـخُصوم. [توفِّي عامَ واحدٍ وأربعينَ وست مئة][3].

---

(١) سيشير إليه المؤلف في ترجمة ابن عابد الفاسي حيث يذكر أن هذا «تلبس حينًا بعقد الشروط والكتابة عن قاضي الجماعة أبي الحسن بن محمد بن أبي عشرة الفاسي بمراكش»، وقد وردت ترجمته ووفاته التي أصابها المحو هنا في الذخيرة السنية هكذا: «وفيها (أي في السنة الحادية والأربعين وست مئة) توفي الفقيه القاضي الورع أبو الحسن علي بن محمد بن أبي عشرة من أهل فاس، ولي قضاء بلنسية سنة سبع عشرة وست مئة، ثم نقل منها إلى قضاء جيان، ثم جاز إلى العدوة فاستوطن فاس إلى أن مات فدفن بخارج باب الشريعة» (الذخيرة السنية: ٦٢). وجاء في البيان المغرب ٣/ ٣٣٢: «وفيه هذه السنة (٦٣٤هـ) توفي الكاتب الجليل أبو عبد الله محمد بن أبي عشرة السلاوي رحمه الله ودفن بفاس» وقال مؤلفه وهو يسرد أسماء كتّاب الرشيد الموحدي (ص٢٨٣): «وأبو عبد الله الحسين ابن أبي عشرة» ويبدو أنه سقط شيء من النص الأول، ووقع تحريف في النص الثاني، ولعل أصل الاسم في النص الأول هو أبو الحسن علي بن أبي عبد الله محمد بن أبي عشرة كما هو في الذيل والذخيرة، أما الاسم في النص الثاني فالذي نعرفه من مصادر أخرى هو أبو علي الحسين بن أبي ثلاثة وكان من حاشية الرشيد وكتّابه وسيأتي ذكره.

(٢) لم نقف له على ترجمة، وهو أبو زكريا يحيى بن علي بن يافرتن المدعو بابن راحل أخذ عن أبي الحسن ابن القطان وغيره وذكر في بغية الوعاة بأنه شارح الجزولية ١/ ١٩٣ ويذكر خلال بعض التراجم في هذا السفر، وكان من أعلام العلماء في مراكش في أواخر عصر الموحدين. (الذيل ٦/ الترجمة ٤٠) ولم يترجم له المؤلف فيمن اسمه يحيى لأنه لم يدخل الأندلس فلم يكن على شرط كتابه، وقد سبقت الإشارة إليه في ترجمة ابن القطان.

(٣) محو تام في الأصل، والتاريخ مأخوذ من الذخيرة السنية.

١٢ ـ عليُّ[١] بن محمد بن عليّ [بن محمد] بن يحيى بن يحيى بن عبد الله [بن يحيى بن يحيى الغافِقيُّ][٢]، سَبْتيٌّ شارِّيُّ الأصل، وانتَقَلَ منها أبوه سنة ثنتينِ وستّين [وخمس مئة إلى سَبْتة] أبو الـحَسَن الشارِّي.

ويُشهَرُ أهلُ بيتِه في شارّةَ ببني يحيى، وزاد بعضُ النُّبهاءِ [من أهل بيتِه (؟)] وهو أبو مروانَ عبدُ المِلك بن محمد بن عبد المِلك عن صحيفةٍ ألفاها [في مورونِه[٣] (؟)] بعدَ يحيى الأعلى بن محمد بن عبد الصَّمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن محمد [بن عبد الوهّاب] ابن أميرِ الأندَلُس عبد الرحمن بن عبد الله بن مخش بن زيد بن جَبَلَةَ بن [ظُهَيْر بن][٤] العائذِ بن غافِق بن الشاهِد بن علقَمةَ ابن عَكّ بن عدنان. ولم يُثبِتْ أبو الـحَسَن ما تقدَّم وقال: إن جَدَّه كان يقول: لم أسمَعْ أحدًا من سَلَفِنا يرفَعُ هذا النسَبَ إلى غافق [سوى] هذا الرجل.

رَوى أبو الـحَسَن عن آباءِ عبد الله: أبيه والتُّجِيبيِّ وابنَي الـحَسَنَيْن: [الـخُشَنيِّ] وابن عَطِيّة ابن غازٍ وابن عبد الله بن محمد بن عيسى وابن عبد الكريم وابن عليّ ابن الكَتّانيّ، وأبي إسحاقَ السَّنْهُوريّ، وأبوَيْ بكر: الفَصيح ويحيى بن محمد بن خَلَف الـهَوْزَنيِّ، وأبي الـحَجّاج ابن نَمَوي، وآباءِ الـحَسَن: ابن خَرُوف النَّحْويّ وابن عِشرينَ وابن مؤمن، وآباءِ الـحُسَين: ابن جُبَيْر وابن زَرْقون وابن

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٢٨٧١)، والرعيني في برنامج شيوخه (٢٤)، والحسيني في صلة التكملة ١/ الترجمة ٤٠٨، وابن الزبير في صلة الصلة ٤/ الترجمة ٣٢٥، والذهبي في المستملح (٧٢٦)، وتاريخ الإسلام ١٤/ ٦٢٢، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٧٥، والصفدي في الوافي ٢٢/ ٩٥، وابن الخطيب في الإحاطة ٤/ ١٨٧، والغساني في العسجد المسبوك (٥٨٣)، وابن الجزري في غاية النهاية ١/ ٥٧٤، والفاسي في ذيل التقييد ٢/ ٢١٥، وابن القاضي في جذوة الاقتباس (٤٨٥).

(٢) محو في الأصل، وما أثبتناه من مصادر الترجمة، ومن ترجمة والده.

(٣) هكذا تبدو، ولعلها مُرنيانة الغافقيين بقرب إشبيلية، كما في جمهرة ابن حزم (٣٢٩).

(٤) ما بين الحاصرتين من جمهرة ابن حزم (٣٢٩)، وهو ممحو في الأصل.

الصّائغ، وأبي ذَرّ بن أبي رُكَب، وأبي سُليمانَ بن حَوْطِ الله، وأبوي العبّاس: القورائي وابن محمد الأرداجيّ، وأبي عليّ الـحَسَن بن إبراهيمَ الـخُزَاعيّ، وأبي عَمْرٍو مُرَجّى بن يونُسَ الـمَرْجِيقيّ، وأبي القاسم عبد الرحيم ابن الـمَلْجوم، وآباءِ محمد: الـحَجْريّ ـ وأكثَرَ عنه ـ وابن حَوْطِ الله وابن محمد بن عيسى التادَليّ وعبد العزيز بن زَيْدان ويشكرَ بن موسى ابن العزّ؛ لقِيَ هؤلاءِ وأخَذ عنهم بينَ سَماع وقراءة، وأكثرُهم أجازَ له.

وكتَبَ إليه مُجيزًا ولم يلقَهُ: أبو جعفر بنُ مَضَاء، وأبَوا الـحَسَن: ابنُ القَطّان ونَجَبةُ، وآباءُ عبد الله: ابن حَـمّاد وابنُ عبد الحقّ التِّلِمْسينيّ وابن الفَخّار، وأبوا القاسم: السُّهَيْليُّ وابن حُبَيْش، وأبو محمد عبدُ الـمُنعم ابن الفَرَس. واستجاز بأخَرةٍ مُستكثِرًا من الاستفادةِ أبا العبّاس ابنَ الرُّوميّة؛ فأجاز له من إشبيلِيَةَ.

رَوى عنه أبو بكرٍ أحمدُ بن حُمَيْد القُرطُبيّ، وأبوا عبد الله: الطّنْجاليُّ وابن عَيّاش، وأبو العبّاس بن عليّ المارِدي، وأبو القاسم عبدُ الكريم بن عِمران، وأبو محمد عبدُ الحقّ بن حَكَم. وحدَّث بالإجازةِ عنه أبو عبد الله ابنُ الأبّار، وحدَّثنا عنه من شيوخِنا: أبو جعفرٍ ابنُ الزُّبَير، وأبو الـحَسَن الرُّعَيْنيّ، وأبو عبد الله بنُ عبد الله بن إبراهيمَ البَكْريُّ الفاسي.

وكان محدِّثًا راوية مُكثرًا، ثقةً عَدْلًا، ناقدًا، ذاكرًا [للتواريخ وأخبار][1] العلماءِ وأحوالهم وطبقاتِـهم قديمًا وحديثًا، شديدَ العنا[يـةِ بالعلم]، جاعلًا الـخَوْضَ فيه مُفيدًا ومستفيدًا وظيفةَ عُمُره، جمّاعةً [للكُتب والدفاتر]، مُغاليًا في أثمانِها، وربّما أعمَلَ الرحلةَ في التماسِها حتى اقتنَى منها [مجموعةً كبيرة فيها] كلُّ عِلْقٍ نَفِيس، ثم انتقَى منها جُملةً وافرةً فحبَسَها في مدرسةٍ أحدَثَها [بجوارِ باب] القَصْر أحدَ أبوابِ بحرِ سَبْتةَ، وعيَّن لها من خِيار أملاكِه، وجيِّدِ رباعِه [جملةً وقَفَها عليها] سالكًا في ذلك طريقةَ أهل المشرِق، وفي هذه المنقبة الشّريفة التي تَنَـبَّه لها

---

(١) ما بين الحاصرتين ممحو في الأصل وقد لا يختلف عن لفظ المؤلف، وكذلك كل ما يأتي مثله.

[وسبَقَ] إلى التفرُّدِ بها كتَبَ إليه القاضي الأديبُ الأبرع أبو القاسم بنُ عِمران[1] مُهنِّئًا بها وشاكرًا عليها [من الطويل]:

أبـا حَـسَن زادتْ مَـآثُرُكمْ حُـسنا ... بفعلِ جميلٍ موجبٍ لكمُ الـحُسنا
لكم أجرُهُ الأوفَى وأجرُ من اقتفَـى ... سـبيلَكَ فيــه أو بـسُنّتِك اسـتنَّا
أجَلْ واليدُ الطُّـولى فليس بغَرْبِنـا ... حَفِـيٌّ بأهـل العلـم منّتِـك امتنَّـا
تخَيَّرتَ أعلاقَ الـدّواوينِ مُعرِضًـا ... بإدنائها منكمْ عن العَرَضِ الأدنـى
وما زلتَ منها في النَّفـيس مُنافسًا ... إلى أن تـسَنَّى فاشـتريتَ بـه أسـنا
ألا إنّ علـمًا لا تُكـشَّفُ حُجْبُـهُ ... لأهليــهِ مُـستدعٍ لـهُ ولهـمْ غُبْنـا
فـديوانُ عِلـم في الخِزانـة دهـرَهُ ... كجِسم بلا رُوحٍ ولفظٍ بـلا معنـى
فهُنِّيـتَ يـا خِـلِّي الكـريمُ فـضيلةً ... رجَحْتَ جميعَ الأفضلينَ بهـا وَزْنـا
ولا زلـتَ تُبـدي سُـنّةً مـستكِنّـةً ... توَخَّى بها الإهمالُ مُـذْ زمـنٍ دَفْنـا
وحُيِّيــت عنّــي يــا سَرِيُّ تحيّــةً ... يَغارُ عليها القلـبُ أن تَلِـجَ الأُذْنـا

اقتضبتُها إلى سيِّدي الفقيه، الذي ما زال يتخيَّرُ في الأعمالِ الصالحة الأفضلَ فالأفضلَ وينتقيه، ويتَحرَّى نَفاقَ العلم حين التزَمَ الزّهدَ فيه وقِدَمَ العهدِ بمُنفِقيه، أبقاه اللهُ لسُنّة يَعِيها، ويَبذُلُ وُسعَه في إعانةِ متّبعيها، قَلَّ بمغربنا هذا وأكناف الدَّعَة فيه مـمَهدَّة، والـجُنوبُ غير متجافيةٍ عن فراشها، والجفونُ غيرُ مسَهَّدة، ودفاترُ العلم يُغالَى بقيمتِها فتُدَّخَر، ليس إلا ليتباهَى باكتسابِها ويُفتخَر، ولا رَسْمَ

---

(١) هو عبد الكريم بن عمران من أهل القصر الكبير وقاضيه، توفي بمراكش وهو يتولى القضاء بها سنة ٦٤٣هـ له ترجمة في التكملة (٢٥٦٤) وكان من أخص أصحاب الشاري، قال الرعيني: «ووقفت على أشياء نبيهة من تقييدات صاحبنا الفقيه الفاضل أبي القاسم عبد الكريم بن عمران عنه (أي عن الشاري)» (البرنامج: ٧٦). وقد وردت الإشارة إليه وإيراد بعض شعره خلال بعض تراجم هذا الكتاب. وأحال فيه المؤلف على ترجمته وهي في السفر السابع المفقود.

فيه للمدارس، فما ظنُّك به والزمانُ فانٍ والأثرُ دارس، والفتنةُ قد ألقت عليه بكَلْكَلِها، وصَيَّرت أهلَه نُهبةَ مأكلِها، [قد أتيتَ بها أيها السيِّدُ][1] الأوحد، مُنقَّبةً بَلْجاءَ لا يُنكَرُ فضلُها ولا يُجحَد، أقمتَ بها [منارًا لأهل العلم، وسدَدْتَ] ما أثَّر التفريطُ في شأنِهم من الثَّلْم، ونهَجْتَ طريقةً فتحتَ [بها أبوابًا]، وقد يوفِّقُ لها سواك فيَجعَلُ اللهُ من ذلك السببِ أسبابًا، ولقد [أسَّستَ بهمّتِك] السَّنية، وطريقتِك السُّنِّية، ما برَزَ للوجود في أجمل مَرْأى وأحرَزِ [صيانة، وبه للأذهان؟] الـمَهْنوّة بالأذهانِ إبانة، وبَـرَّ آجَرَك اللهُ عن نفسِك، وعن أبناءِ جنسِك [بخيرِ الجزاء]، ووَفَاك من الأجرِ المضاعَف والخيرِ المستأنَف أوفَى القِسم وأوفرِ الأجزاء؛ بمَنِّه، والسلامُ الكريمُ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه. كتَبَ مُـجِلُّ قُدرتِكم، ومُوالي شُكرِكم، أخوكم الـمُخلصُ لكم الشيِّقُ إليكم، الـمُطنِبُ في الثناءِ عليكم، عبدُ الكريم بنُ عِمرانَ، في غُرّة رجَبِ عام خمسةٍ وثلاثينَ وست مئة.

وفي ذلك أيضًا قال الأديبُ أبو الـحَسَن بن إسماعيلَ بن عبد الله بن محمد بن إسماعيلَ الأغْماتيُّ[2] وسمِعتُها من لفظِه رحمه الله [من الطويل]:

بنَيتَ لأهلِ الغَربِ مجدًا وسُؤدَدا ... وفخـرًا عـلى الأيـام يبقـى مؤبَّـدا

رفعتَ لهم ذكْرًا وأسـمَيْتَ منـصِبًا ... أنافَ على سامي الكواكبِ مصعدا

ومـا الفخـرُ إلّا مـا يَعُـمُّ بناؤهُ ... ومـا المجـدُ إلا مـا يكـونُ مخلَّـدا

أبا حَسَنٍ أحرَزْتَ في خُطبـةِ العـلا ... عقيلـةَ مجـدٍ خَطْبُهـا كـان أمجـدا

ثوَتْ دهرَها بِكرًا وما الـدهرُ مُسعِدٌ ... بكُـفْـءٍ لهـا حتـى أتيـتَ فأسـعَدا

---

(١) كل ما بين حاصرتين ممحو في الأصل، ولعله كما أثبتنا.

(٢) سيورد له المؤلف في هذا السفر (ترجمة يوسف ابن الجنان) شعرًا ونثرًا في مدح أبي علي الملياني والي أغمات (٦٥٩هـ-٦٨٦هـ) ولم نقف له على ترجمة ويبدو من سلسلة نسبه أنه حفيد أبي عبد الله محمد بن إسماعيل الهواري الأغماتي المتوفى عام ٥٨١هـ وفي التشوف ترجمته (١١٨) وأخبار تطلعنا على مكانته العلمية والروحية في بلده أغمات. (انظر فهرس الكتاب).

وقبلَـكَ لم يُنجِـدْ بهمّتِـه أخـو ... عُـلا نحوَهـا إلا سـمَتْه فأوْهَـدا

هنيئًا لكَ السَّبقُ الـمُبَرُّ إلى التي ... ذوي المجدِ أعيا دَرْكُها وذوي النَّدى

عُنيـتَ ببيـتِ الله همـةَ ماجـدٍ ... تقيٌّ يَرى ما ليس يُجدي غدًا سُدى

ولم تـألُ في تنجيـدِه جُهدَ مُـوقنٍ ... يؤمِّلُ في الفِردوس قـصرًا منجَّـدا

ومدرسـةٌ للعلـم قلّـدتَ جِيـدَها ... من الكُتُبِ الأعـلاقِ دُرًّا منَـضَّدا

نَسَخْتَ بها حُسنَ النِّظاميّةِ التي ... أغـار صَـداها في الـبلاد وأنجَـدا

جعلـتَ بهـا للـدِّين أعظـمَ عُـدّةٍ ... صَـوارمَ تحتـاجُ الحسامَ المهنَّـدا

نفائسَ كُتْبٍ لو تصَدَّى لـجَمْعِها ... أخـو جِـدَةٍ فـذٍّ المعـارفِ أُجهِـدا

غدَتْ لعلوم الشّرع سِمطًا مجمَّعًـا ... وفوقَ جبـينِ الـدِّين تاجًـا مـسرَّدا

وليس بوُسعي أن أجـيءَ بـذِكْرِها ... مفصّلةً إذ لَيس [تُحصِي لها عَدَا][1]

فمن كُتُبِ التفسيرِ أعظمُهـا غِنًـى ... وأنفَـسُها قَـدْرًا [وأنفعُهـا جَـدَا]

ومن سُنَنِ المختـارِ مـا صَـحَّ نقْلُـهُ ... وجـاء بـه أهـلُ العدالـةِ مـسنَدا

ومن مُنتقَى الكُتْبِ المهـذَّبُ جملـةٌ ... إلى مَهْيَع الإرشاد تهدي [منِ اهتَدَى]

ومن علمَي الإعرابِ واللغةِ التـي ... بهـا أنْـزَلَ اللهُ الكتـابَ المَمجَّـدا

دفـاترُ لـو أنّ الخليـلَ بـنَ أحمـدٍ ... رأى عُـشرَها والأصـمعيُّ تبلَّـدا

ومن كُتُبِ التذكيرِ مـا راقَ سِـمعُهُ ... وكان إلى التقـوى دلـيلًا ومُرشِـدا

ولم يَعْرَ من كُتْب التـصوُّف جَمْعُهـا ... ولكـنّ ممـا بالكتـابِ تقَيَّـدا

أشَـدْتَ بـذِكْر العِلـم بعـدَ خُمولِـهِ ... وأحيَيْـتَ منـه ميْتًـا كـان مُلحَـدا

وأهَّلْـتَ سـاحاتٍ لـه ومَعالـمًا ... بهـا للمعـالي معهـدٌ حَـلّ مَعْهَـدا

---

(١) كل ما بين حاصرتين ممحو في الأصل، ويشبه أن يكون الكلام الممحو ما أثبتنا.

ولــولاك بعــدَ الله كانــت ربوعُــهُ　　يُجاوبُ في أرجائها الـداعيَ الـصَّدى
رفعتَ منارَ الـدين فـازداد نـورُهُ　　وضوحًا غدا الإسلامُ منه مــمَهَّدا
وكانت دياجيرُ الضلالة أطبَـقَتْ　　فأشعَلْتَ في ظَلمائها سُرُجَ الـهُدى
بــذَلْتَ لمرضــاةِ الإلــه ووجهِــهِ　　ولم تَبْغِ مـن جـاهٍ ولا اعتدتَـهُ يـدا
ومــا شـئتَ إلّا أن تـسُدَّ فـضيلةً　　تَـحُضُّ على الإتبـاع رأيًـا مُـسدَّدا
لِتَـفْخَرْ بما شيَّدتَ سَـبْتَةُ مـن عـلا　　أقــام لهــا مجــدًا أثــيلًا مــشيَّدا
غدَتْ مكةً للغَرْب[1]، كـلُّ بـلادِهِ　　لها حُسَّدٌ، لا زِلـنَ للحشرِ حُـسَّدا
بنَيْــتَ بهــا للمكرُمــاتِ معالــمًا　　وأنبَطــتَ فيهــا للمــآثرِ مَــوْردا
وصــيَّرتَها للطالــبِ العلــمَ كعبــةً　　يُلِـمُّ بهـا مـن جـاء يَبغيـه مقـصِدا
لمثلِ الذي أحرَزْتَ فلْيَجمع امرُؤٌ　　وفي مثلِ مـا أنفقتَـهُ يُبـذلُ الـجَدا
وما خيرُ مـالٍ لا يَـرى المـرءُ نفعَـهُ　　إذا هــو وافَى في القيامــة مُفـرَدا؟!
بحَــسْبِك عنــد الله ذكْــرًا مكرَّمًــا　　مُعاداةُ من في الدِّين ضَلّ وألــحَدا
حَرْمتَهمُ الفضلَ الـذي عَـمَّ نفعُـهُ　　ذوي الفضل والتوحيدِ مَثْنى ومَوْحِدا
وحلّأْتَهم[2] عن موردِ الفضل والعلا　　وقوَّضتَ من تضليلِهم مـا تـشيَّدا
فــما بعــدَها للمنطقيِّــينَ رفعــةٌ　　وكيف [وقد][3] أوردتَ عزَّهمُ الرَّدى؟
[جُزيتَ عن الإسلام] خيرًا ونلتَ ما　　تؤمِّلُ من رضوانِ ربِّ الورى غدا
[ولا زلــتَ في مجـدٍ] وإقبـالِ عـزّةٍ　　تَروحُ وتغـدو في المعـالي مُـحَسَّدا

---

(١) ممن شبه سبتة بمكة ابن المرحل الذي يقول:

سـلام عـلى سبتة المغـرب　　أخيّــة مكــة أو يثــرب

(٢) يقال: حلأه عن الماء أي: طرده ومنعه.
(٣) كل ما بين حاصرتين كلام ممحو في الأصل ولعله كما أثبتنا.

[وأكثَرَ أهلُ العلم] القولَ في ذلك نظمًا ونثرًا، وقَعَدَ بها لترويةِ الحديث وإسماعِه [الشّيخُ أبو الحَسَن] المذكورُ في رجبِ خمسٍ وثلاثين وست مئة وكَثُر الأخْذُ عنه بها [واستمرَّ على] ذلك مدّة.

وكان سرِيَّ الهمّة نزِهَ النفْس كريمَ الطَّبع سَمْحًا مؤْثِرًا، [مُعانًا على] ما يَصدُرُ عنه من المآثِرِ ونُبْل الأغراض بالجِدة المتمكِّنة واليسارِ الواسع.

وكان سُنّيًّا مُنافرًا لأهل البِدع، محبًّا في العلم وطلابِه، سَمْحًا لهم بأعلاقِ كُتُبه، قويَّ الرجاءِ في ذلك. [وهو] آخرُ من حدَّث عن ابن مؤمن.

طلَبَ العلمَ صغيرًا ببلدِه، ورَحَلَ إلى فاسَ فأخَذَ عن مشيَختِه وغيرِهم.

وممّا يؤثَرُ عنه من تخصُّصِه أنه لم يُباشِرْ قطُّ دينارًا ولا درهمًا، إنّما كان يَتصرَّفُ له في ذلك وكلاؤه واللائذونَ بجنابِه.

وامتُحِن بالتغريبِ عن وطنِه سَبْتة[1] فأُجيزَ به البحرُ إلى جزيرةِ الأندَلُس في منتصَف سنة إحدى وأربعينَ وست مئة، وسُيِّرَ إلى المَرِيّة فتلقّاه أميرُها حينَئذٍ ووزراؤها وأعيانُها ورؤساؤها وأهلُ العلم فيها بما ينبغي أن يُتلَقّى به أمثالُه من ذوي الجلالة وبُعد الصِّيت وكرَم الأحدوثة وأوسَعوا منزلَه وأجْزلوا نزولَه، ووالَوْا تأنيسَه، وأولَوْه احتفاءهم وبِرَّهم، وأقام لديهم أعوامًا، وأخذ عنهم هناك أيضًا، ثم ظهَرَ الاختلالُ في أحوالِ المَرِيّة وبلادِ شَرق الأندَلُس فتحوَّلَ إلى مالَقةَ فِرارًا من الفتنة ومحاولًا العَوْدَ إلى سَبْتَةَ واللَّحاقَ بأهلِه فيها، فلم يُقدَّرْ له ذلك، وأقام بها يؤخَذُ عنه العلمُ إلى أن أتَتْه منيَّتُه بمالَقةَ ضَحْوةَ يوم الخميس لليلةٍ بقِيَت من رمضانِ تسع وأربعينَ وست مئة. نفَعَه اللهُ بشهادةِ الموتِ غريبًا[2].

---

(١) في الإحاطة أن الذي غر به هو أمير سبتة الىناشتي الذي ضاق بالشاري لجلالته وأهليته ولأنه عرضت عليه إمارة سبتة قبله فأباها. وأخبار الىناشتي المذكور في البيان المغرب ٣/ ٣٣٨-٣٤٠. ط. تطوان. والروض المعطار (مادة بليونش ومادة ينشته) وله ترجمته في الوافي بالوفيات ٧/ ٢٩٠. وكما تسبب في موت الشاري غريبًا مات هو أيضًا غريبًا في المشرق.

(٢) في الإحاطة المطبوعة: غريقًا، وهو تحريف.

ومولدُه بسَبْتَةَ يومَ الخميس لخمسٍ خَلَوْنَ من رمضانِ أحدٍ وسبعينَ وخمسِ مئة.

١٣ـ عليٌّ[1] بن محمد بن عليّ الكُتَاميُّ، مَرّاكُشيٌّ، أبو الحَسَن العُشْبيُّ وابن القابِلة.

رَوى عن طائفةٍ من أهل مَرّاكُش، ودخَلَ الأندلُس وأخَذَ بها أيضًا عن جماعة من أهلِها، واختَصَّ كثيرًا بأبي الحَسَن سَهْل بن مالك ولازَمَه طويلًا، وكان أديبًا بارعًا كاتبًا بليغًا، شاعرًا مُجِيدًا، وقد جرَتْ بينَه وبينَ جماعة من أدباءِ عصرِه مُخاطَبَاتٌ ومُجاوَبات تدُلُّ على إجادتِه.

فمِن شعرِه [من السريع]:

يا سعدُ قد شَبَّ صغيرُ الهوى ... وجَدَّ عشقيَ الهازلُ المازحُ[2]

يا سعدُ قد أسلَمَني للرَّدى ... صبرٌ حرورٌ وهوًى جامحُ

كأنّ قلبي حين يجتازُ بي ... بُغاثةٌ همَّ بها [جارحُ][3]

يمَّمتُ فيك الفألَ يُمنًا به ... ولم أقدِّرْ أنك [البارحُ]

ومنه، على طريقة التصرُّف [من الطويل]:

وهَى جَلَدُ المضنَى فميلوا إلى الرِّفقِ ... ورِقُّوا لِما ألقاهُ يا مالكي [رِقّي]

---

(١) لم نقف له على ترجمة في مكان آخر وسيرد ذكره بمناسبة رسالة كتبها إليه ـ وهو بمراكش ـ ابن عميرة في ترجمة الشريف يونس. وفي مجموع رسائل ابن عميرة (٢٢٣ ك) رسالة كتبها هذا إلى أبي عبد الله ابن الجنان وأبي الحسن العشبي وهما بأوريولة (ص٢١٢-٢١٥). وقد مر ذكره في السفر الرابع: (الترجمة ٢٢٩).

(٢) هذا من قول أبي نواس:

صار جدًا ما مزحت به ... رب جد جره اللعب

(٣) كل ما بين حاصرتين ممحو في الأصل وهو ظاهر من السياق، فلعله كما أثبتنا، وكذلك كل ما يأتي في هذا المجلد، فلا نكرر ذلك.

أأحبـــابَ قلبـــي، إن صَـــلُحتُ لحـــبِّهمْ

وهيهات من إخلاصِهم في الهوى [مـذقي]

هُمُ غايتي إن سـارَعوا أو تباعَـدوا ... وهمْ حافِظو عهدي وهم عارِفو حقّي

وهمْ نَزَلـوا مـن سرِّ قلبـي بمنـزلٍ ... خَفِيٍّ عن السُّلوانِ مُشتبهِ الطُّـرْقِ

وحقِّهمُ لـو أعتَقـوا مـن أُسـارِهمْ ... فؤاديَ لاختار الإسارَ عـلى العِتـقِ

وما بين تعذيبِ الصّدودِ إذا رَضُوا ... وبين نعيم الوَصْل عنديَ من فَرْقِ

فيا سـادتي إنْ ترحَمـوا ذُلَّ مـوقفي ... على بابِكمْ لا تكذِبوا في الهوى صِدقي

وإن كنتُ أهـلًا للجفـاءِ بـهَفْوتي ... فأين الذي عوَّدتُموني مـن الرِّفـقِ؟

إذا لم تُواسـوني عـلى عظـم فـاقتي ... وضُرِّي ولم تُبقوا عـليّ فمـن يُبقـي

أُقــرُّ بــزَلّاتي وألــتمسُ الرِّضــا ... ولا نُطقَ لي قد أخرَسَتْ حالتي نُطقي

فهل عائدٌ عـيشٌ مـضَى في ذُراكـمُ ... بدَتْ أوجُهُ الآمالِ من وجهِه الطَّلْـقِ

وإنّي لأستـسقي[1] لمعهـدِه الـحَيَا ... ولولا الـحَيا ما كنتُ للدار أستَسْقي

ولولا نَجيعٌ شـابَ دمعـي سـقيتُهُ ... شآبيبَ منـه مُغْنيـاتٍ عـن الـوَدْقِ

فعندي دموعٌ لا تُعـاصي دموعَهـا ... وعندي جفونٌ لا تطاوعُ من يُرقي

أنـا العبـدُ والمـولى أحـقُّ بعبـدِهِ ... وما ليَّ من دعوى وما ليَّ مـن حـقِّ

لجأتُ إليكمْ هاربًا مـن صـدودِكمْ ... فلا تفضَحوا سرَّ اطّراحيَ للخَلْـقِ

وحاشاكمُ يا سـادتي مـن قَطيعتـي ... على قِدَمي في حبِّكمْ وعلى سَـبْقي

وما أدَّعـي أنّ الـجَفا خُلُـقٌ لكـمْ ... ولكنّهُ من طبع نَفْسي ومن خُلقـي

---

(١) في ص: «لأستشفي».

على كلِّ حالٍ لم أَحُلْ عن عهودِكمْ ولا دِنتُ في دين الهوى بسوى الصِّدقِ

وإن فاز غيري بالمنى وحُرمتُهُ فما حيلةُ الإنسان في قسمةِ الرِّزقِ!

وكتَبَ أبو المطرِّف ابنُ عَميرةَ إلى أبي عبد الله ابن الـجَنّان من مَرّاكُش الرسالةَ التي أولُها: [إلى متى افتراقٌ] واجتماع، وقد تقَدَّمت في رَسْم أبي عبد الله ابن الـجَنّان[1] فأدرج معه [هذه الرقعةَ إليه]: كيف حالُ سيِّدي حقًّا، وواحدي ومُساعفي حين قلَّ الصَّديقُ [صدقًا، أمّا] أنا فإنّ حالي خاملةٌ لبُعدِه، ونفسي مُنقسِمةٌ من بعدِه، وله الفضلُ في إفهامي[2] [بحركتِه] ونشاطِه بما يؤنسُني ويُشرِّفُني، ويُقرِّطُني ويُشنِّفُني، وإعلامي بحالِه [وأعمالِه] في حِلِّه أو ترحاله، خار اللهُ له، وأنجَحَ أملَه.

وكتَبَ إليه أبو المطرِّف[3]: أبقَى اللهُ الأخَ المباركَ كريمَ الشمائل[4]، ناجح[5] الوسائل، مبسوطَ الوجهِ للسائل، مقبوضَ اليدِ عن جزيل النائل، ولا زال حميدَ المذاهب، وحيدَ المناقب، مَصُونَ الجانب، مُبلَّغَ[6] الحاجاتِ والمآرب، كتابي إليه من بَرْشانةَ[7] كلأها الله[8]، وقد وصلتُها بعد عَشْر، والآمالُ[9] بين طيٍّ ونشر، وإماتةٍ وحشر، سُبلُ مياهِها[10] رديّة، ومنازلُ وخيمةٌ وَبِيّة، ومتاعبُ ظاهرةٌ وخَفِيّة،

---

(١) الترجمة المحال عليها في السفر السابع من هذا الكتاب وهو مفقود، ونقل منها ابن الخطيب في الإحاطة وعليها اعتمد في ترجمته (٢/ ٣٤٨-٣٥٩) ولم يورد الرسالة المشار إليها هنا.

(٢) في ص: «في إسهامي».

(٣) توجد هذه الرسالة في مجموع رسائله المخطوطة بالخزانة العامة رقم ٢٣٣ ك: ٧٥-٧٧.

(٤) كذا بالأصل، وفي الرسائل: «الكريم الشمائل».

(٥) في ص: «ناصح»، والتصويب من الرسائل.

(٦) في الرسائل: «مباح».

(٧) في الرسائل: «كتبته من برشانة».

(٨) لا وجود لهذا الدعاء في الرسائل.

(٩) في الرسائل: «والأحوال».

(١٠) في الرسائل: «مبانيها».

فماذا صنَعَ البينُ المُشِتّ؟ وحتّامَ لا يقَرُّ المنْبَتّ؟ وكم[1] ذا يفُضُّ[2] ملتئم الشّمل ويفُتّ [من السريع]:

عنــدي مــن الــشوقِ أحاديــثُ ... فــأين[3] إمهــالٌ وتلبيــثُ

شــوقٌ وقُــلْ: نــارٌ لهــا بعــدَكم[4] ... في القلــبِ تــأثيرٌ وتأريــثُ

يــا صــاحِ والــوُدُّ لــه نــسبةٌ ... فــوقَ التــي منهــا المواريــثُ

هــلِ ذلــك العهــدُ عــلى حالِــهِ ... فــإنّ عهــدَ النــاس منكــوثُ

وياَلــشَمْلٍ[5] جــامع غالَــهُ ... للبَــيْن تــشتيتٌ وتــشعيثُ

وباعــثٌ للعــزم في طيِّــهِ ... جــيشٌ إلى الــسُّلوانِ مبعــوثُ

نــسيرُ[6] في أرض جنَــى أهلَهــا ... بالــحُزنِ حَلَــزونٌ وطرثــوثُ

وماؤهــا صــنعةُ وَصْــفَيْهِ في الْــ ... ـأعــضاءِ تلــوينٌ وتلويــثُ

وصَرَّهــا الهــائجُ فَحْــلٌ، وفي ... مَــصِيفِها الفــاتر تخنيــثُ[7]

جَــدَّ بهــا جَــدَّ الــشتاءِ الــذي ... مكروهُــهُ في الجــوِّ مبثــوثُ

ولــيس مــن كافاتِــهِ عنــدَنا ... إلا الــذي فيــه البراغيــثُ[8]

---

(١) في الرسائل: «وكم» من غير: «ذا».

(٢) في ص: «يقص».

(٣) في ص: «فأي»، والتصويب من الرسائل.

(٤) في الرسائل: لها في الحشا.

(٥) في ص: «وبالشمل».

(٦) في ص: «يسير».

(٧) في الرسائل: «تخنيث».

(٨) يريد الكن أو الكساء، وكافات الشتاء نظمها الحريري في قوله:

جاء الشتاء وعندي من حوائجه ... سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا

كن وكيس وكانون وكأس طلا ... مع الكباب وكفّ ناعم وكِسا

ومُنزِلونـا مـا لهـم عـن سـوى الأزمـةِ والإعـسارِ تحـديثُ
كـانَ بعُـذرِ الـمَحْل منعُ القِـرى مـنهمْ، وزاد المنـعُ مـذ عيثـوا

هذه، أبقاك اللهُ، جرَتْ على اللِّسان، وخَلَتْ من الإحسان، لكنّها دَلّت[1] على ما في النفْس، وشَغَلت جانبًا[2] من الطِّرس، واقتدَى النثرُ بنظمِها، [وقرَّبها عجفاءَ لا مُخَّ في] عظمِها، ولولاها لـمَسَّه[3] الإعياء، وطال عليه العناء، وهي وإن لم تكنْ [فيها إجادة] ولا على وَهْنِها[4] زيادة، [فإنّها مألوفةٌ معتادة؛ إنّما الهوَسُ عَروض، [هو بأرضِنا] حُوشيٌّ مرفوض، غاصَ الفِكرُ في آسنِه، فاستَخرجَ بعضَ دفائنِه، [واسمَعْ إن أردتَ، ورِدْ] ولا ريَّ إن ورَدْتَ [من الدوبيت]:

أحبابَ فؤادي كـم أقـاسي الـضُّرّا لا صـبرَ عـلى فـراقِكمْ لا صَـبْرا
عودوا للمغاني[5] وأعيـدوا الـهَجْرا قـد مِـتُّ وقُربُـكم حيـاةٌ أخـرى

* * *

بـالله قِفـوا إن أزِفَ التوديـعُ فالقلـبُ بـصَدْع شملِنا مـصدوعُ
ذا حَـرُّ الـزوالِ في الحشا مجمـوعُ والإبـرادُ في صَـلاتِه مـشروعُ

* * *

يـا بـرقَ اللِّـوى بـالأُفق الـشَّرقيِّ ذاك الـمُنحنى من سُيُل الوَسْـميِّ
قد أعـشَبَ فـامضِ منه للعُـشْبيِّ بالطِّيـبِ مـن سَلاميَ العِطْـريِّ

* * *

لله عـليٌّ مـن فتـى فتّـانِ بـالنظم وبـالنثرِ ومـا هـذانِ
إلا بعـضُ مـا فيـه مـن الإحـسانِ ينـأى وهـو بـالودِّ قريـبٌ دانِ

---

(١) في الرسائل: «ولكن قد دلت».
(٢) في الرسائل: «مكانًا».
(٣) في الرسائل: «لمسها».
(٤) في الرسائل: «وهيها».
(٥) في الرسائل: «للقاء».

كيف يظُنُّ أنّ الزمانَ غيرُ وَلّاد؟ وأن بلادًا تمتازُ عن بلاد؟ جاءتك وكأنّها في دجلةَ عَبَّت، ومعَ صَبا نجدٍ هَبَّت، وبينَ العُذَيْب وبارقٍ نشَأتْ وشَبَّت، أو كأنّها[1] ترنَّمَ بها السَّفْرُ في وادي العقيق، أو حَدَا[2] بها الحادي إلى البيتِ العتيق، فإن عجَمْتَ عُودَها، واختَبَرْتَ نقودَها، وجَدتَها تستحقُّ الإهانة، وتنتسبُ إن صَدَقت إلى بَرْشانة، بفِنائها مولدُها، وفي مائها مورِدُها[3]، ومنها يليقُ أن يكونَ مُنشِدَها، فاجعَلْها مخطوبةً لليبروح[4]، وقد خَلَعَ عليها خِفّةَ العقل وثِقَل الرُّوح، ومرَّتْ[5] بك فخالَسْتَها نظرًا، وطرَحتْ منها قَذَرًا، وولَّيتَها ظهرَك، وقليتَها دهرَك، وإن عُقِدَت على هذه المختصّة، فلا بدَّ من طلاقِها على الـمِنَصّة، ثم تَفقِدُ الخاطبَ وهيَ حِلّ، وتُهجَرُ كأنّها في البيت صَلّ، أو من الميِّت لحمُ مُصِلّ[6]، سيِّدي، حفِظَكم اللهُ[7]، كان الوصُولُ[8] من الـمَرِيّة حرَسَها الله[9]، وإنها لَـمثابةٌ وأمْن، بل جنّةٌ[10] وعَدْن، أحفَى مقامَها العليَّ أيّدَه اللهُ المسألة، ورفَعَ بمحلِّه الشّريف المنزلة، وودَّعتُه وأنا من بِرِّه مُرْتوٍ، وعلى ظهرِ الجاهِ مُستوٍ، وسِرتُ وأنا على الآمال، والشَّغفِ بذلك الجلال، مُنطوٍ ومُحتوٍ، وبالـمَرِيّةِ فارقتُ [الوديعة، ومنها أُزمِعُ] الرحلةَ السّريعة، وقدِ انفَصَلَ على خير، واللهُ يكلؤُه في إقامةٍ [وسَيْر؛

(١) في الرسائل: «أو كأنها».

(٢) في الرسائل: «وحدا».

(٣) هذه السجعة ساقطة في الرسائل.

(٤) راجع ما كتبه الدكتور ابن شريفة حول هذا المنبوز باليبروح في كتابه: أبو المطرف، ص١٠٨.

(٥) في الرسائل: «وقدر أنها مرت».

(٦) في الأصل: «يصل».

(٧) في الرسائل: «أعزك الله».

(٨) في الرسائل: «وصولي».

(٩) الدعاء ساقط في الرسائل.

(١٠) في الرسائل: «جنة للآمل».

وأنا الآنَ] بين يدَيْ خروجي إلى بَسْطةَ بمشيئةِ الله[1] وإعانتِه، ويقال[2]: [إنّ هذا المكانَ] أشدُّ إخافةً مما كان، والله يدفعُ المرهوب، ويكفيها الخطوب، بمنِّه.

[فأجابَه] أبو الحَسَن العُشْبيُّ رحمهما الله:

السيِّدُ الأوحَد العِماد [أبقاهُ الله] وأطال ثناءه، والبيانُ يقفُ ببابِه متى شاءه، ويَنشُرُ مِلحَه ويُملِحُ [إنشاءَهُ]، ولا زال عَلَمًا يُهتدَى به، ومَعْلَمًا يُقتدَى به بآدابِه، [أمّا] فيما قرَّظَني به وشَنَّفَني، [وقرَّظَني] وشَرَّفَني، فقد وقَفَني موقفَ خَجَل، وألحَفَني مِطرَفَ وَجَل، فسامَني من الجوابِ شططًا، وطالَبَني بحُرِّ المتاع وما أجدُ إلا سَقَطًا، ولمّا وَصَلَ الكتابُ المرقوم، والرحيقُ المختوم، اجتَلَيْتُ منه الأبيات، أو الآيات، وأنشَدتُ الأشعار، أو الأسحار، وكان عَزْمي ألا أكتُبَ، ثم خِفتُ جلالَه أن يعتَب، والعياذُ بفضلِه من أن يَعتِب، وهلُمَّ أيُّها المَوْلى إلى الإنصاف، واعدِلْ إلى العدلِ الحميدِ الأوصاف، متى سوبقتِ الجِيادُ بالأعيار، وقيسَ الصُّفْرُ بالنُّضار؟ وكيف وأنت رَيْحانةُ قُريش[3] التفَّتْ عليك بطحاؤها، واقتفَتْ آثارَك فُصحاؤها، وعُرِفتْ بك طُرُقُ البلاغةِ وأنحاؤها، وأنا وما أنا؟ نَسَبٌ في البرابرِ عريق، وسببٌ من التعليم لا ممتدٌّ ولا وثيق، درجَتُ حيث جفاءُ الطِّباع، وجفارُ التكلُّف من الانطباع، والقساوةُ يلينُ الصَّخرُ وما تلين، والغَباوة يَبِينُ الصُّبحُ فما تَستبِين[4] [من الكامل]:

بلدُ الفِلاحةِ لو أتاها جَرْوَلٌ ... أعني الحُطيئةَ لاغتَدى حرّاثا[5]

---

(١) في الرسائل: «إن شاء الله».

(٢) في الرسائل: «ويقال: إن طريقها يقعد عليه الكافر، ويتحاماها المسافر، وعلم الله ما في النفس من ركوب الغرر ووجل الورد والصدر، والله يدفع المرهوب، ويكفينا النوائب والخطوب، وهو تعالى يديم بقاءكم، ويحفظ إخاءكم والسلام».

(٣) يشير إلى نسب أبي المطرف المخزومي.

(٤) في الأصل: «القساوة تلبس الصدر وما تلين، والغباوة بين الصبح فما يستبين»، وفي هذا تحريف لعل صوابه ما أثبتنا.

(٥) البيت لأبي تمام.

وعلى ذلك فقد أدلَلْت، ولم أدَعْ أن قُلت [من السريع]:

قــد سُــمِعَتْ تلــك الأحاديــثُ فالقلــبُ مفــؤودٌ ومجــؤوثُ

آيــاتُ أبيــاتٍ لهــا الزهــرُ مبــ ـثوث وسـحر الـشعر منفـوث

ورقعـــةٌ أو حُلـــةٌ أو بقـــلٌ حـــدائقٌ مـــسطورُهُ ميـــثُ

إيـهِ عـلى العهـدِ فـما حَـلَّ مِـن عقـــودِه بعـــدَك تنكيـــثُ

ذاك الهـوى مـا حـالَ عـن حالِـهِ وشُـــكرُ ذاك المجـــدِ مبثـــوثُ

وخُــذْ أحاديــثَ هُيَــامي ومــا يُحـــصيهِ تحـــديثٌ وتبثيـــثُ

مغـــترِبٌ في أهلِـــهِ كربُـــهُ مُقتبـــلٌ واللهـــوُ مجـــدوثُ

وســـابقُ العَـــبْرةِ في سَـــمْعِهِ عــن خاطــبِ الــسَّلوة..... ــثُ

لأســلمَتْ أيــدي المطايــا فمِــن تحثيثهـــا للـــصبرِ تجثيـــثُ

هيهـــات أيـــن الـــصَّبرُ لا أينَـــهُ وأصـــلُهُ للبَـــيْنِ مـــجثوثُ

يــا أيُّهــا الفــردُ الــذي فــضلُهُ فــضلانِ: مكــسوبٌ ومــوروثُ

عُــذرًا وفي أكنــافِ تلــك العُــلَى للعـــذرِ تمهيـــدٌ وتـــدميثُ

يا سيِّدي، كيف رأيتَ زَبْرًا، ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾؟ [الكهف: ٧٥] [إنّ من البيانِ] لسِحرًا، وإنّ من السِّحرِ لشعرًا، رفْهْ أيُّها السيِّد في اقتضائك، أو عامِلْ نُظراءك ومَن لكَ بنُظرائك؟ فإنّي أُنفقُ عن عُسر، وأستمِدُّ من نَزْر، وبيدِك زِمامُ الكلام، ولك طاعةُ النثرِ والنظام، تلعَبُ بعَروضِه، وتكسو مرفوضَهُ حلّةَ مفروضِه، بَيْنا أنا في تلك الحديقة أقطِفُ زهرًا، وأنشُقُ عبيرًا وعنبرًا، عثرتُ بذلك العَروضِ فلعِبَ بي وزنُه، وتوعَّر لي حَزْنُه، وبعدَ لأي ما فهِمت، وجُلت في معانيه فهِمت، وكلَّفتُ الخاطرَ شيئًا منه فعَجَز، وأكرهتُه فأبَى إلا الرَّجَز، ولحقِّ الأدبُ لم أدَعْهُ، وقد جاء منه هَذَيانٌ فإن نشِطتَ فاسمَعْهُ [من الدوبيت]:

يـا مَـن لبعـاده هجـرتُ الأُنـسا قد خِفتُ لغربـةِ الهـوى أن أُنسَى

هذا كمَدي أضحَى كـما قـد أمسا وحدي كَلَفي سرَّ العـذولَ أم سـا

من يمنَعُ محتومَ القـضا مـن يمنَـعْ قالو الصبرُ أولى قلتُ غَيري يُخـدَعْ

يا بـينُ كـمَ أدعـو ولـست تَـسمَعْ اردد سَـكَني ومـا أردتَ فاصـنَعْ

أقـسمتُ بذمـة الهـوى إن عـادوا واسـتوطن رَبْـعَ صـدرِه الفـؤادُ

لا نـال قيـادي بعـدَهم بعـادُ عزمـي حمـلي والقـربُ مـنهم زادُ

الله علـيكم يـا بريـقَ نجـدِ امرُر باللوى عـلى الكثيبِ الفـردِ

واخبِر خـبرَ الحـيِّ الجميعَ بعـدي هل عندهم من الأسى مـا عنـدي

واخصُصْ بالشِّيم عـاطرَ الـشميمِ وافـضُضْ خـاتمَ الغـمام بـالغميمِ

حيـث رَسَـا العـلاءُ في مخـزومِ رَيحانـةُ ذاك النفَـرِ الكـريمِ

هـل تعـرفُ مـن أريـدُ إن أُعـرِّفِ جُـزْ بـابن عَمِـيرةٍ أبي الـمُطرِّفِ

واشرَحْ كَلَفـي لـهُ ولا تُـحرِّفْ واسرُدْ ما شاهدتَ جوًى وصنِّفِ

...... الجـلال بـالإحلالِ واسـتكمِلْ ثنـاءَ ذلـك الكـمالِ

...... إحـسانه والـمَآلِ مـا لي مـن يـد بـها أنـالُ مـا لي

[لقد طابَ] هواءُ المشارق، واعذبَّ شِربُ العُذَيب وبارِق، أمَا شارفتَ [الخيامَ وجَرْعاءَ حِماها]، وسَمِعتَ من صَباها ما تقولُ خُزاماها، وأنّى وبينَ بلادينا زَرُود... هو إلا حقُّ الطاعة، وطَوْقُ الاستطاعة، ومبلَغُ البضاعةِ المُزْجاة،... الـمُرْجَاة؛ والسيِّدُ الأوحَد أعلى اللهُ مقدارَه، وأدنى دارَه، يَقضي [بتكلُّفِها]، ويُسامحُ في تخلُّفِها، فهل هي إلا ضَرّةُ تلك المخطوبة، وعنوانُ فضيحتِها المحجوبة، غذِيَتْ بطَبْع أبيها، وطلبت أوصافَه تشبيهًا، وستجدُ ذلك عِيانًا فيها، فإذا عَرَضَتْ إليه، وعُرِضَت بين يدَيْه، فلْيَصرِمْ وصَلَها، ولْيُلقِ على غاربِها حبلَها، وليَعْقِدْ على هذه الجِنانية الـجَيّانية يدَ الضَّنانة يجِدْها أحقَّ بها وأهلَها،

وأمّا تلك الهديُّ فقد طلّقت لها العقائل، وأيِّمت الحرائرُ والحلائل، وإنّما هي عَقيلةُ الشَّرفِ والمجد، ومُطيلةُ الكَلَفِ والوَجْد، فعليّ أن أصحَبَها بالمعروف، وأعرِفَ ما لها من الشُّفوف، وأعُدُّها ذخيرةَ الأبد، ووصيّةَ الوالدِ للولَدَ، لو رأيتُني أقلِبُها وأقبِّلُها، وأتألّـمُ لها حين أتأمّلُها، وأقولُ: أيُّ حُلِيٍّ لو صادَفَ جِيدًا، ومحلِّ شُكرٍ لو وجَدَ مجيدًا، وقد وكَلْتُ الأمرَ إليه، وألقيتُ بيدي ثقةً بما لدَيْه، ثم أعودُ إلى المهمِّ المقدَّم من ذكْرِ أشواقي المؤلِمة، وحُرَقي المضرَمة، برَّدَ اللهُ ببَرْدِ ماءِ اللقاءِ أُوارَها، وأخَذ لي بثأرِها من الفِراق فهو أثارَها، وأسألُ: كيف كانت حالُه في تلك المسالكِ الـمَهالك، وتخلَّصُ سَناه من ظُلمِها الحوالك؟ وأمّا سُحَيْم فقد ظهَرَ بغَرناطةَ حَمِيدَ الحال، شاكرًا لـحُسن الصُّحبة وجميل الارتحال، وأنا رهينُ شُكرِها يدًا كبرى، وعارفةً أخرى، واللهُ يكنُفُ مولايَ بعَيْنِه وعَوْنِه، ويكفُلُه بحفظِه وصَوْنِه، ويديمُ علاءه، ويحرُسُ تصفيقَه على المعالي واستيلاءه. والسلامُ الكريمُ يخُصُّه به صَنيعتُه الـمُباهي بتنويهِه، الشاكرُ لأياديه التي أشارت بتنبيهِه، العُشْبيُّ، ورحمةُ الله وبركاتُه.

١٤ـ عليُّ[١] بن محمد بن محمد بن إبراهيمَ بن موسى الأنصاريُّ الـخَزْرَجيُّ، فاسيٌّ، إشبيليُّ الأصل سَكنَ سَبْتةَ ومَرّاكُش وغيرَهما، أبو الـحَسَن، ابنُ الـحَصّار.

رَوى عن أبيه[٢] وأبي الـجَيْش مُجاهِدِ بن محمد، وآباءِ عبد الله: ابن حَمِيد وابن زَرْقون وابن الفَخّار، وآباء القاسم: ابن حُبَيْش وابن رُشْدٍ الوَرّاق والسُّهَيْليِّ، وأبوَيْ محمد: الـحَجْريِّ [وعبد الحقِّ الأزْديّ].

---

(١) ترجمه المنذري في التكملة ٢/ الترجمة ١٣٥٩، وابن الأبار في التكملة (٢٨٦٥)، وابن الزبير في صلة الصلة ٤/ الترجمة ٢٥٦، والذهبي في المستملح (٧٢٢)، وتاريخ الإسلام ١٣/ ٣١٩، والصفدي في الوافي ٢٢/ ١٣١، وابن القاضي في جذوة الاقتباس (٥١٨).

(٢) انظر ما هي صلته بأبي بكر محمد بن علي الحصار الإشبيلي المتوفى بمراكش سنة ٥٧٩هـ والذي كان من كتاب دار الأشراف (الديوانة) في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن. انظر المغرب ١/ ٢٧٩، والبيان المغرب (١٢٨)، ونظم الجمان (١٣٩)، والمن بالإمامة (٢٠٤).

رَوى عنه بمَرّاكُش أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله بن [عبد العزيز الـخَرُوف] وأبو العبّاس بن أحمد بن عبدِ الله ابن العَزّام، وأبو عليّ حَسَنُ بن عليّ [الماقَريّ]، وأبو محمدٍ عبدُ العالي بن محمد الوزروالِيّ، وبسَبْتَةَ أبو عبدِ الله [الأزْديُّ][1]. ورَحَل بأخَرةٍ إلى المشرِق وحَجَّ وجاوَرَ بمكةَ كرَّمها اللهُ [مُدّة وجالَسَ علماءها] في مجالسِهم، كأبي شُجاع زاهِر بن رُستُم بن أبي الرَّجاء الأصبَهانيِّ، وأبي [عبدِ الله] بن إسماعيلَ[2] بن عليّ بن أبي الصَّيْف، وأبي محمدٍ يونُسَ بن يحيى الهاشميِّ وغيرهم، ثم انتقَلَ إلى طَيبَةَ، شرَّفَها الله، فجاوَرَ بها، وعَظُمَ صِيتُه هناك، وجَلَّ قَدْرُه وعُرِف فضلُه، وأُخِذ عنه العلم، فممّن رَوى عنه هناك أبو عبد الله بنُ عبد الكريم الـجُرشيُّ[3]، وأبو محمد عبدُ العظيم بن عبد القويِّ الـمُنذِريُّ[4].

وكان محدِّثًا راويةً فقيهًا عارفًا بأصُولِ الفقه، متحقِّقًا بعلم الكلام، ذا حظٍّ وافر من علوم اللِّسان وقَرْض الشّعر. وله مصنَّفاتٌ أفاد بها، منها: مقالةٌ في إعجازِ القرآن، و«الناسخ والمنسوخ»، وهو ثلاثةُ أوضاع: الأكبرُ والأوسَطُ والأصغر، و«تقريبُ المدارك في وَصْل المقطوع من حديثِ مالك»، و«بيانُ البيان في شرح البُرهان»، ومقالةٌ في النَّسخ على مآخِذ الأصُوليِّينَ، و«تقريبُ الـمَرام في تهذيبِ أدلةِ الأحكام» في أصُول الفقه، ومصنَّفٌ في عِلم الكلام، و«مقالةٌ في الإيمانِ والإسلام»، وعقيدةٌ سمّاها «تلقينَ الوليد وخاتمةَ السَّعيد»، وشَرَحَها في أربعة مجلَّداتٍ متوسِّطة، و«مقالةٌ في الـحَيْض والنِّفاس»، إلى غيرِ ذلك من

---

(١) قال ابن الزبير: وذكره شيخنا القاضي أبو عبد الله الأزدي وذكر له عدة تواليف.... ووصفه بالعلم، وذكر أن له رحلة حج فيها وأنه قرأ عليه وسمع وأجاز له وأسهب في الثناء عليه.

(٢) هو محمد بن إسماعيل.

(٣) في الأصل: «الحرشي»، وترجمته في السفر السادس من هذا الكتاب (الترجمة ١٠٦٤) وفيها أنه أخذ عن أبي الحسن ابن الحصار المراكشي المجاور بحرم الله الشريف. وقال ابن الزبير: وذكره شيخنا الحاج أبو عبد الله بن عبد الله بن عبد الكريم الجرشي فيمن لقيه بمكة شرفها الله وسمع عليه بتاريخ بذي قعدة من سنة ٦٠٦ وأثنى عليه.

(٤) ينظر كتاب الدكتور بشار عواد: المنذري وكتابه التكملة، النجف ١٩٦٨م.

المصنَّفاتِ التي جلَّ مَغْزاها وعَظُمت جَدْواها، ودَلّت على وُفور علمِه وإدراكِه ومتانةِ معارِفه[1]، ودَخَلَ الأندَلُسَ وأخَذَ بها عنه بعض ما كان عندَه.

أنشَدتُ على شيخِنا أبي عليّ الماقَريِّ رحمه اللهُ بثَغْرِ اسَفي حَمَاهُ الله في أواخِر جُمادى الأخرى من سنة ثلاثٍ وستّينَ وست مئة، قال: عرَضتُ عليه، يعني أبا الحَسَن ابنَ الحَصّار هذا، قصيدتَه الرائيةَ التي قالها في المدنيِّ والمكيِّ من سُوَرِ القرآن، وهي اثنانِ وعشرونَ بيتًا، وذلك في شهرِ ذي الحجّة من سنة ستٍّ وتسعينَ وخمس مئة، وهي قولُه[2] [من البسيط]:

يا سائلي عن كتابِ الله مُجتهدًا	وعن ترتُّب ما يُتلَى من السُّوَرِ
وكيف جاء بها المختارُ من مُضَرٍ	صلَّى الإلهُ على المختارِ من مُضَرِ
[وما تقَدَّم منها] قبلَ هجرتِهِ	وما تأخَّرَ في بَدْوٍ وفي حضرِ
[ليُعلمَ النَّسخَ] والتخصيص مجتهدٌ	يؤيِّدُ الحُكمَ بالتاريخ والنظرِ
[تعارَضَ النقلُ] في أُمِّ الكتابِ وقد	توَلَّت الحِجرَ تنبيهًا لمعتبرِ
[أُمُّ القرَانِ وفي أُمِّ] القُرى نزَلتْ	ما كان للخَمْسِ قبلَ الحمدِ من أثرِ
[لو غابَ] ذاك لكان النَّسخُ أوّلَها	ولم يقُلْ بصريح النَّسخ من بشَرِ[3]

---

(١) نقل ابن الزبير رأيًا لأبي الحسن الشاري في مؤلفات المترجم يختلف عن رأي ابن عبد الملك وغيره، قال: «وذكره الشيخ أبو الحسن الغافقي وأنه حضر عنده تدريس البرهان لأبي المعالي وموطإ مالك وذلك بمدينة سبتة، قال: وله تواليف لا أرضاها، ولم يرو عنه».

(٢) أورد السيوطي في «الإتقان» القصيدة المذكورة ومهد لها بما يلي: «قال أبو الحسن الحصار في كتابه الناسخ والمنسوخ: المدني باتفاق عشرون سورة، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة وما عدا ذلك مكي باتفاق، ثم نظم في ذلك أبياتًا فقال:

يا سائلي عن كتاب الله مجتهدًا	وعن ترتب ما يتلى من السور»

(٣) لم يرد هذا البيت في الإتقان.

[وبعدَ] هجرةِ خيرِ الناسِ قد نزَلَتْ ... عشرونَ من سُوَرِ القرآنِ في عشرِ

فأربعٌ من طِوالِ السَّبع أوّلُها ... وخامسُ الخَمْس في الأنفالِ ذي العِبَرِ

وتوبةُ الله إن عدَّدتَ سادسةٌ[1] ... وسورةُ النُّورِ والأحزابِ ذي الذِّكرِ

وسورةٌ لرسولِ الله[2] مُحكَمةٌ ... والفتحُ والحُجُراتُ الغُرُّ في غُرَرِ

ثم الحديدُ ويتلوها مجادلةٌ ... والحشرُ ثم امتحانُ الله للبشرِ

وسورةٌ فضَحَ اللهُ النِّفاقَ بها ... وسورةُ الجَمْع تَذكارًا لمُذَّكِرِ

وللطلاقِ وللتحريم حُكمُهما ... والنّصرُ والفتحُ تنبيهًا على العمرِ

هذا الذي اتّفقتْ فيه الرُّواةُ لهُ ... وقد تعارضَتِ الأخبارُ في أُخَرِ

فالرعدُ مختلَفٌ فيها متى نزَلَتْ ... والأكثرونَ يقولُ[3]: الرعدُ كالقمرِ

ومثلُها سورةُ الرحمنِ شاهدُها ... ممّا تضمَّن قولُ الجنِّ في الخبرِ

وسورةٌ للحَوارِيِّينَ قد عُلِمت ... ثم التغابُنُ والتطفيفُ ذو النُّذُرِ

وليلةُ القَدْر قد خُصَّت بمِلّتِنا[4] ... ولم يكنْ بعدَها الزّلزالُ فاعتبرِ

وقُلْ هُوَ اللهُ من أوصافِ خالقِنا ... وعُوذتانِ تَرُدُّ البأسَ بالقدرِ

وذا الذي اختَلَفت فيه الرواةُ لهُ ... وربّما استُثنِيَتْ آيٌ من السُّورِ

وليس كلُّ خلافٍ جاء معتبَرًا ... إلا خلافًا له حظٌّ من النظرِ

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: هكذا أخَذْنا هذه القصيدةَ عن شيخِنا أبي عليّ [الماقَرِيِّ] اثنينِ وعشرينَ بيتًا كما ذكَر، وكذلك وقَفْتُ عليها في غير موضع

---

(١) في الإتقان: «إن عدت فسادسة».

(٢) في الإتقان: «لنبي الله».

(٣) في الإتقان: «وأكثر الناس قالوا».

(٤) في ص: «بملتها».

بخطِّ غيرِ واحدٍ من الجِلّة، وقد وقَفْتُ عليها بخطِّ آخَرِينَ منهم بزيادة بيتٍ قبلَ الأخيرِ منها، وهو قولُه:

ومـــا سِـــوى ذاك مكـــيٌّ تنزلُّـــهُ فلا تكنْ من خلافِ الناس في حَـصَرِ

وكذلك وقَفْتُ عليها في كتابِ «النَّسخ» لهُ فاعلَمْه، واللهُ الموفِّق.

[توفِّي] ابنُ الـحَصّار، وقال فيه ابنُ الأبّار: الـحَصّارُ، في نحوِ العشرين [وست مئة][1] رحمةُ] الله، ودُفن بالبَقيع وبِيعت هناك كُتُبُه على ما ذَكَرَ لنا [بعضُهم نقلًا عمّن] أخبَرَه بذلك.

١٥ـ عليُّ بن محمد بن يَقديران، بياءٍ سُفْل مفتوح وقافٍ [معقود] ودالٍ غُفْل وياءِ مَدّ وراءٍ وألِف ونون، اللَّمْتُونيُّ، أبو الـحَسَن.

رَوى [بإشبيلِيَةَ؟ عن] أبي بكرٍ ابن العَرَبي.

١٦ـ عليٌّ[2] بن مَرْوانَ بن عليّ الأسَديُّ، بُونيٌّ قُرطُبيٌّ [الأصل، انتَقلَ منها] أبوه فاستَوطنَ بُونُه، أبو الـحَسَن.

وهو وَلدُ أبي عبد الملِك البُونيِّ[3] [القُرطُبيِّ]. رَوى عن أبيه، رَوى عنه أبو محمد بنُ خَيْرونَ القُضاعيُّ، وأُراه لقِيَه ببَلَنْسِيَة.

١٧ـ عليٌّ[4] بن موسى بن حَمّاد بن عبد الرّحمن الصُّنْهاجيُّ، عُدْويٌّ، سَكَنَ غَرناطةَ حينَ استُقضيَ أبوه منها، ثم انتقَلَ بانتقالِه إلى قضاءِ الجماعة بمَرّاكُش، أبو الـحَسَن.

---

(١) هكذا قال، فذكر ابن الأبار في حدود سنة عشر وست مئة، وكله غير دقيق، وقد أرّخ الحافظ المنذري وفاته في شعبان من سنة ٦١١هـ، وهو الصواب (التكملة ٢/ الترجمة ١٣٥٩).

(٢) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٢٨٤٧).

(٣) ترجمه ابن بشكوال في الصلة (١٣٤٩) وفيه مصادر ترجمته.

(٤) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٢٨٥٠)، وابن القاضي في جذوة الاقتباس ٢/ ٤٧٩، والمراكشي في الإعلام ٩/ ٥٦.

تفقّه بأبيه وغيرِه. وكان من أهل العِلم والأدب والنَّباهة. مَوْلدُه سنةَ ثلاثٍ وخمس مئة. وتوفِّي بفاسَ سنةَ أربعٍ وستينَ وخمس مئة.

١٨ـ عليُّ[١] بن يحيى بن سَعِيد بن مَسْعود بن سَهْل الأنصاريُّ، تلمسينيٌّ قَلَنِّيُّ الأصل، سَكنَ إشبيلِيَةَ ومَرّاكُش وغيرَهما من بلادِ العُدْوتَيْن، أبو الـحَسَن القَلَـنِّيّ[٢].

رَوى عن أبي الـحَسَن بن أبي قَنُّون، وأبي عبد الله التُّجِيبيِّ وتدَبَّج معَه.

وكان فقيهًا أديبًا حَسَنَ الـخَطّ في الطريقتَـيْنِ: الشَّرقيّة والغَرْبية.

وله اختصارٌ جيِّدٌ في «الإشراف» لابن الـمُنذِر[٣] ودرَّس بجامع قُرطُبَةَ زمانًا، أنشَدَ عليه أبو عبد الله التُّجِيبيُّ من قولِه [من الطويل]:

ورائعـةٍ[٤] للـشَّيبِ راعَ طلوعُهـا ... فأنزلتُها بالقصِّ[٥] في المنزلِ الأقـصى

فنادى لـسانُ الحـالِ: مهـلًا فإنّهـا ... بريدٌ لـجَمْع[٦] خلفَها جاء لا يُحصَى[٧]

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٢٨٦٤)، وابن القاضي في جذوة الاقتباس ٢/ ٤٨٤.

(٢) منسوب إلى قَلَنّة من حيز سرقسطة.

(٣) كتاب «الإشراف» لأبي بكر ابن المنذر أخذه عن مؤلفه جماعة من الأندلسيين وأدخلوه إلى الأندلس ومنهم منذر بن سعيد البلوطي (جذوة المقتبس ص٥١٤)، وأبو حفص عمر بن الرفاء البجاني (الصلة ٢/ ٥).

(٤) في التكملة: وراعية، وفي الأصل: وداعية، ومما قيل في الرائعة قول الشاعر:

أهـلًا برائعــة للــشيب واحــدة ... تنفي الشباب وتنهانـا عـن الغـزل

(٥) في التكملة: «بالقصر».

(٦) في التكملة: «تزيد بجمع».

(٧) هذا مثل قول أبي الحسن الطرابلسي: (الخريدة، ق٤، ١ج/ ١٢٩).

وزائـرة للـشيب لاحـت بعــارضي ... فبادرتها بـالقطف خوفًـا مـن الحتـف

فقالت: على ضعفي استطلت ووحـدتي ... رويدك حتى يلحق الجيش من خلفـي

فلـم يـك إلا عــن قريـب فأقبلـت ... وعمت جميع الرأس رغـمًا عـلى أنفـي

١٩ـ عليٌّ[1] بن يحيى بن القاسِم الحِمْيَريُّ الصُّنهاجيُّ، ويقال: البُطُّوئيُّ. استَوْطنَ الجزيرةَ الخضراء، وقال ابنُ الأبّار: أصلُه من بلادِ الرِّيفِ مما يُحاذي أرضَ غُمارة، أبو الـحَسَن الـجَزيريُّ.

رَوى بالجزيرةِ عن أبي عبدِ الله القُبَاعيّ[2].

رَوى عنه ابنُه عبدُ الرحمن[3] وأبو العبّاس بنُ محمد الـمَوْرُوريُّ.

وكان صالحًا متواضعًا مُثابِرًا على الأعمالِ المبرورة من أهل الـمُجاهَدة والأوراد، فقيهًا حافظًا، مدرِّسًا، عاقدًا للشُّروطِ نافذًا في معرفتِها، ومصنِّفُه فيها الذي سَمّاه: «المقصدَ المحمود في تلخيصِ العقود»، من أنبَلِ [ما أُلِّف في ذلك] وأصدقِه دِلالةً على تمكُّن معرفةِ مصنِّفِه، وكان تصنيفُه [تحريضًا لابنِه أبي] القاسم عبدِ الرّحمن على التلبُّس بكَتْبِ الوثائق والارتسام [فيها، وقد كثُرَ استعمالُ الناس] إيّاه واعتَمدوهُ وآثَروه على غيرِه ممّا صُنِّف في بابِه.

[وَلِـيَ أبو الـحَسَن القضاءَ] بالجزيرةِ الـخَضْراء، وتوفِّي بها في ربيعٍ الأول من سنة خمس وثمانين وخمسِ مئة [وهو ابنُ ستينَ سنةً] أو نحوِها.

٢٠ـ عليُّ ابنُ الـمَقْدِسيّ، شَرْقيٌّ، دخَلَ الأندلُس.

كان من أهل [الطِّبِّ والمعرفةِ] بأسبابِه، وله انتسَخَ بالـمَرِيّة إبراهيمُ بن عَتِيق بن دَيْسَم[4] «طبقاتِ الـحُكماءِ والفلاسفةِ والأطبّاء»[5] جَـمْعَ سُليمانَ بن جُلجُل سنةَ سبع وتسعينَ وأربع مئة.

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٢٨٥٥)، والغبريني في عنوان الدراية (٥٨)، ومخلوف في شجرة النور (١٥٨).

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد الغافقي، تقدمت ترجمته في موضعه من السفر السادس، وهو مترجم في التكملة الأبارية (١٤٤١) وغيرها.

(٣) توفي سنة ٦٠٨هـ وهو ابن أربع وخمسين سنة، وترجمه ابن الأبار في التكملة (٢٣٤٧)، وابن الزبير في صلة الصلة ٣/ الترجمة ٣٥١، والسيوطي في البغية ٢/ ٨٤.

(٤) في الأصل: «ديسور»، محرف، وقد تقدم ذكر وراق من هذه الأسرة اسمه علي بن محمد بن ديسم في السفر الخامس من هذا الكتاب.

(٥) ينظر الاختلاف في اسم هذا الكتاب في المقدمة التي كتبها محققه العلامة فؤاد سيّد يرحمه الله.

٢١ـ عمرُ[1] بن أحمدَ بن عبد الله بن أحمد، توزريٌّ سَكَنَ بِجَايةَ بأخَرةٍ، أبو حفص ابنُ عَزَرةَ، بفتح العَيْن الغُفْل والزاي.

قَدِمَ على الأندَلُس طالبًا العلمَ، فرَوى بقُرطُبةَ عن أبي بكرٍ الأسَديِّ، وأبي الـحُسَين بن سِرَاج، وأبي عليّ الغَسّانيّ، وأبي محمد بن عَتّاب، وأبي الوليد العُتْبيِّ، وبالـمَريّة عن أبي الأصبَغ عبد العزيز بن عبد المِلك بن شَفِيع، وبمُرْسِيَةَ عن أبي عليّ بن سُكّرةَ وأكثَرَ عنه وأطال مُلازمتَه، وبشاطِبةَ عن أبي الـحَسَن طاهرِ بن مُفوَّز، وأبي عِمرانَ بن أبي تَلِيد، وله روايةٌ عن القاضي أبي بكرٍ ابن العَرَبي.

رَوى عنه ابنُه محمدٌ، وأبو إسحاقَ إبراهيمُ بن محمد بن حَبُوس التَّميميُّ، وأبوا بكر: ابنُ حُسَين بن عُبّادة وابنُ الفقيه أبي عبد الله محمد بن حَسّان، وأبوا الـحَسَن العَلِيّان: ابنُ القاضي الـحَسَن بن عليّ وابنُ طاهر، وأبو حَفْص عُمرُ بن فُلفُل، وآباءُ عبدِ الله: ابنُ حَجّاج بن يوسُفَ المنجصيُّ وابنُ القائد أبي الـحَسَن بن حَـمْدون وابنُ عليّ ابن الرَّمّامة، وأبو العبّاس بن يوسُف الجلمانيّ، وأبو العلاء رافعُ بن يوسُف الإسكندَرانيُّ، وأبو القاسم عبدُ العزيز بن عَلُّوش، وآباءُ محمد: طاهرُ بن أحمدَ بن عَطِيّةَ الـمُرِّيُّ ـ ويقال فيه: أبو الفَضْل ـ وعبدُ الله بن محمد بن أبي بكر بن سِبَاع وعبدُ الرحيم بن محمد بن زمرون. ومن الرُّواةِ عنه سوى من ذُكِر: أحمدُ بن عبد الرّحمن بن إبراهيمَ القُرطُبيُّ ـ لقِيَه بتَوْزَر ـ وزيريٌّ ابنُ القائد ابن الأعذر، وعبدُ الوهّاب بن خَلَفِ الله بن عبد الواحِد، وعليُّ بن محمد بن سَلمانَ الباهِليُّ، ومحمدُ بن عبد الله بن بُنَـيْمان.

وكان راويةً للحديث مُعوَّلًا عليه في عِلمِه، ضابطًا ثقةً متقنًا، عَدْلًا فيما يحدِّثُ به، خيِّرًا فاضلًا، ذا أصُولٍ عِتاق عُنِي بانتقائها وبمُعاناتِها جيِّدَ الـخَطّ، فقيهًا حافظًا، حيًّا سنةَ ثِنتينِ وثلاثينَ وخمس مئة.

---

(١) ترجمه الضبي في بغية الملتمس (١١٥٧)، وابن الأبار في التكملة (٢٦٤٤)، وفي معجم أصحاب القاضي الصدفي (٢٥١)، وابن الزبير في صلة الصلة ٤/ الترجمة ١٣٨.

ذكَرَه أبو جعفر بنُ الزُّبير في رَسْم زيريٍّ المذكور، وقال: إنه لا يَعرِفُهما، ولم يَذكُرْه ابنُ الأبّار في أصحابِ الغَسّاني[1].

٢٢ـ عُمرُ بن أحمدَ بن عُمر السُّلَميُّ، أُراه من ذوي قَرابةِ [القاضي أبي حفصٍ] عُمر، أبو عليّ.

رَوى عن أبي العبّاس بن محمد بن مِقْدام[2].

٢٣ـ عُمرُ[3] بن [حَسَن] بن عليّ بن [محمد بن] فَرْح[4] بن خَلَف بن قُومِس ابن مَزْلالِ بن مَلّالِ بن بَدْر بن أحمدَ بن دِحْيةَ [الكَلْبيِّ] صاحبِ رسُولِ الله ﷺ.

كذا نقَلتُ نَسَبَهُ من خطِّه، [ولقد قال] فيه تاجُ الدِّين رئيسُ النُّحاة بدِمشقَ أبو اليُمْن زيدُ بن الحَسَن الكِنْديُّ: [إنه كاذبٌ] فيما ادَّعاه من ذلك، وذَكَرَ أنّ

---

(١) يعني: في الكتاب الذي ألَّفه ابن الأبار في أصحاب أبي علي الغساني.

(٢) تقدمت ترجمته في السفر الأول من هذا الكتاب (الترجمة ٥٣٧)، وفيها ذكر أبي علي عمر بن أحمد السلمي.

(٣) ترجمه ابن نقطة في إكمال الإكمال ٢/ ٦٠، وابن الدبيثي في ذيل تاريخ مدينة السلام ٤/ ٣٢١، وابن خميس في أدباء مالقة (١٣٩)، وابن النجار في التاريخ المجدد، الورقة ٩٧ (من مجلد باريس) وهو في المستفاد منه للدمياطي، الترجمة ١٦٠، وسبط ابن الجوزي في المرآة ٨/ ٦٩٨، وابن الشعار في قلائد الجمان ٤/ ١٩٢، وابن الأبار في التكملة (٢٦٤٩)، وأبو شامة في ذيل الروضتين (١٦٣)، ومنصور بن سليم في الذيل ١/ ٢٧٩، وابن خلكان في وفيات الأعيان ٣/ ٤٤٨، وابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب ٥/ الترجمة ٤٠٦، وابن الزبير في صلة الصلة ٤/ الترجمة ١٤١، والذهبي في المستملح (٦٣٦)، وتاريخ الإسلام ١٤/ ١١٣، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٨٩، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٢٠، ودول الإسلام ٢/ ١٠٣، والمشتبه (٥٠٢)، وميزان الاعتدال ٢/ ٢٥٢، والعبر ٥/ ١٣٤، والصفدي في الوافي ٢٢/ ٤٥١، والفيومي في نثر الجمان ٢/ الورقة ٧٥، وابن كثير في البداية والنهاية ١٣/ ١٤٤ وغيرهم، وينظر كتاب الدكتور بشار: المنذري وكتابه التكملة، ص١٣٤ فما بعد (النجف ١٩٦٨م).

(٤) قيده الذهبي في المشتبه (٥٠٢) بفتح الفاء وسكون الراء وآخره حاء مهملة.

دِحْيـةَ ـ رضي اللهُ عنـه ـ لم يُعقِبْ، [فرَدّ عليـه ابنُ دِحيَـةَ] هذا بكتابٍ سَمّـاه: «الـمُرهَفَ الهِندي في الردِّ على التاجِ الكِنْدي»، وأثبَتَ فيه أنّ [دِحْيةَ] رضيَ اللهُ عنه قد أعقَبَ، وأنه من ذُرِّيتِه، وكذلك كان يُنكِرُ عليه غيرُ واحد من أهل الأندَلُس أنه كَلْبيٌّ، ويقولُ: إنّما هو كَنْبيٌّ ـ بالنون ـ نسبةً إلى كَنْب: موضع بساحلِ الأندَلُس الشّرقيِّ بمقرُبةٍ من دانِيَة[1].

وكان يَصِفُ نفسَه بذي النَّسَبَيْنِ بين دِحيةَ والـحُسَين، وقَفْتُ عليه من خطِّه أيضًا، وانتسابُه إلى دِحيةَ كما سرَدْناهُ قبلُ، فأمّا انتسابُه إلى الـحُسَين فهو فيما كان يَذكُرُ أنه سبطُ أبي البَسّام الـحُسَيْنيِّ الكُوفيِّ نزيلِ مَيُورْقةَ من أمِّ جَدِّه، وقد رفَعْنا نَسَبَه في موضعِه[2].

وعُمرُ المترجَمُ به سَبْتيّ، وقيل: قُرطُبيٌّ أو مالَقيٌّ دانيُّ الأصل، أبو الـخَطّاب، ابنُ الـجُمَيِّل، لقَبٌ جَرى على محمدٍ جَدِّ أبيه.

تجوَّل كثيرًا ببلادِ الأندَلُس والعُدوةِ والمشرِق واستقَرَّ آخِرًا بالقاهرة في كنَفِ الملِك الكامل، وشُهِر فيها وفي البلادِ المشرِقية ببدرِ الدِّين وابنِ الـجُمَيِّل.

رَوى بالأندَلُس وما صاقَبَها من بَـرِّ العُدوة عن أبي إسحاقَ بن قُرقُول، وآباءِ بكر: ابن الـجَدِّ وابن خَيْر وعبد الرّحمن بن مُغاوِر، وأبوَيْ جعفر: ابن البَلَنْسِيّ وابن مَضَاء، وآباءِ الـحَسَن: صالحِ الأوْسيّ واللَّواتيّ وابن أبي قَنُّون،

(١) قال الذهبي: «قرأتُ بخط ابن مَنْدي: كان أبوه تاجرًا يُعرف بالكلبي ـ بين الباء والفاء ـ وهو اسم موضع بدانية، وكان أبو الخطاب أولًا يكتب: «الكلبي معًا» إشارة إلى البلد والنسب». (تاريخ الإسلام ١٤/ ١١٦) قلنا: وهذا أصح من «كنبي» بالنون فالاسم معروف إلى اليوم Calpe.

(٢) يقول ابن دحية في كتابه المطرب: «وأنشدتني أخت جدي (أو جدتي) الشريفة الفاضلة أمة العزيز ابنة الشريف العالم أبي محمد عبد العزيز بن الحسن ابن الإمام العالم أبي البسام موسى»، ثم رفع نسبه إلى فاطمة الزهراء (المطرب ٦) وعبد العزيز بن الحسن هذا مترجم في التكملة الأبارية (٢٤٧٨). وذكر ابن خلكان في ترجمة ابن دحية كان يذكر أن أمه أمة الرحمن بنت أبي عبد الله بن أبي البسام (وفيات الأعيان ٣/ ٤٤٩).

وأبي الـحُسَين بن أُبيّ، وأبي خالد بن رِفاعة، وآباءِ عبد الله: ابن بَشْكُوال والبَيْسانيّ وابن حَمِيد، وابن زَرْقُون وابن الصَّقْر وابنِ عبد الله بن حَبَاسة وابن عَمِيرَة والقبَاعيِّ وابن الـمُجاهد، وأبي عبد الملِك مَرْوانَ بن عبد العزيز، وأبي العبّاس بن سيِّد، وآباءِ القاسم: ابن بَشْكُوال وابن حُبَيْش وابن رُشْد الوَرّاق، وآباءِ محمد: ابن عُبَيد الله وابن فَرَج وابن مُغيث وعبد الحقِّ بن بُونُه والقاسم بن دَحْمان، وأبي الوليد الـحَسَن ابن الـمُناصِف.

وبالبلادِ المشرِقيّـة وأصبهـانَ وبغـداد [وواسِـطَ وخُـراسانَ] ونَـيْسابُورَ وسراسَ[1] وطموسَ[2] وجُرجانَ وساوةَ وأوَه وشِيرازَ ودِمشقَ وبيتِ الـمَقْدِس وغيرِها.

وكانت رحلتُه [في طلبِ الحديث، أخَذَ فيها عن] أبي إسحاقَ إبراهيمَ بن محمد بن أبي الفَضْل الناصِحيّ وأبي جعفرٍ [الصَّيدَلانيِّ] وأبي الفَتْح بن محمد ابن خالَوَيْه، وأبي الـحَسَن عبد الرّحيم بن عبد الرّحمن [بن الـحَسَن الجرجاني] الشَّعْري[3]، وأبي سَعْد عبد الله بن عُمرَ ابن الصَّفّار[4]، وأبي بكرٍ وأبي [.... وأبي] القاسم منصُور بن أبي الـمَعالي عبد الـمُنعم بن أبي البَرَكات عبد الله [بن أبي] عبد الله محمد بن الفَضْل الصّاعديِّ الفُرَاويّ[5]، وأبي الفَرَج عبد الرّحمن بن

---

(١) هكذا في الأصل، ولم نقف على مثل هذا الموضع.

(٢) هكذا في الأصل، ولعلها «طميس»، بلد من سهول طبرستان، وهي إحدى حدود طبرستان من ناحية جرجان (مراصد الاطلاع ٢/ ٨٩٢).

(٣) توفي سنة ٥٩٨هـ (وهو مترجم في تقييد ابن نقطة ٣٥٨، وتكملة المنذري ١/ الترجمة ٦٣٥، وتاريخ الإسلام ١٢/ ١١٤٦).

(٤) توفي سنة ٦٠٠هـ (التقييد لابن نقطة ٣٢٧، والتكملة للمنذري ٢/ الترجمة ٨١٧، وتاريخ الإسلام ١٢/ ١١٩٩).

(٥) توفي سنة ٦٠٨هـ (التقييد لابن نقطة ٤٥٤، والتكملة للمنذري ٢/ الترجمة ١٢١٢، وتاريخ الإسلام ١٣/ ٢٠١).

عليّ ابن الـجَوْزيّ وغيرِهم، وأجاز له أبو الوقتِ عبدُ الأول[1]، وحدَّث بالإجازةِ عن أبي الطاهِر السِّلَفيّ.

رَوى عنه ابنُه [شَرَفُ] الدِّين أبو [الطاهر محمدٌ] وابنُ أخيه [....] الدِّين [....][2]، وبالأندَلُس أبو الـحُسَين عُبَيْدُ الله بن عاصِم الدائريُّ، وبسَبْتَةَ أبو العبّاس بن محمد الـمَوْرُوريُّ، وبتونُسَ أبو عبد الله بنُ عيسى ابن الـمُناصِف، وبالقاهرة: أبو إسحاقَ بن أحمدَ ابن الواعِظ الـمَرّاكُشيُّ وأبو الفَضْل أبو القاسم بن عليِّ بن عبد العزيز بن البَراءِ التنُوخيُّ الـمَهْدَويُّ نزيلُ تونُس. وحدَّث عنه بالإجازة أبو عبد الله ابنُ الأبّار، وأبو الوليد إسماعيلُ ابن الطَّوّاب، وأبو محمدٍ حَسَنٌ ابنُ القَطّان، كتَبَ إليه من القاهرةِ باستدعاءِ أبي إسحاقَ ابن الواعِظ.

وكان راويةً للحديثِ شديدَ العناية بلقاءِ المشايخ والأخْذِ عنهم، متّسعَ الرواية، جيِّدَ الـخَطّ، مُحكَمَ التقييد، ذاكرًا تواريخَ المحدِّثينَ وأخبارَهم حافظًا للآداب، ذا حظّ صَالح من اللغة ومُشاركةٍ في العربيّة، كثيرَ الشذوذِ في أحوالِه وملبَسِه وشارتِه، متَّهمًا في روايتِه، مَرْميًّا بالكذِب فيما يحدِّثُ به.

واستُقضيَ بدانِيَةَ مرّتَيْنِ، ثم صُرِف عنها لسيرةٍ نُعِيَتْ عليه.

ولـمّا قَدِم مصرَ استأْدَبَه العادلُ أبو بكر بن أيّوبَ لوليِّ عهدِه الكامِل أبي المعالي محمد.

---

(١) هو ابن عيسى السجزي.

(٢) بياض في الأصل لا محو، وقد عرف ابن خلكان ولد المترجم وابن أخيه ونقل عنهما ولكنه لم يكنهما ولم يسمهما. وذكر السيوطي ولد المترجم فيمن كان بمصر من المحدثين الذين لم يبلغوا درجة الحفظ والمنفردين بعلو الإسناد فقال: «شرف الدين أبو الطاهر محمد ابن الحافظ أبي الخطاب عمر بن دحية ولد سنة إحدى وست مئة وسمع أباه وجماعة وولي مشيخة دار الحديث الكاملية وحدث، وكان فاضلًا مات سنة سبعين وست مئة (حسن المحاضرة ١/ ١٦١) وترجم له الصفدي في الوافي مرتين، مرة باسم محمد بن حسن بن حسن إلخ النسب ومرة أخرى باسم محمد بن الخطاب إلخ وصواب الاسم في المرة الأولى محمد بن عمر بن حسن، وصوابه في المرة الثانية محمد بن أبي الخطاب. انظر الوافي ٢/ ٣٥٣ و٣/ ٤١.

ولـمّا عاد إلى مصرَ من رحلتِه العراقيّة صار لهُ بها عندَ الكامل جاهٌ عظيم وحُظوةٌ عَلِيّة ومكانةٌ كبيرةٌ بَعُدَ العهدِ بمثلِها، ونال بها دُنيا عريضةً، حتى لَيُذكَرُ أنه هَمَّ بنَصْبِه خليفة، وبعَثَهُ رسولًا إلى الخليفةِ الناصِر لدين الله ببغداد، فتلقّاه الناصرُ أحسَنَ تلقٍّ، وقضَى مآربَه التي توجَّه رسولًا إليه بسببِها، وأجَلَّ قَدْرَه وأجزَلَ صِلتَه، وأنفذَه رسولًا إلى بعضِ ملوكِ العَجَم وراءَ النّهر، فنهَضَ بذلك وأحسَنَ السِّفارةَ فيه، وعُنيَ هناك بلقاءِ بقايا شيوخ العِلم بتلك البلاد، وناظَرهم وظهَرَ شُفوفُه عندَهم وتبريزُه، وبَعُدَ صِيتُه وبعُدَ أمرُه واستفاضَ [ذكْرُه، وجَمَعَ من] فوائدِ تلك البلاد ومصنَّفاتِ عُلمائها ما لا عَهْدَ لأهلِ بغدادَ [به، ثم استقَرَّ] بالقاهرة.

ومن مصنَّفاتِه سوى ما ذُكِر: «الآياتُ البيِّنات [في ذكْرِ ما في أعضاءِ رسولِ] الله ﷺ من المعجِزات»: مجلّد، و«المستوفَى في أسماءِ [الـمصطفى»]: مجلَّد، و«البِشَاراتُ والإنذارات المتلَقّاةُ من أصدقِ البراءات»: [في ثلاثِ مجلّدات]، و«أعلامُ النّصرِ الـمُبين في الـمُفاضَلةِ بين أهلَيْ صِفِّين»، و«العَلَمُ المشهور [في فضائل] الأيام والشهور»[1].

وأنشَدَني شيخُنا أبو محمدٍ حَسَنٌ ابنُ القَطّان رحمه اللهُ عن أبي الـخَطّاب ابن الـجُمَيِّل لنفسِه فيما أذِنَ له في روايتِه عنه، وأنشَدَه إياه أبو إسحاقَ ابنُ الواعِظ، قال: أنشَدَنـي أبو الـخَطّاب لنفسِه[2] في نَسْخ الأحاديثِ الـمشهورةِ بالضَّعف [من الطويل]:

أحاديــثُ نــسطورٍ ويُــسرٍ ويَغـنُـمٍ   وقولُ أشجِّ الغَـرْب بعـدَ خِـراشِ

---

(١) انظر في مؤلفات ابن دحية مقدمة النبراس لمحققه المرحوم العزاوي ومقدمة المطرب للأستاذ الأبياري.

(٢) روى ابن رشيد بسنده أن البيتين للحافظ السلفي. انظر أزهار الرياض ٢/ ٦٦ وكذلك في لسان الميزان ٢/ ٤٤٧ ونفح الطيب ٣/ ٦٦.

ونــسخةُ داودٍ وأخبــارُ تربِــهِ　　أبو هُدبةَ البصريِّ شبهُ فراشِ[1]

وأنشَدَ أبو بكرٍ عَتِيقُ بن عُمر بن عليّ القُسَنْطينيُّ[2] قال: سمعتُ من لفظِ أبي الخَطّاب، يعني ابنَ دِحيَةَ، قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: ونَسَبَها بعضُهم له [من الكامل]:

ذِكْري لطَيبةَ طيِّبِ النفَحاتِ　　والشّوقُ منّي دائمُ اللّفَحاتِ

أُهدي لها منّي تحيّةَ مغرَمٍ　　تُغني عن التقبيلِ والرَّشَفاتِ

لمَعاهدٍ عهِدت من سُكّانِها　　جِبريلُ يتلو مُعجِزَ السُّوراتِ

فلئن كَحَلتُ بكُحلِ تُربةِ طيبةٍ　　طَرْفي وفُزتُ برؤيةِ الحُجُراتِ

لأُعفِّرَنَ مَصُونَ شَيْبي عندَها　　ما عِشتُ في الغَدَواتِ والرَّوْحاتِ

وألوذُ بالقبرِ المقدَّس تُربُهُ　　وأخُصُّ مَن يَحويهِ بالصَّلَواتِ

وأقولُ: يا خيرَ الأنام ومَن بهِ　　هَدْيُ العبادِ وخُصَّ بالآياتِ

اشفَعْ لعبدٍ مذنبٍ من آلِكُمْ　　عنهُ تُعبِّرُ ألسُنُ العَبَراتِ

فلكَ الشّفاعةُ والمكانةُ والنُّهَى　　ولكَ الترفُّعُ في عُلى الدرَجاتِ

---

(١) في أزهار الرياض ونفح الطيب:

حديث ابن نسطور وقيس ويغنم　　وبعد أشج الغرب ثم خراش

ونسخة دينار ونسخة تربه　　أبي هدبة القيسي شبه فراش

وانظر في هؤلاء السبعة حسب ترتيبهم لسان الميزان ٢/ ٣٠ و٦/ ١٥٠، ٢٩٨، ٣١٥، ١٦٩، ٢٧٦ و٤/ ١٣٢ و٢/ ٣٩٥، ٤٣٤ وقد ذيل ابن جابر الوادي آشي البيتين فقال:

رتن ثامن والماردي تاسع　　ربيع بن محمود وذلك فاشي

وانظر رحلة ابن رشيد ٣/ ٧١، والعقد الثمين للفاسي ٥/ ٥٠٤-٥٠٧.

(٢) ترجمته في بغية الوعاة (٩٦٦)، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣٤، ودرة الحجال ١/ ٢٢٥، ورحلة ابن رشيد ٣/ ١٥٥-١٥٧ تحقيق ابن الخوجة، قال ابن رُشيد: واسمه كنيته.

وأنشَدَني الشّيخُ أبو محمدٍ حَسَنٌ ابنُ القَطّان رحمه الله، قال: أنبأني أبو الخَطّاب ـ يعني هذا ـ إجازةً، وأنشَدَنيه عنه صاحبُه أبو إسحاقَ ابنُ الواعِظ، قال: أنشَدَني أبو الخَطّاب [ونَسَبَها] لنفسِه [من البسيط]:

[....] تَأَتّى أن يكونَ لهُ ... مالٌ فذلك أعلى الناسِ مِقدارا

[....] الأيدي مقدارَ ثروتِهِ ... يَزيدُ منزلةً ما زاد دينارا

[....] ولائم على عَدَم ... إنّ الفَتى لم يزَلْ للعَيْبِ سَتّارا

[فعِشْ][1] فتًى همُّه إعلاءُ همّتِهِ ... واستغفِرِ اللهَ تلْقَ اللهَ غفّارا

وُلد ببَلَنْسِيَةَ سنةَ ستٍّ وأربعينَ وخمس مئة، وتوفِّي بالقاهرة لأربعَ عشْرةَ خَلَت من ربيعٍ الأول سنةَ ثلاثٍ وثلاثينَ وست مئة. وقال ابنُ الأبّار: بَلَغني أنه توفِّي بالقاهرة سنةَ أربع وثلاثينَ وست مئة. وقال ابنُ فُرتون: قبلَ الأربعينَ بيسير، قولَ من لم يضبِطْهُ.

٢٤ـ عُمرُ[2] بن ذَمّام بن المُعتزِّ الصُّنهاجيُّ اللَّمْتُونيُّ، أبو حَفْص.

رَوى عن أبي عليّ بن سُكّرة.

٢٥ـ عُمرُ بن عبد الله بن عبد الرّحمن بن عبد الله بن محمد بن إسماعيلَ بن جَميل بن نَصْر بن صِمع القُرَشيُّ، كذا نقلَتُ نَسَبَه من خطِّه، تونُسيٌّ، نزَلَ مَرّاكُش، أبو حَفْص وأبو عليّ، ابنُ صِمع.

وهو سِبطُ المؤدِّب المشهورِ الفَضْل بتونُسَ أبي محفوظٍ مُحرِز[3] بن خَلَف بن يَربُوع التّميميِّ.

رَوى ببلدِه عن آباءِ حَفْص العُمَرَيْن: الأنبونيِّ وابن محمد بن عبد السيِّد الهاشِميّ وابن مَيْمونٍ الرَّبَعيِّ ابن الشّعريّة، وأبي ساكِن عامر بن محمد بن عامر

---

(١) محو في الأصل، ولعل الممحو قريب مما ذكرنا.

(٢) ترجمه ابن الأبار في المعجم في أصحاب الصدفي (٢٥١).

(٣) ترجمه القاضي عياض في ترتيب المدارك ٧/ ٢٦٤-٢٦٩ (طبعة الأوقاف المغربية)، وكتاب مناقبه مع مناقب الجنباني منشور في بارس ١٩٥٩م، وتوفي سنة ٤١٣هـ.

التّميميِّ واختَصّ به، وأبي الطاهر إسماعيلَ بن إبراهيمَ القُرَشيِّ ابن الـحَدّاد، وآباءِ عبد الله الـمُحمّدِين: ابن أحمدَ بن عُمرَ الأنصاريِّ وابن طاهِر وابن عثمانَ المؤدِّب ابن الأربسيّ، وأبي العبّاس أحمدَ بن عليّ بن عبد الـجَبّار الرَّسُوليّ ابن الـخَارِجيّ، وأبي القاسم عبدِ الرّحمن بن عُمرَ بن يسيني، وآباءِ محمد: عبدِ الله بن أبي القاسم، وعبد الحقِّ بن عذارٍ السُّلَميِّ، وعبد السيِّد بن محمد بن عبد السيِّد شقيقِ أبي حَفْص المذكور، وبمَرّاكُش وغيرِها: عن أبي بكر ابن الـجَدّ، وأبي جَعْفر بن مَضَاء، وأبي الـجَيْش مُجاهد، وآباءِ الـحَسَن: ابن عبد ربه الصِّقِلِّي وابن مؤمن وابن هشام الـجُذَاميِّ ونَجَبَة، وأبي زكريّا الـمَرْجِيقيّ، وآباءِ عبد الله: ابن حَـمِيد وابن زَرْقون وابن عَـمِيرةَ وابن الفَخّار، وأبي عبد المِلك مَرْوانَ بن عبد العزيز، وأبي العبّاس بن محمد النافِعيِّ، وآباءِ القاسم: ابن أيّوبَ بن تَـمّام المالَقيِّ وابن حُبَيْش والسُّهَيْليِّ، وآباءِ محمد: ابن عبد الله وابن عبد الرّحمن البَـكْريِّ وابن محمدٍ التادَليِّ وعبد الـمُنعم ابن الفَرَس، وأبي الوليد [....].

[رَوى عنه أبو] الـحَجّاج ابنُ الفَتْح، وأبو الـحَسَن بنُ أبي إسحاقَ بن عبد العزيز.... وأبوا عبد الله: ابنُ عبد الله بن عبد العزيز الـخَرُوف [وابن.... وأبو] العبّاس بن محمد بن عبد الله بن العَزّام، وأبو يعقوبَ ابن الزَّيّات.

وكان [مُنصرِفًا عن] الدُّنيا زاهدًا فيها عن تمكُّن منها، مُجانِبًا خُلطةَ أربابِها [مائلًا إلى التقشُّف مقرِّبًا] للصّالحينَ، متواضِعًا جاريًا على سَنَن السَّلَف الصّالح، راويةً للحديث، من [أهل الضَّبْطِ] والعدالة فيما يَنقُل، متحقِّقًا بالفقه، كتَبَ الكثيرَ على ضعفِ خطِّه، وصنَّف في شواذِّ المذهبِ المالكيِّ مجلَّدًا لطيفًا.

توفِّي بعدَ الزّوال يومَ الـجُمُعة لأربع بَقِين من جُـمادى الأولى سنةَ ثمانٍ وتسعينَ وخمس مئة، وصَلّى عليه أبو زكريّا الـمَرْجِيقيُّ[1]، ودُفن إثْرَ عصرِ يوم السّبت تالي يوم وفاتِه بمقبُرة تامَرّاكُشتَ داخلَ مَرّاكُش إزاءَ شيخِه أبي عبد الله ابن الفَخّار بوصيّةٍ منه بذلك.

---

(١) منسوب إلى حصن مرجيق، وهو من حصون شلب.

قال أبو الحَجّاج ابنُ الفَتْح: رأيتُه رحمه اللهُ تعالى، يعني أبا حَفْص ابنَ صمع، في النّوم بعدَ وفاتِه، فقلتُ له: أين سُكناك؟ فقال: في حارةِ التوفيق[1].

٢٦ـ عُمرُ[2] بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عُمرَ السُّلَميُّ، أغْماتيٌّ ـ أغماتَ وَريكة ـ فاسيُّ الأصل قديمًا، شُقْريُّه حديثًا وقديمًا، سَكنَ فاسَ كثيرًا وغيرَها أحيانًا؛ أبو حفص، ابنُ عمر.

حدَّث بالإجازة عن جَدِّه للأُمِّ أبي محمدٍ سِبطِ الحافظ أبي عُمرَ بن عبد البَرّ، وتفَقّه بأبيه، ولزِمَ في النّحوِ أبا بكر بنَ طاهر الخِدَبَّ واختَصَّ به كثيرًا، وأخَذ عن أبي عبد الله بن عليّ ابن الرَّمّامةِ طويلًا، ورَوى عن أبي مَرْوانَ بن مسَرّةَ، وأجازَ له أبو الطاهِر السِّلَفيُّ.

رَوى عنه أبَوا عبدِ الله: ابنُ أخيه أحمدُ بن عُمرَ السُّلَميّ وابنُ عبد الرّحمن التُّجِيبيُّ ـ وهو نظيرُه ـ وأبو بكر بن محمد بن عبد العزيز ابنُ أُختِ ابنِ صافٍ، وأبو جعفر بنُ فَرْقَد، وأبَوا الحَسَن: الدَّبّاجُ وابن عبدِ الصّمد ابن الجَنّان، وأبو الخَطّاب بن خليل، وأبو الرّبيع بن سالم، وآباءُ العبّاس: البَطْبَط وابنُ رأسِ غنمة والمَوْرُوريُّ وابن يَعْلَى بن شُكَيْل، وأبو مَرْوانَ الباجِيُّ.

وكان حَسَنَ الخَلق، بهيجَ المنظر، جميلَ الهيئة، متفنِّنًا، حافظًا للفقه، راويةً مُسنِدًا، رئيسًا من رُؤساءِ النُّحاة، قال أبو الحَسَن ابنُ خَروفٍ النَّحويُّ ـ وكان صديقًا له ـ: كنّا نَجتمعُ عندَ الأستاذِ أبي بكر بن طاهر ومعَنا أبو ذرّ بن أبي رُكَبٍ

---

(١) نقلت هذه الترجمة بالحرف في الإعلام للقاضي ابن إبراهيم المراكشي، ووردت إشارة إلى الفقيه أبي علي بن صمع في التشوف فجعل منها صاحب الإعلام ترجمة ثانية، وهما في الحقيقة شخص واحد. انظر الإعلام ١/ ٣٢٨ و٩/ ٢٧٣-٢٧٤.

(٢) ترجمه التجيبي في زاد المسافر ١٤٣، وابن الأبار في التكملة (٢٦٤٧)، وابن سعيد في الغصون اليانعة ٩١، وابن الزبير في صلة الصلة ٤/ الترجمة ١٣٩، والذهبي في المستملح (٦٣٥)، وتاريخ الإسلام ١٣/ ٨١، وابن القاضي في جذوة الاقتباس ٢/ ٤٩٦، والمقري في أزهار الرياض ٢/ ٣٦١، والمراكشي في الإعلام ٩/ ٣٧٥.

وغيرُه من جِلّة الطّلبة ونُبَهائهم، [فكان] أبو حَفْصٍ أحدَّنا ذهنًا وأصوَبَنا نظرًا وأسبقَنا [إلى الفَهْم والإجابة]، وكان أديبًا شاعرًا مطبوعًا، كاتبًا بارعًا، مُمتِعَ [المجلس فَكِهَ الـمُحاد]ثة، قديمَ النَّجابة جيِّدَ الـخَطّ، وغلَبَ عليه الأدبُ حتى عُرِف به.

[فمِن شعرِه] الـمُطرِب: قولُه [من الوافر]:

[هـمُ نَظَـروا] لواحظَهـا فهـاموا ... وتَـشرَبُ عقـلَ شـاربِها الـمُدامُ

[يَـخافُ] النـاسُ مُقلتَهـا سـواها ... أَيُـذعِرُ قلـبَ حامِلـهِ الـحُـسامُ؟

[سَـمَا] طَـرْفي إليهـا وهْـو بـاكٍ ... وتحـتَ الـشمس ينـسكبُ الغَـمامُ

وأبـصرُ قَـدَّها فـأنوحُ شـوقًا ... عـلى الأغـصانِ تَنتـدبُ الحـمامُ

وأعقَـبَ بَيْنُهـا في الـصَدرِ غـمًّا ... إذا غَربـتْ ذكـاءُ أتـى الظـلامُ

وخرَجَ في صِغَرِه معَ أبيه من مدينة فاسَ إلى لقاءِ أبي محمدٍ عبد المؤمن بن عليّ في بعض قَدماتِه عليها، فلقِيَا القاضيَ أبا يوسُفَ حَجّاجًا[1] فسَلّما عليه، فسأل القاضي أباه عنه قال: من الشابُّ؟ فقال أبوه: عبدُكم ابني، فسأله: هل قرأ شيئًا؟ فقال: نعم، ويَقرِضُ الشِّعر، فقال له القاضي أبو يوسُف: أَجِزْ ـ وكان ذلك عندَ الأصيل وقد بانَ تأثيرُ الشمس في وجهِ أبي حَفْص ـ [مخلع البسيط]:

* وَسَمَتْك الشمسُ يا عُمرُ *

فأجاز بديهة بقوله [من مخلع البسيط]:

سِـمةٌ لنـا فيهـا عِـبَرُ

عَرَفَـتْ قَـدْرَ الـذي صـنَعَتْ ... فأتَـتْ صـفراءَ تعتـذرُ

فاستَنْبَلَه القاضي وعَدَّ ذلك من مُستغرَباتِه.

---

(١) هو القاضي حجاج بن يوسف الهواري، قاضي الجماعة بمراكش وخطيبها، مترجم في تكملة ابن الأبار (٧٦٢).

وكان أبو العبّاس القورائيُّ ببَذائهِ المشهورِ عنه كثيرَ الاجتراءِ عليه والنَّيل منه، حتى انتَهى إلى أن قال مُعرِّضًا به [من الرمل]:

قَيْنــةٌ في فــاسَ تُــدعى عَمْــرةً ذاتُ حُــسنٍ ودلالٍ وخَفَــرْ
نَـصِفُ الــسنِّ ولكــن يُرتــجَى ردُّ مــا فــات بتــسويدِ الــشّعَرْ
قــلْ لهــا عنّــي إذا لاقيتَهــا قولــةً تَـترُكُ صَـدْعًا في الـحَجَرْ
هَبْــكِ كالخنــساءِ في أشــعارِها أو كلــيلى هــل تُــجارينَ الـذَّكَرْ
نَـبَغت عمـرةُ بنـتُ ابـنِ عُمـرْ هـذه ـ فاعتبــروا ـ أُمُّ العِبَــرْ

فكان أبو حفصٍ لسموِّ همّتِه وعلوِّ منصبِه يُعرِض عنه ترفّعًا عن مُقاولتِه، وأنفةً منَ الانحطاط إلى مُشافهتِه، وفي شأنِه معَه يقولُ أبو حفص [من المتقارب]:

نهــانيَ حِلمــي فــما أظلِــمُ وعــزَّ مكــاني فــما أُظلَــمُ
ولا بــدَّ مــن حاســدٍ قلبُــهُ بنــور مآثرِنــا مُظلِــمُ
رحِمــتُ حَـسُودي عــلى أنــهُ يعــذِّبُ فــيّ ثــم لا يــرحَمُ
بَغانــا الـحَسُودُ فلــسنا كــما يقــولُ ولكــن كــما يعلَــمُ

وبَلَغت هذه القطعةُ أبا العبّاس فقال: والله ما أعلمُ خبرَه، [وبَلَغَ قولُه] إلى أبي حفص فقال: ذلك ممّا يقول، أي: ليس مما يعلَم، ثم إنّ [أبا العبّاس رأى عند] أبي حفصٍ نُسخةً من «السِّيَر النبويّة» كانت ممّا صحَّحها أبو حفص [وأحسَنَ ضبطَها] وأتقَنَ تقييدَها، فاستَوْهَبَها منه فوَهَبَها له، فكان أبو العبّاس [بعدَها إذا جَرى] ذكْرُ أبي حفص يقولُ فيه: رَيْحانةُ القُضاة.

وكانت له سُرِّيّة، ثم أهدِيَتْ [إليه] وَصِيفةٌ تُعرَفُ أنها بنتُ تلك السُّرِّيّة، فكتَبَ إلى مُهدِيها إليه بعدَ صَرْفِها عليه [من الكامل]:

يــا مُهْـدِيَ الرشـإ الـذي ألحاظُـه تركَتْ فؤادي نصبَ تلك الأسهمِ
إنّ الغزالــةَ قــد عَلِمنــا قبلَهــا سرَّ الــمَهاةِ وليتَنــا لم نعلــمِ

ما عن قِلًى صُرفت إليكَ وإنّما ... صَيْدُ الغزالةِ لم يُبَحْ للمُحرِمِ

رَيْحانةٌ كلُّ المنَى في شمِّها ... لولا المهيمنُ واتقاءُ المَحرمِ

يا ويْحَ عنترةٍ يقول وشَفَّه ... ما شَفَّني جهرًا ولم يتكلمِ:

(يا شاةُ ما قنصٌ لمَن حلَّتْ لهُ ... حَرُمت عليّ وليتَها لم تَحرُمِ)

وكلامُ أبي حفص نظمًا ونثرًا في جميع الفنونِ مسبوكٌ مخلَّصٌ نبيلُ الأغراض، وله في معاني الزُّهدِ والمواعِظ وما نَحَا تلك المناحيَ قِطَعُ نظمٍ رائقة، وفصولُ نثرٍ فائقه، منها قولُه:

الدنيا، حَفِظَك الله، كما قد عَلِمت، فأعرِضْ بحِلمِكَ عن جهلِها، وارغَبْ بنفسِك عن أهلِها، واذكُرْ قبيحَ أنبائها، واصرِمْ حبالَ أبنائها، ولا ترتَعْ في رَوْضِهم، ولا تكرَعْ في حوضِهم، وقلِ: الله، ثم ذَرْهم في خَوْضِهم[1]، وإذا مرَرْتَ باللاغينَ في ذكْرِ محاسنِها، اللاهينَ بحُسن ظاهرِها عن قُبْح باطنِها، فالهُ عن لهوهم، ومُرَّ كريمًا بلغوهم، مَرَّ المهتدي في سَيْرِه، وأعرِضْ عنهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيرِه[2]، فالسِّيادةُ والسّعادةُ في نَبْذِها، لا في أخذِها، وفي تَرْكِها، لا في دَرْكِها، فإليكَ عن وَصْلِها إليك، وعليكَ بهَجْرِها عليك، واتلُ قولَه تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [طه: ١٣١]، وقولَه تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨]، واحرِصْ أن تكونَ منهم، [فزُخرُفُ الدُّنيا في نَظَر] العينِ زَيْن، وفي نظرِ العقل شَيْن؛ فغمِّضْ عينَيكَ تبصِرْ، [ولا تَمُدَّهما وأقصِرْ]، جعَلَنا اللهُ ممن نظَرَ بقلبه، وأبصَرَ بلُبِّه، فأولو الألبابِ والفِكَر، [هم] المخصُوصونَ بالذِّكْر في الذِّكَر، والعلمُ أرفَعُ المزايا، وأوسعُ العطايا، [وهو غايةُ المنالِ والمَدْرَك]، مَن نالَه أيُّ شيءٍ فاته؟! ومن فاتَهُ أيَّ شيءٍ أدرك؟ [ولا علمَ إلا علمُ] الكتابِ والسُّنة، هما أفضلُ العطايا والمِنّة، فمَن عَلِمَهما ونظَرَ فيهما [وعَمِل بهما]، نال غايةَ السعادة، وأدرَكَ منتهَى السِّيادة، قال اللهُ

---

(١) اقتباس من الآية ٩١ من سورة الأنعام: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

(٢) اقتباس من الآية ٦٨ من سورة الأنعام: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾.

تعالى لنبيِّه الكريم: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، هذه المزايا العالية، والعطايا الواسعةُ الباقية، [لا ما نَـهَتْ عنه الآيةُ الثانية]، جعلَنا اللهُ مـمّن أبصَرَ رُشدَه، وذكَرَ مرَدَّه، ووجَّه إليه قصْدَه، ورأى في أولِ أمرِه آخرَه، وابتغَى فيما آتاه اللهُ الدارَ الآخرةَ، بمنِّه وفضلِه.

وأتْبَعَ هذا النثرَ هذه القطعةَ الشِّينية، وقد سَمَّطَها القاضي أبو أُميّةَ بن عُفَيْر، وذلك مـمّا أنشَدتُه على شيخِنا ابنِه أبي الوليد بن أُميّـةَ عنه، وهذا سَرْدُها أصلًا وتسميطًا [من مخلع البسيط]:

بـــاعَ هــــداهُ بغـــير ثُنيـــا ... مَيِّـــتُ جَهْـــلٍ مُنـــاهُ أحيـــا

خِبْــتَ لعَمْــرُ النّجـاح سَـعْيا ... يـــا راكـــضًا في طِـــلابِ دُنيـــا

لـيسَ لــمَن تـصرع انتعـاشُ

أمَـــا تَـــرى رامـــيَ الـــحِمامِ ... أغراضُـــهُ أنفُـــسُ الأنـــامِ

عرَّضـــتَ جنْبَيْـــك للـــسِّهامِ ... تـــنحَّ يـــا عُرضـــةً لـــرامِ

أســـهُمُه بـــالردى تُـــراشُ

يـــا لاهيًـــا أغفَـــلَ الـــمَآلا ... يـــسحَبُ أذيالَـــهُ اختيـــالا

في شَـــأْوِ عِـــصيانِهِ ضـــلالا ... أعـــذَرُ منـــك الفَـــراشُ حـــالا

عِلِمـــتَ مـــا يجهَـــلُ الفَـــراشُ

قَـــدَحتَ زَنْـــدَ الهـــوى سَـــفاها ... دارٌ تورطـــــتَ في هواهـــــا

أنـــتَ بـــما صَـــدَّتْ مَـــن حَباهـــا ... تَـــحُشُّ(١) نـــارًا هـــوَت لظاهـــا

بمـــن لـــه حولَـــها انحيـــاشُ

مَنَّـــتْكَ دُنيـــاك وهْـــي مَـــيْنُ ... [..........................](٢)

(١) حش النار: أطعمها الحطب.

(٢) شطر لا يقرأ.

فهمُّـــك التِّـــبرُ واللُّجَـــيْنُ تطلُبُهـــا لا تنـــامُ عـــينُ

عنهـــا ولا يـــستقرُّ جـــاشُ

مهـــما ثَـــنَى عَزْمَـــك ارتجـــاعُ دنيـــاكَ فاحـــذَرْ [هـــا شَـــعاعُ]

كـــم أَمَّهـــا معـــشَرٌ فـــضاعوا دعهـــا فطُلّابُهـــا رَعـــاعُ

طاشـــت بألبابِـــهمْ فطاشـــوا

دُنيـــاكَ هـــذي لهـــا رُواءُ وتحتَـــــه إن بحثـــــتَ داءُ

مـــا لأمانيِّهـــا انتهـــاءُ كـــأنّ آمالَهـــا ظِبَـــاءُ

ونحـــن مـــن حَـــيْرةٍ خِـــراشُ[1]

وصِـــلْ صـــلاةً بفـــضلِ صـــومِ واجهَـــدْ ولا تـــنسَ رَوْعَ يـــومِ

يَـــشِيبُ مـــن هَوْلِـــهِ ابـــنُ يـــومِ واظمَـــأْ لـــتُرْوَى وكـــن كقـــومِ

مـــاتوا بهـــا عفّـــةً فعاشـــوا

شِـــبتَ ومـــا زلـــتَ عـــن شـــبابِ تفـــتحُ للّهـــوِ كـــلَّ بـــابِ

ظمـــآنَ مـــا عـــشتَ للكَعـــابِ مَـــن لـــك بـــالرِّيِّ مـــن شرابِ

تـــشتدُّ مـــن شُربِـــه العِطـــاشُ

في ذمّـــــــةِ الله أوليــــــاءُ لـــيس عـــلى فَـــضْلِهمْ غطـــاءُ

هـــــاموا فـــــدُنياهمُ وراءُ لم يَردوهـــــا فهـــــمْ رِواءُ

ووارِدوهـــا هـــم العِطـــاشُ

---

(١) يشير إلى قول الشاعر:

تكاثرت الظبـاء عـلى خـراش فـما يـدري خـراش مـا يـصيد

وَطِــئَ كــلَّ الثــرى بِــساطا   واذكُــر الحــشرَ والــصِّراطا
يـــا قاطعًـــا دهـــرَه نــشاطا   إنّ لأيامِنـــــا[1] انبــــساطا
بـــه لأعمارِنـــا انكـــماشُ
أرواحُ هـــذا الـــورى طيـــورُ   حـــولَ حِيـــاض الـــرَّدى تَـــدورُ
وإنـــما وِردُهـــا القبـــورُ   كـــأنّ آجالَنـــا صـــقورُ
ونحـــن مـــن تحتِهـــا خُـــشاشُ

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: سقَطَ لأبي أُميّـةَ من هذه القطعة بيتٌ لم يُسمِّطْه، ولعله لم يقَعْ له، وهو قولُه:

[.....................] ذَنُوبًـــا   لهـــا بمــــسطورِك انتقـــاشُ

بعدَ قولِه:

وواردوها هم العطاشُ

وقد نظمتُ تسميطَه فقلتُ[2].

[وله خُطبة] في الحضِّ على التمسُّكِ بالكتابِ والسُّنة وتجنُّب الفلسفةِ وعلوم القدماء[3]:

الحمدُ لله، وسلامٌ على عبادِه الذين اصطَفَى، عبادَ الله، [الدِّينُ] النَّصيحة، [فخُذوها] مَـحْضةً صريحة، هُدى الله هو الـهُدى، ومن اتَّبع رسُلَ الله اهتدَى، فإيّاكم والقُدَماءَ وما أحدَثوا، فإنّهم عن عقولِـهم حدَّثوا، أَتَوْا من الافتراءِ بكلِّ أُعجوبة، وقلوبُهم عن الأسرارِ محجوبة، الأنبياءُ ونورُهم، لا الأغبياءُ وغُرورُهم، عنهم يُتلقَّى وبهم يُدرَكُ السُّول، عالـمُ الغَيْب فلا يُظهرُ على غيبِه أحدًا إلا من ارتضَى من رسُول، الدِّينُ عندَ الله الإسلام، والعلمُ كتابُ الله وسُنّةَ محمدٍ عليه السلام، ما ضَرَّ من وقَفَ عندَهما، ما جهِلَ بعدَهما، خيرُ نبيٍّ في خير أُمّة، يُزكِّيهم

(١) كذا في الأصل، وفي أزهار الرياض، «لا تأمنن بها».
(٢) بعد هذا بياض في الأصل.
(٣) توجد هذه الخطبة أيضًا في رحلة العبدري: ١٣١ (تحقيق محمد الفاسي).

ويُعلِّمُهمُ الكتابَ والحِكمة، رضيَ اللهُ عنهم، إذْ بعَثَ فيهم رسولًا منهم، وأذِن بحبِّهم وقُربِهم، فآمَنوا بما نزَلَ على محمدٍ وهو الحقُّ من ربِّهم، دَلَّـهم من قربٍ عليه، واختصَر لهم الطريقَ إليه، وأراهُم ما يُقرِّبُهم منه، وحجَبَهم عمّا يَحجُبُهم عنه، فما ضَرَّ تلك النفوسَ الكريمة، والقلوبَ السليمة، والألبابَ العليمة، ما زُوي عنها من العلوم القديمة، نَقّاهم من الأوضارِ والأدناس، وقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فالمطلوبُ ما به فَضَلوا، وماذا علِموا وبه عَمِلوا، والقصدُ الذي به وَصَلوا؛ يُتلقّى خيرُه، ويُتوقّى غيرُه، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]، مَن أُريدَ بذلك ومَن عُنِي؛ كتابُهم أعظمُ كتابٍ أُنزِل، ونبيُّهم أكرمُ نبيٍّ أُرسِل؛ سيِّدُ الأنام، لبِنةُ التّمام، خيرُ البريّةِ على الإطلاق، بُعِث ليُتمِّمَ مكارمَ الأخلاق، فكان للأنبياءِ خاتمًا، ولكافّةِ الناسِ هاديًا وعليهم حاكمًا؛ أنزَلَ الكتابَ بالحقِّ إليه، مُصدِّقًا لِـما بينَ يدَيْه من الكتابِ ومُهيمِنًا عليه، هو الشّفاءُ والرحمة، وفيه العِلْمُ كلُّه والحِكمة، معجِزٌ في رَصْفِه، عزيزٌ في وَصْفِه، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢]، حُجّتُه باهرةٌ قائمة، ومعجزتُه باقيةٌ دائمة، إذْ هي للنبوّةِ والرسالةِ خاتمة، به تُحكَمُ الدنيا [القائمة]، لا تَنقَضي عجائبُه، ولا تنتهي غرائبُه، ماذا أقول، وقد بَـهَرَ العقول، [حَسْبي حَسْبي]، ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩][1] [من السريع]:

هــذا كــلامٌ للهُـــدى جــامعُ	فاصْـــغِ إليـــه أيهـــا الـــسامعُ
الـشَّرعُ للعقـلِ هـدى مـن يَـصِلْ	بيـــنَهما برهانُـــهُ قـــا[طـــعُ]
الـــشرعُ للعقـــلِ بـــلا مِرْيـــةٍ	كالـــشمس للعـــينِ ســـنًا طـــالعُ
الـــشّرعُ متبـــوعٌ بـــه يَهتـــدي	مـــن ضَـــلَّ والعقـــلُ لـــه تـــابعُ
لا يَهتـــدي العاقـــلُ في قـــصدِهِ	إلا بـــما سَـــنَّ لـــه الـــشارعُ

---

(١) هذه الخطبة مرصعة بآي من القرآن الكريم وهي غير خافية.

هـــذا كتـــابُ الله يَهْـــدي الـــوَرى لكـــلِّ عِلْـــم نـــورُه الـــساطعُ
معرفـــــــــةُ الله وآياتِـــــــــهِ ومَـــنْهجِ الرُّسْـــل [فـــما الرابـــعُ]
والعلـــــمُ والحكمـــــةُ في طيِّـــــهِ أجْمَـــعَ وهْـــو الـــمُعجِزُ الـــصادعُ
وهـــــو مـــــن الله فـــــما فوقَـــــهُ هـــــــادٍ إلى الله ولا شـــــــافعُ

جعَلَه اللهُ فينا شافعًا، وعنّا دافعًا، ولنا هاديًا نافعًا، ولدرجتِنا بالإيمانِ به وبما تضمَّنَه رافعًا، وآتانا فيه فهمًا، وبآياتِه علمًا، وجعَلَنا ممّن انجَلى بنورِه عن قلبِه رَيْنُه، ورأى أنه شَرَفُه وزَيْنُه، واستغنَى به ولم تمتدَّ عينُه، بمنِّه وكرَمِه.

وصُرِف أبو محمد بنُ محمد بن عيسى التادَليُّ[1] عن قضاءِ فاسَ فكتَبَ إليه أبو حَفْص يهنِّئُه بانعزالِه عن خُطّةِ القضاء ويَشْكو تنشُّبَ نفسِه فيها: وَصَلَ إلينا فلانٌ فاستقبَلْنا منه أثَرَ لقائكم، ومشاهدةَ علائكم، يَنشُرُ بِشرًا، ويَعبَقُ نشرًا، فحدَّثني بارقُهُ عن ذلك الغَمام الصيِّب، وذكَّرني بيتَ أبي الطيِّب [من الطويل]:

وأَلقَى الفمَ الـضَّحّاكَ أعلـمُ أنـهُ قريبٌ بذي الكفِّ الـمُفدَّاةِ عهـدُهُ[2]

---

(١) ترجمته في التكملة (٢٢٠٦)، وجذوة الاقتباس رقم (١١٤)، ونيل الابتهاج (١٣٧)، ودرة الحجال (٩٥٤) وفيها غلط في التاريخ. وكان أبوه مشاورًا بفاس أيام المرابطين وولي هو القضاء في بسطة وفاس سنة ٥٧٩هـ عزل وغرب إلى مكناسة لعدله حيث توفي سنة ٥٩٧هـ وفي أعلام مالقة (ص١٧٩) أن التادلي وولد القاضي عياض «كان قد أصابهما بعض اعتقال فباتا ليلة وصنع كل واحد منهما بيتين توافقا في معناهما، فأنشد التادلي لنفسه:

اصـــبر إذا مـــا أردت أمـــرًا فالـصبر مفتـاح كـل نجـح
والهـــم ليـــل وكـــل ليـــل لا بـــد أن يـــنجلي بـــصبح

وأنشد القاضي أبو محمد ولد عياض لنفسه:

من حيث يغلق باب أمر يفتح والله أعلـم بالـذي هـو أنجـح
لا تيأســن مــن الظـلام لليلـة طالت عليك فكل ليل يصبح»

(٢) من قصيدة المتنبي في مدح كافور التي مطلعها:

أود مــن الأيــام مــا لا تــوده وأشكو إليها بيننا وهـي جنـده

وقد كُتِبَ البيت في درج الكلام على أنه نثر.

وهو يمُدُّ أطنابَ الشُّكرِ والثناء، معَ الساعاتِ والآناء، وإن قَصُر فيها ذَكَر، وحَجَب، عما يجب، فأعلى منه عن ذلك قاصِر، ولو أنّ سَحْبان له ناصِر، ولكنه قال على قَدْرِه، فخَلَّى عن عُذرِه [من البسيط]:

* والنّملُ يُعذَرُ في القَدْرِ الذي حَـمَلا[1] *

ووليُّكمُ المخلِص في ودِّكم، المُثني على مجدِكم، مسرورٌ لكم بمحَلِّكم الـمَحُوط، وجلالِكم المغبوط، فرَغْتُم لشأنِكم، والعملِ مُهلةَ إمكانِكم، ونَقّاكمُ اللهُ من دنَس الـخُطّة، ووَضَعَ عنكم إصْرَها وحَطَّه، ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ [البقرة: ٥٨]، فالنازلُ عنها هو العالي، والعاطلُ [منها هو الحالي، والـمُتْلوُّ] فيها هو التالي، والمعزولُ عنها هو الوالي، فمَن نَظَرَ بعينِ [الحقيقة، سلَكَ] الطريقة، التي أنتم لها أسلَك، وبها أملَك. أوزَعَكمُ اللهُ شُكرَ [نِعَمِه السَّرمَديّة؟]، وجَعَلَها لكم مطيّةَ بلاغ، إلى السعادةِ الأبديّة، فنِعمَ البلاغ، [ورزَقَـكم] البصيرةَ النيِّرة، [وهي] أبعدُ في النظرِ والإدراك، وبوّأكم بصالح الدُّعاءِ [السِّماك، ومـحَلُّ ا]بْنِكم يشكو إليكم خَسَاسةَ حالِه، وخسارةَ انتحالِه، وغَفْلتَه عن شِرعةِ [الحقّ، وسكرتَه حتى تأخَّر وسبَقَ من سبَق]، ورَكِبَ الهوى فمال به العَبِيط، [ولم يَعِظْهُ] فِراقُ الأحبّةِ والـخَليط. وشُغِلَ بالدّنيا عن الشان، وصاحبُها أخسَرُ صفقةً من أبي غَبْشان[2]، ولو طالت بَصيرتُه القصيرة، ونالت مداركَ أُولي البصيرة، لشَغلتْه خُوَيصّةُ نفسِه عن العموم، ونَظَرَ إلى عقلِه وهواه فرَدَّ إلى الحاكم المحكوم، وأعدى على الظالمِ المظلوم، وبدَأ بنفسِه فنَهاها عن غَيِّها، وشَفَاها من عيِّها، وطَوى ما

---

(١) شطر بيت لأبي نصر العتبي، وأول الشعر:

الله يعلـم أني لـست ذا بخـل	ولست ملتمسًا في البخل لي عللا
لكـن طاقـة مـثلي غـير خافيـة	والنمل يعذر في القدر الذي حملا

انظر التمثيل والمحاضرة للثعالبي ص١٧٦.

(٢) هذا مثل مشهور، وأبو غبشان من خزاعة اشترى منه قصي مفاتيح الكعبة بزق خمر. وقصة المثل وما قيل فيه من شعر في كتب الأمثال.

انتشَرَ من أمانيِّها، فانتشارُ الرحمة في طيِّها، فخُصُّوه بخواصِّ دَعَواتِكم في صَلَواتِكم، ومظانِّ القَبُول من خَلَواتِكم، فنِعمَتِ الهديّةُ دعاءُ المؤمن لأخيه، ونِعمَ الذُّخرُ لمن يُواخيه، جعَلَنا اللهُ ممّن تَراءى من وراءِ الغيب، القلوبَ الناصحةَ الـحُبّ، السالمةَ من رِيبةِ الرَّيْب، وجعَلَنا ممّن تحابَّ فيه، حتى تجبَ لنا محبّتُه فيمن يَصطفيه، وجَلا بنورِ الهدى، ما رانَ على قلوبِنا من الصَّدى، حتى ينجابَ عنها حِجابُ الشّهَوات، وغطاءُ الشُّبُهات، فتظهَرَ فيها صورةُ الحقائق غيرَ مُشتبِهات، وأسعَدَنا بتوفيقِه، بمنِّه ورحمتِه.

ومحاسنُه أجلُّ من أن تُؤثَرَ بلسان، وتُسطَرَ في ديوان، ولولا خَوْفُ الإطالة والخروجِ عن قَصْدِ الكتاب لاجتَلَبْنا منها ما يَبهَرُ العقول، ويفضَحُ الـمَرْويَّ عن غيرِه والمنقول.

واستُقضيَ بفاسَ وهو ابنُ نحوِ عشرينَ سنةً، عَقِبَ وفاةِ أبيه، ثم بتلمسين، ثم أعيدَ قاضيًا إلى فاسَ، واستُقضيَ بأغماتِ وَريكةَ مرّتَيْن[١] وبإشبيليَةَ[٢] كذلك، صُرِف في أُولاهُما بأبي محمد بن حَوْطِ الله.

وكان مشكورَ السِّيرة مشهورَ النزاهةِ والعدالة نبيهَ البَيْتة، كريمَ الطِّباع أنقى لا يلبَسُ إلّا البياض، ولا يركَبُ إلا الـحُجور[٣] الناصعةَ البياض فكان يتلألأُ نورًا على نور.

قال أبو عبد الله التُّجِيبيُّ: كان حسَنَ الـخَلْق والـخُلُق فصيحَ الـخَطابةِ والكتابة، وكنتُ إذا رأيتُه تمثَّلتُ عند رؤيتِه بما أنشَدَ شيخُنا الحافظ السِّلَفيُّ لبعض شيوخِه في هادي بن إسماعيل [من الطويل]:

لهادي بن إسماعيلَ خاءاتُ أربعٌ بهنّ غدا [مستوجِبًا للإمامةِ]:

(١) انظر خبرًا يتعلق به أيام قضائه في أغمات في التشوف: ٢٠٧.

(٢) انظر خبرًا يتعلق به أيام استقضائه بإشبيلية في السفر الأول (الترجمة ٣٨٨).

(٣) الحجور: جمع حجر وهي الرمكة (أي البغلة).

خِطابُ ابنِ عَبّاد، وخَطُّ ابنِ مُقلـةٍ وخَلْقُ ابن[يعقوبٍ، وخُلْقُ ابنِ مامـةٍ][1]

وفي صَرْفِه عن قضاءِ إشبيلِيَةَ يقولُ أبو أُميّةَ بن عُفَيْر يمدَحُه [من البسيط]:

سَلْ عارضَ البرقِ إن لم تسألِ السُّحُبا واستنشقِ الرِّيحَ منّي [حيث هبَّت صَبا]

كيف اعتَسفتُ الدجى فـذا يُعـانقُني كـسلانَ إن نبَّهتُـه [صـيحةٌ وَثَبـا]

تَلقـاهُ أخـرسَ مـا لم تُـمـضِهِ فـإذا أمضَيْتَ حدَّيه في هام العِدا [خَطَبـا]

تَـسري بـه وبي الوجنـاءُ في ظُلَـمٍ أوقدتُ منه ومن عَزْمي بهـا لَـهَبا

حتـى تبـسَّمتِ الآمـالُ عـن قمـرٍ تمنَّت الشمسُ لـو تُنمَـى لـه نـسَبا

لـمّا أضـاء سَـناهُ في بنـي عُمـرٍ قال الزمـانُ لهـم: دُوروا بـه شُـهُبا

إنْ حَـلَّ نـاديَ فخـرٍ راق منظـرُهُ بشرًا وهزَّته أنفـاسُ النـدى طَرَبـا

لا تُنكِروا البِـشرَ مـن ناديـهِ إنّ بـهِ علـمًا وحِلـمًا وإيمانًـا فـلا عَجَبـا

أذكـى الأنـام وأسـماهُم لـمَعْلوةٍ إن طالَعوا أدبًـا أو نـاظَروا حَـسَبا

لو أنّ للنـاس أخلاقًـا تـصاغُ لهـمْ مـن فـضّةٍ لغَـدَتْ أخلاقُـه ذهبـا

لم يَسحَبِ العُجبَ من أخلاقِ بُردتِه لكنْ ذيولَ المعـالي والتُّقـى سَـحَبا

أعطَتْ سُلَيْمُ رِهانَ المكرُمـاتِ لـهُ لمـا رأَتْ أنهـا تـسمو بـه العَرَبـا

يا وارثَ المجدِ كم تُغرَى بمكـسَبِهِ قد أثقلتْـكَ العُـلا إرثًـا ومكتـسَبا

هذي سَجَاياك وقد وافَتْ على مَهَلٍ في غُرّة الشأْوِ دَعْ شـانيكَ والـذّنَبا

ما أخَّروك عن الأحكـام إذْ فَعَلـوا إلا ليُلفِـيَ حِينًـا عزمُـكَ التعبـا

لئن أسـمت القـضايا بُرهـةً فلقـد رعَى نُهاك النّدى والـدِّينَ والأدبـا

(1) أزهار الرياض ٢/ ٣٧٢ ومنه أكملنا محل المحو في الأصل. وفيه: خلات، ولعل الأنسب خاءات كما في الأصل، والإشارة إلى الصاحب ابن عباد وابن مُقلة الوزير الخطاط ونبي الله يوسف وكعب بن مامة.

حسبُ المكارم أن تبقى لها أبدًا وحَسْبُ حِمصٍ بأن تبني لها الرُّتَبا

أصبحتَ نُورًا لأهليها يـرَوْنَ بـهِ طُرْقَ العُلا وضُحى أعلامِها اللَّحِبا

ونُبتَ عنهمْ منابَ الفضلِ إذ عجَزَتْ نفْسُ الحَسُودِ وأجرى طَرْفَهُ فكَبا

وبقِيَ ابنُ حَوْطِ الله قاضيًا بإشبيلِيَةَ نحوَ العام، ثم صُرِف بأبي حَفْص واستمرَّت ولايتُه القضاءَ إلى أن توفِّي بإشبيلِيَةَ من عِلّة طاولَتْه، نفعَه اللهُ بها، لثلاثَ عشْرةَ [من جُمادى الآخِرة عامَ] ثلاثةٍ وست مئة، وقال أبو الرّبيع بنُ سالم: توفِّي [بإشبيلِيَةَ فُجاءةً في الخامس من ربيع] الأوّل سنةَ ثلاثٍ وست مئة، وقال ابن فَرْقَد: توفِّي سنةَ [اثنتينِ وست مئة]، وبعدَه استُقضيَ أبو عبد الله الباجِيُّ. ومَوْلدُه بأغمات [في حدودِ الثلاثينَ] وخمس مئة، وغَلِطَ ابنُ فَرْقَد فجعلَه سنةَ خمسٍ وثلاثين، ونقَلَه عنهُ [ابنُ الأبّار وخَطَّأه بأنّ] إجازةَ جَدِّه إياه صحيحة، وكانت وفاتُه في صَفَرِ ثلاثٍ [وثلاثينَ وخمس مئة]، ولعلّه وُلدَ سنةَ خمس وعشرينَ، فجَرى الغَلَطُ على ابن فَرْقَد فجَعَلَ [الثلاثينَ عِوَضَ] العشرين، [أو] وُلدَ سنةَ إحدى أو اثنتينِ وثلاثينَ فجَعَلَ الخمسَ عِوَضَ إحداهما كما جَرَى عليه الغَلَطُ في تاريخ وفاتِه، واللهُ أعلم.

٢٧ـ عُمرُ[١] بن عبد الحقِّ بن إبراهيمَ بن عبد الله بن وَهْب الصُّنْهاجِيُّ، مَرّاكُشِيٌّ، أبو حفص.

رَوى عن أبيه، وله إجازةٌ من أبي القاسم محمدِ بن هشام بن أبي جَـمْرةَ، وأبي الوليد ابن رُشْدٍ الكبير.

٢٨ـ عُمرُ[٢] بن عبد السيِّد القُرَشيُّ الهاشِميُّ، تونُسيٌّ، أبو حفص.

رَوى عن أبي عبد الله المازَريّ.

---

(١) ستأتي ترجمة لأخيه أبي عبد الله محمد، وبينهما تشابه، ولم نقف على ترجمة والده عبد الحق بن إبراهيم.

(٢) ترجمته في التكملة (٢٦٤٥)، وانظر في بني عبد السيد رحلة التجاني: ٣٤٥ وتاريخ الدولتين: ٦٨-٦٩.

رَوى عنه ابنُه أبو إسحاقَ إبراهيمُ، وأبو ذَرّ بن أبي رُكَب. ودَخَلَ الأندَلُس[1] ومن إشبيلِيَةَ استُقضيَ على بلدِه تونُسَ فانصرَفَ إليه، ولم يَستكمِلِ العامَ في ولايتِه.

وتوفِّي سنةَ اثنتينِ أو ثلاثٍ وسبعينَ وخمس مئة.

٢٩ـ عُمرُ[2] بن عُثمانَ بن محمد بن أحمدَ الفارِسيُّ الغُزِّيُّ الباخَرْزيُّ، خُراسانيٌّ مالينيٌّ، أبو بكر، شمسُ الدِّين، طَنّة[3].

رَوى عن رضيِّ الدِّين أحمدَ بن إسماعيلَ بن يوسُفَ الطالْقانيِّ القَزْوينيِّ، وشَرَفِ الدِّين أبي يعقوبَ يوسُفَ بن أبي حفصٍ عُمرَ بن أحمدَ الـخَطِيبيّ الخالديِّ الزَّنْجانيِّ.

وقَدِمَ الأندَلُسَ عامَ ست مئة، ودخَلَ مالَقَةَ وغَرناطةَ وغيرَهما، فرَوى عنهُ أبو جعفرٍ ابنُ الـجَيّار، وأبو عليّ بن هشام، وأبو القاسم الـمَلّاحيُّ؛ وحدَّث عنه بالإجازة أبو القاسم ابنُ الطَّيْلَسان. وكان من خِيَار الناس وفُضَلائهم، صحيحَ السَّماع ثقةً فيما يَرويه.

مَولدُه ليلةَ الأربعاء الثامنةَ والعشرينَ من ربيعٍ الأوّل سنةَ ستينَ وخمس مئة.

---

(١) كان دخوله في وفد أهل القيروان وفقهاء مدينة تونس وإفريقية لتهنئة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بغزوته الأولى في الأندلس، وذكر ابن صاحب الصلاة أن الخليفة رحب بهم وأنزلهم وأكرمهم حتى انصرفوا إلى مواضعهم مسرورين ويبدو أنه في هذه المناسبة عين الخليفة أبو يعقوب ابنَ عبد السيد قاضيًا على بلده تونس. قال ابن صاحب الصلاة: وكان الفقيه أبو بكر ابن الجد يثني على عمر بن السيد ويقول عنه: إنه فقيه القيروان. المن بالإمامة: ٥١٧ تحقيق عبد الهادي التازي، والبيان المغرب ٣/ ٩٨.

(٢) ترجمه ابن خميس في أدباء مالقة (١٤١)، وابن الأبار في التكملة (٢٦٤٦)، وابن الزبير في صلة الصلة ٤/ الترجمة ١٤٠، والذهبي في المستملح (٦٣٤)، والمقري في نفح الطيب ٣/ ٦٥، وهو منسوب إلى «الغُز» الطائفة من الترك.

(٣) هذا لقبه، كما صَرّح بذلك ابن خميس في أدباء مالقة.

٣٠ـ عُمرُ[١] بن محمد بن أحمدَ بن محمد بن مُطرِّف بن سَعِيد التُّجِيبيُّ، كذا وقَفْتُ على نَسَبِه بخطِّه في غيرِ موضع؛ فاسيٌّ، أبو حَفْصٍ وأبو الـخَطّاب البَيْراقيُّ[٢].

رَوى ـ بزَعْمِه قراءةً وسَماعًا وإجازةً، ونقَلتُه من خطِّه ـ عن آباءِ عبد الله: ابني الأحمَدَيْن: أبيه، والقُبَاعيِّ، وابن إبراهيمَ ابن الفَخّار، وابن عبد الله بن خليل، وابن عليّ ابن الرَّمّامة، وابن يَبْقَى الغَسّانيّ؛ وأبوَيْ بكر: ابن الـجَدّ، وابن خَيْر، وأبي الفَضْل بن عِيَاض، وأبي القاسم بن حُبَيْش، [وآباءِ محمد: ابن....] وابن عُمَر السُّلَميِّ، وابن السَّكّاك، وابن الصّائغ، وآباءِ الـحَسَن: [ابن.... وابن] الـحُسَين اللَّوَاتيِّ، وابن يوسُفَ ابن الـمَلْجوم، وأبي مَرْوانَ [بن مسَرّة، وآباءِ عبد الله: ابن....] وابن الرَّمّامة، وابن الفَخّار واللَّوَاتيّ، والـحَجريِّ.

وذَكَرَ [أنه أجازَ لهُ ولم] يلقَهُ من أهل الأندَلس: أبو الـحَسَن صالحُ بن عبد الملِك [بن سَعِيد الأوْسيُّ المالَقيُّ]، وأبوا محمد: ابنُ أحمَدَ بن مَوْجُوال، وعبد الحقِّ ابنُ الـخَرّاط؛ ومن أهل [المشرِق: أبو العبَّاس] أحمدُ بن طارق بن سِنَان، وآباءُ الطاهر: أحمدُ السِّلَفيُّ، والإسماعيلانِ: [الدِّيباجِيُّ وابنُ] عَوْف، وأبو سعيدٍ محمدُ بن عبد الرحمن الـمَسْعوديُّ، وأبو القاسم محمودُ بن محمد بن الـحَسَن القَزْوينيُّ، وأبو الفَضْل محمدُ بن يوسُف بن عليّ الغَزْنَويُّ، ويحيى بن عبد الـمُهيمِـن بن الـحَسَن بن ملتى؛ وآباءُ مـحمد: عبدُ الله بن أبي الفَضْـل

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٢٦٣٧). وقد تقدم في السفر الخامس نقلًا من ترجمة ابن الأبار، وقال هناك: «ذكره ابن الأبار ولم يزد، وهو ابن البيراقي، فاسي، وسيأتي ذكره في الغرباء إن شاء الله» (٥/ الترجمة ٧٩٧)، ولأبيه ترجمة مختصرة في التكملة (١٣١٦)، ثم أعاده مختصرًا في (١٤٨٨)، وينظر تعليق الدكتور بشار على ترجمته في الموضعين.

(٢) في الأصل: «السيرافي»، وفوقها ضبة، وتحرفت في جذوة الاقتباس إلى «البيراني»، وقد ضبطها المؤلف في ترجمة والد المذكور هنا فقال: البيراقي ـ بفتح الباء وإسكان الياء المسفولة وراء وألف وقاف منسوبًا ـ.

عبد الرحمن الدِّيباجِيُّ، وعبدُ الغنيِّ بن عبد الواحِد بن عليّ بن سُرور بن رافع الـمَقْدِسيُّ، وعليُّ بن إبراهيمَ بن محمد بن يحيى بن غنائمَ الأنصاريُّ، [وتَقِيّـةُ[1] بنتُ غَيْث بن عليّ] بن عبد السّلام الأرمنازيِّ، وفاطمةُ ابنةُ سَعْدِ الـخَيْر بن محمد بن سَهْل الأنصاريِّ؛ نقَلتُهم كلَّهم من خطِّه.

وكان محدِّثًا تأريخيًّا ذاكِرًا أحوالَ الرّجال، عارفًا بتطريق الأسانيد، شديدَ العنايةِ بشأن الرِّواية، مُواظِبًا على التقييد، جيِّدَ الـخَطّ، كتَبَ الكثيرَ وأتقَنَه.

وكان كذّابًا خبيثًا، مُزوِّرًا خُطوطَ الشّيوخ لنفسِه ولأبيه، ولغيرِهما[2]، وقَفْتُ له من ذلك على فضائحَ، نسألُ الله العِصمةَ من مُواقعةِ أمثالِـها؛ وقد تقَدَّم في رَسْم أبي عليّ بن عَتِيق بن مؤمن أنه مـمّن لا تُرضَى حالُه[3]، ومعَ ذلك فليس من شَرْطِ كتابي هذا، فإنّي لا أقطعُ بدخولِه الأندَلُسَ وإن كان قد ذَكَرَه ابنُ الأبّارِ في الأندَلُسيِّينَ ذكْرَ مَن لم يعرِفْه فقال[4]: عُمرُ بن محمد بن أحمدَ بن [محمد بن] مُطَرِّفِ بن سَعِيد التُّجيبيُّ، أندَلُسيٌّ، يُكنَى أبا عليّ. يَروي عن أبيه، وأبي مَرْوانَ بن مسرّةَ، وأبي عبدِ الله بن عليّ القَيْسيِّ، وأبي القاسم ابن بَشْكُوال، كلُّهم عن أبي محمد بن عَتّاب. هذا ما ذكَرَه به، وهو كما تَراهُ معطوبٌ[5] مُـخِلٌّ به في مواضعَ لا تخفَى على متأمِّل، فذكرناهُ ببعض ما عَبَّرنا[6] فيه لنبيِّنَ من حالِه ما غابَ عن ابن الأبّارِ، فاعلَمْهُ واللهُ الموفِّق، وذَكَرَه ابنُ الأبّار بعدَ أبي عليّ الرُّنْديِّ، وحقُّه أن يُذكَرَ قبلَه، فإنه أعلى طبقةً منهُ.

---

(١) انظر ترجمتها ومراجعها في وفيات الأعيان ١/ ٢٩٧ وقد جاء اسمها مضببًا عليه في الأصل.

(٢) في الأصل: «وبعدهما»، ويبدو شيء من التناقض بين هذه الفقرة والتي قبلها.

(٣) انظر الذيل والتكملة ٥/ الترجمة ٥٢٥.

(٤) التكملة (٢٦٣٧).

(٥) هكذا في الأصل.

(٦) في الأصل: «ما غيرنا».

٣١ـ عُمرُ بن محمد بن أحمدَ القَيْسيُّ، مَرّاكُشيٌّ فاسيُّ الأصل، [....] صغيرًا أبو عليّ ابنُ الفاسيِّ، خالي[١].

رَوى عن أبي إسحاقَ [الزَّواليِّ[٢]، وأبي بكرٍ] السُّلاقيِّ[٣] وآباءِ الـحَسَن: الأخفَش، وابن القَطّان، وابن قُطْرالَ، [....] وأبوَيْ عبدِ الله: ابن الـجَذع[٤]، وابن الـمُناصِف، وأبي القاسم [البَلَويِّ وأبي محمد بن] حَوْطِ الله. وكان أديبًا بارعَ الكتابة، آيةً من آياتِ الله في [حُسن الـخُلُق ودَماثةِ] العِشرة، طيِّبَ النفْس، آلفًا مألوفًا، كان منزلُه مجمَعَ النُّبلاءِ والفُضَلاء، [يغلِبُ عليه] الحياءُ كثيرَ المواساة، نَفّاعًا بجاهِه وذاتِ يدِه، ذا حظٍّ صالح [من قَرْضِ] الشِّعر. كتَبَ عن أبي محمدٍ عبد العزيز بن يوسُفَ بن عبد المؤمن[٥]، وكانا ابنَيْ خالتين[٦]،

(١) لم نقف على ترجمته في مكان آخر.

(٢) هو إبراهيم بن علي بن إبراهيم الخولاني الزوالي، مترجم في التكملة الأبارية (٤٣٤).

(٣) مترجم في التكملة (٥٩٤).

(٤) لم نقف على ترجمته، وورد اسمه في السفر الرابع (ترجمة أبي الربيع الخشيني) هكذا: أبو عبد الله محمد بن يوسف ابن الجذع. وهو بهذا النسب يكون ولد الكاتب الوزير أبي يعقوب يوسف ابن الجذع الذي كان هو وأخوه أبو محمد عبد الله ابن الجذع وزيرين لابن مردنيش. انظرهما في المغرب ٢/ ٢٥٤-٢٥٥ وخبر تمثيل ابن مردنيش بهما في المن بالإمامة: ٣٨٨، ٤٧٠.

(٥) في المعجب تعريف مطول بعبد العزيز هذا، وفيه أنه تقلد بالتتابع ولايات مالقة وهسكورة وسجلماسة وإشبيلية، وقد ذكر لعبد الواحد المراكشي ـ وهو بالمشرق ـ أن عبد العزيز هذا قُدم للخلافة بعد المستنصر فعده لذلك آخر الخلفاء الموحدين الذين أرخ لهم، وأطال في وصفه بالتدين والتهجد والتعبد مما يتفق مع ما ذكره ابن عبد الملك هنا، وفي أعلام مالقة ترجمة لطيفة لهذا السيد المتصوف جاء فيها: «عبد العزيز ابن أمير المؤمنين أبي يعقوب ابن أمير المؤمنين أبي محمد عبد المؤمن يكنى أبا محمد، ولي مالقة في أيام أبيه، وكان رحمه الله من جلة السادات معلوم المكان فاضلًا جليل المقدار حسن السيرة مقربًا للطلبة، محبًا فيهم معظمًا للعلم وأهله وكانت له معرفة وتصرف في الطلب، وكان يميل إلى طريق الإرادة وكان ينظم الشعر ويجيده» (المعجب: ٣١٨، ٤١٠-٤١٥، وأعلام مالقة، الترجمة (١٠١)).

(٦) في الأصل: «خالتي» ولا يستقيم، ولعل ما أثبتناه هو الصواب.

واستَولَى عليه، فكان مقبولَ القولِ عندَه مشفَّعًا فيما يُناطُ به من المآرِب، دخَلَ الأندَلُس صُحبتَه، وكان قدومُهما على إشبيلِيَةَ يومَ الاثنين لستٍّ بقِينَ من ربيعٍ الآخِرِ عامَ تسعةَ عشَرَ وست مئة حين وَلِيَها أبو محمد، وصنَّف «غُنيةَ الحُفّاظ، في الجَمْع بينَ الإصلاح والألفاظ»[1]، وجمَعَ باقتراح أبي محمدٍ عبد العزيز دَفْترًا فيما نَظَمَ في التهجُّد وقيام الليل أجاد فيه الاختيار، ومن نظمِه فيه، ونقَلتُه من خطِّه البارع [من الكامل]:

ذهَبَ الظلامُ وأنت جِذعٌ راقدُ ... وأتى الصّباحُ وأنت صخرٌ جامدُ
وخَلَت على الإظلام منكَ مناسكٌ ... وخَلَت على الإصباح منك مساجدُ
وأولو التهجُّدِ ليلهمْ ما منهمُ ... لله إلّا راكعٌ أو ساجدُ
يدعُونَ ربَّهمُ بكلِّ وسيلةٍ ... خلَصت لهمْ فيها لديهِ عقائدُ
وهَجَعْتَ يا مغرورُ ليلَكَ كلَّهُ ... وعليكَ من عينِ الإلهِ شواهدُ
فكأنّما أيقَنْتَ أنك مُغفَلٌ ... في هذه الدّنيا الدّنِيّةِ خالدُ
فلكَمْ تنامُ وفي البهائم نابِهٌ ... ليلًا يُسبِّحُ ربَّهُ ويُجاهدُ
ومن العجائبِ ذو الجهالةِ صالحٌ ... وأخو النُّهَى في كلِّ حالٍ فاسدُ
وإلى متى عمَّت فؤادَك غفلةٌ ... تَزهَى بغِرّتِها وعمُرُكَ بائدُ
فانْظُرْ لنفسِك قبلَ حينِ مماتِها ... إنّ المماتَ على البرِيّة وافدُ
وتذكَّر السَّفَرَ البعيدَ وطولَهُ ... من غيرِ زاد والمجالُ فَدافدُ
واذكُرْ نُشورَكَ بعدَ موتِك فَجْأةً ... وصحائفَ الأعمالِ منك تُشاهَدُ
فعسى يَلُوحُ لك اليقينُ فربّما ... ذهَبَ الضّلالُ و..............

---

(١) يعني: الجمع بين إصلاح المنطق لابن السكيت والألفاظ الكتابية للهمذاني.

والله ذو فضلٍ وبذلِ إقالةٍ ... مهما ارعَوى جانٍ [وآبَ مُعاندُ]

فافزَعْ لبابِ مَتابةٍ مُستفتِحًا ... فهُو الذي يأوي إليه [العائدُ]

وصِلِ الصّلاةَ على النبيِّ محمدٍ ... خيرُ البريّةِ والشفيعُ [الواحدُ]

فبه التوسُّلُ والتوصُّلُ كلّما ... ضاقت عليك مذاهبٌ و[مواردُ]

صلّى الإلهُ عليه خيرَ صَلاتِهِ ... يَفنَى الزمانُ وفضلُها [متعاهَدُ]

وكان شيخُنا أبو محمد حَسَنٌ ابنُ القَطّان[١]، وأبو عبد الله ابنُ الطَّراوة[٢] [يُكثِرانِ الثناءَ] عليه والإيجابَ له والشهادةَ بتبريزِه في النُّبل، والاشتمالِ على خِلال الفَضْل، وقد صاحَباهُ طويلًا بمَرّاكُش، واشتَركا معَه في الأخْذِ عن الشّيوخ بها، وكذلك كان أبو موسى هارونُ بن محمد بن هارونَ السُّماتيُّ[٣] يُبالغُ في تقريظِه؛ وقد صَحِبَه بإشبيلِيَةَ، ويصِفُه بحُسن المشاركة والجِدِّ في قضاءِ حوائج الناس.

توفِّي بمَرّاكُش أولَ ليلةِ [....] الثالثةِ من شوّالِ ستةٍ وعشرينَ وست مئةٍ ابنَ خمسٍ وأربعينَ عامًا أو نحوِها، ودُفنَ خارجَ باب نَفِيس برَوْضة سَلَفِه هنالك مقابلَ الباب، وكانت جَنازتُه مشهودةً والثناءُ عليه صالحًا.

٣٢ـ عُمرُ[٤] بن محمد بن عليٍّ الصُّنْهاجيُّ، مَرّاكُشيٌّ سُوسيُّ الأصل، أبو عليّ، ابنُ الطُّوَيْر.

بذلك يُشهَرُ في إفريقيّة فما وراءَها من بلادِ المغرِب إلى مَرّاكُش، وشُهِرَ في

---

(١) لعل المؤلف ترجم له في السفر السابع من هذا الكتاب ـ وهو مفقود.

(٢) ستردُ ترجمته في هذا السفر برقم (٦٣).

(٣) له ترجمة في اختصار القدح: ١٤٥ وله قصيدة في رثاء إشبيلية في البيان المغرب ٣/ ٣٨٢-٣٨٥ وأخرى في مدح الواعظ ابن رشيد البغدادي الوتري في هذا السفر.

(٤) لم نقف على ترجمته في مكان آخر.

مصرَ والـحِجاز بأبي الـخَطّاب السُّوسيّ. تفَقّه بمَرّاكُش على جماعةٍ من أهلِها وشَرَّق طالبًا العلمَ، وحَجَّ وجاوَرَ بمكّةَ شرَّفها الله، واختَصَّ بالفقيه أبي محمدٍ عبد الوهّاب البغداديِّ صِهرِ ابن مُعافَى، وأخَذَ عنه أصُولَ الفقه، وتعليقةَ أبي سَعِيدٍ محمد بن يحيى في مسائل الخلاف، وهو أوّلُ مَن أدخَلَها إلى المغربِ. ثم قَفَلَ إلى هذه البلاد، وأخَذ بالإسكندَريّة على أبي الـحَسَن الأبياريِّ، ولازَمَ أبا العزِّ مظفَّرَ بنَ محمد ابن الـمُقترح، ثُم قَفَلَ إلى المغرِب، فدرَّسَ بالـمَهْديّة عِلمَ الكلام وأصُولَ الفقه ومسائلَ الـخِلاف، ثم رَحَلَ متجرِّدًا إلى قُطبِ الدِّين أبي عليّ النَّفْطيِّ بنَفْطةَ[١]، فكان قُطبُ الدِّين يقول لأصحابِه لِـما عَلِمَ من صِدقِ باطنِه: هذا عُمرُ الصِّدِّيق، ثم عاد إلى الـمَهْدِيّة فدرَّس بها.

قال أبو القاسم بنُ البَراءِ[٢]: قَدِمَ علينا بالـمَهْديّة أبو عليٍّ السُّوسيُّ سنةَ ستٍّ وست مئة، فأملَى علينا «البُرهانَ» لإمام الـحَرَمَيْنِ أبي المعالي من صَدْرِه، وكان يُملي علينا مسائلَ من عِلم الكلام، [وسُمِع عليه بها غيرُه]، ثم عاد إلى مَرَّاكُشَ فالتفَّ عليه الناسُ بها، وأخَذوا عنه، [ودرَّسَ بها] أصُولَ الفقه وعِلمَ الكلام، ورَوى الحديثَ وأقرَأَ العربيّة، ونوظِرَ عندَه [وأقرَأَ] «رسالةَ القُشَيْريِّ» و«طبقاتِ الصُّوفيّة»، وكان يتكلَّمُ [عليهما بما يُبكي] سامعَه، وكان معَ هذا الاستبحارِ في العلوم متصوِّفًا ذا إشاراتٍ وكراماتٍ وأحوالٍ صادقة، متينَ الدِّين، زاهدًا في الدّنيا، منقبِضًا عن [أهلِها، يتصَدَّقُ] بما يَصيرُ إليه منها، لا يَدّخرُ شيئًا من يومِه لغدِه، ولا يرُدُّ سائلًا ولا قاصدَ حاجة، ولم يزَلْ على حالِه

---

(١) انظر عن نفطة: معجم البلدان ٥/ ٢٩٦.

(٢) هو مفخرة المهدية أبو القاسم بن علي بن عبد العزيز بن البراء التنوخي. انتهت إليه بحضرة تونس رئاسة العلم ورئاسة القرب من السلطان. ولد في حدود ٥٨٠هـ وتوفي سنة ٦٧٧هـ وله برنامج ربما هو الذي نقل منه المؤلف. انظر رحلة التجاني: ٣٦٧، وتاريخ الدولتين: ٣٣، والفارسية: ١٢١، ودرة الأسرار: ٩-١٢.

هذه إلى غايةِ عمُرِه، وكان كثيرًا ما يتمثّلُ بقولِ القاضي عليٍّ بن عبد العزيز الـجُرْجانيِّ[1] [من الطويل]:

يقولـونَ لي: فيـك انقبـاضٌ وإنّـما	رأَوْا رجُلًا عن موقفِ الذُّلِّ أحجَما
يَرى أنّ من داناهمُ هـان عنـدَهمْ	ومَن أكرَمْته عـزّةُ الـنفْسِ أُكرِمـا
ومـا كـلُّ بَـرْقٍ لاحَ لي يَـستفِزُّني	ولا كلُّ مَن لاقَيْـتُ أرضـاهُ مُـنعِما
وما زِلتُ مُنحـازًا بعِـرضيَ جانبًـا	عـن الـذُّلِّ أعتَـدُّ الـصِّيانةَ مَغـنَما
إذا قيل: هذا موردٌ قلتُ: قـد أرى	ولكـنّ نفْـسَ الحـرِّ تحتمـلُ الظَّـما
وإنّي إذا مـا فـاتَني الأمـرُ لم أبِـتْ	أُقلِّـــبُ كفِّـــي إثْـــرَه متنـــدِّما
ولكنّــهُ إنْ جــاء عَفْــوًا قبِلتُــهُ	وإنْ مــال لم أُتبِعْــه هــلّا وليــتَما
وأقبِضُ خَطْوي عن حظوظٍ قريبـةٍ	إذا لم أنَلْهـا وافـرَ العِـرض مُكرَمـا
وأُكرِمُ نَفْسي أن أُضـاحِكَ عابسًا	وأن أُتلقَّـــى بالمـــديح مُذمَّـــما
أُنَهنِهُها عـن بعـضِ مـا قـد يَـشِينُها	مخافـةَ أقـوالِ العِـدا: فـيمَ أولِـما
ولـمْ أقْضِ حقَّ العِلم إن كنتُ كلّما	بَــدَا طمَــعٌ صــيَّرتُهُ ليَ سُــلَّما
ولم أبتذِلْ في خدمةِ العِلـم مُهجتـي	لأخـدُمَ مـن لاقَيْـتُ إلا لأُخـدَما
أأغرِسُـــه عـــزًّا وأجنيـــهِ ذِلّـــةً	إذَنْ فاتّباعُ الجهلِ قـد كـان أحزَمـا
فإنْ قلتَ: جَـدُّ العلـم كـابٍ فـإنّما	كَبَا حـينَ لم يَـحْمُوا حِمـاهُ وأُسلِما
ولو أنّ أهلَ العلم صـانُوهُ صـانَهمْ	ولـو عظَّمـوه في النفـوسِ لعَظَّـما
ولكـنْ أهـانوهُ فهـان ودَنَّـسوا	مُـحَيّاهُ بـالأطماع حتـى تـجَهَّما

---

(١) ترجمة القاضي الجرجاني في وفيات الأعيان ٣/ ٢٧٨ والمصادر المحال عليها في الحاشية وقصيدته المذكورة مشهورة، وقد تمثل بها أيضًا معاصر المترجم ابن الزيات في كتابه التشوف: ٢٧٤.

وقَدِمَ أبو عليّ الأندَلُسَ صُحبةَ أبي إسحاقَ[1] ابن المنصُور حينَ وَلِيَ إشبيلِيَةَ، فأخَذَ عنه بها طائفةٌ من أهلِها وعَرَفوا فضلَه، وكان لهُ في إثباتِ [القياس رأيٌ خالَفَه] فيه أبو الـحَسَن ابنُ القَطّان، وصنَّف رادًّا عليه في ذلك مصنَّفَه [«النَّزْعَ] في القياس لـمُناضلةِ من سلَكَ غيرَ الـمَهْيَع في إثباتِ القياس»[2].

[وُلدَ بمَرّاكُش عامَ....] وستينَ وخمس مئة، وتوفِّي بها يومَ الاثنينِ لستٍّ بقِينَ من جُمادى الأخيرةِ اثنتينِ وعشرينَ وست مئة.

٣٣ـ عُمرُ[3] بن محمد بن مَـخْلُوف، تَدْلِسيٌّ[4]؛ أبو عليّ.

قَدِمَ [الأندَلُسَ طالبًا العلمَ] فتَلا بالسَّبع على أبي زكريّا الـجُعَيْديِّ[5] ببَلَنْسِيَة، ورَوى بها عن أبوَيْ [بكرٍ: أُسامةَ، وعَتِيق] الـمُرْبَيْطَرِيّ، وأبي جعفرٍ الـحَصّار، وأبي الـحَسَن بن خِيَرَةَ، وأبي الـخَطّاب بن واجِب، [وأبي عبد] الله ابن نُوح، وأبي عليّ بن زُلال، وأبي عُمرَ بن عاتٍ، وأبوَيْ محمد: عبد الحقِّ الزُّهْريِّ، [وغَلْبون]، ثم عاد إلى العُدْوة، فاستَوطنَ بِـجَايةَ وتصَدَّر بها لإقراءِ القرآن.

وتوفِّي سنةَ ستٍّ وعشرينَ وست مئة.

٣٤ـ عُمرُ بن محمدٍ الـهَوّاريُّ، بِـجَائيٌّ؛ أبو عليّ، ابنُ ستِّ الناس.

كان أديبًا حَسَنَ التصرُّف في نَظْم الكلام ونَثْرِه؛ دخَلَ الأندَلُسَ، واستَـكتَـبَه

---

(١) عَرّف به المراكشي في المعجب وذكره بكل خير وقال: إنه عرفه حين ولي إشبيلية سنة ٦٠٥هـ (انظر المعجب: ٣٨٧، والبيان المغرب ٣/ ٢٣٠).

(٢) يراجع ما سبق في ترجمة ابن القطان. ولعبد الحميد بن أبي الدنيا الصدفي الذي أدرك ابن الطوير كتاب في الموضوع سماه: «جلاء الالتباس في الرد على نفاة القياس» (رحلة التجاني: ٢٧٣ وغيرها).

(٣) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٢٦٤٨).

(٤) نسبة إلى تدلس مدينة كبيرة بحرية بين بجاية والجزائر (الروض المعطار: ١٣٢).

(٥) هو يحيى بن زكريا بن علي الأنصاري، مترجم في التكملة الأبارية (٣٤١٥).

أبو [....][1] ابن زَنّون المترِّس بمالَقَة. ومن شعرِه ـ ونقَلتُه من خطِّه ـ والبيتُ الأخيرُ مضمَّن [من الطويل]:

إلى كم أقضِّي العيشَ[2] شَمْلًا مُفرَّقًا ... ونفْسًا مُعَنّاةً وقلبًا مروَّعا

ولي كبِدٌ إن مَرَّ ذِكْرُكم بها ... شدَدْتُ عليها خيفةً أن تصَدَّعا

(كأنّا خُلِقنا للنَّوى وكأنّما ... حرامٌ على الأيام أن نتجمَّعا)

وسيأتي له ذكْرٌ في رَسْم أبي يعقوبَ ابن الجَنّانِ، إن شاء الله.

٣٥ـ عُمرُ[3] بن مَوْدود بن عُمرَ الفارسيُّ.

كذا نقَلتُ نَسَبَه من خطِّه، وقَلَبَ ابنُ الأبّار اسمَه فقال فيه: مَوْدودُ بن عُمَر بن مَوْدود، وذكَرَه في حرفِ الميم[4]؛ سلماسيٌّ عمَلَ أذْرَبيْجانَ من أبناءِ ملوكِهم، شَرَفُ الدِّين، أبو البَرَكاتِ الفارسيُّ.

رَوى بهَمَذانَ عن تقيِّ الدِّين أبي عبد الله محمد بن محمود ابن الحَمّاميّ، وسمعَ الكثيرَ من أبي الحَسَن ابن حَمُّوْيَةِ، وصَحِبَ ببغدادَ شِهابَ الدِّين أبا حفص وأبا عبد الله البَكْريَّ السُّهْرَوَرديَّ وسمعَ منهُ كثيرًا[5]، وأجاز له أبو الحَسَن مؤيَّدُ بن محمدٍ الطُّوسيُّ، وعلاءُ الدِّين السَّرَخْسيُّ لقِيَهُ بمَرْو، وأطال التجوُّلَ في طلبِ العِلم والروايةِ والتفقُّهِ بالعراقِ والشام ومِصرَ.

---

(١) بياض في الأصل، والمقصود: عبد الله بن علي بن زنون. له ترجمة في أعلام مالقة (الترجمة ٨٥) ولا وجود للكنية في هذه الترجمة، انظر فيه كذلك: المرقبة العليا: ١١٤، ١٢٣.

(٢) في الأصل: «أنضي النفس».

(٣) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٢٦٥٠)، والرعيني في برنامجه (٩٥)، وابن الزبير في صلة الصلة ٤/ الترجمة ١٤٣، والمراكشي في الإعلام ٩/ ٢٨٢.

(٤) التكملة (١٨٩٨)، لكنه عاد فذكره على الوجه في حرف العين، كما تقدم في التعليق السابق.

(٥) هو الصوفي المشهور الشيخ عمر السُّهروردي البغدادي المتوفى سنة ٦٣٢هـ، وترجمته في ذيل تاريخ مدينة السلام لابن الدبيثي ٤/ ٣٥٣ وفيه مصادر ترجمته.

وقَدِمَ الأندَلُسَ وحدَّث بها، فرَوى عنه بها من أهلِها أبو جعفرٍ ابنُ غالب، وأبو الـحَسَن الرُّعَيْنيُّ شيخُنا، وأبو يعقوبَ بن إبراهيمَ بن عُقاب[1]، ومن سُكّان مالَقةَ: أبو عبد الله بن عِيَاض، وبَسبْتَةَ أبو العبّاس بن محمدٍ الـمَوْرُوريُّ.

ووَرَدَ مَرّاكُشَ في حدود [خمسٍ وثلاثينَ وست مئة]، فأسمَعَ الحديثَ وكتَبَ الرَّقائقَ والتصَوُّف، رَوى عنهُ [جماعةٌ من أهلِها ومنَ] المستوطِنِينَ بها من غيرِهم، منهم: آباءُ عبد الله: أبي رحمه الله، وابنُ يوسُفَ القَلْعيُّ الناسكُ نفَعَ اللهُ به، وقال لي في مجلِس أبي [....][2] أباك، وأبو عليّ الـحَسَنُ بن الـحَسَن ابن مكسورِ الـجَنْب، وأبو الـمَجْدِ ابن [عَطِيّة]. وحدَّث عنه بالإجازة: أبو عبد الله ابنُ الأبّار.

وكان فقيهًا شافعيَّ [المذهب، متصَوِّفًا]، شديدَ العُجمة، يَرجِعُ إلى جَوْدةٍ وصحّةِ باطن، وتصحَبُه غَفْلة، وكان [مجلسُ] إسماعِه مَـجمَعًا للفقهاءِ وأهل الفضل والصّلاح والخير، وكان قدومُه على مَرّاكُشَ في أيام الرّشيدِ من بني عبد المؤمن، فصُرِفَ إليه وجهُ الاعتناءِ به والتنويهُ، ووالَى برَّه وتكريمَه، وحَظِيَ عندَه حُظوةً تامّةً وأجرَى لهُ ثلاثَ مئة درهم وسبعةَ قناطيرَ ونصفَ قِنطار من الـحُوَّارَى[3] في كلِّ شهر مَرْتبة، سوى ما يتعاهَدُه به من إحسانٍ وكُسًا وهدايا وتُـحَف، فتمادَى على ذلك حالُه معَه مُدّةً إلى أن رَفَعَ إليه مقالةً في إثباتِ صنعة الكيمياء، وأنه واصِلٌ قد أدرَكَها علمًا وعملًا، وادَّعى إفادتَه إياها، فقَطَعَ الرّشيدُ عنه ما كان يُجريهِ عليه ثلاثةَ أشهرٍ حتى استَوْحَشَ من ذلك أبو البَركات وأثّر في حالِه، وكان موضعُ سُكناهُ قريبًا من مَسكَن أبي إسحاقَ ابن الحجرِ المذكورِ

---

(١) جاء في إجازته المثبتة في رحلة ابن رشيد ٢/ ٢١٣: «ولقيت بمراكش الشيخ العالم العلم أبا البركات عمر بن مودود بن عمر الفارسي وقرأت عليه البخاري، والسير، ورسالة القشيري، وأول كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم الحافظ، وسمعت عليه الموطأ ولازمته إلى أن توفي رحمه الله».

(٢) محو تام في الأصل، ويشبه القول أن يكون دعاء للمؤلف.

(٣) الحوارى، بضم الحاء وشد الواو وفتح الراء: الدقيق الأبيض، وهو لباب الدقيق.

قبلُ[1]، وكان كبيرَ أطبّاءِ الرّشيد والـمُدِلَّ عليه والكثيرَ الـخَلْوةِ به، فألقَى إليه أبو البَركاتِ ما نالَهُ من فَقْدِ الـجِراية التي كانت تَجري له وجَهِلَ سببَه، فتلطّفَ أبو إسحاقَ ابنُ الحجرِ في إلقاءِ قضيّتِه إلى الرّشيد بعدَ رَصْدِه ساعةَ بَسْطٍ منه، وقال له: يا سيّدي، عبدُكم الغريبُ الـمُنقطِعُ إلى جانبِكم الفارسيُّ هُو مـمّن شملَني وإيّاه نَسَبُ الاغتراب والأَوْيُ إلى كنَفِكم العزيز، وهو معَ ذلك جاري الـجُنُب، ذَكَرَ لي ما عِيلَ له صَبْرُه وضاق من أجلِه ذَرْعُه، وذلكم توقُّف ما كان يَـجري عليه من إنعامِكم منذُ ثلاثةِ أشهرٍ ولا يعرِفُ موجبَه، فتبسَّم الرّشيدُ وقال له: كيف يكونُ هذا ونحن نرى، وهو أنّا أحوَجُ إليه منه إلينا، فأكبَرَ ابنُ الحجرِ هذا الجوابَ، وقال: معاذَ الله يا سيّدي، وأنّى يُمكنُ هذا؟ فرَفَعَ الرّشيدُ طَرَفَ بِساطِه الذي كان جالسًا عليه، وأخرَجَ من تحتِه مقالةَ أبي البركاتِ في صَنْعةِ الكيمياء، وقال له: من وَصَلَ إلى هذا العلم أو هذا العمل فالملوكُ مُفتقِرونَ إليه، فلمّا وقَفَ ابنُ الحجرِ على بعضِ مضمَّنِها سُقِطَ في يدِه ولم يُـحرِ جوابًا إلّا

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن الحجر كبير أطباء الرشيد الموحّد ترجم له المؤلف في السفر السابع مع الغرباء وهو مفقود الآن، ولا نعرف عنه إلا الإشارات الواردة هنا وفي ترجمة ابن القطان المذكورة قبل، وفي ترجمة أبي الوليد بن عفير قصيدة يمدح بها أبا إسحاق وينعته فيها بالحبر البحر ويصف مآثره ومعارفه ويشبهه بجالينوس (انظر السفر السادس، الترجمة ٣١١)، ويبدو لنا، والله أعلم، أن هذا الطبيب من ولد ابن الحجر زعيم المسلمين في صقلية في عهد ملكها غليام، وقد تحدث ابن جبير في رحلته عن هذا الزعيم الحمودي الأصل وصموده ومحنته بسبب ما نسب إليه من مكاتبة الموحدين وتشوفه إلى هجرة صقلية. ويبدو أنه انتقل بعد ذلك هو أو بعض أولاده إلى بجاية حيث نجد فيها في القرن السابع الهجري الفقيه أبا زيد عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي الصقلي المعروف بابن الحجر، وقد انتقل أولاده إلى قسنطينة حيث غدوا فيها من بيوتات العدول والكتاب وأصبحوا من ركائز الفرع الحفصي في قسنطينة ومنهم أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل قاسم بن أبي زيد عبد الرحمن بن الحجر الآنف الذكر (انظر رحلة ابن جبير: ٣١-٣٣ تحقيق د. نصار، وعنوان الدراية: ١٣١، والفارسية: ١٧٨-١٧٩ تحقيق النيفر والتركي، وراجع ما سبق في الترجمة رقم ١٠).

[بالاعتذارِ عنه] بضعفِ العقل وسُوءِ التدبير، واختلالِ الذِّهن وفسادِ النظر، [وتلطَّفَ في] استعطافِ الرَّشيدِ له والرغبةِ لهُ في إعادةِ ما كان يُجري [عليه من إنعامِه]، فأسعَفَه في ذلك وقَضَاهُ جميعَ ما فاتَه منهُ في الأشهُرِ [السابقة، وأنحَى عليه ابنُ] الحجر باللَّوم الشديدِ وتقبيح هذا المـأْخَذ معَ سُفهاءِ المسلمينَ [وخُبثاءِ] المُحتالين، فكيف يقابلُ به الملوك؟ ونَدِم أبو البرَكاتِ على ما كان منه. [ثم عاد] ورَفعَ له أيضًا مقالةً أخرى سَمّاها (الأوتارَ والأشفاع) أودَعَها [ذكْرَ النبيِّ] ﷺ والخُلفاءِ من الصّحابةِ ومُعظم مَن بعدَهم ممّن شُهِرَ بالخلافةِ إلى زمانِ الرّشيد، وقضَى بتمكينِ سعادةِ الأوتار ونَقْصِها أو فَقْدِها في الأشفاع، وتمَلَّقَ بذلك إلى كونِ الرَّشيدِ وترًا، فهو كاملُ السَّعد، تَكثُرُ على يدَيْهِ الفتوحات، وتتّسعُ مملكتُه في المعمور، ولم يَستحسِنْ أحدٌ هذه المقالة، ولا حُمِدَ منهُ وضعُه إيّاها؛ لِما اشتَملَتْ عليه من التهاتُرِ والتناقض، وعَدِّ بعضِ الأوتار أشفاعًا وبعضِ الأشفاع أوتارًا، إلى خُلوِّها من فائدةٍ يُحرَصُ عليها ويُرغَبُ فيها، ولم يَحسُن موقعُها معَ ذلك من الرّشيدِ الذي رُفِعتْ إليه؛ لذِكرِ بعض سَلَفِه فيها بما لا يَستسيغُ عاقلٌ سَماعَ مثلِهم، ثم إنّ الوجوهَ ذاكَرَتْه في كلِّ ما نَسَبَه إلى الرّشيدِ من تأتّي الفُتوح في أيامِه وبَسْطِ مملكتِه وطُولِ عُمُرِه، فقُبِضَ الرّشيدُ غريقًا في جُمادى الأولى سنةَ أربعينَ وست مئة ابنَ ستٍّ وعشرينَ سنة، وكانت أيامُه تسعَ سنين ونحوَ نصفِ سنةٍ[1] معظمُها في هَرَج وغلاءٍ مُفرط وفتنٍ مُظلمة وأهوال لا قِبَلَ لأحدٍ بها إلا بعضَ سنين أواخِر العَشْرِ التي توفِّي بها، ولم يَعدَمْ معَ ذلك تكريمًا منهُ وتعظيمًا عندَ الخاصّةِ والعامّة من أهل مَرّاكُش إلى أن توفِّي بها ليلةَ الجُمُعة ودُفنَ من الغدِ إثرَ صَلاتِها، وذلك في العَشْرِ الأُوَل من شهر ربيع الآخِر سنةَ تسعٍ وثلاثينَ وست مئة بجَبّانةِ باب نَفِيس، وشَهِد جَنازتَه خَلْقٌ لا يُحصَوْنَ

(١) أيام خلافة الرشيد الموحدي من مفتتح شهر محرم من عام ثلاثين وست مئة إلى عاشر جمادى الأولى من سنة أربعين وست مئة. وأخبار دولته مفصلة في البيان المغرب ٣/ ٢٨٢-٣٥٨ وفيه الحديث عن الغلاء.

كثرةً وأتبَعوهُ ثناءً صالحًا وذكرًا جميلًا، وقال ابنُ الأبّارِ في غير «تكملتِه»[1]: إنه توفِّي بعدَ الأربعينَ، ولم يضبِطْه[2].

٣٦ـ عِمرانُ[3] بن موسى بن مَيْمونٍ الـهَوّاريُّ؛ سَلَويٌّ، أبو موسى.

---

(١) بل ذكر ذلك في التكملة (٢٦٥٠) كما أسلفنا.

(٢) يلاحظ أن المؤلف لم يترجم لأبي حفص عمر بن عبد الرحيم بن عمر ابن عكيس الفاسي في موضعه من هذا السفر مع أنه أشار إليه في السفر الأول (الترجمة ٦٧٥) في الآخذين عن أبي العباس الشنتمري الذي أقرأ بشنتمرية وفاس ووالده عبد الرحيم ابن عكيس من الداخلين إلى الأندلس وترجم له ابن الأبار في التكملة وابن الزبير في صلة الصلة وجذوة الاقتباس. والظاهر أن الولد لم يدخل الأندلس؛ ولذلك لم يكن على شرط ابن عبد الملك وابن الأبار وابن الزبير، وعلى كل حال فلا يوجد سقط في النسخة الخطية حسبما يستفاد من تتابع أسماء المسَمّين بعُمر.

(٣) له ترجمة في صلة الصلة ٤/ الترجمة ٣٥٠، وبغية الوعاة (نقلًا عن ابن الزبير) ٢/ ٢٣٣، ويبدو ـ والله أعلم ـ أنه هو الذي أشار إليه ابن عميرة في رسالة له يشكو فيها من أهل سلا لـمّا كان قاضيهم (٦٣٧-٦٤٠هـ) يقول: «والشأن في الأهلب العثنون، الأبله في علم المفروض والمسنون، إذا خنقته العبرة، وأرشته الكبرة، وحضره المحكوم عليه يقول: ظلمت فانظرني بتقواك، وانصرني بفتواك، ويقص عليه قصته وقد حشاها بهتانًا، وضم إليها أيمانًا، فخرج بمنسأته يهدج، وفي سوءته يهملج، حتى إذا قيل له: القصة كيت وكيت، وليس كما حكى ولا على ما حكيت، قال: فهلا دعاهم إلى صلح يوقع البينونة، ويرفع عنا هذه المؤونة، وأسمع طلاق الزوج ومبلغ عدده، وخروج الرجعة من يده، فقال: كان هذا أول طلاق في الإسلام، وأغضى عنه خيار الحكام، فهو يغضب للشرع وهذا دينه، ويدعى نصرة الحق والشيطان قرينه» انظر: أبو المطرف ابن عميرة: ١٣٢، ويحملنا على هذا التخمين أن المترجم كان في بلده في هذا التاريخ في التسعين من عمره وكان قاضيًا فيما سلف ويلجأ إليه أهل بلده فيما يقع عليهم من أحكام هذا القاضي الغريب، وعلى كل حال فكلام ابن عميرة ـ إذا كان في صاحبنا ـ فإنه يحمل محمل الأدبيات. وفي البغية والوافي ترجمة محمد بن موسى السلوي النحوي الأديب (ت ٦٨٥هـ) ويمكن أن يكون أخا المترجم.

رَوى عن أبي الـحَجّاج ابن الشّيخ، وأبي الـحَسَن ابن النَّقِرات، وأبي ذَرّ ابن أبي رُكَب، وآباءِ عبد الله: ابني الإبراهيمَيْنِ: [ابن البَقّار]، وابن الفَخّار، وابن جابِر بن يحيى بن ذي النُّون، وابن [....] وابنَيْ عبدَي الرحمن: التُّجِيبيِّ، ورُكن الدِّين، وابن عليّ الفَنْدَلاويّ، [وأبي القاسم بن عبد] الوَدُود بن سَمَجُون، وأبوَيْ محمد: الـحَجريِّ وابن حَوْطِ الله.

حدّثنا عنه [أبو بكر بنُ] يَربُوع، وأبو عبد الله بن خَمِيس، وأبو محمد قاسمُ بن أحمدَ بن السّكوت.

[وكان مُفسِّرًا حا]فظًا مُستبحِرًا في ذكْرِ المسائل ومعرفةِ النّوازل والإشراف على [اللّغاتِ والآ]داب، ممتِعَ المجالسة، طريفَ النّوادر، متقدِّمًا في النّحو، ذا حظٍّ من قَرْض [الشِّعر]، تَعرِضُ له أحيانًا غفلةٌ تصدُرُ عنه بها مُضحِكات؛ وأقرَأَ ببلدِه وبمالَقَةَ ومَرّاكُش وغيرِها؛ واستُقضيَ ببلدِه وخَطَب بآنفا، وأُراه استُقضيَ به. وتوفِّي سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وست مئةٍ وقد نَيَّف على التِّسعين.

٣٧ـ عَيّاشُ[1] بن أُجَيْل ـ بضمِّ الهمزة وجيم، كأنه تصغيرُ أجَل ـ الرُّعَيْنيُّ، مِصريٌّ.

رَوى عن سَعِيد بن المسيِّب، ومعاويةَ بن حُدَيْج؛ وكان على شُرطة موسى بن نُصَيرٍ، وأجاز معَه إلى الأندَلُس، ووَلِـيَ البحرَ زمَنَ بني أُميّة، وقَدِمَ بالسُّفُن من الأندَلُس إلى إفريقيَّة سنةَ مئة.

---

(١) ترجمه الدارقطني في المؤتلف ٣/ ١٥٦٨، وابن الفرضي في تاريخه ١/ ٤٤١، وابن ماكولا في الإكمال ٦/ ٦٥، والحميدي في جذوة المقتبس (٧٤٣)، والضبي في بغية الملتمس (١٢٥٣)، وابن ناصر الدين في توضيح المشتبه ١/ ١٧٣، وابن حجر في تبصير المنتبه ٣/ ٨٩٨. وقد سماه يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ»: عباسًا، بالسين المهملة؛ ولذلك ذكره الحميدي فيمن اسمه عباس من كتابه الجذوة (٧٢٨).

٣٨ـ عِيَاضُ[١] **بن عُقْبَةَ بن نافِع بن عبد القَيْس بن لَقِيط بن عامِر بن أُميَّة بن الضّربِ بن الحارِث بن فِهر بن مالكِ بن النَّضْر بن كِنَانَةَ الفِهْريُّ؛ مِصريٌّ، أبو يحيى.**

رَوى عنه أخوه أبو عُبَيدةَ مُرَّة، وإسحاقُ بنُ أبي مَرْوةَ، ويزيدُ بن أبي حَبيب. دَخَلَ الأندلُسَ معَ موسى بن نُصَيْر، وكان من عِباد الله الصّالحين، ولـمّا غَنِمَ المسلمونَ غَلُّوا غُلولًا لم يُسمَعْ مثلُه، قال عبدُ الله بن لَـهِيعةَ: لم يَسلمْ من الغُلول يومَئذٍ إلّا [أبو] عبد الرحمن الـحُبليُّ وابنُ شماسةَ الأكبر، وحَنَشٌ الصَّنْعانيّ، وعِياضُ بن عُقْبةَ بن نافِع الفِهرِيّ.

توفِّي سنةَ مئة.

٣٩ـ عِيَاضُ[٢] **بن محمد بن عِيَاض بن موسى بن عِيَاض بن عُمرَ بن موسى بن عِيَاض بن محمد بن موسى بن عِيَاض اليَحْصُبيُّ، سَبْتيٌّ بَسْطيُّ الأصل، سَكنَ مالَقةَ، أبو الفَضْل.**

رَوى بسَبْتةَ عن أبيه، وأبي بكر بن بِيبَش، وأبي عبد الله بن حَمِيد، وأبي عَمْرٍو مُرَجَّى بن يونُس، وأبي القاسم بن حُبَيْش، وأبي محمدٍ الـحَجْريّ ـ وأكثَرَ عنه ـ وبقُرطُبَةَ عن أبي القاسم ابن بَشْكُوال.

رَوى عنه أبو عبدِ الله ابنُه، والتُّجِيبيُّ، وأبو العبّاس ابنُ فَرْتون.

وكان محدِّثًا راويةً، ثقةً شديدَ العناية بشأنِ الرّواية ولقاءِ حَمَلةِ العلم، فقيهًا حافظًا شهيرَ التعيُّن والـحَسَب، من بيتِ علم وجَلالة، حَسَنَ الـخُلُق

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٢٩٦٦)، والمالكي في رياض النفوس ١/ ١٣٢، والمقري في نفح الطيب ١/ ٢٨٧، وغيرهم.

(٢) ترجمه ابن خميس في أعلام مالقة (١٥١)، وابن الأبار في التكملة (٢٩٦٨)، وابن الزبير في صلة الصلة ٤/ الترجمة ٣٤٩، والذهبي في المستملح (٧٥١)، وابن الخطيب في الإحاطة ٤/ ٢٢١، وابن فرحون في الديباج ٢/ ٥٢.

كريمَ الطِّباع طيِّبَ النَّفْس، متبرِّعًا بقضاءِ حوائج الناس، متواضعًا معظَّمًا عند كلِّ مَن يَلقاه، مَهيبًا مِقْدامًا، فصيحَ اللِّسان، يرغَبُ الملوكُ [في الاستماع إليه].

قال أبو عبد الله بنُ عَسْكر[1]: لـمّا تزوَّجتُ كان في نَفْسي [أن لا أستدعيَه إلّا في يوم الإطعام]، وأكبَرتُ استدعاءه يومَ الذَّبح؛ لكونِه يومَ مِهنةٍ وتعب، [فبينَما أنا أتصرَّفُ في] أسبابِ ما كنتُ بصَدَدِه قُرِع البابُ، فأذِنتُ في فتحِه، فإذا أبو الفَضْل [يَدخُلُ عاتبًا] عليّ وقائلًا: ما كنتُ أظُنُّ منكَ هذا، هلّا استدعيتَني حتّى [أتصرَّفَ في جُملةِ من يتَصرَّف؟] فخَجِلتُ منه واعتَذرْتُ إليه بإجلالِه عن إحضاره لمثل هذه [الأشياء، فقال: لا عليكَ]، الموضِعُ موضِعي، وسواءٌ استُدعِيتُ أم لم أُستَدْعَ، فشَكرتُه على [تواضُعِه وعلوِّ] قَدْرِه وجميل عِشرتِه.

وُلد بسَبْتَـةَ لإحدى عشْرةَ ليلةً بقِيت من المحرَّم إحدى وستينَ وخمس مئة، وتوفِّي بمالَقةَ في العَشْر الوُسَط من جُمادى الآخِرة سنةَ ثلاثينَ وست مئة.

٤٠ـ عيسى بنُ حَمّاد بن محمد الأوربيُّ، تِلِمْسينيٌّ، أبو موسى.

رَوى بالأندَلُس عن أبي عليّ الصَّدَفيِّ[2]؛ وكان من أهل الضّبطِ والإتقان، والزُّهدِ والدِّينِ المتين.

٤١ـ عيسى بنُ حَيُّونَ.

كان فقيهًا قاضيًا بأرشقولَ[3] لإدريسَ بن عيسى، ودخَلَ الأندَلُسَ غازيًا، حَكَى عنه أبو عُبَيدٍ البَكْريُّ في أخبارِ الأدارسة عندَ ذكْرِه مدينةَ فاس من كتابِه في «المسالك والممالك»[4].

---

(١) أعلام مالقة (١٥١)، قال ابن خميس: «حدثني خالي رحمة الله عليه قال» وخاله هو ابن عسكر، وهو مؤلف أعلام مالقة الذي هذبه وأكمله ابن أخته ابن خميس.

(٢) لم يذكره ابن الأبار في المعجم الذي ألفه في أصحاب أبي علي الصدفي.

(٣) من مدن المغرب القديمة على نهر تافنا أوى إليها بعض الأدارسة وأقاموا فيها إمارة. (الروض المعطار ٢٦، والبكري ٧٧-٧٨ وفيه: «جنون» بدل «حيون»).

(٤) البكري ١٢٢.

٤٢- عيسى[1] بن عبد الله الطَّويلُ، من أهل المدينةِ كرَّمها اللهُ.

صَحِبَ موسى بنَ نُصَيْر، وكان على غنائمِه بالأندَلُس أيامَ كونِ موسى بن نُصَيْر فيها. ذَكَرَه ابنُ الأبّار، وليس من شَرْط كتابِه ولا كتابي، إلّا أنْ يَغلِبَ على الظنِّ أنّ مثلَ موسى بن نُصَيْر لا يَستعمِلُ على الغنائم إلّا مَنْ كان من أهلِ العلم، واللهُ أعلم.

٤٣- عيسى[2] بن عبد العزيز يَلَّبَخْت، بفتح الياءِ المسفول وفتح اللام المشدَّد، وهو اسمٌ مقتَضَب من يَلّا البَخْت، ومعنى يَلّا عندَ الـمَصامِدة: له أو: عندَه، ابن وَماريلي، بفتح الواو، ومعناه: ابن، وميم وراءٍ وياءِ مَدّ ولام وياءِ مَدّ، القزُوليُّ بقاف معقود مضموم، وزاي وواوِ مَدّ ولام منسوبًا، اليَزْدَكْتَنِيُّ، بفتح الياءِ المسفول وإسكانِ الزّاي وفتح الدال الغُفْل وإسكانِ الكاف وفتح التاءِ المعلوِّ ونونٍ منسوبًا.

وأُمُّه تِيْلَّمان، بتاءٍ معلوّ وياءِ مَدّ ولام مشدَّد مفتوح وميم وألفٍ ونون، وهو مقتضَبٌ، من تينِ الأمان، ومعنى تين: صاحبة، بنتُ تِيْفاوْت، بتاء مسفولٍ وياءِ مَدّ وألف وواو ساكن وتاءٍ معلوّ، ومعناهُ: الضِّياء، وموضِعُه من بلادِ قَزُولةَ، يُدعَى آيدا وَ غَرْدا، بهمزة وألف وياءٍ مسفول [ودال غُفْل وألف]، ومعناه: أهلٌ أو طائفة، وواو مفتوح ومعناه: [ابن، وغَيْن] معجَمٍ مفتوح وراءٍ

(١) ترجمه الحميدي في جذوة المقتبس (٦٨١)، وعنه الضبي في بغية الملتمس (١١٤٧)، وابن الأبار في التكملة (٢٨٧٣).

(٢) ترجمه القفطي في إنباه الرواة ٢/ ٣٧٨، وابن الأبار في التكملة (٢٩٢٠)، وابن خلكان في وفيات الأعيان ٣/ ٤٨٨، وابن الزبير في صلة الصلة ٤/ الترجمة ١٠٣، وابن الوردي في تاريخه ٢/ ١٣٢، والذهبي في المستملح (٧٣٦)، وتاريخ الإسلام ١٣/ ١٧٠ و٢٤٦، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٩٧، والعبر ٥/ ٢٤، واليمني في إشارة التعيين ٢٤٧، والفيروزآبادي في البلغة ١٧٩، وابن الجزري في غاية النهاية ١/ ٦١١، والقادري في نهاية الغاية، الورقة ١٨٠، والسيوطي في بغية الوعاة ٢/ ٢٣٦، وابن العماد في الشذرات ٥/ ٢٦.

ساكن ودالٍ غُفْل وألفٍ، ومعناه: [الفار، وأصلُه] بألفٍ قبلَه همزة، ثم تُحذَفانِ تخفيفًا، فكأنّ معنى اسم هذا [الموضع: طائفةُ ابن الفار].

شرَّقَ أبو موسى وحَجَّ وحضَرَ بمِصرَ مجلسَ أبي محمد عبد الله [بن بَرِّي بن عبد] الـجَبّار بن بَرِّي رئيس النَّحْويِّينَ بالبلادِ المِصريّة، والمرجوع إليه [في عِلم] العربيّة، وأبو موسى لا يُحسِنُ شيئًا من النَّحو فبحبِّه في العلم ومُواظبتِه على طلبِه لم يمُرَّ له إلا القليلُ حتى فَهِمَ الطريقةَ وتكلَّمَ فيها معَ أربابِها، وعَكَفَ على قراءةِ النّحو عندَ أبي محمد بن بَرِّي، وقَرأَ عليه «تاج اللغة وصِحاحَ العربيّة» لأبي نَصْر إسماعيل بن حَمّاد النَّيسابوريِّ الـجَوْهريّ، وكتبَه بخطِّه، ورَوى أيضًا هنالك عن مهذَّب الدِّين أبي المحاسِن مُهلَّب بن الـحَسَن بن بَركاتِ بن عليِّ بن غِيَاث بن سَلْمانَ الـمُهلَّبيِّ النَّحويّ اللُّغويّ، وبالإسكندَريّة عن أبي الطاهر السِّلَفيِّ، وأبي حَفْص عُمرَ بن أبي بكر بن إبراهيمَ التّميميِّ السَّعْديِّ الصِّقِلِّي. ثُم قَفَلَ إلى بلادِ المغرِب، فأقام بجزائرِ بني زَغنَى[1] مُدّةً أخَذَ بها عن أبي عبد الله بن إبراهيم[2] أصُولَ الفقه ولزِمَه حتى أتقنَه، ودرَّس أثناءَ مقامِه بها العربيّة، فأخَذَ عنه بها حينَئذٍ أبو زكريّا يحيى بنُ مُعْط بن عبد النُّور الزَّواويُّ الـمُستوطِنُ بعدُ دمشقَ المدعوُّ هناك بزَين الدِّين ناظمُ الأُرجوزةِ المهذّبةِ في النَّحْو الموسومةِ بـ«الدُّرّةِ الألفيّة في عِلم العربيّة»[3]، وأبو عبد الله محمدُ بن قاسم ابن مِنْداس، وأخَذَ عنه بها أو بغيرها من بلاد إفريقيّةَ أبو زكريّا يحيى بن عليِّ بن الـحَسَن بن عليّ ابن حَبُوس الـهَمْدانيّ، وأبو عبد الله محمدُ بن عليّ بن بلقينَ القَلْعيُّ ابن طَرَفة.

ثم أجازَ البحرَ إلى جزيرةِ الأندلُس، فكتبَ[4] بالـمَرِيّة زمانًا، وأخَذَ عنه بها من أهلِها جماعة، منهم: أبو إسحاقَ بنُ غالب، وأبو عبد الله بن أحمدَ ابن

---

(١) هي عاصمة الجزائر الحالية.

(٢) ستَرِد ترجمته في هذا السفر رقم (٧٣).

(٣) هي الألفية السابقة على ألفية ابن مالك، وهي مطبوعة، وترجمة ابن معط في بغية الوعاة ٢/ ٣٤٤.

(٤) هكذا في الأصل، ولعلها فمكث أو أنها بتشديد التاء.

الشَّوّاس، ثم عاد إلى العُدْوة وأخَذَ عن أبي محمد الـحَجْريِّ، واستَوْطنَ مَرّاكُشَ وانتَصَبَ فيها لتدريس العربيّة، فأخَذَ عنه بها أبو إدريسَ يعقوبُ بن يوسُف الصُّنْهاجيُّ، وأبو إسحاقَ ابن القَشّاش شيخُنا، وأبو بكرٍ عبدُ الرحمن ابن دَحْمان، وأبو الـحَجّاج ابن علاءِ النّاس، وأبو الـحَسَن ابن القَطّان، وأبو زَيْد الـمَكّاديُّ، وأبوا عبد الله: ابنُ إبراهيمَ الوَشْقيُّ، وابنُ أبي الرّبيع بن محمد الإيلانيّ، وأبوا العبّاس: ابنا المحمَّدَيْنِ: ابن زكريّا المنجصيُّ، والـمَوْرُوريُّ، وأبوا محمدٍ: عبدُ الصّمد ابن يُوْشْجَل، ويُكتَبُ أيضًا: يُوجْكَل، [وبالرَّسْمَيْنِ وقَفتُ عليه في خطِّ] أبي موسى في موضِعَيْن، وهو بالياءِ المسفول وواو مَدّ وجيم [معقودٍ ساكن وقافٍ] معقود مفتوح ولام، ومعناه... الـمَجّونيّ [بفتح الميم وجيم] مشدَّد وواوِ مَدّ ونون منسوبًا[1]، وعبدُ الكريم بن محمد الـخُزَاعيُّ، وأبو يعقوبَ [بن يحيى بن عيسى] بن عبد الرحمن التادَليُّ ابنُ الزَّيات.

وكان كبيرَ النُّحاة غيرَ مُدافَع، [جيِّدَ التلاوة] حسَنَ الإلقاء، حافظًا للُّغة ضابِطًا لما يقيِّدُ، حسَنَ الـخَطِّ المشرِقيّ [وافرَ الـحَظّ من الفقه] بارعًا في أصُولِه، متعلِّقًا بطرَفٍ صالح من روايةِ الحديث، معَ الوَرَع والزُّهد [والصَّلاح] والانقباضِ عن مخالطةِ الناس ومُداخَلةِ أبناءِ الدنيا، وهُو أولُ من أدخَلَ «صحاحَ الـجَوْهريِّ» إلى المغرِب.

وله مصنَّفاتٌ في النَّحو مفيدة، أشهَرُها: التقييدُ المحاذي بِهِ أبوابَ «الـجُمَل» للزَّجّاجيّ المسَمَّى بالاعتماد، وبالقانونِ أيضًا، الجاري عليه بينَ الناس [اسمُ]

---

(١) ورد اسمه في التشوف هكذا: «سمعت أبا محمد عبد الصمد بن يوجكل الركوني يقول» فهو إذن من شيوخ التادلي أو أصحابه. قال: «بلد ركونة من عمل مراكش» التشوف: ٤٠١، ووردت هذه النسبة عنده مرة ثانية (ص٢١)، والتادلي ضابط وأقدم من ابن عبد الملك، وابن عبد الملك أكثر منه اطلاعًا. وقد ضبطها كما ترى بالحروف وقد وردت عنده نسبة الركوني في موضع آخر. وانظر هل النسبة المذكورة إلى جبل مكون أو إلى قلعة مجونة.

الكُرّاسة القَزُوليّة، ومن الناس - وأكثرُهم بعضُ الأندَلُسيِّين[1] - من يَنسُبُها لشيخِه أبي محمدٍ ابن بَرِّي ويَذكُرُ عن أبي موسى أنه كان يقول: إنها جمْعُ تلامذة أبي محمد بن بَرّي حسبَما لَقِنُوهُ عنه، ومنهم مَن يَأْثُرُ عن أبي موسى أنها من إملاءاتِ ابن بَرِّيّ على أبوابِ «الـجُمَل» وأنّ أبا موسى كمَّلَها، وكلُّ ذلك مما لا ينبغي التعريجُ عليه، وإنّما هي تقوُّلاتُ حَسَدتِه النافِسينَ عليه، وإلا فلمَ [لم] تُعرَفْ إلا من قِبَل أبي موسى وقد أخَذَها الناسُ عنه ودرَّسهم إياها ولم تُشهَرْ إلا له؟ وقد وقَفْتُ على خطِّه في نُسَخ منها محمِّلًا إياها بعضَ آخِذيها عنه، ولم يأتِ بها أحدٌ زاعمًا أنه أخَذَها عن ابن بَرِّيّ على كثرةِ تلاميذِه والآخِذينَ عنه إلى عصرِنا هذا، ولم يزَلْ أبو موسى يتَولّى تهذيبَها وتنقيحَها والزّيادةَ فيها والنقْصَ منها وتغييرَ بعض عباراتها حسبَما يؤدِّيه إليه اجتهادُه ويقتضيه اختيارُه، وشهيرُ وَرَعِه يَزَعُه عن التعرُّض إلى مثل هذه التصرُّفاتِ في غير مصنَّفِه، اللهمّ إلا أن يكونَ ابنُ برِّيّ قد أذِنَ لهُ في ذلك، وهو بعيدٌ إن لم يكنْ باطلًا؛ لِـما تقَدَّم من أنه لم يأتِ بها أحدٌ عنه ولا نَسَبَها إليه منذُ مئةٍ وثلاثينَ سنةً أو نحوِها وهلُمَّ جرًّا، وعلى الجملة، فإنه كان راسخَ القَدَم في النَّحو، ولا سبيلَ إلى إنكارِ ذلك، ومصنَّفاتُه تشهَدُ بذلك، ككتابِه الذي بَسَطَ فيه مقاصدَ هذا «الاعتماد» وتوفِّي

---

(١) منهم ابن الزبير في الصلة (٤/ الترجمة ١٠٣)، وابن الأبار في التكملة رقم (٢٩٢٠) ولعلهما تابعا في ذلك الشلوبين الذي كان يعتقد فيها أنها ليست لأبي موسى، قال أبو جعفر اللبلي: «وما ظنه غير صحيح، وقد بينت ذلك في البرنامج الكبير». وقد ألف البقوري دفين مراكش في الموضوع كتاب «الانتصار لأبي موسى الجزولي» كما أن المنصفين من الأندلسيين أعجبوا بها وعنوا بتدارسها وشرحها، ولابن حوط الله في مدحها:

كراسة في النحو لكنها	تحوي من العلم كراريسا
صغيرة الحجم وقد أسّست	قواعد الصنعة تأسيسا
قد مخض الزبد بها نحوه	فاستوجب الشكر أبو موسى

ونظمها بعضهم وهو ابن غياث الشريشي في رجز تعليمي. انظر الذيل والتكملة (٦/ الترجمة ٧٧٩)، ورحلة ابن رشيد ٢/ ٢٣٦ تحقيق الشيخ ابن الخوجة، ومذكرات ابن الحاج النميري: ٤٨.

قبلَ إكمالِه، وشَرَحَ أيضًا «إيضاحَ» الفارسيِّ جُملةً، وشَرَحَ شواهدَه مُفردةً، إلى غيرِ ذلك من التنبيهاتِ والمعلَّقات [على «كتاب] سِيبوَيْه»، و«مفصَّل» الزمخشَريّ، وغيرِ ذلك[1] ممّا يُعرِبُ عن وفورِ [مَلَكتِه وسَعةِ] إدراكِه في هذا الفنّ، وقد حدَّثني غيرُ واحد ممّن لقِيتُه أنّ [الشَيخَ النَّحويَّ] الحافلَ أبا عليّ ابنَ الشَّلَوْبِين[2] قَدِمَ على مَرّاكُش أوّل قَدَماتِه عليها [وصِيتُه بعيد،] وذِكْرُه عتيد، وهُو مستعدٌّ بما عندَه للظهورِ على من اشتَملت عليه [الحضرةُ من الـمُرتسِمينَ] بالعربيّة، فدَخَلَ إليها من باب دكالةَ أحدِ أبوابِها الشَّماليّة، [وكان] أبو موسى في ذلك الوقتِ يدرِّسُ في مسجدٍ على الطريق بمقرُبةٍ من ذلك البابِ [الذي اجتازَ] به الأستاذُ أبو عليّ، وسمع أصواتَ طلبةِ العلم قد عَلَت بالـمُذاكَرة والـمُباحثة، فسأَلَ عن ذلك فأُخبِر أنه مجلسُ بعضِ أساتيذِ العربيّة، فدَخَلَ إليه متشوِّفًا ومتطلِّعًا على مَراتبِ طلبةِ مَرّاكُش في النّحو، فألْفاهُم يتفاوَضُونَ في مسائلَ من النَّحو، وبينَما هو يَستطرِفُ مأخَذَهم في الـمُناظرة دَخَلَ أبو موسى رجلًا رقيقَ الأدَمة تعلوهُ صُفرة، ذا غديرتَيْنِ، مُبتذَل الملبَس، على رأسِه قُلُنْسُوة عزف، على زيِّ ذوي الـمِهَن من بَرابرةِ البوادي، وعندَما أطلَّ عليهم سَكَتوا وسَكَنوا هَيْبةً له وإجلالًا، ولـمّا استقرَّ بأبي موسى المجلسُ أخَذَ يتكلَّمُ في بعض أبوابِ العربيّة بضَبْطِ قوانينِها وتقييدِ مسائلِها وإحكام أصولِـها بما لا عهدَ لأبي عليّ بمثلِه، فبُهِتَ عندَ ذلك وسُقِطَ في يدِه، وقال: إذا كان مثلُ هذا الموضع الخامل الذي

---

(١) أشار ابن خلكان ٣/ ٤٨٤ إلى بعض مؤلفات الجزولي التي لم يذكرها المؤلف فقال: «وسمعت أن له أمالي في النحو ولكنها لم تشتهر، ورأيتُ له مختصر الفسر لابن جني في شرح ديوان المتنبي».

(٢) ترجمته ومصادرها في السفر الخامس (الترجمة ٨٠٧) وفيها أنه قدم مراكش أيام المنصور من بني عبد المؤمن، وذكر بعض من ترجم له أنه شرح الكراسة الجزولية شرحين اثنين (انظر بغية الوعاة ٢/ ٢٢٥) ويبدو أن ذلك وهم جره تشابه الألقاب فالذي شرح الجزولية هو أبو عبد الله محمد الشلوبين المالقي وليس أبا علي عمر الشلوبين المشهور، قال ابن عبد الملك في ترجمة الأول: «وكمّل ما كان بدأ به أبو الحسن ابن عصفور من التعليق على «القزولية» كتابًا مفيدًا» (الذيل والتكملة ٦/ الترجمة ١٢٤٢).

لا يكادُ يُؤبَهُ له، ولا يُعَدُّ من كبارِ مجالِس العلم؛ لكونِه في أُخْرَياتِ البلد، يَنتصبُ للتدريس فيه مثلُ هذا البَرْبريِّ البعيدِ في بادي الرأي عن التكلُّم، فضلًا عن مثلِ هذا الاستبحارِ في النَّحو، فما الظنُّ بالمجالِس المحتفِلة والمساجِدِ المشهورة التي يَعتني بها وبمدرِّسيها ولاةُ الأمر ويَعظُمُ فيها الـحَفْل ويجتمعُ إليها أكابرُ طلبةِ العلم؟ هذا بلدٌ لا أَسُودُ فيه بعلمي، فانكفأ للحِين من ذلك الموضع، ولم يحُلَّ بمَرّاكُش ولا حضَرَ مجلسًا من مجالِس أساتيذِها، وعاد إلى بلدِه إشبيليةَ مُقْضيًا العجبَ مما شاهدَه، ولـمّا شاع ذكْرُ أبي موسى واشتُهر أمرُه وعُرِفَ قَدْرُه، تكاثَرَ طلَبةُ العِلم عليه وانثالوا من كلِّ حَدْبٍ إليه حتى ضاقَ عنهم ذلك المسجدُ الذي كان يدرِّسُ فيه، فانتقلَ إلى مسجدِ ابن الأبكَم شَماليَّ محلّةِ الشرقيِّين أسفلَ ممرِّ بابِ أغمات الأعظم إلى جهةِ العوّادِين، ولـمّا نُمِيَ إلى المنصُور، من بني عبد المؤمن، خبَرُه وقرِّر عندَه ما هو عليه من الدِّين والزُّهدِ والوَرَعِ والتقشُّف والإعراضِ عن الدّنيا والانقطاع إلى [نَشْر العلم والبُعدِ عن التعرُّض] لأهلِ الجاهِ من الأُمراءِ والوُلاة ـ وكان دأْبُ عبدِ المؤمن وبنيهِ [التنقيرَ عمّن هذه] حالُه والكشفَ عن باطنِ أمرِه متخوِّفينَ ثورتَه وخروجَه عليهم ـ [فأمَرَ كبيرَ وُزرائه] أبا زيدٍ ابنَ يَوُجّانَ[1] ـ بياءٍ مسفولٍ مفتوح وواو مضموم وجيم مشدَّد [وألفِ مَدّ ونون ـ ونقيبَ] طلبةِ العلم حينَئِذٍ أبا القاسم ابنَ أبي محمد المالَقيَّ[2] فأمَرَهما بالتوجُّه إليه [وإحضارِه بينَ] يدَيْه، وأوعَزَ إلى

---

(١) هو أبو زيد عبد الرحمن بن موسى بن يوجان الهنتاتي، انظر فيه: المعجب: ٣٣٨، ٣٨٧، ٣٩٣ والبيان المغرب (في مواضع متعددة) والروض المعطار (مادة جنجالة).

(٢) هو الحسين بن عبد الله المعروف بابن المالقي، ولد بإشبيلية سنة ٥٦٧هـ وتوفي بمراكش سنة ٦١٧هـ ترجمته في التكملة (٧٤١) والإعلام للمراكشي ٣/ ٢٠٠ وفيها أنه «كان بمراكش رئيس الطلبة، وهي خطة سلفه» أما سلفه المشار إليه فهو والده أبو محمد عبد الله، وترجمته في التكملة (٢١٠٩) ونيل الابتهاج: ١٣٤ ويتردد ذكره في كتب التاريخ مثل المن بالإمامة والمعجب والبيان المغرب والأنيس المطرب، وله أولاد آخرون منهم أبو علي بن أبي محمد المالقي، كان على قضاء قرطبة واستدعي منها إلى حضرة مراكش «وقُدّم بها على طلبة الحضر خطة أبيه وإخوته» كما في البيان المغرب ٣/ ٢٣٣-٢٣٤ قسم الموحدين.

وزيرِه أنه إنْ وافقَه على الوصُولِ مَعه استَصْحَبَه مُكرَّمًا مبرورًا، [وإن بَدَا] منه تأبٍّ أو تلكُّؤٌ ضَرَبَ عنُقَه في مجلسِه وجاء برأسِه، فتوجَّها إليه، ولـمّا دخَلا عليه [أمّا] نحوَهُ، فلم يَعْبَأْ بهما ولا عَرَفَ من هما، وظنَّهما ممّن قَصَدَ إليه لاقتباسِ العلم، ولـمّا انتَهَيا إليه سَلَّما عليه فرَدَّ عليهما السلام، ومَرَّ في شأنِه غيرَ معرِّج عليهما، فمَكَثا هُنَيْأَةً، فرأَيا من حالِه وهيئتِه ومعرفتِه وهيبتِه عندَ الحاضِرينَ ما أوقَعَ في نفوسِهما إجلالَه، ثم دَنَا له الوزيرُ وقال له: أجِبْ أميرَ المؤمنين، فإنّا رسولاهُ إليك، فسَبْحَلَ وحَسْبَلَ وحَوْقَلَ وقال: ما لي ولأميرِ المؤمنين! وأخَذَ يُكرِّرُها، فتشاغَلَ عنه الوزيرُ بالتكلُّم معَ بعضِ مَن وَلِيَه من حاضِري طلبةِ المجلس، وأشار إلى رئيس الطلبةِ بأن يُلقيَ إليه ما يُـهَوِّنُ عليه إجابةَ الدّعوة والعملَ على مَرْضاةِ أميرِ المؤمنين، ويُعرِّضَ له بما تَـجُرُّ الإبايةُ عن ذلك ممّا يُحذَرُ عليه، فلم يزَلْ يتَلطَّفُ به حتّى أجابَ إلى ما دُعيَ إليه على كُرهٍ منه، وتوجَّهَ معَهما، وأخَذَ أبو القاسم يؤنِسُه ويُلقي إليه صورةَ لقائه المنصُورَ كيف تكون، ويؤكِّدُ عليه في مُوافقةِ أغراضِه جمع، حتى انتَهَيا به إلى مجلسِ المنصُور، فدَخَلَ عليه متلفِّفًا في عباءةٍ مؤتزِرًا بقطعةِ ثوبِ صُوف، فعَجِبَ من هيئتِه، واختبَره بكلِّ وجهٍ واستَنْطَقَه، فألْفاهُ أحدَ رجالِ الكمالِ فصاحةً ودينًا وفضلًا وعلمًا، فقرَّبَه وأدناهُ ولاطَفَه في الـمُكالمة حتى آنَسَه، وأمَرَه بنَزْعِ ما عليه من الثّيابِ ولُبْسِ كُسوةٍ كاملة قد أُعدَّت له، فامتثَلَ للأمرِ عملًا على إشارةِ أبي القاسم، ثم صَرَفَه مُكرَّمًا منوَّهًا به، وأصْحَبَ النقيبَ أبا القاسم ابنَ الـمالَقيِّ مؤنِسًا إياه، فلمّا انتَهَيا إلى بابِ السّادة، أحدِ أبوابِ القَصْرِ الـمُفْضِيةِ إلى ظاهرِه وخارجَ مَرّاكُش، قُدِّمت إليه بغلةٌ فارهةٌ قد عُيِّنت لركوبِه، فأشار عليه أبو القاسم بركوبِها، وتوَجَّه معَه نحوَ مَرّاكُشَ حتّى دخَلا على بابِ القصر، وهو الجاري عليه اسمُ بابِ الرَّبّ، وأبو موسى لا يَعرِفُ أين يُتوجَّهُ به، حتّى أفْضَيا إلى دارٍ بمحَلّةٍ هرغةَ، فدخَلا إليها، فوجَداها [مُشتمِلةً على جميع ما] يحتاجُ إليه طالبُ العلم المتمدِّنُ من كُتُبِ العلم منوّعة [الفنون وعَبيدٍ وإماء] وبُسُطٍ وفُرُش ومُعلَّقاتٍ ومَواعينَ وأثاثٍ وخرثيّ وأطعمةٍ على اختلافِها وتوابلَ ووقودٍ وفَخّارٍ وغيرِ ذلك، ولـمّا

استقَرّا بالدارِ وتَطوَّفا عليها [ونَظَراها عُلوًا وسُفلًا]، واطّلعا على جميع ما فيها، أعلَمَه أبو القاسم أنها وجميعَ ما احتَوتْ عليه له، وسَلَّمَها إليه وأقرَّه فيها وانصَرفَ عنه، ولم يزَلِ المنصُورُ بعدَ ذلك شديدَ العناية بأبي موسى راعيًا له مُفيضًا عوارفَه عليه متعهِّدًا أحوالَه متبرِّكًا [به وبرؤيتِه]، وقَدَّمهُ إلى الـخُطبةِ في جامعِه الأعظم المتّصل بقصرِه حين أتمَّ بناءه، فكان أولَ خطيبٍ به، واستمرَّ حالُه معَه على ذكرٍ من التنويهِ به واعتقادِ الخيرِ التامِّ فيه، ولـمّا حضَرَتِ المنصورَ الوفاةُ عَهِدَ أن يتوَلّى غَسْلَه أبو موسى تبرّكًا به، فكان كذلك[1]، وكان أبو العبّاس القورائيُّ على عادتِه في التنكيتِ على الناسِ والنَّيل منهم يقولُ إذا رأى أبا موسى: الصُّفرةُ في الوجهِ كَنْزٌ من الكنوز!

وأخبرَني[2] غيرُ واحدٍ ممّن أثقه أن الفقيهَ المتفنِّنَ الوَرِعَ الـمُجمَعَ على فضلِه أبا سَعِيد يَـخْلفتين ابن تنفليشت بن إبراهيمَ المتراريَّ البوغاغيَّ، رحمه الله، كان متى أشكَلَ عليه شيءٌ من عِلم العربيّة تعرَّض لأبي موسى في طريقِه الذي جَرَتْ عادتُه بالمرورِ عليه من دارِه متوجِّهًا إلى مجالسِ المنصُور أو إليها منفصِلًا عنه، فيَستفتيهِ فيما يَعرِضُ له، وأبو موسى راكبٌ، فيهُمُّ بالنّزولِ إليه والـمُواعَدةِ معَه في الوصُولِ إلى منزلِه أو الاجتماع به في أحدِ المساجدِ القريبة من موضعِ تلاقيهما أو الوقوفِ معَه حتى يَفرُغا من مُحاورتِهما، فيأبَى أبو سَعِيد من ذلك كلِّه إلا مماشاتَهُ على قدمَيْه، وأبو موسى راكِبٌ، فكانَ أبو موسى يَقلَقُ لذلك كثيرًا تواضعًا منه وإجلالًا لأبي سَعِيد، ولا تسَعُه إلا مساعدتُه، فَيأخُذُ معَه فيما قصَدَ

---

(١) نقل ابن مرزوق في كتابه: «المسند الصحيح الحسن» الحكاية المذكورة هنا من قول المؤلف: «ولما نمي إلى المنصور» إلى آخرها. وقد استفدنا من نقل ابن مرزوق الحرفي عن المؤلف في المقابلة وملء المحو الواقع في نسختنا الوحيدة، ومن المعروف أن ابن مرزوق كان يملك نسخة موثقة من الذيل والتكملة وصل إلينا بعض أجزائها. انظر المسند الصحيح الحسن: ٣٤١-٣٤٣ تحقيق الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا.

(٢) نقل ابن مرزوق في المسند أيضًا هذه الحكاية من هنا إلى قوله: نفعه الله. انظر المسند الصحيح الحسن: ٣٤٣، وزاد ما يلي: «وكان أبو سعيد هذا كبير الشأن أيضًا نفع الله بجميعهما بمنه».

إليه بسببِه حتّى ينقضيَ أرَبُه وينفصلَ عنهُ أبو سَعِيدٍ متأسِّفًا عليه مسترجعًا قائلًا: أيّ رجُلٍ استمالتْه الدّنيا واستَهواهُ زُخرُفُها! وكان هذا القولُ من أبي سَعيدٍ بناءً على حالتِه التي سَتَرَه اللهُ فيها وأعانهُ عليها، وإلا فأبو موسى رحمه اللهُ لم يتلبَّسْ من الدّنيا إلا بما يَتظاهرُ به بينَ أبنائها تَقِيّةً منه على نفسِه، فأمّا في باطنِ أمرِه وخفِيِّ حالِه فإنه كان على أرفع درجاتِ الزُّهدِ والتقلُّل من الدّنيا، نفَعَه اللهُ.

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: والشيءُ يُذكَرُ بالشّيء، كان الشّيخ أبو سَعِيدٍ هذا رحمَه اللهُ قد صنَّفَ كتابًا جمَعَ فيه فنونَ العلم على تفاريقِها حسبَما انتهى إليه إدراكُه واقتضاهُ تحصيلُه، وسمّاه «منارَ العلم»[1]، فأخبرَني الشّيخُ الحافظُ أبو عليّ الماقريُّ الضَّريرُ رحمَه الله، قال: كنتُ جالسًا معَ [أبي سَعِيد] هذا بدُكّانِ بعض الوَرّاقينَ من مَرّاكُش ولا ثالثَ معَنا، فقلتُ له: [إنّك] قد أغْرَبْتَ بوَضْع هذا الكتاب وجمَعْتَ فيه متفرِّقاتِ ضروبِ العِلم [وفنونَه] فما سبقَكَ أحدٌ إلى وَضْع مثلِه، وقد رأيتُ رأيًا أعرِضُه عليك، فقال: [وما هو؟ فقلت:] ترفَعُه إلى أمير المؤمنينَ، وذلك صَدْرَ أيام المستنصِر من بني عبد المؤمن، [فإنّ ذلك] أشهرُ لهُ وأنفَقُ لسُوقِه، فأضْرَبَ عن جَوابي، ولم يَرُعْني إلا صوتُ باكٍ ولا عهدَ لي بثالثٍ معَنا، فتحسَّستُ أمرَه فتحقَّقتُ أنهُ الباكي، فقلتُ له: أبا سَعِيد، ما لك؟ فأعرَضَ عنّي وتمادَى على بُكائِه ساعةً ثم قطَعَه واسترَجَعَ، وقال لي: أحسَنَ اللهُ عزائي فيكَ وأعظَمَ أجري في المصابِ بك، قد كنتُ أعتقدُ أنّا لم

---

(١) أشار إلى هذا الكتاب العبدري الحيحي في أول رحلته وذلك بمناسبة زيارته قبر الشيخ الصالح أبي حفص عمر بن هارون ببلد أنسا من أعلى السوس الأقصى وهو مترجم في التشوف، قال العبدري: «وذكره الشيخ الصالح أبو سعيد الحاحي المتراري في كتابه «منار العلم» وقال: إنه كان يدخل عليهم في الدرس فيقول: تهنيكم عبادة القلوب والألسن والأيدي والأعين يعني العلم، وهذا كلام من أُيِّد بالتوفيق، وأُيِّد بالتحقيق»، وعرض مؤلف «مفاخر البربر» إلى هذا الكتاب وإلى مؤلفه فقال: «ومنهم (أي من علماء البربر) الشيخ أبو عبد الله ـ كذا ـ البوغاغي، وله كتاب منار العلم» انظر الرحلة المغربية: ٧ تحقيق الأستاذ محمد الفاسي، ومفاخر البربر: ٧٢.

نَصطحِبْ إلا لله وللنّصيحةِ فيه ولتُرشِدَني إلى ما فيه تحسينُ عاقبتي والفَوْزُ بالنّعيم الدائم في آخِرتي، فأمّا الإشارةُ بالتعرُّضِ إلى أبناءِ الدنيا ولا سيّما بالعِلم الذي أَنفَقْتُ فيه عمُري طالبًا لِـما عندَ الله فما كنتُ أُقدِّرُ خطورَ ذلك ببالِك، ثم قام مُسرِعًا، ورُمتُ القبضَ عليه ففاتَني، ولـمّا كان في اليوم الثالثِ لقِيَني مُسلِّمًا عليّ وقائلًا: لولا عُذرُك بكفِّ بصَرِك لآثَرْتُك بفضيلةِ البَدْءِ بالسلام؛ لإزالةِ الهجرة، ثم عاد إلى بعضِ ما كنّا عليه، ولا كالتودُّد الذي كان بينَنا، ولم يَزَلْ عاتبًا لي على ما صَدَرَ له منّي في ذلك حتّى تفرَّقْنا، ففَصَلَ إلى بلدِه بحاحةَ رحمَه الله[1].

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: ولم يزَلْ أبو موسى بعدَ وفاةِ المنصُور حَظِيًّا عندَ ابنِه الناصِر مكرَّمًا لدَيْه يَستصحِبُه في أسفارِه ويَتبرَّكُ بلقائه، إلى أن وَجَّهَه رسُولًا ومُصلِحًا في قضيّةٍ بينَ بعضِ صُنهاجةَ الساكنِينَ بأزْمُور، فتوفِّي هناك ليلةَ السبت الثالثةَ عشْرةَ من شعبانِ سبع وست مئة، وصَلّى عليه عبدُ الوهّاب ودُفنَ بتُربة الشّيخ الفاضِل أبي شُعَيْب[2] أيوبَ بن سَعِيدٍ الصُّنْهاجيِّ المعروفِ بالسّارِيَة شُهرةً عُرِف بها لطولِ قيامِه في الصّلاةِ، ومولدُه بأيدا وَغَردا عامَ أربعينَ وخمس مئة، وأخبَرَني غيرُ واحدٍ ـ منهم الشّيخُ الفقيهُ المتخلِّقُ الفاضل أبو العبّاس أحمدُ بن عبد الله بن عبد العزيز بن عَبْدون[3] البَرغْواطيُّ الأصل الزّموريُّ المولدِ والنَّشأةِ

---

(١) تقدم ذكر هذا الفقيه المتفنن الورع في ترجمة ابن القطان، ولا نعرف عنه أكثر مما ذكر هنا وهناك، ومن المؤسف حقًا أن تضيع ترجمته وموسوعته الغريبة التي لم يسبقه أحد إلى وضع مثلها. ويذكرنا موقف هذا العالم المغربي بموقف العالم الأندلسي ابن التياني الذي وجه إليه أمير بلده مجاهد العامري ألف دينار على أن يزيد في عنوان كتابه تنقيح العين هذه العبارة: «مما ألفه لأبي الجيش مجاهد» فرد الدنانير وقال: والله لو بذلت لي الدنيا على ذلك ما فعلت، فإني لم أجمعه له خاصة لكن لكل طالب عامة. انظر القصة في جذوة المقتبس (٣٤٣).

(٢) ترجمة المولى أبي شعيب وأخباره في التشوف. انظر الفهرس.

(٣) له ترجمة قصيرة في درة الحجال ١/ ٧٥ وفيها أنه «الشيخ الفقيه الصالح العالم، القدوة الكبير، العلم الشهير، نزيل أزمور وبها توفي في شهر رمضان المعظم عام ٦٨٨هـ» وهي ترجمة منقولة عن مفاخر البربر: ٧٢.

هُو وسَلَفُه عبدون فمَن بعدَه المعروفُ بالصَّبّان، [الـمِهنة التي] كان يَنتحلُها قبلَ ضَعْفِه عن القيام بها، وهو المتّفَقُ على فضلِه، وما [أعزَّ المتّصفَ بهذه] الـمَنْقَبة العَلِيّةِ في عصرِنا هذا، [وإلى] عبدون جَدِّ أبيه يَنتسبُ [البابُ الغَرْبيُّ من أبوابِ] أزْمُورَ والبئرُ القريبةُ منه هنالك ـ قال: لـمّا توفِّي أبو موسى القَزُوليُّ، رحمَه الله، تفاوَضَ أهلُ العِلم والـخَيْر والصّلاح في تعيينِ مدفِنِه، فقال بعضُهم: يُدفَنُ إزاءَ أبي شُعيب، لعلّهُ يجدُ بركةَ أبي شُعَيْب، وكان ممّن حضَرَ ذلك المقامَ وتلك الـمُفاوضةَ الفقيهُ أبو بكر بن محمد بن أبي بكر الزَّنَاتيُّ النَّحْويّ، فقال: نعم، يُدفَنُ معَه حتى يجدَ أبو شُعَيْب برَكةَ أبي موسى؛ لأنه كان في الصّلاح والفَضْل مثلَه، ويزيدُ أبو موسى عليه بفضيلةِ العلم، فدُفنَ إلى جَنْبِه[1].

قال المصنِّفُ عفَا اللهُ عنه: وقد زُرتُ قبرَه غيرَ مرّة متبرِّكًا به وبمَن ضمَّتْه تلك التُّربةُ، وهو لاطئٌ بالأرض وَسَطَ قُبّة بين قبرَيْ أبي شُعَيْبٍ المذكور وابن ابنِه الناسِك الوَرِع أبي محمدٍ، رحمةُ الله عليهم أجمعينَ ونفَعَ بعضَهم ببعضٍ ونفَعَنا بهم وبحبِّهم.

٤٤ـ عيسى[2] بن عِمرانَ بن دافَالَ، بدال غُفْل وألِف وفاءٍ وألِفٍ ولام، الـمِكْنَاسيُّ ثم الوَرْدَمِيشيُّ، بفتح الواو وإسكان الراءِ وفتح الدال الغُفْل وميمٍ وياءِ مَدّ وشينٍ معجَم منسوبًا، تِلِمْسينيٌّ، سَكَنَ مَرّاكُش وغيرَها، أبو موسى.

---

(١) في مفاخر البربر ٦٤: «وقدم (الجزولي) أزمور في مدة أمير المؤمنين الناصر وتوفي بها ودفن لزيق الشيخ أبي شعيب، وحكي أنه لقي الشيخ أبا شعيب قبل رحلته إلى المشرق فدعا له فظهرت بركة الشيخ أبي شعيب عليه». وأبو بكر النحوي المذكور لعله شارح المقامات المترجم في نيل الابتهاج: ٣٤٢ ودرة الحجال وفيهما اضطراب في الاسم والتاريخ.

(٢) ترجمه الضبي في بغية الملتمس (١١٥٤)، وابن دحية في المطرب ٤٣، والمراكشي في المعجب ٣١٨، وابن الأبار في التكملة (٢٩١٩)، وابن الزبير في صلة الصلة ٤/ الترجمة ١٠٢، والذهبي في المستملح (٧٣٤) وتاريخ الإسلام ١٢/ ٦١٧، وابن القاضي في جذوة الاقتباس ٢/ ٥٠٣، والمراكشي في الإعلام ٩/ ٣٩٩، ويذكر في المن بالإمامة (ينظر الفهرس).

رَوى ببلدِه عن أبي عليٍّ الـحَسَن بن عبدِ الله ابن الـخَرّاز وغيره، وقَدِمَ الأندَلُسَ طالبًا العِلمَ، فأخَذَ بالـمَرِيّة عن أبي القاسم ابن وَرْد واختَصَّ به وأكثرَ عنهُ، ولقِيَ بأغماتِ وَريكةَ قاضيَها أبا محمدٍ سِبْطَ ابن عبدِ البَرّ فسَمع منه، وبمَرّاكُش أبا يوسُفَ حَجّاجَ بن يوسُفَ وتفَقَّه به.

رَوى عنه أبو الـخَطّاب ابنُ الـجُمَيِّل، وأبو عبد الله بن عليّ بن مَرْوانَ، وأبو عليّ الـحَسَنُ بن حَجّاج، وكان أحدَ رجالِ الجلال فقيهًا حافظًا قائمًا على الفقه وأصُولِه، راسخَ القَدَم في فنونٍ من العلم حسَنَ التصرُّفِ فيها، خطيبًا مِصقَعًا، مُستبحِرًا في الأدب والذِّكْرِ للتواريخ، ذا حظّ صَالح من قَرْض الشِّعر، ومنهُ في مرضِه الذي توفِّي منه يُوصي به أكبرَ بَنِيه وسائرَهم، واشتَملتْ على حِكَمٍ وآداب [من الكامل]:

دَعْ ذكْـرَ دارٍ مـصيرُها أن تَـخْرَبا	واعمَـلْ لـدارِ مَقامـةٍ لـن تـذهَبا
ما كنتُ أحسَبُ يـا عـليُّ[1] مَنِيّتـي	تَقْـضي عـليّ مُغرَّبًـا عـن زَيْنبـا
فارفُقْ بمَـن سـمّيتُها لـك مُـشفِقًا	تُحرِزْ رضايَ [بكَفْل أُختِكَ زَينبـا]
فلهـا بقلبـي لوطـةٌ ومكانـةٌ	تركَـتْ فـؤادي مُوقـدًا متلهِّبـا
جَمَعتْ محبةَ كـلِّ [مَـن] ماتَـتْ لنا	فيها فصار البعضُ كُـلًّا [فاعجَبـا]
ومحمـدًا فاشـغَلْهُ بـالعلم الـذي	هو نافعٌ عن أن يميلَ إلى [الـصِّبا]
وارحَـمْ غَـرارةَ سـنِّهِ وبقـاءَهُ	لليُـتْم مُحتاجًـا إلى أن يُطَّبـا
لـو مِـتُّ قبـلَ شـعورِه بـأُبوّتي	مـرَّت عليـه مُـصيبتي مـرَّ الـصَّبا
لكنّنـي عوَّدتُـه مـا أنْ رأى	مـا دونَـهُ صـار الـصبيُّ مُعـذَّبا

(١) هو أكبر أولاد المترجم، وقد تقدمت ترجمته في الرقم (٥)، وستأتي ترجمة ولده ميمون بن علي في الرقم (١٨٦).

واعلَمْ بأنْ سيكونُ سيفًا قاضبًا ... إن عاش لا يَنْبو إذا سيفٌ نَبَا

يَرمي فيَصمي من نَأى عن وُدِّكمْ ... عَرَفَ المَحزَّ فما أطال المَضرِبا

هذي مَخِيلةُ ذي تجارِبَ جمّةٍ ... قد يُستدَلُّ بما بَدَا عمّا اختَبا

وكذاك إخوتُهُ فكونوا ألفةً ... فبالاجتماع تُكسِّرونَ الأصلُبا

وتُغالَبونَ فتَغلِبونَ عدوَّكم ... لو ظَنَّه الناسُ الأعزَّ الأغلبا

وتُقى الإلهِ فقدِّموها عُدّةً ... لا تُخذَلُ الإخوانُ إن خَذَلَ الشَّبا

وارضَوْا من الدّنيا بأيسرِ بُلغةٍ ... وثِقوا بما قَسَمَ الإلهُ وسبَّبا

فالحرصُ مقرونٌ به ما يُتَّقَى ... وأخو القناعةِ عاشَ عيشًا طيِّبا

قد طَلَّق الدُّنيا بأرفعِ همّةٍ ... فاستَعجَلَ العيشَ الهَنِيَّ الأعذَبا

ولَكمْ رأينا الفاتنينَ بجاهِهمْ ... وبمالِهمْ قد مُزِّقوا أيدي سَبَا

متبرِّئًا منهمْ ومِن سُلطانِهمْ ... متكرِّهًا عِرفانَهمْ متجنِّبا

صَرَعى بسيفٍ مُشهَّرٍ أو نكبةٍ ... صاروا حديثًا في المجالسِ معجِبا

يَبكي لهمْ مَن كان يَبكي منهمُ ... يَرثي لهمْ من أوردَوهُ المعطَبا

أشقَوْا معارفَهمْ وعمَّمَ شُؤمَهمْ ... من كان أبعِدَ منهمُ أو أُقرِبا

والعِلمُ كونوا يا بَنيَّ منَ اهلِهِ ... فالعلمُ أفضلُ ما أرى أن يُكسَبا

فتعلّموهُ لدينِكمْ ومَعادِكمْ ... وذَرُوا أُناسًا صيَّروهُ مَكسَبا

فلهمْ أشدُّ من اللُّصوصِ مضَرّةً ... ولهمْ ذئابٌ يأكلونَ الأذؤُبا

ما أن رأَيْنا عالِمًا أودى طَوًى ... لا بدَّ من عيشٍ ولو رِجلُ الدَّبا[1]

---

(١) الدبا: الجراد، ويمكن أن تقرأ: الربى، ورِجل الربى: البقل.

[كـم آكِـل دَوْمًـا] لذيـذَ طعامِـهِ لم يَحْـمِ يومًـا نفـسَه أن تُعطَبـا

[هـذا وقـد يُكـدِي] المجـدُّ وربّـما أثْرى أخو العجْزِ الذي ما أن حَبَـا

[والـحُكمُ في النِّسوانِ] أظهَرُ عندَكمْ مـن أن أُبـيِّنَ أمـرَهُنَّ الـمُعرَبا

[هذا الكلامُ وذي] التجارِبُ فصَّلتْ أتَـرَوْنَ عن ذا كـم وهـذي مـذهبا

[فالقصدُ] في إرضائهنَّ هو الـهُدى والـحَطُّ في أهوائهنّ هـو الوَبَـا[1]

[والأصلُ] صـحةُ خِلِّهـنَّ ودينُـهُ ولَـشرُّ حـالاتِ الفتـى أن يَـذهبا

فتَطلَّبــوا لفتــاتِكمْ متــديِّنًا يَخـشَى الإلـهَ ويَـستحي أن يُعتَبـا

وذَروا أخـا المـالِ العديـد، فقلّـما كــان التخيُّــلُ فيــه إلا خُلَّبــا

ومتى استضافَ إلى الـحَداثةِ خَيْبةً كـان التَّظَنِّـي فيـه أكـذبَ أكـذبا

والمــرءُ يمحَــضُ رأيَــهُ ولــربّما ظـنَّ الخِـلافَ لِـما يَـراهُ أصـوَبا

لكــنّ كــلَّ إصــابةٍ عــن وَهْلــةٍ عندَ الرِّجـالِ أُولي النُّهـى شِبْهُ الـهَبَا

واللهُ مَوْلانــا يَــصُونُ جمــيعَكمْ لا أرتَجـي مـن غـيرِ مـولًى مطلَبـا

وهـو الكَفيـلُ برحمتـي وسَـعادتي هذا وإن كنتُ المسيءَ الـمُذنِبا[2]

---

(١) والحط في أهوائهن: أي طاعتهن ومتابعتهن، من حط في هواه وانحط فيه، ويقال: أكل من حلوائهم فانحط في أهوائهم.

(٢) ورد مطلع هذه القصيدة والبيتان الأخيران منها مع اختلاف في الرواية في البيان المغرب ص١٢٦ ولم نقف عليها تامة في مكان آخر. والقصيدة من الأدبيات المعروفة بوصايا الآباء للأبناء وهي عديدة في الأدب الأندلسي والمغربي شعره ونثره. وانظر رسالة كتبها المترجم إلى ولد له كان يدرس بمدينة فاس في الأنيس المطرب: ٢٦٨، وجذوة الاقتباس: ٥٠٣-٥٠٤، وانظر كذلك قطعة شعرية له أوردها المقري في نفح الطيب ٣/ ٥٩٨.

واستُقضيَ بإشبيليَةَ مُدّة، ثم وَلِـيَ قضاءَ الجماعةِ بعدَ موتِ أبي الـحَسَن ابن أبي قَنّون، فكان في ولايتِه القضاءَ مشكورَ السِّيرة، جَزْلًا في تنفيذِ الأحكام، معروفًا بالعدالةِ والنزاهة، ولم تَطُلْ مدّتُه في قضاءِ الجماعة، وتوفِّي بمَرّاكُش وهو يتَولّى قضاءَ الجماعةِ لخمسٍ بقِينَ من شعبانِ ثمانٍ وسبعينَ وخمس مئة[1] وأعقَبَ ذُرِّيّةً نَجُبوا وأنجَبوا[2] ثم انقَرضوا إلا بقيّةً خاملةً لا حظَّ فيهم لمختار، ومَوْلدُه سنةَ اثنتَيْ عشْرةَ وخمس مئة.

٤٥ـ عيسى بن محمد، وَجْديٌّ، أبو موسى.

رَوى عن أبي عليّ الصَّدَفيّ[3].

٤٦ـ عيسى بن مُفرِّج بن يَخْلُف الزَّناتيُّ، عُدويّ.

رَوى عن أبي عليّ [الصَّدَفيّ][4].

---

(١) سجلت وفاته في البيان المغرب كما يلي (١٢٥): «وفي هذه السنة (أي سنة ثمان وسبعين) توفي قاضي الجماعة بمراكش أبو موسى بن عمران في الخامس وعشرين لشعبان، وكان فريد زمانه دينًا وعلمًا وأدبًا». وفي الأنيس المطرب: «وفي سنة ثمان وسبعين توفي الشيخ الفقيه القاضي الصالح الورع عيسى بن عمران قاضي الجماعة بمدينة مراكش».

(٢) تحدث عبد الواحد المراكشي عن أولاد المترجم حديث العارف بهم فقال: «وكان له أولاد ما منهم إلا من ولي القضاء، وهم:

١ ـ علي، وكان علي هذا رجلًا صالحًا ولي في حياة أبيه قضاء مدينة بجاية ثم عزل عنها وولي مدينة تلمسان، وهو عندنا من المشهورين بالتصميم والتبتل في دينه وممن لا تأخذه هوادة في الحق.

٢ ـ ومن أولاد طلحة ولي قضاء تلمسان.

٣ ـ ويوسف تركتُه قاضيًا بمدينة فاس، بلغتني وفاته وأنا بمكة سنة ٦٢٠هـ.

٤ ـ وأبو عمران ويوسف قاضي الجماعة في وقتنا هذا» (المعجب ٣١٩).

قلنا: ترجم المؤلف في هذا السفر لعلي (رقم ٥) وموسى (رقم ١٧٦) وعيسى (رقم ٤٤) ويوسف (رقم ٢٢٧) وقد يكون ترجم لطلحة في القسم المفقود من الغرباء ضمن السفر السابع.

(٣) لم يذكر في المعجم لابن الأبار.

(٤) لم يذكر كذلك في المعجم.

٤٧ـ عيسى بن مَيْمونِ بن ياسين اللَّمْتُونيُّ، مَرّاكُشيٌّ سَكَنَ إشبيلِيَةَ، أبو موسى.

رَوى عن أبيه[١].

٤٨ـ عيسى[٢] بنُ يحيى بن جَبَلَةَ الـمَغرِبيُّ، فاسيٌّ، أبو موسى.

وقال فيه ابن بَشْكُوالَ في بابِ عُمر: أبو موسى بن جُبَيْلَةَ، على التصغير[٣]، وهو وَهم. رَوى عنه أبو حَفْص بن محمد الـمُراديُّ.

٤٩ـ عيسى بنُ يوسُفَ بن أبي بكرٍ الصُّنهاجيُّ، تِلِمْسيني، سَكَنَ مَرّاكُش وغيرَها، أبو موسى، ابنُ تاحجلت[٤].

رَوى عن أبوَيْ عبدِ الله التُّجِيبيِّ، وابن عبدِ الحقّ، وكان ذا حظّ من الرِّواية والآدابِ والكتابة وقَرْض [الشِّعر....].

كتَبَ عن أبي زَيْد بن يُوَجّان فابنِه محمد ثم عن أميرِ الأندَلُس [أبي عبد الله ابن] يوسُفَ بن نَصْر بن الأحمر[٥]. وتوفِّي بمَرّاكُش سنةَ إحدى وأربعينَ وست مئة.

---

(١) ترجمة ميمون بن ياسين اللمتوني في التكملة (١٨٥١) وفي هذا السفر رقم ١٨٨.

(٢) ترجمته في التكملة (٢٩١٧)، وجذوة الاقتباس ٢/ ٥٠١.

(٣) انظر الصلة (٨٤٧) ولكن وقع فيه «جِبِيلة» بكسر الجيم والباء، فينظر التعليق عليه.

(٤) انظر ترجمة عبد الحق بن يوسف بن تمحجليت الصنهاجي في صلة الصلة (٤/ الترجمة ١٤) ولعله أخو المترجم هنا، وفي ترجمته أنه توفي بجيان في عشر الأربعين وست مئة.

(٥) لم يذكر في كُتّاب ابن الأحمر مؤسس الدولة النصرية وقد اتخذ هذا بعض الكتاب من أهل العدوة مثل ابن عابد الفاسي وابن خطاب الهنتاتي وعدّ هذا من النادر المستغرب كما يقول ابن سعيد (اختصار القدح) وآثار ردود فعل لدى الكتّاب الأندلسيين تمثلت في الضجة الأدبية التي قام بها ابن عميرة وابن الجنان والرعيني. انظر السفر الخامس (٦٣٦). أما كتابته عن ابن يوجان فقد تكون أثناء توليه تلمسان (انظر البيان المغرب، القسم الموحدي ٢٣٠).

٥٠- عيسى[1] بن يوسُفَ بن عيسى بن عليّ بن يوسُفَ بن عيسى [بن قاسم] بن عيسى بن محمد بن فنتروسَ بن مُصعَبِ بن عُمَيْر بن مُصعَبٍ [الأَزْديُّ ثم الزَّهرانيُّ]، فاسيٌّ، أبو محمد عيسى ابن الـمَلْجوم.

رَوى ببلدِه عن أبوَي الـحَجّاج: أبيه، [ويوسُفَ الكَلْبيِّ] الكَفيفِ[2]، وأبي بكر بن عثمانَ بن مالكٍ الحافظ، وأبي الطيِّب [عبد الـمُنعِم بن مَنّ الله]، وأبي عثمان سَعِيدِ بن حَدوس القَيْسيِّ، وأبي عِمرانَ القُشَيْريِّ وأبي الفَضْل [يوسُفَ] ابن النَّحْويّ، وأبي القاسم عبد الرّحمن بن عبد الملِك الـمَعافِريِّ، وأبي محمد بن حَسُّونِ بن تيدَرتَ بن عليّ.

ورَحَلَ إلى الأندَلُس في طلبِ العِلم رحلتَيْن، لقِيَ في أُولاهما بقُرطُبَةَ حازمًا، وأبا الـحُسَين بن سِرَاج، وأبا عبد الله بن فَرَج مَوْلى الطّلاع، وأبا عليّ الغَسّانيَّ، وأبا محمد بن عَتّاب، فقرَأَ عليهم وسَمِعَ وأجازوا له. وسَمِعَ على أبي القاسم أصبَغَ ابن الـمُناصِف «صحيحَ البخاريّ»، ولقِيَ في أُخْراهُما بإشبيلِيَةَ أبوَيْ عبد الله: أحمدَ الـخَوْلانيَّ، وابنَ شِبرين، وسَمِع عليه، وأجازا له. وسمع بسَبْتَةَ على قاضيها أبي عبد الله بن عيسى، وبأغماتِ وَريكةَ على قاضيها أبي محمد سِبْطِ ابن عبد البَرّ، وكتَبَ إليه مُجِيزًا من سَبْتَةَ أبو عليّ بن سُكّرَةَ، ومن سِجِلْماسَةَ: بكّارُ بن عيسى الغَرْدِيس[3].

رَوى عنه ابنُه أبو القاسم عبدُ الرحيم[4]، وأبو الـحَسَن بن خَليفةَ، وأبو الخليل مُفرِّجُ بنُ سَلَمة، وأبو محمد بن فَلِيج.

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٢٩١٨)، وابن الزبير في صلة الصلة ٤/ الترجمة ١٠١، والذهبي في المستملح (٧٣٤) وتاريخ الإسلام ١١/ ٨٣٣، وابن القاضي في جذوة الاقتباس ٢/ ٥٠٠، والمراكشي في الإعلام ٩/ ٣٩٨.

(٢) ترجمته في التشوف: ٨٣، والصلة (١٥٠٩)، والغنية ٢٢٦، وبغية الوعاة ٢/ ٣٦٢.

(٣) هو جد بني الغرديس من بيوتات العلم والفقه والكتابة بفاس.

(٤) ترجمته في التكملة (٢٣٨٩)، وصلة الصلة ٣/ الترجمة ٣٨٨، والذهبي في تاريخ الإسلام ١٣/ ٩٧، وابن القاضي في جذوة الاقتباس ٢/ ٤١٥.

وكان محدِّثًا حافظًا راويةً مُكثرًا عَدْلًا ثقةً ضابطًا فقيهًا ذاكرًا للمسائل عارفًا بالنّوازِل متقدِّمًا في عِلم الفرائض، جَمّاعةً للدّواوينِ العتيقة، يُذكَرُ أنه ابتاعَ من أبي عليّ الغَسّاني أصلَه من «سُنن أبي داودَ» الذي سَمِعَ فيه من أبي عُمرَ بن عبد البَرّ، وهو أصلُ أبي عُمرَ، بمالٍ جَليل، وكان قد صار إلى أبي عليّ بابتياعِه من أبي عُمرَ بعدَ أن نَسَخَ منه أبو عليّ وقابَلَ به وأتقَنَ فَرْعَه[1].

استُقضِيَ بمِكْناسةَ الزَّيتونِ ثم بفاسَ ثم صُرِف، وأُريدَ على مُعاودةِ القضاء فامتَنَع واستَعفَى فأُعفِيَ، وأقبَلَ على نَشْرِ العِلم وتدريسِه واستمرَّ على ذلك إلى أن توفِّي بفاسَ ليلةَ الأحد الحاديةَ والعشرينَ من رجبِ ثلاثٍ وأربعينَ وخمسِ [مئة، ووُلد يومَ الاثنينِ مستهَلَّ] ذي قَعْدةِ ستٍّ وسبعينَ وأربع مئة.

٥١ـ الغازي [....].

رَوى عن أبي بكرٍ ابن العَرَبي.

٥٢ـ فاخِرُ[2] بن عُمرَ بن فاخِر [العَبْدَريُّ، فاسيٌّ]، سَكَنَ إشبيلِيَةَ، أبو الفُتوح بن فاخِر.

سَمِعَ من أبوَي الـحَسَن: [ابن حَفْص]، وابن القَطّان، وأبي العبّاس القنجايريِّ، وأبوَي القاسم: ابن بَقِيّ، وابن [فَرْقَد، وأبي يحيى] بن خَلَف، وتأدَّبَ في العربيّة بأبي الـحَسَن بن خَرُوف.

رَوى عنه أبَوا الـحُسَين: [ابن أبي الرَّبيع] وابنُ الناظِرِ شَيْخانا، وأبو العبّاس ابنُ فَرْتون. وكان فقيهًا حافظًا [عارفًا] بأصُولِ الفقه، مُبرِّزًا في العربيّة، زاهدًا متصوِّفًا.

---

(١) يذكر المؤرخون في ترجمة قريب المترجم عبد الرحمن ابن الملجوم المعروف بابن رقية أنه «جمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من أهل المغرب، وخزانة كتبه كانت مشهورة في المغرب بيعت خرومها بعد وفاته بستة آلاف دينار» (انظر الذخيرة السنية ٤٥).

(٢) ترجمه ابن الأبار بكنيته في التكملة (٣٠٤٤)، وكذلك فعل ابن الزبير في صلة الصلة ٤/ الترجمة ٣٧٥، وتبعه السيوطي في بغية الوعاة ٢/ ٢٤٤ ولكن وقعت فيه كنيته: أبو الفرج.

توفِّي مُغرَّبًا عن إشبيلِيَةَ في حدودِ الأربعينَ وست مئة[1].

٥٣ـ الفَرَجُ[2] بن إبراهيمَ، بغداديٌّ، أبو ياسِر.

رَوى عن أبي القاسم الـحُسَين بن عليّ الـمَغْربيِّ الوزيرِ كتابَهُ «الـمُنخَّل»: اختصارَ «إصلاح المنطِق» ولقِيَ بالقَيْروانِ أبا الـحَسَن عليَّ بن أبي طالبٍ العابرَ، فأخَذَ عنه كتابَه المسَمَّى بـ«الأبحُرِ السَّبعة» قراءةً عليه.

حدَّث عنه بالقَيْروانِ: أبو القاسم عبدُ الرّحمن بن عبد الله بن أبي سَعِيد الـمُطرِّز.

وكان أديبًا حافلًا كاتبًا شاعرًا، وله تصنيفٌ في الطبيبِ والتطبيب وسَمَه باسم المقتدِر بالله أبي جعفرٍ أحمدَ بن سُليمانَ بن هُود صاحبِ سَرَقُسْطةَ. ذَكَرَه ابنُ الأبّار ولم يَذكُرْ دخولَه الأندَلُس، ولعلّه بعَثَ بهذا الكتابِ إلى المقتدِر، واللهُ أعلم.

٥٤ـ الفَضْلُ[3] بن محمدِ بن عليِّ بن طاهر بن تَميم بن [.....] القَيْسيُّ، بِجَائيٌّ أَشِيريُّ أصلِ السَّلَف، أبو الفَضْل وأبو العلاءِ، ابنُ محشوَّة.

رَوى عن أبي القاسم السُّهَيْليِّ، وأبي محمدٍ عبدِ الحقِّ ابن الـخَرّاط.

رَوى عنه أبو الرّبيع بنُ سالم. وكان بَليغَ الأدب بارعَ الكتابة رائقَ الـخَطّ متواضِعًا من بيتِ عِلم وجَلالة.

---

(١) هذا قول ابن الأبار، أما ابن الزبير فذكر أنه توفي بمراكش سنة ٦٣٦.

(٢) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٣٠٥٤)، وله ذكر في غير موضع من كتاب «بدائع البدائه» لابن ظافر الأزدي.

(٣) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٣٠٢٦)، والغبريني في عنوان الدراية ٥٣، والذهبي في المستملح (٧٦٧). وترجم ابن الزبير لعلي بن طاهر بن محشوة من أهل قلعة بني حماد، وهو قريبه كما يظهر (٤/ الترجمة ٣١٥).

دَخَلَ الأندَلُسَ خادمًا بالكتابةِ المنصُورَ من بني عبد المؤمن وكتَبَ بعدَه عن ابنِه الناصِر.

وُلد سنةَ أربعينَ وخمس مئةٍ أو قبلَها بيسير، وتوفِّي سنةَ ثمانٍ وتسعينَ وخمس مئة.

٥٥ـ القاسمُ بن جعفرٍ اليجفشيُّ[١]، أبو محمد.

رَوى عن أبي عُمرَ مَيْمونِ بن ياسين اللَّمْتُونيّ[٢].

٥٦ـ قاسمُ[٣] بن عبدِ الرّحمن بن محمد التَّميميُّ، تاهَرْتيٌّ.

وهُو والدُ أبي الفَضْل أحمدَ[٤]. نشَأَ بتاهَرْتَ وأخَذَ بها عن بكر بن حمّاد وكان يَكتُبُ له كلَّ يومٍ أربعةَ أحاديثَ ويُلزِمُه حِفظَها ويقولُ له: لا تأتِني إلا وقد حَفِظتَها.

ودَخَلَ الأندَلُسَ سنةَ ثمانِ عشْرةَ، واستَصحَبَ ابنَه أبا الفضل فقَدِمَ به قُرطُبَةَ وهو ابنُ تسع سنينَ. وكان فقيهًا متقدِّمًا في النَّحوِ والعِلم بالشِّعر، [وهما الغالبانِ عليه][٥].

---

(١) نسبة إلى يجفش (يجبش فيما بعد)، وثمة عدد من أعلام تازا ينسبون إلى بني يجفش، وهم فخذ من زناتة (مفاخر البربر: ٤٧).

(٢) ستأتي ترجمته في هذا السفر (١٨٦).

(٣) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٣١٠٧).

(٤) ترجمة أحمد هذا في جذوة المقتبس (٢٤٢)، وبغية الملتمس (٤٥٩)، والصلة لابن بشكوال (١٨٢)، ومعجم البلدان لياقوت ٢/ ٩.

(٥) لم يذكر المؤلف في هذا الحرف ترجمة قاسم بن علي بن يحيى الحسني الفاسي المعروف بالشريف الحشا الذي رحل إلى الأندلس وأخذ عن ابن بشكوال وغيره ترجم له ابن الزبير في صلة الصلة (٤/ الترجمة ٣٨٧) وقال: «أخذ عنه الشيخ أبو العباس ابن فرتون إلا أنه لم يذكره في الذيل؛ لظنه أنه لم يدخل الأندلس» وقد سبق للمؤلف أن ذكره في ترجمة علي بن أبي قنون (ترجمة رقم ٢).

٥٧ـ [محمدُ[١] بن أحمدَ] بن خَلَف بن دَحْنانَ، أبو عبد الله.

رَوى عن أبي الفَضْل [عِيَاض].

[توفِّي عامَ؟....] وخمس مئة.

٥٨ـ محمدُ بن أحمدَ بن سَلَمةَ بن أحمدَ الأنصاريُّ، تلمسينيٌّ [لُوْرْقيُّ] الأصل، أبو عبد الله، ابنُ سَلَمةَ.

رَوى عن أبيه[٢]، وأبي ذَرّ بن أبي رُكَب [....]. وكان فقيهًا محدِّثًا، أديبًا كاتبًا بارعَ الـخَطِّ سَرِيَّ الهمّة، نزيهَ [النفْس حسَنَ] الـخَلْق والـخُلُق.

توفِّي يومَ الثلاثاءِ لأربعَ عشْرةَ ليلةً خَلَت من محرَّم [....] وست مئة.

٥٩ـ محمدُ بن أحمدَ بن عبد الله بن محمد بن عُمرَ السُّلَميُّ، فاسيٌّ شُقْريُّ [الأصل، أبو عبد] الله.

رَوى عن عمِّه القاضي أبي حَفْص بن عُمرَ ولازَمَه بإشبيلِيَةَ وغيرِها. ورَوى [عنه أبو] يعقوبَ ابنُ الزَّيّات.

وكان فقيهًا عاقدًا للشُّروطِ بَصيرًا بمعانيها، تلبَّسَ بها في مَرّاكُش وفاسَ وإشبيلِيَةَ وغيرِها، بارعَ الـخَطّ حافظًا للتواريخ والآداب، نبيلًا في جميع محاولاتِه.

٦٠ـ محمدُ بن أبي العبّاس أحمدَ بن أبي القاسم عبدِ الرّحمن بن عثمانَ التَّميميُّ، بِجَائيٌّ جزائريُّ الأصل، أبو عبد الله، ابنُ الـخَطيب.

---

(١) ورد ذكره في نوازل القاضي عياض وكان يشتغل بالعدالة في عهد قضائه بسبتة كما يدل على ذلك رسم مؤرخ بعام ٥١٦هـ (انظر مجلة المناهل ٢٢/ ٢٥٠).

(٢) ترجمة والد المترجم هنا في السفر الأول (الترجمة ١٧٧) قال ابن عبد الملك: «استدعاه أبو يوسف يعقوب المنصور بن أبي يعقوب بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي إلى حضرته مراكش ليسمع بها عليه الحديث فقدمها وأسمع بها ثم عاد إلى تلمسين في ذي قعدة سنة خمس وثمانين وخمس مئة».

أخو أبي محمد[1].

رَوى عن مُعظم شيوخ أخيه. وكان فقيهًا حافظًا من بيتِ حسَبٍ وعِلم وجَلالة، واستُقضيَ ببلدِه مرّتَيْنِ وبتِلِمْسينَ وسَبْتةَ وغَرناطةَ فشُهِرَ بالعدلِ والنزاهة، وكان سَرِيًّا مؤثرًا فاضلًا.

٦١ـ محمدُ[2] بن أحمدَ بن عبد الرّحمن بن محمد بن عبد الرّحمن بن محمد ابن الصَّقْرِ الأنصاريُّ الـخَزْرَجيُّ، مَرّاكُشيٌّ، أبو عبد الله، ابنُ الصَّقْر.

وقد تقَدَّم ذكْرُ أصل سَلَفِه في رَسْم أبيه[3] وجدِّه. تَلا على أبيه ولم يُعيِّن القراءات، وأخَذَ عنه كثيرًا من كُتُبِ الحديث والفقه وغير ذلك، ولازَمَه طويلًا، وبالسَّبع على أبي بكرٍ يحيى بن الـخَلُوف، وبحَرْفِ نافِع على أبي بكر بن مَسْعود،

---

(١) ترجمة أبي محمد عبد الله بن الخطيب أخي المترجم هنا في التكملة (٢٢٠٨)، وبرنامج الرعيني (٩٤)، وعنوان الدراية: ١٤٤-١٤٥، وابن الزبير في صلة الصلة ٣/ الترجمة ٢٦٣، وتاريخ الإسلام ١٣/ ٦١١، وترجمة والدهما أبي العباس الخطيب أول بيت بني الخطيب ببجاية موجودة أيضًا في عنوان الدراية: ١٤٤ قال الغبريني: «كان أكبر الناس حظوة عند بني عبد المؤمن، ولقد أسهموه ما لم يسهموا أحدًا من صنف الطلبة، وما زال ظل شرفه ضافيًا على عقبه، مسبلًا أثواب النعمة على ذوي نسبه»، وفي الغصون اليانعة: أن السيد أبا الحسن بن أبي حفص بن عبد المؤمن والي بجاية «تغير ما بينه وبين قاضيها أبي العباس أحمد ابن الخطيب وكانا فرسي رهان في الهمة والسماح بالمال في الأغراض، وكل أحد على قدر منصبه، فأكثر لجاجاته في القاضي حتى عُزل فجمع القاضي جميع ماله اثني عشر ألف دينار فأخذه معه وطلع إلى مراكش فنزل في جوار ابن مثنى، وأراه أنه لم يقصد سواه وهو حينئذ يجر الدنيا جرًا، فقال له: فيم جئت؟ أتطلب أن ترجع إلى ولايتك؟ قال: لا ولكن جئت في أن أعزل الذي عزلني وأغلب من غلبني، قال: وبأي شيء تفعل ذلك؟ قال: بك وباثني عشر ألف دينار جئت بها معي، قال: الآن حصحص الحق. فسعى ابن مثنى في عزل السيد واستعان بالمال في الحاشية إلى أن كتب للسيد بالعزل» (الغصون اليانعة ١٥٠-١٥١).

(٢) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٥٤٤)، وعَدّه في البلديين، والمراكشي في الإعلام (٥١٨) نقلًا عن ابن عبد الملك.

(٣) السفر الأول، الترجمة (٢٩٢).

وأبي جعفر بن عليّ ابن الباذِش، وأخَذَ عنهما غيرَ ذلك، وأبي عبد الله بن عبد الرّحمن النُّمَيْريّ، قال: وأفدتُ منه جُملةً هي معظمُ ما عندي، وهو الذي شَحَذَ فَهْمي وأنار خاطِري، وبقراءاتِ الحَرَمِيَّيْنِ وأبي عَمْرٍو على أبي الـحَسَن بن عبد الله بن ثابِت.

وسَمِعَ الحديثَ على أبي بكر بن الـحَسَن بن بِشْر، والحديثَ وغيرَه على أبي الـحَسَن بن محمد بن الضَّحّاك، وأجازوا له، وأجاز له أبو الـحَسَن شُرَيْح.

واستجازَ له أبوه أبوَيْ بكر: ابنَ عبد الله التُّجِيبيَّ، وابنَ العَرَبيّ، وأبا جعفرٍ ابن رِزق، وأبا الـحَسَن عَبّادَ بن سِرْحان، وآباءَ عبدِ الله: ابنَ عبد الرّحمن بن مَعْمَر وابنَ عبد المؤمن الطَّلَبيَّ وابنَ يحيى وابنَ الحاجِّ الـجَيّانيَّ، قال: وحَمَلَني إليه لـمّا وَلِـيَ القضاءَ بغَرناطةَ وأنا ابنُ نحوٍ من ثمانيةِ أعوام؛ وأبا الفَضْل عِياضًا [لـمّا استُقضيَ] بغَرناطة، قال: وحَمَلَني إليه وأنا ابنُ ستةِ أعوام، فكان [يمسَحُ رأسي بيدِه]؛ وأبوَي القاسم: خَلَفَ ابنَ بَشْكُوال، ومحمدَ بن هشام بن [أبي جَمْرَةَ، وحَمَلَني] إليه إذِ استُقضيَ بغَرناطةَ وأنا ابنُ أربعةِ أعوام؛ وآباءَ [محمد]: الوَحِيديَّ وابنَ عليّ سِبْط أبي عُمرَ بن عبد البَرّ وعبدَ الحقِّ بن عَطِيّةَ [وابنَ بُونُه]، وأبا الوليد هشامَ بنَ بَقْوى.

وأبو الـحَسَن بنُ الضَّحّاك[1]: أبا إسحاقَ بنَ مَرْوان... وأبا بكر بنَ أحمد ابن طاهر صاحبَ الغَسّاني، وأبا الـحَكَم عبدَ الرّحمن بن غَشِلْيان، وأبا عبد الله بن عبد الرزّاق.

وأبو عبد الله النُّميريُّ: أبا الـحَسَن يونُسَ بن محمد بن مُغيث، وأبا عبد الله جعفرَ بن محمد بن مكّي، وأبا القاسم أحمدَ بن محمد بن بَقِيّ، فأجازوا كلُّهم له.

رَوى عنه ابنُه أبو الـحُسَين يحيى[2]، وأبو الـخَطّاب عُمرُ ابن الـجُمَيِّل.

---

(١) يعني: واستجاز له أبو الحسن بن الضحاك.

(٢) لم نقف على ترجمته، ولعل المؤلف الذي ذكره هنا بالرواية لم يترجم له مع الغرباء في هذا السفر لأنه ليس على شرطه أي أنه لم يدخل الأندلس.

وكان مقرئًا مجوِّدًا، محدِّثًا راوِيةً مُكثِرًا متّسعَ السَّماع صحيحَه، عُنيَ به أبوه فأسمَعَه في صِغَرِه وسَمِعَ بنفسِه، ونَشأَ طالبًا فاستكثَرَ من الأخْذِ عن الشّيوخ وشُغِف بتقييدِ العلم وجَمْع الفوائد، مُعانًا على ذلك بجَوْدة الـخَطّ سِرايةً من أبيه وسُرعةِ الكَتْب، وكان عاقدًا للشُّروط مبرِّزًا في معرفتِها صَدْرًا في أُولي البَصَرِ بها، زاهدًا، وَرِعًا فاضلًا، مُؤْثِرًا للخَلوة والانقطاع إلى الله تعالى والانقباض عن خُلطةِ الناس، تعيَّشَ دهرًا طويلًا بالوِراقة، وكتَبَ بخطِّه الكثيرَ وأتقَنَه، واستُنيبَ على القضاءِ بمَرّاكُشَ في أوقات، فشُكِرت سيرتُه، وحُمِدتِ أحوالُه كلُّها، ذا حظٍّ من قَرْض الشِّعر صالح، وأكثرُه في الزهدِ والحِكَم وما نحا ذلك، وسلَكَ تلك المسالك، فمنه قولُه [من الطويل]:

إليكَ إلهَ العرشِ يَشكو ترحُّما ... عليلٌ بأمراضِ الذنوبِ تألَّما

شَكَا قلبُه لـمّا تَعاظَمَ ذنبُهُ ... فحَطَّ بأرجاءِ الرجاءِ مخيِّما

وعاجَ برَبْعِ الجُودِ يسألُ ضارعًا ... عوارفَ ربٍّ لم يزَلْ مُتكرِّما

يُداوي سَقامَ المذنبينَ بعفوِهِ ... فيَصفحُ إفضالًا ويسمَحُ مُنعِما

فكيف يُرى في بابِ جودِك خائبًا ... وما خابَ عبدٌ قَطُّ جودَكَ يمَّما؟!

وله من هذا النّمطِ كثير.

ومَوْلدُه سنةَ سبع وعشرينَ وخمس مئة بمَرّاكُشَ، وتوفِّي بها في حدود التسعينَ وخمس مئة، وله عَقِبٌ خاملٌ بها إلى الآن[1]، والذين شُهِروا ببني الصَّقْر فيها بأخَرةٍ إنّما هم بنو أُختِه من بني وليد، فهو خالُهم، كانوا أصهَروا إلى

(١) من عقب بني الصقر في مراكش ذلك الذي أعدم في أواخر دولة الموحدين، جاء في البيان المغرب (٣/ ٤٥٢): «ولما رد ولد ابن الصقر على الخطيب في خطبته وكذبه حين فاه بعصمة المهدي أراد المرتضى رحمه الله أن يسجنه ولا يقتله على قوله فأبى الأشياخ والوزراء إلا وقوع قتله إلى أن غلبوا عليه فآل أمره إلى القتل خوفًا من أن يقول ذلك غيره فأمروا عليه ـ كذا ـ فقتلوه ظلمًا، قبحهم الله» وذكرت هذه الحادثة في المعيار للونشريسي ٦/ ٢٧٠ (ط. فاس).

أبيه بغَرناطة، وقدِ انقَرضوا إلّا القليلَ الخاملَ إلا شيخًا [نَزْرَ العلم يَعتمِدُ على] الارتزاقِ من باديةٍ له يَرجِعُ إلى جَوْدةٍ ونفورٍ عن الناس [....] اسمُه عليُّ بن أحمدَ بن وليدٍ الأنصاريّ.

٦٢ـ محمدُ[١] بن [أحمدَ بن محمد بن خَلَف بن] مُفرِّج بن خَلَف بن معروفِ بن عبد الرّحمن بن معروفِ بن محمد بن هِشام، [أبو عبد الله]، ابنُ معروف، سَلَويٌّ.

رَوى ببلدِه عن أبي إسحاقَ بن قُرقُول، [وبسَبْتةَ عن أبي محمد] بن عُبَيد الله، وبإشبيلِيَةَ عن أبي عبد الله بن زَرْقون، وأبي محمد بن [جُمْهور، وبغَرناطةَ] عن أبي جعفر بن حَكَم، وأبي الـحَسَن بن كَوْثر، وأبي خالد بن رِفاعةَ، وأبي [عبد الله بن] عَرُوس، وبمُرْسِيَةَ عن أبي بكر بن أبي جَمْرةَ. ورَوى أيضًا عن أبي الـحَسَن نَجَبةَ، وأبي [القاسم] بن سَمَجُون.

ورَحَلَ وحَجَّ وأخَذَ بالإسكندَريّة عن أبي الـحَجّاج مكيٍّ بن محمد بن إدريسَ بن مُنادٍ الـجَمْريِّ الـمُخلِّص، ورَوى أيضًا عن أبي محمد ابن الصَّبّاغ.

رَوى عنه أبو العبّاس بنُ فَرتون. وحدَّث عنه بالإجازة أبو بكرٍ ابنُ غَلْبون. وكان فقيهًا محدِّثًا مُتهَمِّمًا بالعلم ولقاءِ حَمَلتِه عاقدًا للشُّروط، ولِـيَ الـمَناكحَ بمِكناسةِ الزَّيتون، وشُكِرت أحوالُه، وعَرِف بالعدلِ والنّزاهةِ وحُسنِ الطريقة[٢].

٦٣ـ محمدُ بن أحمدَ بن محمد بن أبي الـحُسَين سُليمانَ بن محمد بن عبد الله السَّبَئِيُّ، مَرّاكُشِيٌّ، مالَقيٌّ أصلِ السَّلَف، أبو عبد الله، ابنُ الطَّراوة[٣].

---

(١) له ترجمة في صلة الصلة ٣/ الترجمة ١٨.

(٢) قال ابن الزبير: «ذكره الشيخ ـ يعني ابن فرتون ـ في الذيل وقال: أجاز لي سنة عشر وست مئة وصحبته مدة بمكناسة الزيتون».

(٣) هو حفيد ابن الطراوة النحوي المشهور، انظر الذيل (٤/ الترجمة ١٩٦) وفي البيان المغرب (٣/ ٢٨٣) ذكر لأبي عبد الله ابن الطراوة ممن تولوا خطة الإشراف في عهد الرشيد الموحدي فلعله المترجم، ووالده مترجم في الذيل ٦/ الترجمة ٦٤٨.

وهُو ابنُ أُختِ الكاتبِ أبي الـحَسَن عليِّ بن عَيّاش القُرطُبيِّ اليابُرِيِّ[1].
رَوى عن أبي إسحاقَ الزَّواليِّ، وأبي جعفر بن عَوْنِ الله الـحَصّار، وآباءِ الـحَسَن: سَهْل بن مالك وابن حَزمُون وابن القَطّان وابن يوسُفَ بن شَرِيك، وأبي زكريّا الـمَرْجيقيِّ، وأبي الصَّبر الفِهريّ، وأبي عبد الله ابن الـجِذْع، وأبي العبّاس بن إبراهيمَ الـمَكّاديّ، وأبي محمد بن حَوْطِ الله، وغيرِهم.

وكان حافظًا للتواريخ على تبايُن أنواعِها، ذاكرًا لها، مُحاضِرًا بها، أديبًا بارعًا، كاتبًا مُحسِنًا، يَقرِضُ شعرًا يُحسِنُ في أقلِّه، ممتِعَ المجالسة، بارعَ الـخَطّ، رائقَ الطريقة، أنيقَ الوِراقة متقَنَ التقييد، مليحَ التنديد، نَسّابةً لخطوطِ المشايخ، كثيرَ الإحكام لأمورِه وأدواتِه كلِّها، ظريفَ الملابس، شديدَ المحافظة على كُتُبِه، مُثابِرًا على الاعتناءِ بتصحيحها، مُتَهَمِّمًا باقتناءِ الأصُول التي بخطوطِ أكابرِ الشيوخ أو عُنُوا بضبطِها، وجَمَعَ منها جملةً وافرة.

جالستُه طويلًا، واستَفَدتُ بمُذاكرتِه ومُجاورتِه كثيرًا، وكانت بينَه وبينَ أبي رحمهما اللهُ مودّةٌ قديمةٌ متأكِّدةٌ كان يَذكُرُها [دائمًا]، ولم أستَجِزْهُ، ولا قرأتُ عليه، ونَدِمتُ على ما فاتَني منه، فقد كان [حريصًا على] إفادتي، رحمه الله.

توفِّي بسِجِلْماسةَ ظُهرَ يوم الأحدِ لستٍّ بقِينَ [....] سنةَ تسع وخمسينَ وست مئةٍ وقد شارَفَ الثمانينَ عن عَقِبٍ خامل.

٦٤ـ محمدُ[2] بن أحمدَ بن محمد بن مَرْوانَ[3] التَّغْمَريُّ[4] ـ بتاءٍ معلوٍّ مفتوح [وسكونِ الغَيْن] المعجَم وفتح الميم وراءٍ منسوبًا ـ سَبْتيٌّ، أبو عبد الله.

دَخَلَ الأندَلُسَ [لسَماع الحديثِ] فتجوَّلَ بها في التماسِه بالجزيرةِ الـخَضْراءِ وإشبيلِيَةَ ومالَقةَ والـمَرِيّة وغيرِها.

---

(١) هو أبو الحسن علي بن عبد الملك بن عياش، وتقدم أبوه عبد الملك في السفر الخامس، الترجمة ٦٤.

(٢) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٣١)، والذهبي في المستملح (٣٤٣) وتاريخ الإسلام ١٣/ ٢٦١.

(٣) في التكملة: «مرزوق».

(٤) منسوب إلى تغمر قبيلة من البربر، وقيدها السيوطي في البغية ١/ ٥٤٠ بالعين المهملة، وما نظنه إلا واهمًا.

[وشرَّقَ]، وأخَذَ هنالك سنةَ ستٍّ وتسعينَ وخمس مئة عن خَلْق كثيرٍ، من مشاهيرِهم: أبو القاسم عبدُ الرّحمن بنُ مكّيّ بن مُوَقّى، وهبةُ الله بنُ عليّ البُوصِيريُّ، وأبو محمدٍ القاسمُ بن عليٍّ بن عساكر، وأبو نِزار ربيعةُ بن الـحَسَن الـحَضْرَميُّ، وغيرُهم، وأكثرَ عنه وكتَبَ بخطِّه الكثيرَ، وكان من أهل الضّبطِ والإتقانِ والعنايةِ التامّة بروايةِ الحديث وسَماعِه من أهلِه.

٦٥ـ محمدُ[١] بن أحمدَ بن محمدٍ اللَّخْميُّ، تلمسينيٌّ، مِكْناسيُّ الأصل حديثًا، أَلْشِيُّه قديمًا، أبو عبد الله، ابنُ الـحَجّام، وهو أبوه.

تَلا بالسَّبع على أبي العبّاس الأعرَج، وأخَذ بفاسَ عن أبي الـحَجّاج بن عبد الصّمد بن نَمَويّ، وأبي القاسم بن يوسُفَ بن الـحَسَن بن زانيفَ[٢]، واختَصَّ بصُحبةِ أبي زَيْد الفازَازيّ[٣].

رَوى عنه ابنُه أبو محمدٍ[٤]، وأبو زكريّا بن محمد بن طُفَيْل، وكان فاضلًا صالحًا زاهدًا ذا حَظّ من الأدب وقَرْض الشِّعر، أكمَهَ، مالَ إلى طريقةِ الوعظِ

---

(١) له ترجمة في التشوف (٢٦٨)، والذخيرة السنية ٥١، وانظر بغية الرواد: ٢٧ وتعريف الخلف ٢/ ٣٥٢، والإعلام للزركشي ٦/ ٢١٤، ومعجم المؤلفين ٩/ ١٥، وقد صُحّفت شهرة ابن الحجام في بعض هذه المصادر إلى ابن اللجام وابن اللحام.

(٢) ستأتي ترجمة ابن نموي، أما ابن زانيف فهو عبد الرحمن بن يوسف ابن زانيف، له ترجمة في جذوة الاقتباس رقم ٤٠١.

(٣) ترجمة أبي زيد الفازازي في التكملة (٢٣٥٦)، وبرنامج الرعيني، (٣٨) وأعلام مالقة (١٠٠)، والإحاطة ٣/ ٥١٧، وتاريخ الإسلام ١٣/ ٨٣٧، وبغية الوعاة ٢/ ٩١ وغيرها.

(٤) ورد ذكره في إجازة أبي إسحاق ابن الحاج هكذا: «والصالح ـ هو ابن الحجام زاهد واعظ، نزل تونس، وأصله من إلش، ونشأ بمراكش، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد اللخمي» وذكره أيضًا عند سرد مقروءاته فقال: «وقرأت أيضًا على الإمام أبي محمد عبد الله بن محمد اللخمي كتاب معرفة أنواع علم الحديث إملاء أبي عمرو ابن الصلاح، وحدثني به عن مؤلفه رحمه الله سماعًا عليه» رحلة ابن رشيد ٢/ ١٣٢، ١٤٨. وورد ذكره مرة ثالثة في هذه الرحلة في مقدمة شيوخ الأشعري (انظر ص٤٠٩ تحقيق الشيخ ابن الخوجة) وانظر أيضًا برنامج الوادي آشي: ٥٢، ٦٦، ٢٣٥.

والتذكير، فرَأَسَ فيها أهلَ عصرِه بحُسن الصّوت وغَزارة الحفظِ وإتقان الإيراد والصِّدق والإخلاص في وصَاياهُ وتذكيرِه، فنفَعَ اللهُ به خلقًا كثيرًا في بلادٍ شَتّى، وكان آيةً من آياتِ الله في سُرعةِ الحفظ.

قال أبو زَيْد الفازَازيُّ: كنتُ بحضرةِ مَرّاكُش أصنَعُ مجالسَ وَعْظٍ في أنواع يقومُ بها على رؤوس الناس الواعظُ أبو عبد الله، يعني هذا، في يوم الاثنينِ والخميس من كلِّ أسبوع، وكان حَسَنَ الصّوت، فصيحَ اللّسان كثيرَ البيان، وكان يأتي منزلي فأكتبُها له، وكان يرغَبُ إليّ أن أرفَعَ صَوْتي عندَ الكتابة لأُسمِعَه، فما رأيتُ أسرعَ حفظًا منه، ما أكاد أُكمِلُها معَ ما فيها من قصائدَ إلا وقد حَفِظَها، وكان سُكناه مَرّاكُش باستدعاءِ المنصُور، من بني عبد المؤمن، إيّاه لذلك، وكانت ألطافُه تَتوالَى عليه إلى أن توفِّي، فحَظِيَ كذلك عندَ ابنِه الناصِر، وبالَغَ في الإحسان إليه إلى أن توفِّي، وجَرى المستنصِرُ ابنُه في الاحتفاءِ به والاحتفال في صِلاتِه مَجْرَى أبيه وجَدِّه، [ولم يكنْ يَدَّخرُ] من عَطاياهُم قليلًا ولا كثيرًا، إنّما كان يَصرِفُ ما يصِلُ إليه [من بني عبد المؤمن] وغيرِهم في الفقراءِ والمساكين والمحتاجينَ وتجهيزِ الضَّعيفاتِ إلى [أزواجِهنّ]، هذا كانَ دأْبَه إلى غايةِ عُمُرِه نفَعَه الله.

وقال أبو عَمْرو بنُ سالم[١]، [نَقْلًا عمّن حدَّثه] من طلبةِ مَرّاكُش قال: كان أبو عبد الله الواعظُ الأعمى من أحفظِ الناس [ولا أدري مِن أيِّهما] أعجَب: أمِن سُرعة حِفظِه أم مِن سُرعةِ خاطِرِ أبي زيدٍ الفازازيِّ الذي كان [يُمِلي الـخُطَبَ] والأشعارَ ارتجالًا؟[٢].

قال المصنِّفُ عفَا اللهُ عنه: ولابن الـحَجّام كتابٌ حَفِيلٌ في الوَعْظِ سَمّاه «حُجّةَ الحافظين ومَحَجّةَ الواعظين» معظَمُ ما أودَعَه [فيه مِن كلام] أبي زَيْد

---

(١) انظر الذيل (٥/ الترجمة ١٦٤).

(٢) تحدث الرعيني عن سرعة بديهة الفازازي وقال: «شاهدته مرارًا ينظم القصيدة من أربعين بيتًا إلى سبعين فيكتبها في القرطاس كأنما هو لها ناقل لا قائل وراسم لا ناظم».

الفازَازيِّ[1]، وأضاف إليه يسيرًا من كلام غيرِه، واختَصَرَ هذا الكتابَ لزيمُهُ أبو زكريّا بنُ محمد بن طُفَيْل، وسَمّاه «أنوارَ مجالسِ الأذكار وأبكارَ عرائسِ الأفكار»، وقد وقَفْتُ على هذا المختصَر في مجلَّدينِ ضَخْمَيْنِ بخطٍّ منتخبِه.

وممّا يؤثَرُ من نظمِه [من الوافر]:

غريبُ الوَصْفِ ذو علمٍ غريبِ ... عليلُ القلبِ من حبِّ الحبيبِ

إذا ما اللّيلُ أظلَمَ قام يبكي ... ويشكو ما يُكِنُّ من النَّحيبِ[2]

يُقطِّعُ ليلَهُ فكرًا وذكرًا ... وينطِقُ فيه بالعَجَبِ العجيبِ

به من حبِّ سيِّدِهِ غرامٌ ... يَجِلُّ عن التطبُّبِ والطّبيبِ

ومن يَكُ هكذا عبدًا محبًّا ... يَطِيبُ تُرابُهُ من غيرِ طيبِ

قال المصنِّفُ عفَا اللهُ عنه: رَفْعُ «يطيبُ» معَ جَزْمِ «يكُ» غيرُ مستقيم، وإصلاحُه: تَطِبْ أثوابُه، أو ما هو على وزنِه وفي معناه أو ما يُناسبُه، وسمِعتُ شيخَنا أبا القاسم البَلَويَّ[3] رحمه اللهُ يقول: حضَرتُ مجالسَ وعظِه كثيرًا بالجامع الأعظم من إشبيلِيَةَ، فكان في حُسنِ صوتِه وبَراعةِ إيرادِه، واستحكام تأثيرِه، وانفعالِ القلوبِ لتذكيرِه، بمقام تَـكِلُّ العبارةُ عن وَصْفِه، ولقد شاهدتُه في بعضِها وقد نَدَبَ الناسَ إلى افتكاكِ أُسارى، فتسارَعَ الناسُ إلى بَذْلِ ما حضرِهم، وخَلَعَ كثيرٌ منهم بعضَ ما كان عليه من الثّيابِ، فعَهْدي بها قد تراكمَت أمامَ مِنبَرِه حتى كادت تَحجُبُه عن الأبصار، سوى ما وَعَدَ به، فتجمَّلَ في أثمانِ تلك الثِّيابِ مالٌ جَسِيم. وهو الذي صَلّى على أبي إسحاقَ الكانميِّ حين توفِّي حسبَما تقدَّم ذكْرُه[4].

---

(١) في برنامج الرعيني أنه روى عن الفازازي جميع خطبه التي كان ينشئها للواعظ أبي عبد الله ابن الحجام.

(٢) في الذخيرة السنية: «الوجيب».

(٣) تقدمت ترجمته في السفر الأول، الترجمة ٦٧٤.

(٤) يحيل المؤلف على سفر مفقود من كتابه، ونقدر أنه السفر السابع، وقد تقدمت الإشارة إلى بعض مصادر ترجمة المذكور.

وُلدَ بتِلِمْسينَ سنةَ ثمانٍ وخمسينَ وخمس مئة، وتوفِّي بمَرّاكُش في يوم الـجُمُعة لأربعَ عشْرةَ ليلةً بقِيَت من شعبانِ سنة أربعَ عشْرةَ وست مئة.

٦٦ـ [محمدُ[١] بن أحمدَ بن هارونَ]، بغداديٌّ، أبو جعفر.

كذا سَمّاهُ في «تاريخِه» عَرِيبُ بن سَعِيد [القُرطُبيُّ، وحَكَى أنّ] عُبَيدَ الله الشِّيعيَّ استَوْزَرَه واستكتَبَه بعدَ أبي اليُسْر الشَّيبانيِّ [الرِّياضيِّ، وقَرَّبه وأدناه] واستَعانَ به على أمرِ أبي عبد الله ـ يعني داعيةَ الشِّيعة ـ [وأخيه أبي العبّاس] وجماعةِ كُتَامة، فكان منهُ في ذلك رأيٌ جميلٌ ونَفْعٌ عظيم، [وقال فيه ابنُ] الفَرَضيِّ[٢]: أحمدُ بن محمد بن هارونَ، وذكَرَ روايتَه عن الجاحظِ وابن قُتَيبةَ، [ولا أدري] من غَلِطَ في اسمِه منهما؛ قاله ابنُ الأبّار، وقال: دخَلَ الأندَلُسَ والمغرِب.

٦٧ـ محمدُ بن إبراهيمَ بن أبي بكر بن عبد الله بن سَعِيد بن خَلُوف بن عليِّ بن نَصْر القَيْسيُّ، تِلِمْسينيٌّ.

٦٨ـ محمدُ[٣] بن إبراهيمَ بن حِزبِ الله، فاسيٌّ، أبو عبد الله، ابنُ البـقّار.

رَوى ببلدِه عن أبي إسحاقَ بن قُرقُول، وأبي الـحَجّاج العَشّاب، وأبي الـحَسَن بن حُنَيْن، وأبوَيْ عبد الله: ابن خَليل وابن الرَّمّامة، وأبوَي العباس: ابن صَالح القُرطُبيِّ وابن محمدٍ الـمُراديِّ الدَّبّاج، وأبي محمد بن عُبَيد الله.

وبالأندَلُس عن أبي إسحاقَ بن عليِّ بن طلحةَ، وأبوَيْ بكر: ابن خَيْر وابن عُبَيد، وأبي الـحَسَن عبد الرّحمن ـ وسَمّاه ابنُ الطُّفَيْل عليًّا وَهمًا منهُ ـ وابن بقِيّ، وأبوَيْ عبد الله: ابن الفَخّار ـ لقِيَهُ بفاسَ وكتَبَ إليه من الأندَلُس ـ وابن الـمُجاهِد، وآباءِ القاسم: ابن بَشْكُوال وابن الحاجِّ والشَّرّاطِ وأبي الوليد بن رُشْدٍ الأصغَر وغيرِهم، لقِيَهم وأخَذَ عنهم.

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧١٩).

(٢) تاريخ ابن الفرضي ١/ ١١٠.

(٣) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٢٨)، والذهبي في المستملح (٣٣٥) وتاريخ الإسلام ١٢/ ٩٢٥.

وكَتَبَ إليه مُجيزًا ولم يلقَهُ من أهل الأندَلُس: أبو عبد الله بنُ حَفْص، وأبو القاسم بنُ دَحْمان. وحدَّث بالإجازةِ العامّة عن أبي الطاهِر السِّلَفيّ.

رَوى عنه أبو الـحَسَن ابنُ القَطّان، وأبو عليّ الـحُسَين بنُ الفَرَج القَصْريُّ، وأبو عِمرانَ موسى السَّلَويّ.

وكان أحدَ الأئمّة في عِلم الحديث والضَّبطِ للرِّواية وحُسنِ التقييد، والتنقيرِ عن أحوالِ الرِّجال، عَلَمًا في الزُّهد والفَضْل والحِفظِ للّغة، عُنيّ بذلك كلِّه كثيرًا، واستَنفَدَ فيه عُمُرَه مستفيدًا ثم مُفيدًا إلى أن توفِّي رحمه الله[1].

٦٩ـ محمدُ بن إبراهيمَ بن عُمرَ بن منصُور بن عبد الله الزّهيليُّ[2].

٧٠ـ محمدُ بن إبراهيمَ بن محمد بن محمدِ بن إبراهيمَ بن يحيى بن إبراهيمَ بن يَحيى بن إبراهيمَ بن خَلَصةَ بن سَماحةَ الحِمْيَريُّ الكُتَاميُّ، مَرّاكُشيٌّ، أبو عبد الله، ابنُ إبراهيم.

رَوى عن قريبَـيْه: أبي جعفر بن يحيى وأبي الـحَسَن ابن القَطّان، وأبي الـحَسَن بن حَرِيق، وأبي عليّ الرُّنْديِّ، وغيرِهم. رَوى عنهُ أبو عبدِ الله بن إدريسَ القرليطشيُّ.

وكان متقدِّمًا في عِلم اللّسان نحوًا ولُغةً وأدبًا، حَسَن الـخَطّ، وكانت بينَه وبينَ جماعة من أدباءِ عصرِه [مُخاطَباتٌ ظهَرَ] فيها شُفوفُه.

---

(١) لم يذكر ابن عبد الملك للمترجم كتابًا، وفي الإعلام للمراكشي ما نصه: «وأبو عبد الله ابن البقار وقفت على تأليفه «كتاب الأدوار في تسيير الأنوار» بخط الموقت الطاهر بن المحجوب بن محمد الحمري السعيدي المراكشي، انتسخه عام ١٣٢٠هـ» الإعلام ٤/ ٣٣.

(٢) هكذا وردت هذه الترجمة عند المؤلف، والزهيلي نسبة إلى زهيلة من بطون نفزاوة، قال ابن خلدون: «وأما زهيلة فبقيتهم لهذا العهد بنواحي بادس مندرجون في غمارة وكان منهم لعهد مشيختنا أبو يعقوب البادسي أكبر الأولياء وآخرهم بالمغرب» (العبر ٦/ ٢٣٤)، وفي المقصد الشريف ذكر لعدد من الزهيليين ولكننا لم نجد رابطة بينهم وبين المذكور هنا (انظر المقصد الشريف لعبد الحق البادسي، المطبعة الملكية. الرباط (الفهرس)).

٧١ـ محمدُ[1] بن إبراهيمَ الغَسّانيُّ، تِلِمْسينيٌّ، [سَكَنَ آسَفِي، أبو عبد الله] التِّلِمْسينيُّ.

أَخَذَ ببلدِه عن أبي عبد الله التُّجِيبيِّ، وابن عبدِ [الحقِّ، وبسَبْتَةَ] عن أبي العبّاس العَزَفيّ، وبإشبيلِيَةَ عن أبي بكر بن طلحةَ، وأبي عليّ [الشَّلَوْبِين. كان] ذا حظٍّ صالح من روايةِ الحديث، عَدْلًا فيما يَرويه متقدِّمًا في ضَبْطِ اللّغات، [ذاكرًا] للآدابِ والتواريخ والأنساب، مُشاركًا في الفقهِ والنَّحوِ، ضاربًا في قَرْض الشّعرِ [بسَهْم] مُصِيب، مُتَحَرِّفًا بالتجارة في القَيْساريّة بآسَفِي يقعُدُ في حانوتِه لاسترزاقِه كلَّ يوم يُديرُها فيها بعدَ الفراغ من مجلسِ تدريسِه «الموطَّأ» و«السِّيَر» والنَّحوِ والآدابَ واللّغة.

وكان على طريقةٍ مَرْضِيّةٍ ومن أهل الدِّين الـمَتِين والانقباضِ عن مُخالطة الرؤساءِ وملابستِهم.

وردتُ آسَفَي في أول قَدْمةٍ قدمتُ عليها يومَ الاثنين لأربع بقِينَ من جُمادى الأولى سنةَ ثلاثٍ وستّينَ وست مئة فعَرفْتُ مرَضَه، وقَصَدَني ابنُه جعفرٌ مسلِّمًا عنه عليّ وذاكرًا تشوُّقَه إليّ، فتواعَدتُ معَه لعيادتِه من الغدِ، فجاء إلى منزلي من الغدِ وافيًا بوعدِه ومُعتذرًا عن لقائه بعُذرٍ قبِلتُه وأدرَجَ فيه رجاءَ تماثُل حالِه وإرجاءِ لقائه إلى [يوم آخر، وتوفي][2] يوم الأربعاء لليلتَيْن بقِيَتا من جُمادى المذكورة، ودُفن من الغدِ إثرَ صلاةِ الظهر بالمقبُرةِ التي بقِبلي جامع آسَفِي الأعظم، وحضَرتُ جنازتَه وكانت مشهودةً، وكنتُ قائدَ شيخِنا أبي عليّ الماقريِّ[3] الضَّريرِ فيها، ولم يتَخلَّفْ عنها أحدٌ، وأتبَعَه الناسُ ثناءً جميلًا. وكان أبو عليّ يُطيلُ الثناءَ عليه ويُشيدُ بذكرِه.

---

(١) له ترجمة في تعريف الخلف ٢/ ٢٣٢ ولا نعرف مصدره فيها.

(٢) زيادة متعينة لخلل في النص.

(٣) كثيرًا ما يشير المؤلف إلى شيخه هذا، ولا بد أنه عقد له ترجمة في القسم المفقود من الغرباء، وقد تحدث عنه استطرادًا بما فيه فائدة في السفر الأول (الترجمة ٢٢٥، ٨٤١، ٨٧١) وانظر مفاخر البربر: ٦٨-٦٩.

٧٢ـ محمدُ بن إبراهيمَ اللَّوَاتيُّ، أبو عبد الله.

رَوى عن أبي عُمرَ مَيْمونِ[١] بن ياسين اللَّمْتُونيِّ بإشبيلِيَة، وغيرِه.

٧٣ـ محمدُ[٢] بن إبراهيمَ المَهْريُّ، بِجَائيٌّ، نزَلَ سَلَفُه مليكشَ[٣]، إشبيليُّ الأصل من بني مرزقان[٤] من أهلِها، أبو عبد الله، ابنُ إبراهيمَ والأصُوليُّ.

شَرَّقَ وأخَذَ بمِصرَ عن الرَّبَعيِّ والجَبّاب، وحضَرَ مجلسَ أبي الطاهر السِّلَفيِّ، ودرس قليلًا على أبي الطاهر بن عَوْف، ثم لم تُرضَ هنالك أحوالُه فأمَرَ أبو الطاهر بنُ عَوْفٍ بإخراجِه عن الإسكندَريّة، فأُخرِج منها مذمومًا، ولقِيَه أبو العبّاس بنُ عثمانَ المَلْيانيُّ[٥] على مَقرُبةٍ من الإسكندَريّة، فلمّا لقِيَ أبو العبّاس أبا الطاهر بنَ عَوْف قال له: أين لقيتَ ذلك الزِّنديق؟

ولـمّا قَدِمَ من المشرِق نزَلَ جزائرَ بني زغنا[٦]، وأقام بها مدّةً، وأخَذ عنه [بها أبو موسى] القَزُوليُّ، ثم قَدِمَ مَرّاكُشَ فأخَذَ عنه بها جماعةٌ، منهم: [أبو عبد الله] ابنُ الجِذع، وأبو محمد بن حَوْطِ الله، وأبو يعقوبَ ابنُ الزَّيّات، [واستجازَهُ]

---

(١) ترجمته في التكملة (١٨٥١)، وستأتي ترجمته في هذا السفر رقم ١٨٨، وقد سرد المؤلف اسم المترجم هناك مع الرواة عن أبي عمر فقال: «وآباء محمد: ابن أحمد بن موجوال، وابن إبراهيم اللواتي...» وهو يخالف ما هنا إذ إنه يقتضي أن تكون كنيته «أبا عبد الله».

(٢) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٤٠)، والغبريني في عنوان الدراية ٢٠٨، والذهبي في المستملح (٣٤٦) وتاريخ الإسلام ١٣/ ٣٤٨، والصفدي في الوافي ٢/ ٨، والمراكشي في الإعلام ٤/ ١٦٩.

(٣) مليكش: قبيل من صنهاجة كانت لهم إيالة ببسيط متيجة قضى عليها بنومرين لما استولوا على المغرب الأوسط، وينسب إليها بعض الأعلام (العبر لابن خلدون ٦/ ١٢٨).

(٤) في الأصل: مرزبان، وهو تحريف، وبنو مرزقان: بيت إشبيلي نبيه، ومنهم الوزير أبو القاسم ابن مرزقان (الذخيرة ٢/ ٥٢٠، والمغرب ١/ ٢٦٦، ونفح الطيب (الفهرس).

(٥) ترجمته في عنوان الدراية: ١٠٩.

(٦) هي عاصمة الجزائر اليوم.

ابنُ نَذِير فقال له: قد أبَحْتُ لك ما سألتَ فاجتهِدْ، فالاجتهادُ [مطلوب].
وأخَذَ عنه ببجَايَةَ: أبو الـحَسَن بنُ أبي نَصْر، وأبو عبد الله بنُ عبد الله بن [.....][1].

وكان متحققًا بعلم الكلام، متقدِّمًا في معرفةِ أصُولِ الفقه حتى شُهِرَ [بالأصُوليِّ]، وعُنيَ طويلًا بـ«مُستصفى» الغَزّاليِّ فأصلَحَ مختلَّه، وصَحَّحَ معتَلَّه، وعلَّق عليه [تعليقاتٍ] أفادَ بها، وتُنوقلَتْ عنه، وشُهِر بالعكوفِ على العلوم القديمةِ الفلسَفِيّة، وله حَظٌّ صَالح من الفقه، وكان أوّلَ قدومِه على مَرّاكُش يحضُرُ كثيرًا مجلسَ المنصُور، من بني عبد المؤمن، فيُعامِلُ المنصُورَ بضُروبٍ من الجفاء، لا يحتملُ أخفَّها الأكْفاء، حتى أثَّر ذلك عندَه وأسرَّه لهُ في نفسِه، وكان ذلك من أقوى الأسبابِ التي اقتَضَت عندَه تعريضَه للعنِ الناس إيّاه، ونَصْبِه لبُصاقِهم في وجهِه معَ وسيلتِه في الارتسام بتلك الطريقةِ المشنوءة، [طريقةِ] أبي الوليد بن رُشْدٍ الصَّغير، حسبَما مَرَّ ذلك في رَسْمِه[2]، وسأله المنصُورُ حينئذٍ: هل نَظَرَ في العلم الذي نُكِبَ ابنُ رُشدٍ بسببِه؟ فأقَرَّ بقراءتِه والأخْذِ فيه، معَ تحقُّقِه ما عليه في ذلك، فكان اعترافُه من الأسبابِ التي ألحقَتْه بابن رُشْدٍ في تلك الوَقِيعةِ الشَّنيعة، وتعجَّبَ المنصُورُ والناسُ جميعًا من إجابتِه المنصُورَ بالحقِّ عمّا سألَهُ كائنًا فيه ما كان، وظهَرَ منه في هذه المِحنة من الـجَلَد وثبوتِ الجأش وقوّةِ النفْس ما قضَى مشاهدوهُ منه العجبَ، ثم غُرِّب إلى أغمات فأسكِنَ بها، ولم يزَلْ فيها حتى عُفِيَ عنه، واستُقضِيَ عَقِبَ العفوِ عنه ببِجَايةَ، وقد كان استُقضيَ بها مرَّتَيْنِ، وبمُرْسِيَة، واستُنيبَ بمَرّاكُش، وكان يقولُ حين استُقضِيَ ببِجَاية في المرةِ الأخيرة: والله ما تقلَّدتُها رغبةً فيها ولا تغبيطًا بها، ولكنْ تسجيلًا على مُقلِّدِها إيّايَ بقبيح التناقُض الذي لا يَصدُرُ عمّن له مُسْكةُ عَقْل في توليةِ القضاءِ والفَصْل في الأحكام الشّرعيّة بينَ الناس مَن صَحَّت عندَه زَندقتُه واشتغالُه بعلوم الأوائل! واستقرَّ قاضيًا بها مُدّة، صادعًا بالحقّ، جَزْلًا في أحكامِه،

---

(١) لعله أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد المعافري القلعي. (عنوان الدراية: ٧٩).

(٢) انظر الذيل ٦/ الترجمة ٥١.

عَدْلًا في قضائه، لا تأخُذُه فيه لوْمةُ لائم، ثم عُزِلَ سنةَ ثمانٍ وست مئة بعدَ تنكيلٍ كثيرٍ نالَهُ من والي بِجَايةَ أبي عبد الله ابن يومورَ الهرغيِّ، وامتحانٍ شديدٍ كان منه ضربُ وَلَدِه[1] بأليم السِّياط، وسَعَى في عَزْلِه فعُزِل، وقُدِّم أبو محمدٍ عبدُ الله ابن سكاتو[2] الجزائريُّ، فقال أبو عبد الله لـمّا بَلَغَه ذلك: عَزَلوني ولم يُولُّوا أحدًا. وكُفَّ بصَرُه بأخَرة، وبقِيَ [ببِجَايةَ] إلى أن توفِّيَ بها في ذي الحجة سنةَ اثنتَيْ عشْرةَ وست مئة، وقد [ذكرتُه في رَسْم أبي] الوليد بن رُشْد وأبي القاسم عبد الـمُنعم ابن تيسيت[3]، وسيُذكَرُ في رَسْم [أبي عبد الله] بن عليّ بن مَرْوانَ[4] إن شاء الله.

٧٤ـ محمدُ بنُ [أبي][5] يحيى أبي بكر بن خَلَف بن فَرَج بن صافٍ الأنصاريُّ، مَرّاكُشيٌّ، قُرطُبيُّ الأصل قديمًا، فاسِيُّه حديثًا، أبو عبد الله، ابنُ الـمَوّاق[6].

[رَوى عن أبي] أُميّةَ بن عُفَيْر، وأبي بكرٍ يحيى بن عبد الرّحمن بن ثابت، وآباءِ الـحَسَن: ابن القَطّان ـ ولازَمَه واختَصَّ به ـ وابن قُطْرال ومحمد بن سَلمون، وأبي ذَرّ بن أبي رُكَب، وأبي الرّبيع بن سالم، وآباءِ عبد الله: ابن خَلْفون وابن دادوش والشّارِّيِّ، وأبَوي العبّاس: العَزَفيِّ والنَّـباتيِّ، وأبي عليّ الرُّنْديِّ، وأبي

---

(١) ساق بعض أخباره وأشعاره التجاني في رحلته، واسمه أبو زيد عبد الرحمن الأصولي (انظر ص٢٦٩ وص٣٧٨)، وترجمه النيفر في كتابه عنوان الأريب ١/ ٦٦ فقال: «عالم جليل وشاعر نبيل، انتفع الناس بعلمه إقراءً وتأليفًا»، وقد سكن تونس ومدح أبا زكريا الحفصي وألف كتاب «تبكيت الناقد»، كان حيًا سنة ٦٣٠هـ.

(٢) ترجمته في التكملة (٢٢٠٩)، وعنوان الدراية: ١٤٥، والمستملح (٥٠٧).

(٣) يشير إلى ترجمته في سفر الغرباء المفقود. وللمذكور ترجمة في التكملة (٢٥٥٤)، وجذوة الاقتباس رقم (٤٧٦).

(٤) سيعرض المؤلف لما كان بينهما من خصومة انظر رقم ١٢٩.

(٥) ناقصة في الأصل، وأبو يحيى كنية والد المترجم أما أبو بكر فهو اسمه.

(٦) هو ولد القاضي أبي بكر المترجم في التكملة (٥٩٦)، وتاريخ الإسلام ١٢/ ١١٨٩، وجذوة الاقتباس رقم (٢٧)، وسلوة الأنفاس ١/ ٢٢٤. أما المترجم فلم نقف على ترجمته في مكان آخر.

القاسم بن بَقِيّ، وأبي محمدٍ عبدِ الحقِّ الزُّهْريّ، وأبي مَرْوانَ الباجِيّ، وأبي الوليد ابن الحاجّ.

رَوى عنـه أبو بكر بن عثمانَ ابن السِّجِلْماسيّ، وأبو جعفر بن محمد بن عبد الحميد، وأبو الـحَجّاج بن عليّ ابن عشَرة، وأبو الـحَسَن الرُّعَيْنيُّ شيخُنا[1]، ومحمد بن عَتِيق بن عليّ، وأبو الـخَطّاب سَهْلُ ابن زغبوش، وأبو زكريّا بن عبد الله بن يعقوب، وأبو عبد الرّحمن عبدُ الله بن زغبوش، وأبو الفَضْل الغَرابِيليُّ، وأبوا محمد: ابنُ قاسم الـحَرّار وابنُ مَطْروح.

وكان فقيهًا، حافظًا محدِّثًا، مقيِّدًا ضابطًا مُتقِنًا، نبيلَ الـخَطّ بارعَهُ، ناقدًا محقِّقًا، ذاكرًا أسماءَ الرِّجال وتواريخَهم وأحوالَهم، وله تعقُّبٌ على كتابِ شيخِه أبي الـحَسَن ابن القَطّان الموسُوم بـ«بيانِ الوَهْم والإيهام الواقعَيْنِ في كتاب الأحكام»، جَمْعَ أبي محمدٍ عبد الحقِّ ابن الـخَرّاط الجاري عليه اسمُ «الأحكام الكُبرى»، ظهَرَ فيه إدراكُه ونُبلُه ومعرفتُه بصناعةِ الحديث، واستقلالُه بعلومِه، وإشرافُه على عِلَلِه وأطرافِه، وتيقُّظُه، وبراعةُ نَقْدِه واستدراكِه[2].

وقد عُنِيتُ بالـجَمْع بينَ هذينِ الكتابَيْن مضافَيْنِ إلى سائرِ أحاديثِ الأحكام، وعلى ترتيبِها، وتكميل ما نَقَصَ منهما، فصار كتابي هذا من أنفَع المصنَّفات، وأغزَرِها فائدةً، حتى لو قلتُ: إنه لم يؤلَّفْ في بابِه مثلُه؛ لم أُبعِدْ، واللهُ ينفَعُ بالنِّية في ذلك.

ولأبي عبدِ الله أيضًا مصنَّفاتٌ غيرُ ما ذُكِر، منها: شيوخُ الدارَقُطنيّ، وشَرْحُ مقدِّمة صحيح مسلم، ومقالاتٌ كثيرةٌ في أغراضٍ شَتّى حديثيّـةٍ وفِقْهيّة، وتنبيهاتٌ مفيدة، ووَقَفْتُ على جُملةٍ من شَرْح «الموطَّإ» [له] في غاية النُّبل وحُسنِ

---

(١) لم يعده من شيوخه في البرنامج.

(٢) ورد اسمه في رحلة ابن رشيد هكذا: «المآخذ الحفال، السامية عن مآخذ الأغفال، في شرح ما تضمنه كتاب الوهم والإيهام من الإخلال والإغفال، وما انضاف إليه من تتميم أو إكمال».

الوَضْع[1]، وكلُّ ذلك شاهدٌ بوفورِ مَعارفِه وتبريزِه، واستُقضيَ ببَلَنْسِيَةَ، وفاسَ. [ومَولدُه بها] سنةَ ثلاثٍ وثمانينَ وخمس مئة، ونشأَ بمَرّاكُش واستوطَنَها، [وبها توفِّي] سنةَ ثِنتينِ وأربعينَ وست مئة.

٧٥ـ محمدُ بن أبي بكر بن [رَشِيد[2]، جمالُ الدِّين] أبو عبد الله البغداديُّ، ويُذكَرُ أنّ أصلَه من قَصْر كُتَامةَ[3].

رَوى ببغدادَ عن أبي إسحاقَ إبراهيمَ بن سَعِيد الأنصاريِّ أحدِ أصحاب ابن الـجَوْزيّ، وبدمشقَ عن أبي عبد الله بن عبد الوهّاب الواعِظ ابن [الـحَنْبَلي][4]، وبالأندَلُس عن أبي يحيى عبد الرّحمن بن عبد الـمُنعم ابن الفَرَس[5]، رَوى عنهُ بمَرّاكُش [عبدُ الحقِّ] بن رَشِيد، وأبوا محمدٍ: عبدُ الواحِد بن أبي زَيْد بن أبي زكريّا بن أبي حَفْص بن عبد المؤمن وابنُ مخلوفِ بن موسى الـمَشّاطُ القاضي[6]، وطائفةٌ من أصحابِنا، وبمِصرَ: جمالُ الدِّينِ عثمانُ بن فَتْح الدِّين أبي العبّاس

---

(١) من مؤلفات ابن المواق التي لم يسمها المؤلف: «بغية النقاد» في أصول الحديث، ذكرها صاحب كشف الظنون ونقل عنها شراح ألفية العراقي ويوجد قسم منها في خزانة الإسكوريال وكان الكتاب موجودًا في خزانة القرويين. انظر فهرس خزانة القرويين ٢/ ٥٠٤.

(٢) ضبطه المديوني الجادري في شرح البردة بفتح الراء وكسر الشين (فهرس خزانة القرويين ٢/ ٢١٧).

(٣) هذه أو في ترجمة لدينا لهذا الواعظ الشهير المغربي الأصل، وعليها اعتمد الأستاذ كنون في مقالته القيمة المنشورة في مجلة البحث العلمي، العدد (٧).

(٤) سترد ترجمته في هذا السفر انظر رقم ١٢١.

(٥) ترجمته في التكملة (٢٣٦٠).

(٦) هو أبو محمد عبد الواحد بن مخلوف بن موسى الهزميري المشاط ولي القضاء بمراكش في عهد المرتضى الموحد سنة ٦٥٤هـ بعد وفاة القاضي قبله أبي بكر ابن حجاج. انظر السفر السادس: الترجمة ٤٠ وممن روى عن ابن رشيد خطيب تلمسان أبو عبد الله محمد بن علي بن الجمال قال تلميذه المقري الجد: حدثني أنه تاب بين يديه لأول مجلس جلسه بتلمسان سبعون رجلًا (نفح الطيب ٥/ ٢٤٢).

أحمدَ بن عُثمانَ بن هِبة الله بن أحمدَ بن أحمدَ بن عَقِيل القَيْسيُّ ابنُ أبي الـحَوافِر، وأبو عليّ الـحَسَنُ بن الـحَسَن بن عَتِيق ابن مكسورِ الـجَنْب بمحضَرِ مُحيي الدِّين محمد بن محمد بن سُرَاقة.

وسمِعتُ منه كثيرًا، وجالستُه طويلًا، وحاضَرتُه وذاكَرْتُه، ورُزِقتُ منه قَبولًا كثيرًا، ولزمتُ شهودَ مجالسِ وعظِه، وكانتِ القلوبُ تنفعلُ كثيرًا لكَلامِه، وترِقُّ لـمَوْعِظتِه، وتتأثرُ لتذكيرِه، وكان أغزَرَ الناسِ دمعًا، إذا رَقِيَ لِمنبَر وَعْظِه لا يتمالكُ أن يُرسِلَ دموعَه فيؤثِّرَ عندَ الحاضِرين من الـخُشُوع والـخَشْية وسَكْبِ الدموعِ ما لا مَزيدَ عليه، وكان يتَولَّى إنشاءَ خُطَبه التي يَفتتحُ بها مجالسَ وَعْظِه وقصائدَه المطوَّلَةَ التي يختتمُها بها، وكان سَريعَ الإنشاءِ لذلك كلِّه، وكلامُه نظمًا ونثرًا مؤثِّـرٌ في نفوسِ سامعيهِ على ما فيه من لِين، وسمعتُه غيرَ مرّة يقول: إنّ ذَوْقَه لا يُساعدُه على النظم في وزنِ عَروض من أعاريضِ الشِّعر ما خَلا الطَّويلَ، هذا على اتّساع حفظِه وحضورِ ذكْرِه فنونَ الشِّعر على اختلافِ أوزانِه، وله قصائدُ سمّاها: «الوتَريّة، في مَدْح محمدٍ أشرفِ البريّة»[1] كلُّ قصيدة منها أحدٌ وعشرونَ بيتًا، مفتتَحة أبياتُها بحروفِ رَوِيِّها ضَمَّنَها مَدْحَ النبيِّ ﷺ وإيرادَ بعضِ مُعجزاتِه، تَقبَّلَ اللهُ عمَلَه، وأنْجحَ أملَه.

ومِمّا يُغبَطُ بهذه الوَتَريّات ويَشهَدُ بصدقِ نيّتِه فيها ويُـحَرِّضُ على حفظِها وروايتِها، ويُرغِّبُ في دراستِها واستعمالِـها، ما حكاهُ رحمه اللهُ من أنه قال: رأيتُ رسُولَ الله ﷺ ليلةَ فراغي من تبييضِها وهي في يدِه ﷺ ومعَه جماعةٌ من أصحابِه رضيَ اللهُ عنهم، لم أعرِفْ فيهم غيرَ أبي بكرٍ، رضيَ اللهُ عنه وعنهم أجمعين، [فلمّا رآني] ﷺ قام إليّ ضاحكًا كالـمُستبشِر بي، ثم جعَلَ يَدفَعُها إلى [جماعةٍ] من

---

(١) ذكرت في كشف الظنون، وقد عارضها وخمسها وشرحها بعض الأعلام وطبعت في المغرب والمشرق، والوتريات من المحفوظ المتداول في بلاد المغرب وممن لهم وتريات أيضًا أبو الحسن علي بن بلال (ت ٦٨١هـ) وأبو زيد عبد الرحمن المكودي (رحلة التجاني: ٢٧١-٢٧٢، وفهرس خزانة القرويين ٢/ ٢١٧).

أصحابِه، وأوّلُ مَن بَدَأَ منهم به أبو بكر، رضيَ اللهُ عنه وعنهم أجمعين، [وكان] ﷺ يقولُ لهم: انظُروا بأيِّ شيءٍ قد مُدِحتُ، وماذا قيل فيّ.... وقَعَتْ منهُ ﷺ.... فاستيقَظْتُ فرحًا مسرورًا بما أعطاني.... وكانت هذه الرُّؤيا بمَرّاكُش. ثم بعدَ ذلك إلى ما يُقارِبُ ثلاثَ سنين [كنتُ أُعيدُ] نَظَري فيها وأزيدُها ترقيقًا وتنميقًا، وأدخَلتُ فيها من غرائبِ مُعجزاتِه ﷺ ما لم أكنْ أدخَلتُهُ أوّلَ مرّة، فبينَما أنا ذاتَ ليلةٍ أكتُبُ في حرفِ الميم، وقد تعرَّضتُ فيه لـمِعراجِه ﷺ، وكنتُ قد أكثَرتُ في معظَم قصائدِها من ذكْرِ المعراج؛ لِما فيه منَ العجائب، إلّا أنّي لم أذكُرْ حديثَ جِبريلَ عليه السّلام، ووقوفَه في الموضِع المعلوم، وقولَه لرسُولِ الله ﷺ: ها أنت وربُّك، وزَجَّه في النُّورِ زَجّةً، ففكّرتُ في نَظْم ذلك المعنى، فيسَّرَه اللهُ عليّ في أربعةِ أبيات، وأدخلتُها في حرفِ الميم، ثم رقَدتُ باقيَ اللّيل، فرأيتُ رسُولَ الله ﷺ في المنام وهو يقولُ لي: إنّ اللهَ قد شَفّعَني في أهلِك وزوجِك وخادِمِك، وفي جميع أصحابِك، مُشيرًا إليّ بمُسَبِّحتِه ﷺ، فاستيقَظتُ وبي من الفَرَح والسُّرور ما لا يعلَمُه إلّا الله عزَّ وجَلّ، ويحِقُّ لي، فازدَدْتُ بها غِبطةً على غِبطة، فلله الحمدُ على كلِّ نعمةٍ عمومًا، وعلى ما ألـهَمَ إليه من مَدْح حبيبِه ﷺ خصوصًا، وكانت هذه الرؤيا بغرْناطة.

وكان فقيهًا شافعيَّ المذهب، نَظّارًا فيه، حَسَنَ المأخَذ في الاحتجاج لهُ، متوقِّد الخاطِر، ذكيًّا يَقِظًا محبًّا في العلم مُنصِفًا في المناظرةِ والمباحثة، لا يكادُ يُخلي محاضَرَهُ من مفاوضةٍ علميّة ومُذاكرةٍ وبحثٍ ومساءلة، على ذلك عَرَفْناه، وكثيرًا ما كان يُتعرَّضُ له في مجالسِ وعظِه بالرِّقاع مضمَّنةً أسولةً عَويصة، فيَصدُرُ عنه من سُرعةِ الجواب عنها وحُسنِه وإيضاح خَفيِّها وحلِّ مُشكلِها ما يَقضي منه العَجَب، شاهدتُ منه في ذلك كثيرًا، وقصَدتُ الإغماضَ غيرَ مرّة أنا وجماعةٌ من أصحابِنا في كثير من الأسولةِ التي كنّا نُودِعُها الرِّقاعَ المرفوعةَ إليه، فيأتي [في أجوبتِها بما يَبهَرُ] الحاضرينَ سُرعةَ بديهةٍ، وحُسنَ ترتيبٍ وحَشْدَ [نُقول، ثم يَخلُصُ] إلى ما كان فيه من وَعْظِه.

وورَدَ خبَرُ الحادثة الشَّنعاءِ [الكائنة] على بغدادَ[1] وهُو حينَئذٍ بمَرّاكُش، وكان يَذكُرُ أنه خَلَفَ ببغدادَ [نِسوةً قد كبِرْنَ][2]، وكان يقولُ حينَئذٍ في مجالسِ وعظِه: واأسَفًا للمصيبةِ [العامّة بالمسلمين] والخاصّة بي! وكان قدومُه على مَرّاكُش صدرَ خمسٍ وخمسينَ وست مئة.

[ومَدَحَه] بعضُ أُدبائها بقصائدَ شكَرَها لهم ووقَعَتْ موقعَ استحسانٍ وسرورٍ [عندَه]. فممّا رأيتُ إثباتَه منها هنا قصيدةُ الأديب الكاتبِ البارعِ أبي موسى هارونَ بن عبد الله بن محمد بن هارونَ السُّماتيِّ الإشبيليِّ[3] نزيلِ مَرّاكُش رحمه الله، وهي [من الطويل]:

أواعِظَنا جَلّتْ لدينا بكَ النُّعمى ... فنِلنا الذي كنّا نَهيمُ به قِدْما

وأهدَتْ لنا بغدادُ منكَ غريبةً ... فلله ما أبهَى سَناها وما أسمى

حديقةَ فضلٍ أينَعَتْ زَهَراتُها ... فقد حَسُنت مَرأًى وفاحت لنا شَمّا

فلا انتقَلت عنّا ظلالُ نعيمِها ... ففي كلِّ حينٍ تُثمرُ العِلمَ والفهما

مواعظُ تَسرِي في النفوسِ لطافةً ... فتُبرِئُ من داءِ السَّقام بها سُقما

لقد هتَكَتْ حُجْبَ القلوبِ وإنّها ... بلُطفِ معانيها لَتستنزِلُ الغَمّا

وقمتَ بحقِّ الله في وعظِنا فلم ... تدَعْ غَرَضًا إلّا بَرَيْتَ له سهما

وأرسلتَها نحوَ القلوبِ، فكلُّها ... أصاب ـ لَعَمْري ـ مقتلَ الغَيِّ أو أَدْمى

---

(١) هي كائنة التتر المشهورة الواقعة سنة ٦٥٦هـ، قال بشار: ونحن فارقنا الأوطان بعد الكائنة العظمى بتغلب العدو الأمريكي الكافر على البلاد، أعادها الله إلى المسلمين.

(٢) كلام ممحو في الأصل تظهر منه بعض الحروف وتجدر الإشارة إلى أن الواعظ ابن رشيد خلف ولدًا يبدو أنه عاش في المغرب وتوفي به جاء في وفيات الونشريشي: «وفيها (أي في سنة ٦٧٩هـ) توفي الفقيه العدل أبو العباس أحمد ابن المحدث الراوية أبي عبد الله محمد ابن رشيد البغدادي» (ألف سنة من الوفيات: ١٧٩ تحقيق محمد حجي).

(٣) تقدمت الإشارة إليه، انظر الترجمة رقم ٣١.

كشفتَ عن التنزيل حُجْبَ حقائقٍ ... وأبديتَها حتى لَأبصَرَها الأعمى
فكم آيةٍ أوضَحْتَ خافيَ سرِّها ... فلاحَ سَناها للنُّهى قمرًا تَمّا
وكم مُشكلٍ حلَّيتَهُ بلطائفٍ ... من الفِكْر، لولاها لأوسَعَنا كتْما
وأبدَيتَ في عِلم الحديثِ غَوامضًا ... وحلَّيتَها الأوضاحَ إذْ غودرَتْ بُهْما[1]
إذا ما اعتمدتَ النقلَ فالبحرُ زاخرٌ ... وقَدْرُك أعلى أن أقيسَ به اليَمّا
ومهما نحَوْتَ الرأي فالزَّندُ ثاقبٌ ... فسهمُكَ إن تُرسِلْه في غرضٍ أصمى
لكَ الهمّةُ العُليا فلا ترضَ خُطّةً ... ولو عَظُمت قَدْرًا فزاحَمتِ النَّجما
طُبِعتَ ذَكاءً إذْ فؤادُك جَذْوةٌ ... تأجَّجُ لم تطعَمْ ضِرامًا ولا فَحْما
حوى من فنونِ العلم ما أعجزَ الوَرى ... فلله منها ما حَواهُ وما ضَمّا
تبارَكَ من سَوّاكَ خَلْقًا وقد حَشَا ... فؤادَك ....
وأيَّدَ منكَ النُّطقَ بالحِكَم التي ... على كلِّ قلبٍ خائفٍ [وقعَتْ سِلما]
أيا ديمةً تنهَلُّ سَكْبًا بكلِّ ما ... يُروِّي العِطَاشَ الهِيمَ منا....
لقد رَوَّضتْ منّا القلوبَ وأطلَعَتْ ... بها ثمَرَ التقوى فتهنئُنا....
لطائفُ وَعْظٍ بل هي السحرُ كلَّما ... سَمِعناه أيقاظًا ظنَنّا بنا حُلْما
وأرواحُ أذكارٍ تلاقَتْ جسومُنا ... بها فكأنّ الرُّوحَ ماسكُ [الجِسما]
وإنّ لواءَ الفقرِ لمّا نشرتَهُ ... مشَى الفقراءُ تحتَه كلُّهمْ قُدْما
أريتَهمُ التحقيقَ حِسًّا فأدرَكوا ... ولم يَطمَعوا أن يُدرِكوا كُنهَهُ وَهْما
بعلمِكَ عَزُّوا فالزّمانُ وأهلُهُ ... لهمْ أصبحوا حَرْبًا فصاروا لهمْ سِلما
فكلٌّ ـ لَعَمْري ـ أُشرِبَ الفقرَ قلبُهُ ... وهوُ الغِنى للنفسِ يا خيرَ ما أمّا

---

(١) الأوضاح: حلي من فضة، وبهم: مظلمة.

أيا ابنَ رَشيدٍ أنت رُشدٌ لـمُهتدٍ ... فقد وَفَر الرّحمن منه لك القَسْما
ملكتَ نظامَ القولِ في كلِّ مذهبٍ ... وأبدَعتَ حتى النثرَ مُلِّكتَ والنَّظما
إذا الخَصْمُ أدلَى بالحِجَاج مُناظِرًا ... فأنت بأدنَى حُجّةٍ تقطَعُ الخَصْما
فدَتْك نفوسٌ قصَّرت عنك لم تجِدْ ... لهم في فنونِ العلم إن سُئلوا عَزْما
فضَضْتَ خِتامَ الحُجْبِ عن كلِّ غامضٍ ... وقد عَجَزوا عن أن يَفُضُّوا له خَتْما
ألا يا جمالَ الدِّين يا فخرَهُ، لقد ... أصابَ الذي سَمّاك في كلِّ ما سَمَّى
فيَصدُقُ كلُّ اسمٍ جليلٍ عليك إذْ ... مُنِحتَ بها أحرَزْتَه مَفْخَرًا جَمّا
مدحتُك إذْ بيني وبينَكَ نسبةٌ ... فغُربتُنا كان القضاءُ بها حَتْما
جلاءٌ عن الأوطانِ شتَّتَ شمْلَنا ... فهل أرَيَنَّ الدّهر يُوسِعُه نَظْما؟
ببغدادَ هام القلبُ منكَ وحبُّها ... لعَمْرُك حبٌّ خالَطَ الدَّم واللَّحما
فهل حاكمٌ يُعدي على الدهرِ إنهُ ... على كلِّ حالٍ يؤْثرُ الجَوْرَ والظُّلما
ويا غُربةً دامت وشَطَّ مَزارُها ... كفاكِ فقد قطَّعتِ قلبَ الشَّجيْ كَلْما
إذا ما الغريبُ الدارِ هَمَّ بأوْبةٍ ... هَمى الدمعُ من أجفانِهِ كلّما هَمّا
عسى فَرَجٌ يُدني المُنى فلعلّها ... تُنفِّسُ عنّا البثَّ والحُزنَ والغَمّا
بقِيتَ مُلقًّى ما تشاءُ مُحسَّدًا ... موَقًّى من المحذورِ متّصلَ النُّعمى
[ولا زال قَطْرُ الغيثِ يهطُلُ] ديمةُ ... على مَن أعزَّ العُربَ إذ وقَمَ العُجْما[1]

[ومنها قصيدةٌ] للسيِّد الجليل، المشارِكِ النّبيل، أبي محمدٍ عبد الواحِد بن أبي زَيْد عبد الرّحمن بن أبي زكريّا بن أبي حَفْص بن عبد المؤمن[2]، وهي هذه [من البسيط]:

---

(١) وقم: أذلّ.

(٢) لم نقف له على ذكر، ووالده أبو زيد كان عاملًا على إفريقية لعمه يوسف بن عبد المؤمن، وأخباره في العبر لابن خلدون والمعجب للمراكشي والبيان المغرب وغيرها.

أهلًا وسهلًا بمَن أهدَتْه بغدانُ ... ومرحبًا مَرْحبًا حيّاهُ رضوانُ

[إنْ فارَقَ] الرَّيَّ رَيّاها لفُرقتِهِ ... وأخرِسَتْ بعدَه حُزنًا خُراسانُ

[أو] واصَلتْ مَوصِلٌ فيه الأسى وبهِ ... قد غادرت قلبَها حَرّانَ حَرّانُ

وصيَّرت عَيْشَها كالشري مِن وَلَهٍ ... وكان كالأرْيِ حُلوًا منه حُلوانُ

وعمَّ مَن بعُمانَ الشّجوُ واتّسمت ... من بعدِ نعمتِها بالبُؤس نُعمانُ

وفاهَ هاتفُ وادٍ للأراكِ متى ... أراك تدنو وهل للقُربِ إمكانُ

والطَّلحُ عاد طُلَيْحًا من تلفُّتِه ... وأنّ إذْ بانَ يشكو بيْنَهُ البانُ[1]

فإنّ حضَرْتَنا تفتَرُّ من جَذَلٍ ... به إذا فرِحت ما ضَرَّ لَهفانُ

أمَا سمِعتَ بقولِ ابن الحُسَين[2] وما ... قد جاء في الشِّعر حُكمٌ وهو تِبيانُ؟

إيهٍ رَعَى اللهُ إخوانًا به سَمَحوا ... لنا فنحن لهُ في الدِّينِ إخوانُ

ونحن جيرانُهُ من بعدِ جيرتِهِ ... بباب جيرونَ لا يفقدهُ جيرانُ[3]

وما إخالُكِ يا بغدادُ عن مللٍ ... رَمَت بهِ منكِ نحو الغرْب أوطانُ

لكنْ جَرى القلمُ الأعلى بذاكَ وما ... أجراهُ يَجري ولا يعدوهُ إنسانُ

إنّي سمَحتُ بعِلقٍ نظمُهُ دُرَرٌ ... من المعارفِ لا درٌّ وعِقيانُ

بحرٌ ولكنّهُ عذبٌ جَواهِرُهُ ... أصدافُها شقَّقتْها منه أذهانُ

يُبدي الجَليَّ من المَخْفيِّ منطِقُهُ ... كأنّ ألفاظَه للسِّحر خزّانُ

معنًى رقيقٌ ولفظٌ زانَهُ زجَلٌ ... جَزْلٌ يُسدِّدُه للعقل برهانُ

---

(١) بغدان: لغة في بغداد، والري وخراسان والموصل وحران وحلوان وعمان ونعمان والأراك والطلح: أسماء بلدان وأماكن معروفة وللممدوح بها صلة، ولجأ إليها الشاعر للتلاعب بالجناس.

(٢) لعله يقصد به المتنبي ويشير إلى قوله الجاري مجرى الأمثال: مصائب قوم عند قوم فوائد.

(٣) يشير إلى مقام الشاعر في دمشق.

تجمَّعـتْ فيـه أشـياءٌ محاسـنُها ... تَفُـوقُ عـدًّا إذا مـا عُـدّ ديـوانُ

إذا بـدا صـاعدًا أدراجَ مِنـبَرِهِ ... غارَتْ عليه مـن الأبـصارِ آذانُ[1]

وإن تكلَّمَ غـار العـينُ مـن حسَدٍ ... فاعجَـبْ فبينَهما في ذاك شَنْـآنُ

طَـوْرًا يعلِّمُنـا، طَـوْرًا يُـخوِّفُنا، ... طَوْرًا يُرجِّي، فهذا الـوعظُ ألـوانُ

يا واعظًا بَـهَرتْ حُسنًا مَواعظُـهُ ... عليـك لا زال للـرّحمنِ إحـسانُ

ذكَّـرتَ غافلَنـا، علَّمـتَ جاهلَنـا ... حلَّيتَ عاطلَنا [فالكـلُّ فرحـانُ]

تَصوبُ من وعظِك الأجفانُ واكفـةً ... كما يَصُوبُ لصوتِ [الرعدِ هَتّـانُ؟]

أُيِّدتَ بالصِّدق في قولٍ وفي عمـلٍ ... فللـدموع إذا أسـمعتَ طُوفـانُ

كما تأيَّـد في نَظْـم العَـرُوضِ وقـد ... دَعَا الرسولَ برُوح القُدْس [حسّانُ]

كم من شَرُودٍ أخي غَـيٍّ إلى رَشَـدٍ ... قادَتْهُ يا ابـنَ رَشـيدٍ منـك أرسـانُ

رأى ولـولاك لم تُبـصِرْ بـصيرتُهُ ... وكيف يُبصِرُ وجهَ الرُّشـد عَمْيـانُ

فأنت أنت جمـالُ الـدِّين لا كـذِبٌ ... لا جَحْدَ في ذاك، إنّ الـجَحْدَ كُفـرانُ

لله قـومٌ بهـذا لقَّبُـوكَ وقـد ... تحَرَّوا الصِّدقَ، حُيُّوا حيثما كـانوا

عُذرًا فديتُكَ لم أُحْصِ الذي لكَ، هل ... يُحصي الـحَصَى ونجومَ اللّيل حُسْبانُ؟

أنّـى ولـو قاسَـها قُـسٌّ لقَـصَّر، أو ... أجـرى لهـا طَرْفَـهُ لم يُجرِ سَـحْبانُ

فكيف والطّبعُ لم يُطبَـعْ، فُـدِيتَ عـلى ... ما يَرتـضيه حديـدُ القلـبِ يَقْظـانُ

لكـن جعلتـكِ[2] أبيـاتي مقدِّمـةً ... تَرتـادُ لي مـوردًا، إنّي لـصَدْيانُ

---

(١) يذكرنا وصف الشاعر الأمير مجلس الواعظ ابن رشيد بوصف الرحالة ابن جبير مجلس الإمام الواعظ ابن الجوزي في بغداد.

(٢) في الأصل: «جعلت» ولا يستقيم البيت بها.

تَبُوحُ بالـحُبِّ إذ قـال الرسـولُ: إذا	أحَبَّ؛ واذكُرْهُ لا يَصْحَبْكَ نـسيانُ
ورغبـةً في دعــاءٍ منـكَ مُبـتهِلًا	في أن يُبـاحَ مـعَ الـزُّوّارِ إتيـانُ
إن الـشّفيع الـذي مـن جـاء ناديَـهُ	مـستغفرًا ظالـمًا قِـراهُ غفـرانُ
تـدعو ثلاثًـا بهـا والنـاس كلُّهـمُ	يؤمِّنـون، فـربُّ النـاس مَنّـانُ
صـلى الإلـهُ عليـه كلّـما طلَعَـتْ	شـمسٌ ومـا تُلِيَـت آيٌ وقـرآنُ
وخـصَّهُ بـسَلام مـا سَرَى فَلَـكٌ	مـسخَّرٌ، ورَسَـا رَضْـوى وثَهْـلانُ

وأقام بمَرّاكُش مدّة، ثم رَحَلَ إلى الأندَلُس، ودَخَلَ غَرْناطةَ وغيرَها من بلاد الأندَلُس، ووَعَظَ بها، ثم كرَّ راجعًا إلى مَرّاكُش فبقِيَ فيها مُدّة، ثم فَصَلَ عنها مشرِّقًا، فحَجَّ حجّةَ الفريضة، وقَفَلَ إلى المغرِب مؤمِّلًا الوِفادةَ على مَرّاكُش، فتوفِّي بتونُسَ عقِبَ صلاةِ الـجُمُعة لليلةٍ بقِيَتْ من محرَّمٍ ثلاثٍ وستينَ وست مئة.

٧٦ـ محمدُ[١] بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاريُّ، تلمسينيٌّ وَشْقيُّ الأصل، أبو عبد الله البُـرِّيُّ.

وهو أخو شيخِنا أبي إسحاقَ التلمسينيِّ[٢] وكبيرُه. رَوى ببلدِه عن أبوَيْ عبدِ الله: عبد الرّحمن التُّجِيبيِّ، وابن عبد الحقّ. وبالأندَلُس عن أبي بكر بن محمد بن مُحرِز، وأبي الـحَسَن سَهْل بن مالك، وأبي الرّبيع بن سالم، وأبي عبد الله [ابن الأبّار، وأبي الـمُطرِّف] ابن عَمِيرةَ وغيرِهم، وبمَنُرقةَ عن أبي عُثمانَ سَعِيد [بن حَكَم.

رَوى عنه غيرُ] واحدٍ، وحدَّثنا عنه أبو محمدٍ مَوْلى سَعِيد بن حَكَم. وكان [مُعتنيًا بالأنسابِ] والحِفظِ لها، ذا مُشاركةٍ في الحديثِ ورجالِه، وحَظٍّ من [النَّظم].

---

(١) أخباره وأشعاره في زواهر الفكر لابن المرابط (مخطوط الإسكوريال)، وله ترجمة في صلة الصلة ٣/ الترجمة ٣٣.

(٢) هو صاحب الأرجوزة الشهيرة في الفرائض، له ترجمة في الديباج ١/ ٢٧٤ نقلًا عن ابن عبد الملك وابن الزبير، وبرنامج الوادي آشي: ١١٤، ودرة الحجال: ١٧٧، وشجرة النور الزكية: ٢٠٢، والإحاطة ١/ ٣٢٦.

وله مصنَّفاتٌ مفيدةٌ، منها: «الـجَوْهرة في نَسَبِ النبيِّ ﷺ وأصحابِه] العشَرة»[1]، ومنها: «العُمْدَة في ذكْرِ النبيِّ ﷺ والـخُلفاءِ بعْده» [في نُسختَيْن]، إحداهُما أكبرُ من الأخرى[2]، وفي صُغراهُما يقول ـ ونقَلتُه من خطِّه ـ [من مجزوء الرجز]:

[هـذا كتـابُ] العُمـدةِ   للـذِّكرِ خـيرُ عُـدّةِ

مُـشرِّفٌ في مَـلإٍ   مـؤنِّسٌ في وَحـدةِ

[وفي الأخرى] يقولُ ـ ونَقلتُه من خطِّه أيضًا ـ [من السريع]:

الحمـدُ لله عـلى عَوْنِـهِ   في وَضْعِ هـذا الجامع الـمُختصَرْ

مـا أعظـمَ النفْـعَ بـه لامرئ   عـلى اطّلاعٍ [لـيس فيـه] قِـصَرْ

---

(١) في زواهر الفكر: ٤٣ أنه رفعه إلى خزانة أبي عثمان بن حكم حاكم منرقة ولما رفعه إليه أحاله على أبي القاسم بن يامن ليرى رأيه فيه وقال يخاطبه:

عـساك تـشقه لـترى   منازعـه وتختـبرا

فإمـا أن نفهرسـه   وإمـا أن تـرى ونـرى

ولم أفـرغ لأنظـره   ومثلك من كفى النظرا

وقد نشر الدكتور محمد التونجي طرفًا من هذا الكتاب (مكتبة النوري، دمشق، ١٩٨٢م) ولكنه لم يذكر أي شيء فيما يتعلق بمؤلف الكتاب. وللدكتور أحمد الضبيب كتابة نقدية لما نشره الدكتور التونجي.

(٢) وردت الإشارة إلى النسختين وتسميتهما في برنامج التجيبي كما يلي «كتاب العدة، المختصر من كتاب العمدة، في نسب النبي ﷺ والخلفاء بعده، كلاهما من تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني نزيل جزيرة منورقة (في المطبوع ميورقة) جبرها الله تعالى ورحمه، المعروف بالبري» (انظر بروكلمان، ذيل ١/ ٨٨١ فقد سمى من مؤلفاته التي لم يسمها المؤلف: كتاب وصف مكة والمدينة وبيت المقدس، وبرنامج التجيبي: ٢٦٦. تحقيق عبد الحفيظ منصور).

ورَجَزَ السِّيَـرَ رَجْزًا مختصرًا، وسَمّاه «فريدةَ [....] اللآلي»، إلى غير ذلك من مصنّفاتِه.

دَخَل ثغرَ مَنُـرْقَةَ أسيرًا، فافتَـكّه الرئيسُ بها أبو عثمانَ سعيدُ بن حَكَم[1] فاستقَرَّ به إلى أن توفِّي عقِبَ الزّوال من يوم الخميس لثلاثَ عشْرةَ ليلةً بقِيَتْ من ربيع الأول عامَ أحدٍ وثمانينَ وست مئة، ومولدُه لأربعَ عشْرةَ خَلَتْ من ذي الحجة عام ستةٍ وتسعينَ وخمس مئة.

٧٧ـ محمدُ[2] بن أبي الـحَسَن الفارِسيُّ، مَرْوَزيٌّ، أبو عبد الله الـجَوْهريُّ.

تَلا بأصبَهانَ على الصَّفّار[3] المقرئ. وقَدِمَ الأندَلُسَ ودخَلَ قُرطُبَةَ في أوائل جُمادى الآخِرة سنةَ ثلاثَ عشْرةَ وست مئة. وكان حافظًا مُجوِّدًا حسَنَ السَّمت فاضلًا صالحًا.

٧٨ـ محمدُ بن أبي القاسم بن مَيْمونٍ الـهَوّاريُّ.

كان كاتبًا بارعًا.

٧٩ـ محمدُ[4] بن إسماعيلَ بن محمد بن إسماعيلَ الـحَضْرميُّ المتّيشيُّ، من ناحيةِ بِجَايةَ، ونزَلَ مُرْسِيَة.

---

(١) جاء في زواهر الفكر: «ومن المفتكين على يديه أيضًا من دار الحرب، القاطنين لديه في ظل الدعة والخصب الفقيه المؤرخ النسابة الكاتب أبو عبد الله محمد بن أبي بكر التلمساني الشهير بالبري، وله فيه أمداح كثيرة» وبعد هذا قصائد متعددة للمذكور ولأخيه أبي إسحاق في مدح ابن حكم. وقد ذكر ابن الخطيب في أعمال الأعلام: ٢٧٦ أن المترجم كان كاتبًا لابن حكم بمنرقة ونقل خبرًا مرويًا عنه يتصل بسيرة الحاكم المذكور. وراجع ترجمة سعيد بن حكم ومصادرها في السفر الرابع: الترجمة ٦٧.

(٢) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٤١)، وابن الزبير في الصلة ٣/ الترجمة (١٥).

(٣) في الأصل: «الصبان» محرفة، وما أثبتناه من التكملة التي ينقل منها المؤلف، وابن الزبير، وكلاهما ينقل عن ابن الطيلسان.

(٤) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٤٤)، والذهبي في المستملح (٣٤٩) وتاريخ الإسلام ١٣/ ٨٠٠، والصفدي في الوافي ٢/ ٢١٨.

دَخَلَ الأندَلُس في صِغَرِه وأقام بمالَقَة مدّةً وسكَنَ مُرْسِيَة، ومَوْلدُه بالعُدْوة.

ذكَره ابنُ الأبّار في الغُرَباءِ بهذا وبغيرِه ممّا رأى أن يَذكُرَه به، وقد تقَدَّم لي ذكْرُه في الأندَلُسيِّين[1] لِـما تبيَّنَ لي من وَهَم ابن الأبّار في نسبتِه المكانيّة، ولم يَخدُش لي في وجهِ ما ذهَبْتُ إليه من ذلك إلّا قولُ ابن الأبّار: إنّ مولدَه بالعُدوة، فإنْ ترجَّحَ جُعِلَ العُهدةُ في ذلك عليه، نُقِل إلى هنا، واللهُ الموفّق.

٨٠ ـ محمدُ[2] بن أوس بن ثابِت بن الـمُنذِر بن حَرام بن عَمْرِو بن زَيْد مَنَاةَ بن عَدِيِّ بن عَمْرِو بن مالكِ بن النَّجّار تَيْم الله بن ثَعْلبَةَ بن عَمْرو بن الـخَزْرج الأنصاريُّ الـخَزْرجيُّ.

مَدنيٌّ تابِعيٌّ، ولأبيه أوس صُحبة، وهو أخو حسّانَ بن ثابت. رَوى عن أبي هريرة. [روى عنه الحارثُ بن يَزيد] ومحمدُ بن عبد الرّحمن ابن نَوْفَل[3] الأسَديّ.

وكان من أهل الفَضْل [والدِّين، حَلّاه] بذلك خالدُ بن أبي عِمرانَ التُّجِيبيُّ التونُسيُّ[4] لأميرِ المؤمنينَ [يزيدَ بن عبد الملِك][5] وقد سأله عنه خاليًا.

وغَزا المغرِبَ والأندَلُس معَ موسى بن نُصَيْر سنةَ ثلاث وسبعين، وغَزا صِقِلِّيَةَ سنةَ ثِنتينِ ومئة وغَنِم منها، [ولـمّا قُتل يزيدُ بن أبي] مُسلم مولى الـحَجّاج

---

(١) في السفر السادس، الترجمة ٣١٨.

(٢) ترجمه الحميدي في جذوة المقتبس (٢٨)، والضبي في بغية الملتمس (٦٧)، وابن الأبار في التكملة (٩٦٨)، والمقري في نفح الطيب ٣/ ٥٨، وله ذكر في تاريخ خليفة بن خياط ٣٢٦، وطبقات أبي العرب ١٨، والبيان المغرب ١/ ٤٩، والحلة السيراء ٢/ ٣٢٨.

(٣) في التكملة: «ثوبان»، ولكنه مضبب عليه، وهي علامة الوهم.

(٤) انظر أخباره ومناقبه في رياض النفوس ١/ ١٠٣-١٠٦، والطبقات لأبي العرب: ٥٧، وفتوح إفريقية والأندلس، حاشية رقم ٤٨ ورقم ١٤٣ في الترجمة الفرنسية.

(٥) ما بين المعقوفتين ممحو في الأصل، والتكملة من فتوح إفريقية والأندلس لابن عبد الحكم ص١١٦ط. الجزائر.

ـ وهو الذي أغزاهُ صِقِلِّيَةَ إذ كان يزيدُ [واليَ إفريقيّةَ وعلى] مَغْزَى أهل إفريقيّة ـ تَراضَى أهلُها بتقديمِه على إفريقيّةَ حتى يأتيَ أمرُ أميرِ المؤمنينَ يزيدَ بن عبد الملك، ومحمدٌ غائبٌ في غَزاتِه تلك بعدَ تراضيهم على تقديم الـمُغيرة بن أبي بُردةَ القُرَشيِّ أحدِ بني عبد الدار وإبايتِه من ذلك حسبَما أشار عليه ابنُه عبدُ الله، فتقَدَّم محمدُ بن أوس على إفريقيّةَ حينَ قَدِمَ من صِقِلِّيَةَ وأقام واليًا عليها إلى أن بَلَغَ خبَرُ مقتَل يزيدَ بن أبي مُسلم يزيدَ بنَ عبد الملِك وتقديم أهل إفريقيّةَ محمدًا هذا، فصَرَفَه وقدَّمَ بِشْرَ بن صَفْوانَ الكَلْبيّ، فقَدِمَها أوّلَ سنةِ ثلاثٍ ومئة[1].

ويا لله لابن الأبّار في ذكْرِه محمدَ بن أوسٍ هذا في الأندَلُسيِّينَ وتشَبُّعِه بذلك. فقد جعَلَه أوّلَ مذكورٍ منهم، ولا وَجْهَ لفعلِه هذا، ولا أدري ما يحمِلُه على هذا وشِبهِه!

٨١ ـ محمدُ بن بَكّار التَّميميُّ، مَسِيليٌّ، ثم قَلْعيٌّ.

رَوى عن أبي عليّ الغَسّانيِّ، ولم يَذكُرْه ابنُ الأبّار في أصحابِه.

٨٢ ـ محمدُ بن تاشَفينَ بن يوسُفَ بن أبي بكر بن يِيْمَد ـ بياءِ مسفول وياءِ مَدّ وفتح الميم ودالٍ غُفْل ـ ابن سَرْحوب، أبو عبد الله.

رَوى عن أبي بكرٍ ابن العَرَبيِّ، وأبي عبد الله ابن الـحَاجّ. وكان رئيسًا في قومِه وأحدَ أُمَرائهم، ذا عنايةٍ بالعِلم وروايتِه ولقاءِ حَمَلتِه، جيِّدَ النّظَر في التعديل ومَجاري الكواكب. وُلد في ليلة الرابعةَ عشْرةَ من ربيعٍ الأول عامَ ستة وتسعينَ وأربع مئة.

٨٣ ـ محمدُ بن جابرِ بن أحمدَ القَيْسيُّ، مَرّاكُشيٌّ.

رَوى بإشبيلِيَةَ عن أبي الـحَسَن شُرَيْح.

---

(١) انظر في هذه الأخبار البيان المغرب لابن عذاري ١/ ٤٨-٤٩، وفتوح إفريقية والأندلس: ١١٠-١١٦.

٨٤ ـ **محمدُ**[1] **بن حَسَن بن أحمدَ بن يوسُفَ بن أحمدَ بن يوسُفَ بن أحمدَ بن يوسُف بن أحمدَ التُّجِيبيُّ، سَبْتيٌّ، سَكنَ بأخَرةٍ إشبيلِيَةَ، أبو عبد الله، ابنُ مُجبر.**

وأصلُ سَلَفِه من طُلَيْطُلَةَ، وكانوا يُعرَفونَ فيها ببني يوسُف، ويوسُفُ جدُّ أبيه، منها. رَوى عن آباءِ الـحُسَين: ابن جُبَيْر وابن زَرْقُون وابن الصّائغ، وأبي ذَرّ بن أبي رُكَب، وأبي الصَّبر الفِهْريّ، وآباءِ عبد الله: الحاجِّ ابنِ أحمدَ بن عَطِيّة وابن حَمِيد وابن زَرْقُون، وكان يؤثِرُه ويُقرِّبُه، وأبي عليّ الـحَسَن بن [.... وأبي عُمرَ] يوسُفَ بن عبد الله الغافِقيّ، وأبي القاسِم بن حُبَيْش، [وآباءِ محمد: ابنِ عُبَيد الله الأزْديِّ] واختَصَّ به ولازَمَه طويلًا وأكثَرَ عنه؛ وابن حَوْطِ الله [وابن الأبّار] القُضاعيِّ، وأجازوا له. وسَمِع أبا الـحَسَن بنَ عبد الملِك بن بَسّام الزُّهْريَّ، [وأبا الـحَجّاج يوسُفَ] بن معزوز، وأبا محمد بنَ محمد بن عُمَر الأزْديَّ. وصَحِبَ الحاجَّ أبا الـحَجّاج [الملقَّبَ بالشَّفَة...، وأبوَيْ] عبد الله: ابن أحمدَ بن يَعِيش صِهرَه، وابن يحيى الـهَمْدانيَّ المالَقيَّ.

وأجاز له منَ الأندَلُس: أبو أحمدَ جعفرُ بن أحمدَ بن سُفيان، وأبو إسحاقَ بن [....]، وأبوا بكر: ابنُ أبي جَمْرةَ وابنُ خَيْر، وأبو الـحَسَن صَالحُ بن عبد الملك، وأبوا عبد الله: الإسْتِجيُّ وابنُ الفَخّار، وأبوا القاسم: ابنُ بَشْكُوال والسُّهَيْليُّ، وأبو محمدٍ القاسمُ بن دَحْمان. ومن فاسَ: أبو الـحَسَن بنُ حُنَيْن، وأبو عبد الله بنُ قاسم بن عبد الكريم. ومن بِجَايةَ: أبو محمد عبدُ الحقِّ ابنُ الـخَرّاط. ومن مكّة شرَّفَها الله: نَزيلاها: الطويلُ الجِوار بها أبو حَفْص الـمَيَانجِيُّ، وأبو الطاهر أبو الفِداء إسماعيلُ بن عليّ الـمَوْصِلي، وأبو أحمدَ بنُ عبد الوهّاب ابن سُكَيْنةَ. ومن الإسكندَريّة: أبو طالبٍ التَّنُوخيُّ، وأبو الطاهرِ بن عوف[2]، وأبوا عبد الله:

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٤٢)، والذهبي في المستملح (٣٤٧) وتاريخ الإسلام ١٣/ ٦١٩.

(٢) كتب في الأصل: «السلفي» ثم كتب في الهامش كما أثبتنا وصحح عليه، وهو الذي في التكملة التي ينقل منها، وأبو الطاهر بن عوف إسكندراني أيضًا.

الـحَضْرَميُّ والكِرْكنتيّ. ومن القاهرة: نَزيلُها أبو العبّاس التّسوليُّ. ومن الصّعيدِ الأعلى: مُستوطِنُه أبو إبراهيمَ إسحاقُ التونُسيُّ.

رَوى عنه أبو بكر بنُ سيِّد الناس، وأبوا الـحَسَن: ابنُ حَجّاج الصُّنْهاجيُّ، وابنُ محمد بن أبي الـحَسَن بن مَطَريّ، وأبوه أبو عبد الله بن أبي الـحَسَن بن أبي الـحَكَم مُنذِر بن مَطَريٍّ الـمَهْرِيّ، وأبو عليّ عُمرُ بن أحمدَ الزَّبّار، وأبوا محمد: طلحةُ وابنُ قاسم الـحَرّار.

وكان رجُلًا صالحًا فاضلًا، حافظًا القرآنَ العظيم، كثيرَ التلاوةِ له، رَطْبَ اللِّسان به، مُنتدِبًا لفعل ما يَستطيبُه من الأعمال الصالحة، متودِّدًا للناس، مُعتنيًا بالروايةِ مُستبحِرًا فيها، بَصيرًا بطُرُق التحديث، ذاكِرًا تواريخَ أهل بلدِه، مائلًا إلى أهل التصوُّف، متقدِّمًا في عَقْدِ الشّروط فقيهًا في معانيها.

وُلد بسَبْتةَ في العَشْر الوُسَط من ذي الحِجة تسع وأربعينَ وخمس مئة، وتوفِّي بإطريانةَ عندَ طلوع فَجْر يوم الخميس لستٍّ بَقِينَ من ربيع الأول سنةَ عشرينَ وست مئة، وصُلِّيَ عليه إزاءَ جامع العَدَبّس بوصيّةٍ منه بذلك، ودُفن بإطريانةَ إثْرَ صلاة العَصْر من يوم وفاتِه، ورُئيت له كراماتٌ، رحمه الله.

٨٥ ـ محمدُ[١] بن الـحَسَن بن حَجّاج بن يوسُفَ التُّجِيبيُّ، مَرّاكُشيٌّ، أبو عبد الله.

رَوى عن أبيه وطائفةٍ من أعلام بلدِه، وكان ذكيًّا نبيلًا حاذقًا، واستُقضيَ بقُرطُبَةَ في فَتاءٍ من سِنِّه فأصحَبَه أبوه [عليًّا البُطَيْطيَّ أحدَ عاقدي][٢] الشّروط بإشبيلِيَةَ كاتبًا له ونائبًا عنه.

---

(١) هو حفيد قاضي الجماعة حجاج بن يوسف (التكملة (٧٦٢)، وتاريخ الإسلام ١٢/ ٥٠٩، والحلل الموشية: ١٣٢، والأنيس المطرب: ٢٠٥-٢٠٦، والبيان المغرب: ١٤٠)، ووالده الحسن بن حجاج بن يوسف (التكملة (٧٢٢)، وجذوة الاقتباس رقم (١٤٠)، وسلوة الأنفاس ٣/ ٢٥٩).

(٢) ما بين معقوفين ممحو تمامًا في الأصل، والتكملة من ترجمة المذكور في السفر الخامس (الترجمة ٧٣٩) وفيها ما يلي: «ثم أصحبه أبو علي الحسن بن حجاج ابنه محمدًا لما ولي قضاء قرطبة كاتبًا عنه ونائبًا».

٨٦ ـ محمدُ بن الـحَسَن بن عَتِيق بن الـحَسَن بن محمد بن حَسَن التَّميميُّ، مَهْدَويٌّ سَكنَ بأَخَرةٍ مَرّاكُش، أبو عبد الله، [ابنُ منصورِ الـجَنْب](١).

(١) ما بين معقوفين ممحو تمامًا في الأصل، وقد تيسر لنا تتميمه بفضل الله، ولم نقف على ترجمتي المذكورين في مكان آخر. والمؤلف يحيل على ترجمة أبي علي الحسن بن الحسن ابن منصور الـجَنْب في سفر مفقود. وقد ذكر اسمه في عدد من التراجم منها ترجمة ابن رشيد الواعظ وترجمة ابن المحلي السبتي وابن مودود الفارتسي (في هذا السفر) وترجمة الشلوبيني النحوي (في السفر الخامس) وترجمة ابن الأبار (السفر السادس) وقد كتب ابن الأبار رسالة في التوصية به إلى الإمام زكي الدين أبي محمد المنذري يقول فيها: «ولما استقل مستندًا لمكانه، ومستسعدًا بزمانه صاحبنا الفقيه الحسيب المليء المحدث المجتهد الصوفي أبو علي الحسن ابن الفقيه القاضي أبي علي الحسن بن عتيق بن المنصور الجنب التميمي عرفه الله في مناقله العصمة والسلامة»، إلى أن يقول: «وبيته ـ أدام الله علاكم ـ نباهته قديمة، وطريقته في البيوتات الإفريقية بل المغربية قويمة»، ثم يقول: «وأبعد أمل هذا الصاحب وأقصاه، إذا هو رأى فريضة الحج إن شاء الله لزوم ساحتكم العليا، والاقتداء بكم في أمري الدين والدنيا». وقد كتبت الرسالة في بجاية سنة ٦٥٤هـ انظرها في السفر السادس (الترجمة ٧٠٩).ويبدو أنه حج ونزل بمصر حيث أخذ عن ابن رشيد الواعظ بمحضر محيي الدين محمد بن سراقة كما أنه درس على الشلوبيني في إشبيلية وعلى ابن المحلي في سبتة وابن مودود الفارسي في مراكش وعلى ابن الأبار في بجاية حسبما استفدناه من أسفار الذيل والتكملة الموجودة والمؤلف يقول في رفع نسبه: ابن منصور الجنب تارة وابن مكسور الجنب تارة أخرى، ويبدو أن هذه الأخيرة هي شهرة هذا البيت المهدوي الذي كان منه عدد ممن تولوا القضاء في عهد الموحدين منهم عتيق ابن مكسور الجنب وولده الحسن بن عتيق ابن مكسور الجنب ثم حفيده صاحب الترجمة هنا وأخوه أبو علي الحسن المذكور، وأخ لهما ثالث اسمه سليمان بن الحسن بن عتيق ابن منصور الجنب، ترجم له ابن الزبير في صلة الصلة وقال: «ولد بالمهدية وسكن بمراكش وكانت عنده معارف، وكان من طلبة المجلس السلطاني» (٤/ الترجمة ٤١٣)، وأخ رابع هو أبو بكر عتيق بن الحسن ابن مكسور الجنب. ذكر في الترجمة رقم ٢٢٦. ومن أعلام هذا البيت أيضًا أبو العباس أحمد بن محمد ابن مكسور الجنب.

ونقف في مجموع رسائل موحدية (مخطوط بالخزانة الملكية) على رسالة كتبها ابن مبشر (أبو العباس أحمد بن مبشر من شيوخ أبي عبد الله بن حماد الصنهاجي) إلى يوسف بن عبد المؤمن الخليفة =

أخو أبي [عليّ] المذكورِ قبلُ. كان شيخًا حَسَنَ الـخُلُق كريمَ الطِّباع [....] بارًّا بكلِّ مَن يَغْشاهُ من أصحابِه ومعارفِه.

استُقضيَ بشَريش وبأغماتِ [وريكة]، فشُكِر في طريقتِه وعُرف بالعدل والتُّؤدة، ووَلِيَ بمَرّاكُش خُطّةَ الـمَناكح، واستمرَّ بها محمودَ السِّيرة إلى أن توفِّي سنةَ خمسينَ وست مئة، ودُفن بجَبّانتِهم [بباب] تاغزوتَ داخلَ مَرّاكُش، واحتَفَلَ الناسُ لشهودِ جَنازتِه وأثنَوْا عليه صالحًا.

٨٧ ـ محمدُ[1] بن الـحَسَن العابِد ابن عَطِيّـةَ بن غازي بن خَلُوف بن حَـمْد بن موسى بن هارونَ بن عبد الله بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن أحمدَ بن جابِر بن عبد الله صاحبَيْ رسُولِ الله ﷺ ورضيَ عنهما، سَبْتيٌّ، أبو عبد الله، ابنُ الغازي.

= في رفع ظلم عن أحد الرعايا مسه من القاضي عتيق ابن مكسور الجنب جاء فيها: «وإن عتيقًا ابن مكسور الجنب الذي كسره كذب اسمه وصدق اسم أبيه، ضجت الأرض وعجت لقبح ما يأتيه، فإنه كان قاضيًا أمام النصارى دمرهم الله يخدم مكوسهم، ويفدي بنفسه الخائنة نفوسهم، قد اتخذ أعوانًا ووزعة، وأبرز شنعه وبدعه، وقد بعد عن معرفة التوحيد وعلمه، ولم يجر على حده المطرد ورسمه، بل يحكم في النوازل بالرأي الفائل، ويقضي في الحوادث، بالنظر العابث، يسلك في سبل المظالم وطرقها، ويضرب ظهور المسلمين بغير حقها»، وتمضي الرسالة وهي طويلة في شرح ما تنسبه إليه من شدة وقسوة ورشوة ومخالفة للأحكام الشرعية.

ويفهم من قول المؤلف في آخر الترجمة أنه كانت لهذه الأسرة جبانة خاصة بها. وربما كانت التراجم المفقودة لأعلامها تشتمل على معلومات مفيدة وانظر كذلك (المسند الصحيح الحسن: ٤٤٢).

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٣٠)، وابن الزبير في صلة الصلة ٣/ الترجمة (١١)، والذهبي في المستملح (٣٣٦)، وفي تاريخ الإسلام ١٢/ ١٠٠٥. وقد ساق ابن غازي المكناسي في فهرسه سنده في الشفاء برواية ابن غازي المترجم، ثم قال: «قلت: سميي هذا محمد بن غازي هو محمد بن حسن...» وساق النسب كما ذكره ابن عبد الملك، ثم قال: «يحمل عن عياض وابن هشام اللخمي، حضر مناظرة ابن هشام وأبي بكر بن طاهر. ذكر ذلك تلميذه أبو عبد الله الأزدي» (فهرس ابن غازي: ١٠٩. وانظر في المناظرة التي شهدها المترجم الذيل والتكملة ٦/ الترجمة ١٦٢).

رَوى بسَبْتَةَ عن جدِّه للأُمِّ أبي الرَّبيع سُليمانَ بن سبع[1]، وأبوَيْ عليّ: أبيه وحَسَن بن عليّ بن سَهْل الـخُشَنيِّ، وأبي إسحاقَ ابن قُرْقُول، وأبي الـحَسَن بن فَتْحون، وأبي عبد الله بن هشام، وأبي الفَضْل عِيَاض، ولازَمَه كثيرًا وشُهِرَ بصُحبتِه، وأبي محمد بن عُبَيد الله. وبفاسَ عن أبي جعفرٍ محمد بن حَكَم بن باقٍ، وأبي عبد الله ابن الرَّمّامة، وأبي موسى ابن الـمَلْجوم، والأستاذِ الكبيرِ ابن صافٍ. ولقِيَ بالجزيرةِ الخضراءِ أبا العبّاس بن زَرْقون وأجاز له.

وأجاز له مطلقًا من مالَقةَ أبو عبد الله بن عُمر وأبو محمد ابن الوَحِيديّ، ومن بَلَنْسِيَةَ أبو الـحَسَن بن هُذَيْل، ومن مُرْسِيَةَ أبو عبد الله بن حَمِيد وأبو القاسم بن حُبَيْش. وأجاز له من غَرناطةَ ـ ما روى دونَ ما أَلَّف ـ أبو جعفر ابنُ الباذِش.

رَوى عنه أبو بكر بنُ محمد[2]، وأبو الـحَسَن الشارِّيُّ، وأبوا عبد الله الأزْديُّ ـ وهو آخِرُهم ـ وابنُ قاسم بن عبد الرّحمن بن عبد الكريم، وأبو العبّاس العزَفيُّ، ولا سيّما بعدَ وفاةِ أبي محمد بن عُبَيد الله؛ إذ كان كثيرًا ما يمتنعُ من الانتصابِ للتحديثِ في حياتِه توقيرًا له وإجلالًا.

وكان راويةً للحديثِ منسوبًا إلى معرفتِه مبرِّزًا في العدالةِ والثقة، ذا عنايةٍ بعَقْد الشّروط، وبصَر بعِلَلِها. واستُقضيَ ببلدِه، وكان به من أهل التعيُّن الشهير، عظيمَ الصِّيت، جليلَ القَدْر، متقدِّمًا في الأدب، شاعرًا مُحسِنًا مُكثرًا.

وله منظوماتٌ علميّة تدُلُّ على رسُوخِ قدمِه في الأدب وحضورِ ذكْرِه [في] الفقه واقتدارِه على النَّظم، منها قولُه في درجاتِ الذين يَلُونَ عَقْدَ النِّكاح [من البسيط]:

---

(١) انظر فيه اختصار الأخبار: ٢٢، ط.ثانية، والتعريف بالقاضي عياض: ٤٠، ٤١، ومقالة في دعوة الحق لسعيد أعراب.

(٢) كذا في الأصل، ولعله أبو بكر بن محرز الزهري البلنسي الذي رحل إلى ابن غازي من بلنسية إلى سبتة للسماع عليه (انظر عنوان الدراية: ١٧٠).

يا سائلًا عـن ذوي الأنكـاح أيُّهـمُ أولى وأقـربُ للتعـصيبِ بالنَّسَبِ
ومَـن لـه [حقُّـه] يُـدلي بـه ولـهُ عَقْدُ النِّكاح لجري ذلـك الـسببِ
إليك خُذْها كنَظْم الدُّرِّ جئـتُ بهـا [كما][1] نقَلْتُ عنَ اشياخي ومن كُتُـبِ
ابـنٌ ثـم[2] ابنُـهُ أوْلى وبعـدَهما أبٌ وصـنوُ شـقيقٍ ثـم مـن لأبِ
وابـنُ الـشّقيق يَليـهِ والـذي لأبٍ والجدُّ والعَمُّ وابـنُ العـمِّ فاكتتِـبِ
ومن عَلا من أُولي التعصيبِ قُعـدُدُهُ مِن بعدِهِمْ فارْعَ ذاكَ الأصل وارتقبِ
والمـــالكونَ لعُبْـــدانٍ بمالِـــهِمُ من حقِّ مُلكٍ بلا ريبٍ ولا كـذبِ
ثـم الأُلى أنعَمـوا بـالعِتقِ سـيِّدَهمْ والـمُعتقَونَ على التدريج في الرُّتَـبِ
والأوليـاءُ ومـن صَـحّت وِكالتُـهُ والكـافلونَ وسُـلطانٌ غـدا كـأبِ
ومـن عـلى يـدِه قـد أسـلمَ امـرأةٌ منهمْ وذو الرأي في الأهلِينَ من قُرَبِ
والمـسلمونَ جميعًـا بعـدَ ذلكـمُ على العموم ومنها الجارُ لم يَـخِبِ

وفي ذكْرِ الاختلافِ فيما فسَدَ لصَداقِه [من الطويل]:

وكـــلُّ نكـــاحٍ فاســـدٍ لـــصَداقِهِ ففيـه روايـاتٌ ثـلاثٌ تُحـصَّلُ:
فقـولٌ بـأنّ العَقـدَ فيـه مـصحَّحٌ وليس صَداقٌ فيه للـزوج يَحصُلُ
كأنكِحةِ التفـويض لا فـرْقَ بينَهـا وقولٌ بـأنّ العَقْـدَ بالفَسْخ يَبطُـلُ
ويُفسَخُ من قبـلِ الـدخولِ وبعـدَهُ وقولٌ بأنّ الفَسْخَ قبـلُ فحـصِّلوا

وفي معرفةِ المدّعي من الـمُدّعَى عليه [من السريع]:

وســـائلٍ عـــمّا بـــه الـــمُدَّعَى عليـــه تدريـــهِ مـــن الـــمُدَّعِي

---

(1) زيادة منا؛ ليستقيم الوزن.

(2) كذا، وهو مكسور.

فقلتُ: نـافي الـحُكم عـن نفسِهِ فـيما عليـه الـمُدّعِي يَـدّعِي
فهْـو المـسَمَّى عنـدَنا مُـدَّعَى عليـه والثـاني يُـرى مُـدَّعِي

وفيمَن لا تجبُ عليه اليمينُ بمجرَّد الدعوى [من البسيط]:

وسائلٍ عن دَعـاوَى كلّـما ادُّعِيَـتْ لم تُلفَ موجِبـةً في الـحُكم أَيْمانـا
فقلـتُ: منهـا عَبيـدٌ يَـدَّعونَ عـلى الـساداتِ بـالعِتقِ والتـدبيرِ بُهتانـا
وفي الكتابـةِ والإيـلاءِ بعـدُ، ولا يُلفَـى لهـم شـاهدٌ عَـدْلٌ بـما كانـا
ومـــدَّعٍ بنكـــاحٍ دونَ بيِّنـــةٍ ولا اشتهارِ نكـاح [كـان إعلانـا]
وذاتُ زَعْـم بـأنّ الـزّوجَ طلَّقَهـا ومـــدَّعٍ والـــدًا عنـــهُ [....]
ومـدَّعٍ مِلـكَ شَـخْص لم يقـرَّ لـهُ لم يعترفْ غيرُه في [الناسِ بُرهانـا]

وفيمن يَحلِفُ على مالٍ ويأخُذُه غيرُه [من البسيط]:

وسـائلٍ عـن أُنـاسٍ يَحلِفـونَ عـلى مـالٍ فيأخُـذُه غـيرُ الأُلى [حَلَفـوا]
فقلتُ: والدُ بِكر في الصَّداقِ عـلى زوجٍ إذا لم يكنْ من شأنِه [الـحَلِفُ]
ويَحلِفُ الأبُ أيـضًا في الـصَّداقِ إذا الأزواجُ والأبُ في مقـدارِه [اختَلَفـوا]
وضــدُّ ذاك شَريــكٌ في مفاوضــةٍ لجاحـدٍ مـا عليـه، هكـذا وَصَـفوا

وُلد في ربيعٍ الأول عامَ ثمانيةٍ وخمس مئة، وتوفِّي سنةَ إحدى وتسعينَ وخمس مئة.

٨٨ ـ محمدُ[١] **بن حَسَن بن عُمرَ الفِهْريُّ، سَبْتيٌّ، أبو عبد الله، ابنُ الـمُحَلِّي**[٢].

---

(١) ترجمه ابن الزبير في صلة الصلة ٣/ الترجمة ٣٢، والسيوطي في بغية الوعاة ١/ ١٩٧، وبعض شعره في مذكرات ابن الحاج النميري ٤١-٤٣ (نسخة مرقونة)، وانظر أيضًا برنامج الوادي آشي ٦٤.
(٢) سيأتي شرح هذه النسبة، ولعل ما ضبطناه هو الأوفق، فلعل صاحب هذه الصنعة كان يُحلِّي الكلام بغنائه.

رَوى عن أبي الـحَسَن ابن خَرُوف النَّحْويّ، وأبي عليّ ابن الشَّلَوْبِين، وأبي الصَّبر أيوبَ الفِهْرِيّ، وعَدَّ في شيوخِه أبا القاسم بنَ الطيِّب الحاج ابن معزوز، وأبا عبد الله بنَ محمد ابن جَوْهَر.

رَوى عنه أبو عبد الله بنُ عبد الله بن إبراهيمَ البَـكْريُّ، وأبوا عليٍّ: الـحَسَنُ بن الـحَسَن ابن مكسورِ الـجَنْب والـحُسَينُ الـخَمّاش، وأبو القاسم محمدُ بن عبد الرّحيم ابن الطيِّب المذكور، وأبو محمد عبدُ العزيز بن إبراهيمَ بن عبد العزيز بن أحمدَ الـهَوّاريُّ، وجماعةٌ من أهلِ سَبْتَة.

وكان أديبًا بارعًا، كاتبًا بليغًا ناظمًا وناثرًا، عاقدًا للشّروط، مُبرِّزًا في العدالة، نَحْويًّا ماهرًا، حسَنَ القيام على تفسيرِ القرآنِ العظيم، مُذكِّرًا، حَلّق بالتفسير في سَبْتَةَ مُدّة فانتفَعَ به خَلْقٌ كثير، وكان على كلامِه قَبُول، وله في النفوسِ تأثير[1].

واستُقضيَ بسَبْتَةَ يومَ الأحد لثلاثَ عشْرَةَ ليلةً خَلَت من رجَبِ أربع وخمسينَ وست مئة، إثْرَ وفاةِ قاضيها قبلَهُ الشريف أبي الـحَسَن بن أبي الشَّرَف رفيع[2]، واستمرَّت ولايتُه خُطّةَ القضاءِ مشكورَ الأحوال محمودَ السِّير مستقيمَ الطريقة مشهورَ العَدْل إلى غايةِ عُمرِه.

وكان طويلًا نحيفَ الجسم، نظيفَ الملابس، وَقُورًا، جميلَ الهيئة، حسَنَ الـخَلق، يَـخضِبُ رأسَه ولحيتَه بالحِنّاء، ممّن ساد بنفسِه. وكتَبَ في شبيبتِه عن

---

(١) قال ابن الزبير: «وكان يعظ الناس بمسجد مقبرة زقلو من سبتة حضرت بعض مجالسه وكلامه في التفسير على المنبر بالمسجد المذكور، وكان فصيحًا لسنًا مفوهًا نبيل الأغراض في وعظه وتحليقه، حسن التناول لا يشارك وعاظ الوقت في شيء من محدثات مرتكباتهم إنما يذكر الآية ويفسرها تفسيرًا مستوفى وينيط بذلك ما يلائم الحال والمقال من حكايات الصالحين وإشاراتهم على أحسن نهج وأبدع نسج، يأخذ من مجالسه الطالب بحظه، والعامي بنافع الترغيب والترهيب من مقصود وعظه، وولي قضاء سبتة آخر عمره ولم يزل مدة قضائه على عادته في تحليقه ووعظه».

(٢) أزهار الرياض ١/ ٤٢، وكتاب الشرف لابن الشاط، واختصار الأخبار: ٢٥.

أبي عبد الرّحمن[1] يعقوبَ بن أبي حَفْص بن عبد المؤمن المدعوِّ بعَيْن الغزال أيامَ وَلِيَ مدينةَ فاس، ووَصَلَ صُحبتَه إلى مَرّاكُش.

وكان أبوه حَسَنٌ قَوّالًا يُغنّي في المحافل والأسواق [مُتلبِّسًا] بذلك، والمتلبِّسُ بهذا العمَل يُعرَفُ في بلاد المغرِب بالـمُحَلِّي، [عَرَفتُ بمَرّاكُش] شيخًا محليًا ذَكَرَ لي أنه من أصحابِه ومُقاوليه، ومن شعرِه على [طريقةِ أهل التصوُّف] [من البسيط]:

[هل يَطلُبُ] العشقُ قلبًا أنتَ مَطلَبُهُ ... أو يُذهِبُ الشّوقُ روحًا أنت مُذهِبُهُ

[ما إنْ دعاه] هـوى خَلـق ليَغلِبَـهُ ... إلا وحبُّــك يَــدعوهُ فيغلِبُــهُ

وكيف يرجـو وِصـالًا مـن تبعُّـدِهِ ... أو كيـف يَخشَى بِعـادًا مَـن تُقرِّبُـهُ

وكيف يَـخرَبُ ربـعٌ أنـت تَعمُـرُهُ ... بل كيف يَعمُـرُ مـسكونٌ تُــخرِّبُهُ

وقال أهل الهوى: شأنُ الهوى عجَبٌ ... فقلـت: إنّ سُـلوِّي عنـك أعجَبُـهُ

وكل حالُ الهوى صـعبٌ مـسالكُهُ ... على الـمُحبِّ، وسَمْعُ العَذْل أصعبُهُ

يا مَن أُناجيه، والأشـواقُ تُـوهِمُني ... نَيْلَ الوِصَال، كأنّ الـشوقَ يوجِبُـهُ

كم طيبةٍ لك بالألطـافِ توجـدُها ... عنـدَ اللقـا، وفَنـائي فيـك أطيبُـهُ

فارحَمْ تقلُّـبَ قلبـي فهْـو شـيمتُهُ ... حتـى يكـونَ بـما تَـرضى تقلُّبُـهُ

رِفقًـا بـه فهْـو في حـالَيْ مُناقـضةٍ ... فـالقبضُ يُحزنُـهُ والبَـسطُ يُطرِبُـهُ

ومنّــةُ الــجُودِ تُدنيــه فتؤنــسُهُ ... وخَـشيةُ الـردِّ تُقـصيهِ فتَحجُبُـهُ

منايَ أنت وحَسْبي أن تكونَ مُنًـى ... يـا واهبًـا رَغَبـاتي قبـلَ أرغَبُـهُ

كنْ كيف شئتَ فما لي عنك منصَرفٌ ... فالعبدُ ليس سوى مولاهُ مطلبُـهُ[2]

---

(١) ولي السيد أبو عبد الرحمن عددًا من الولايات منها أنه كان واليًا على مرسية، انظر البيان المغرب ١١٦ (قسم الموحدين).

(٢) وردت في مذكرات ابن الحاج النميري مع فروق يسيرة. وذكر أنه قالها في الحمام ارتجالًا، وهي من آخر ما قاله.

وقولُه فيها أيضًا [من الطويل]:

أبــوحُ بــما ألقــاهُ فهــو مبــاحُ ... فقَــبْليَ أربــابُ المحبّــةِ بــاحوا

إذا باحَ مَن قَبْلي ولم يلقَ بعـضَ مـا ... لقِيـتُ فـإنّي مـا عـليَّ جُنـاحُ

أأحبابَنا لا تحسَبوا الـصبرَ بعـدَكمْ ... سَـخِيًّا، ولا أنّ الـدموعَ شِـحاحُ

وإن فنِيَــتْ أجــسادُنا وقلوبُنــا ... فتلك العهودُ الـسالفاتُ صِـحاحُ

سمَحْتُ لكمْ بالنفْس كي أربَحَ الرِّضـا ... عــلى ثقــةٍ، إنّ الــسَّماحَ رَبَــاحُ

فــؤاديَ منقــادٌ إلــيكمْ مُــذلَّلٌ ... فــما لي إذا لَــجَّ العَــذُولَ جِمــاحُ

وهــل مـن سـبيلٍ أن أطـيرَ إلـيكمُ ... وقد حُصَّ بي ريشٌ وقُصَّ جناحُ؟

تغــيَّرَ وقتــي بعــدَكمْ، فكــأنّما ... صباحي مساءٌ، والمساءُ صباحُ[1]

---

(١) استشهد بهذا البيت مؤلف المنزع البديع في الإخلال بشريطة «العكس والتبديل» قال: «وللإخلال بها خرج قوله:

تغــير وقتــي بعــدكم فكــأنما ... صباحي مساء والمساء صباح

إلى حد المستوخم الغث، وحيز المستهرم الرث، وجانب التعمل لتنقيح المباني دون تصحيح المعاني، وكان من اختلاف المعنى وفساد النظم بحيث لا يخفى؛ ذلك لعدم تساوي طرفي القضيتين وهما المساء والصباح في انعكاس أحدهما على الآخر أو وضعه له بحسب السياق، وذلك هو قبوله وصفه موضعه، وذلك أن دلالة السياق فيه هي الإخبار بشدة الحزن الموجب تغير وقته، فصار الصباح مساءً أي أظلم له الصبح، فهذا صحيح مناسب. فأما عكس هذا وهو وضع المساء للصباح وحمل الصباح عليه وقبول كل واحد منهما موضع صاحبه وهو أن المساء صباح فمبعزل عن الحزن مناقض له. فقد قصر أحد الجزءَين بحسب دلالة السياق على آخر في الحمل وقبول وصفه وموضعه لفساد المعنى؛ فلذلك ينبغي أن يتحفظ بهذه الشريطة وإلا غلطنا فأدخلنا في هذا النوع ما ليس منه». المنزع البديع: ٣٨٧ط. مكتبة المعارف. وقد يدل الاستشهاد المذكور على شيء من شهرة شعر ابن الـمُحلي وسيرورته.

وأوحشتُمُ فالكلُّ في الأُذْنِ نائحٌ ... لديَّ وآفاقُ الوجودِ [فِسَاحُ]

وما تَفضُلُ الأيامُ أُخرى بذاتِها ... ولكنّ أيامَ المِلاحِ مِلاحُ

خرَستُ عن الشكوى إليكمْ مهابةً ... وألسُنُ حالي بالغرام فِصَاحُ

تمتُّعُ لَحْظي سُنّةٌ في جَمالِكمْ ... فإنْ لاحظَ الأغيارَ فهو سِفاحُ

ويا عجَبًا أنّي أسيرٌ وأنّني ... أناشدكُم أنْ لا يُتاحَ سَرَاحُ

إذا هزَّ أربابُ السَّماعِ تواجُدٌ ... فحَظِّيَ منه زفرةٌ وصياحُ

فها أنا عندَ الباب مُنُّوا أو اطرُدوا ... فما ليَ عنهُ كيف كان بَراحُ

وقولُه فيها أيضًا [من الطويل]:

غرامي دَعَاني والعَذُولُ نَهاني ... فوَجْدٌ وعذلٌ كيف يجتمعانِ؟!

أمَا عَلِما أنّي على الشَّحطِ والنَّوى ... مقيمٌ، وأنّي والهوى أخَوانِ؟

يقولان لي: من ذا دَعاك لِما نَرى؟ ... فقلت: دَعاني حبُّه، فدَعاني

ضمانٌ على قلبي الأسى بعدَ بُعدِهمْ ... إذا لم يكنْ يومَ اللِّقا بضمانِ

أُعلِّلُ نَفْسي بالسُّلوِّ تعلُّلًا ... وتلك أمانٍ ما بِهِنَّ أماني

إذا خفَقَ البَرْقُ اليماني بأُفْقِكمْ ... أُقابِلُ ذاك الخَفْقَ بالخَفَقانِ

وإن هَمَلتْ مُزنُ السّحابِ بأرضِكمْ ... يُغالبُها دمعي على الهَمَلانِ

رعَى اللهُ جِيرانَ العُذَيبِ وأهلَهُ ... وإن أَتْرَعُوني من هوًى وهَوانِ

همُ وَعَدوا بالغَوْر، ثم تَراوَغوا ... وهمْ عنفوا بالنّعفِ من بدلانِ

وصَدّوا على صدِّي وبالخَيْفِ خَوّفوا ... وبانوا بذاتِ البَيْنِ صوبَ أبانِ

لئن حُجِبوا عن ناظري فكأنّهمْ ... لقلبي يَراهم فيه رأيَ عِيانِ

وإن عَمِيَت أنباؤهمْ حيث يَمَّموا ... فسرِّيَ يرعاهمْ بكلِّ مكانِ

وعنديَ ما لا يُمكنُ اللفظُ شَرْحَهُ ... وإن كنتُ معزوًّا لفضل بيانِ

أورِّي بسَلعٍ والعُذَيْبِ وحاجرٍ ... وتلك مغَانٍ ما لهُنَّ معانِ[1]

أليس قبيحًا من نفوس نفائسٍ ... بأيدي الغواني المُصْبِياتِ عَوانِ؟

وأذكُرُ سُكّان العُذَيبِ تسترًّا ... وما ذكْرُ سُكّانِ العُذيْبِ بشانِ

[ولكنْ بقلبي] مَن هو القلبُ كلُّهُ ... ومَن ذِكْرُه في خاطري ولساني

[حبيبٌ إذا] لاحظتُ لم أرَ غيرَهُ ... على أنه إذ لا أراه يَراني

[وإنّي] لأستحييهِ أن أشكوَ الهوى ... وما لي بما حُمِّلتُ منه يَدانِ

[فمن فضلِه] وَجْدي به وتوَلُّهي ... ومن جُودِهِ ما أشتكي وأُعاني

فُطِرتُ على حبِّي له وكأنّما ... بَراني لمعنى الحبِّ حين بَراني[2]

مولدُه إمّا في آخِرِ اثنتينِ وإمّا في أولِ ثلاثٍ وثمانينَ وخمس مئةٍ [بسَبْتة]، وتوفِّي بها صَبيحةَ يوم السّبت لثلاثٍ بقِينَ من رجَبٍ إحدى وستينَ وست مئة، ودُفن ضُحى يوم الأحد بعدَه.

٨٩ ـ محمدُ بن الحَسَن الخَزْرَجيُّ، أبو عبد الله.

قَدِمَ الأندَلُسَ طالبًا العلمَ، فروَى بإشبيلِيَةَ عن أبي بكرٍ ابن العَرَبيّ، وأبي الحَسَن شُرَيْح.

---

(١) العذيب والغور والنعف وبدلان وصدي والخيف وذات البين وأبان وسلع وحاجر: كلها أسماء أماكن ترد في الشعر وكتب البلدان.

(٢) وردت القصيدة في مذكرات ابن الحاج النميري مع أشعار أخرى للمترجم مأخوذة من برنامج أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الغافقي نزيل سبتة، وهو من الآخذين عن ابن المحلي (المصدر المذكور (نسخة مرقونة) من ص٤١ إلى ص٤٣ تحقيق دي بريمار).

٩٠ـ محمدُ[١] بن حَسُّون المغربيُّ، فاسيٌّ أو ممّا يُصاقِبُها، أبو عبد الله.

أخَذَ عن أبي بكر بن عُثمانَ[٢] وطائفةٍ من أصحابِ أبي الـحَسَن اللَّمَطيّ[٣]. وبسَبْتة عن أبي عبدِ الله بن عيسى[٤]، وبإشبيلِيَةَ عن أبي عبد الله بن يحيى، وبقُرطُبَة عن أبي الوليد بن رُشْدٍ الكبير.

رَوى عنه أبو العبّاس ابنُ الصَّقْر، وقال: كان الفقهُ بضاعتَه، ولم يكنْ في عصرِه أحفظَ منه لمسائلِ الفقه ولا أوقَفَ منه على مَناقلِ الأحكام، معَ صِيانةٍ وخيرٍ ودِينٍ مَتِين.

٩١ـ محمدُ[٥] بن حُسَين بن عبد الله ابن حَبُوس، فاسيٌّ أبو عبد الله.

وحَبُوسٌ: مَوْلى بني أبي العافية الذين مَلَكوا المغرِبَ الأقصى أيامَ بني أُميّةَ الأندَلُسيِّينَ فمَن بعدَهم، وأصلُهم من بني مقدول من تسولَ: إحدى القبائل اللائي بجهة تازَةَ، وكانت موضِعَ بني العافية وحاضِرة سُلطانِهم إلى أيام يوسُفَ ابن تاشَفِين، فانتقَضَ مُلكُهم، وانتَثَر سِلكُهم، وذهبت أيامُهم، وتلك عادةُ الله وسُنّـتُه في الذين خَلَوْا من قبل، ولن تجدَ لسُنّة الله تبديلًا[٦].

---

(١) ورد ذكره في نوازل القاضي عياض: ٦١-٦٢ (مخطوط) وانظر مجلة المناهل ٢٢ ص٢٥١.

(٢) له ترجمة في جذوة الاقتباس رقم ٢٦، ووالده عثمان بن مالك شارح «المدونة» له ترجمة في الجذوة أيضًا رقم ٥٠٠.

(٣) كذا في الأصل ولعل الصواب: اللواتي، وترجمته في الجذوة رقم ٥٠٩.

(٤) هو قاضي سبتة المعروف، ترجمته في صلة ابن بشكوال (١٣٢٧) والتعليق عليه.

(٥) ترجمه التجيبي في زاد المسافر ٤٣، وابن دحية في المطرب ١٩٩، والقفطي في «المحمدون من الشعراء» ١/ ٣٤٢، وابن الأبار في التكملة (١٧٢٥)، وابن القطان في نظم الجمان ١٣٤، والذهبي في المستملح (٣٣٢) وتاريخ الإسلام ١٢/ ٤٤٣، والمراكشي في الإعلام ٤/ ١١٠. وتنظر مقالات السادة: الفاسي في الثقافة المغربية ١٩٤١م وكنون وابن تاويت الطنجي في الثقافة المغربية ١٩٧١-١٩٧٢م، وزمامة في مجلة كلية الآداب بالرباط ١٩٨٠م.

(٦) هذا الكلام منقول من المطرب: ١٩٩.

رَوى أبو عبد الله عن أبي بكرٍ الأبيض[1]، رَوى عنه أبوا محمد: ابنُ محمد التادَليُّ[2] وعبدُ العزيز بن عليّ بن زَيْدانَ[3].

وكان شاعرًا مُفلِقًا من جِلّة فُحول الشّعراء، متفنّنًا في معارفَ سوى ذلك من كلام ونحوٍ ولُغة. وُلد بفاسَ ونشَأَ بها، وتأدَّبَ بالعلماءِ من أهلِها والطارئينَ عليها، وقال الشّعرَ في صِباه، ثم رَحَلَ إلى تِلِمْسينَ فأقام بها يسيرًا، ثم رَحَلَ إلى مَرّاكُش فأقام بها قليلًا، ثم قَدِمَ الأندَلُسَ فتردَّد في بعض بلادِها معظمَ عصرِ شبيبتِه إلى أن ظَهَرَ أمرُ عبد المؤمن بالعُدْوةِ واستَوْلى على مَرّاكُش، فسار إليها واستَوطنَها متنقِّلًا بانتقالِ عبد المؤمن يصحَبُ رِكابَه ويسيرُ معَه في حركاتِه، [وبعدَ] انصرافِ عبد المؤمن من فتح الـمَهْديّة سنةَ أربع وخمسينَ وخمس مئة، [فارقَه و] عادَ إلى فاسَ فاستَوطنَها، وله في عبد المؤمن وبنيهِ أمداحٌ رائقة، [ومنها في] عبد المؤمنِ وقد حَلَّ برِباط الفَتْح من قصيدة [من الطويل]:

ألا أيُّهـذا البحـرُ جـاوَرَكَ البحـرُ ... وخيَّم في أرجائـكَ النفْـعُ والـضُرُّ

وجاشَ على أمواجِك الحِلمُ والحِجـا ... وفاضَ على أعطافِك الإمرُ والأمرُ

وسـال عليـك الـبرُّ خـيلًا كُماتُهـا ... إذا حاولَتْ غزوًا فقد وجَبَ النّصرُ

وليس اشتراكُ اللفظِ يوجبُ مِدحـةً ... ولكنّـه إن وافَـقَ الـخَبَرَ الـخُبرُ

فما لـكَ مـن وصـفٍ تُشاركُهُ بـهِ ... سوى خُدَع في النّطق زخرفها الشعرُ

وما لك من معنًـى يُشيرُ إلى التـي ... تَفُـوهُ بـه إلا الـسّلاطةُ والغَـدْرُ

---

(١) أخباره وأشعاره في زاد المسافر: ٦٦-٧١، والخريدة ٢/ ١٦٠، والمطرب: ١٩٩، والمغرب ٢/ ١٢٧، والنفح (الفهرس). وانظر رأي ابن حبوس فيه في برنامج الرعيني: ٢٠٤.

(٢) ترجمته في التكملة (٢٢٠٦).

(٣) ترجمته في التكملة (٢٤٨٧)، وبغية الوعاة ٢/ ١٠١-١٠٢ وفي تاج العروس لدى ذكر الشاعر ما نصه: «روى شعره عبد العزيز بن زيدان».

فأنت خديمُ البدر والشمس عَنْـوةً ... وتَخدُمُه في أمـرِه الـشمسُ والبـدرُ

ويَحويكَ شطرُ الأرض تَعمُرُ بعـضَهُ ... وفي صدرِه الأفلاكُ والبحرُ والـبَرُّ[1]

ومن هذه القصيدة:

هنيئًا لأهل الغَرْب إن حَلَّها[2] امـرُؤٌ ... به تَـصلُحُ الأيـامُ إن فَـسَدَ الـدهرُ

وبُشرى لهذا السّيفِ ماءٌ يـحُدُّهُ[3] ... لقد بَـهَرتْ فيـه الـسماحةُ والبِـشرُ

ومنها[4]:

بنَـى فَرْضــةً[5] أُمَّ الـبلادِ، فكلُّهـا ... يَـسُحُّ عليهـا[6] مـن مَراضِـعِها دُرُّ

تكنَّــفَها المـاءانِ مـن كـلِّ جانـبٍ ... نقيـضانِ ذا حلـوُ المـذاقِ وذا مُـرُّ

فهذا عليـهِ الــمَدُّ والــجَزْرُ دائبًـا ... وذلــك لا مَــدٌّ عليــه ولا جَــزْرُ

ومنها:

غَدَتْ نقطةً في ضِمن دائـرةِ الـدُّنا ... فــلا أُفُــقٌ يَنْــأَى عليهــا ولا قَطْــرُ

فمن حيثُ ما رُمتَ الجوانبَ نِلتَها ... بيُــسرٍ ولا كـدٌّ عليــك ولا عُــسرُ

---

(١) وردت هذه الآيات في زاد المسافر: ٢-٣ مع اختلاف في الرواية بالتقديم والتأخير والزيادة والنقصان.

(٢) حلها: أي: أرض الغرب.

(٣) كلمة غير منقوطة.

(٤) في هذا الجزء من القصيدة الذي لم يرد في موضع آخر إشارة إلى بناء عبد المؤمن قصبة الرباط أو فرضة الرباط كما يقول الشاعر، وفيه كذلك إشارة إلى حيل المهندسين في جلب الماء إليها من عين غبولة وإلى المنافع المتيسرة للمدينة بحكم موقعها، وقول الشاعر: «غدت نقطة» إلخ البيتين ينطبق على الرباط العاصمة اليوم. انظر في هذا الموضوع: الاستبصار: ١٤٠-١٤١.

(٥) في الأصل: «فرقة» ولعل الصواب ما أثبتنا، والإشارة إلى فرضة رباط التي أحدثها عبد المؤمن.

(٦) في الأصل: «عليه».

كذلك[1] أعماقُ الجُسوم وطولُها ... وإن بَعِدت يعني بأمدادِها السِّحرُ

يفوحُ ترابُ الأرضِ من طِيبِ نَشْرِهِ ... ففي معطِس[2] الأيام من طِيْبِه نَشْرُ

[ويغدو الثَّرى تِبرًا] بمَوْطِئِ رجلِهِ ... وتحسُدُه فيه الفراقدُ والنَّسرُ

[ولا تَحسُدُ الأيامُ] فيه ولا كما ... تَنافَسَ شهرَ الصَّوم كَرَمٌ والفِطرُ[3]

[وكلُّ شهورِ العام] من جُلِّ همِّها ... إذا احتَلَّ شهرًا أنه ذلك الشهرُ

ومن شعره في التوحيد، والزُّهد، والتمسُّك بالسُّنّة [من الكامل]:

[أقصِرْ] ظِماءك[4] في شريعةِ أحمدِ ... تُسقَى إذا ما شئتَ غيرَ مُصرَّدِ

[وتوَخَّ] أعطانَ الدِّيانة علَّها ... تُدنيكَ من حَوْض النبيِّ محمدِ[5]

[لُذْ] بالنُّبوةِ واقتبِسْ من نُورِها ... واسلُكْ على نهج الهدايةِ تهتدِ

وإذا رأيتَ الصادرينَ عشيَّةً ... عن مَنْهَل الدِّين الحنيفِ فأورِدِ

الدِّينُ دينُ الله لم يعبَأْ بمُبـ ... ـتَدِعٍ ولم يحفِلْ بضِلّةِ مُلحِدِ

قالوا: بنورِ العقل يُدرَكُ ما ورا ... ءَ الغيبِ، قلتُ: قَدِي من الدعوى قدِ

بالشَّرع يُدرَكُ كلُّ شيءٍ غائبٍ ... والعقلُ يُنكرُ كلَّ ما لم يَشهَدِ

---

(١) في الأصل: «فذلك»، ويبدو أنه تحريف.

(٢) في الأصل: «معطش»، وهو تصحيف.

(٣) هكذا في الأصل، وفيه خلل.

(٤) الظماء: الظمأ، وأقصر ظماءك.. إلخ معناه: رد حوض الشريعة ولا ترد غيره. والشطر الثاني للنابغة الذبياني إذ يقول:

وتسقى إذا ما شئت غير مصرد ... بصهباء في حافاتها المسك كارع

وغير مصرد، أي: غير مقطوع ولا ممنوع.

(٥) أعطان: جمع عطن، وهو المناخ حول الورد.

مـن لم يُـحِطْ علـمًا بغايـةِ نفـسِهِ وهـي القريبـةُ، مـن لـهُ بالأبعـدِ؟

ولقد نَرى الفَلَكَ الـمُحيطَ وعلمُ ما في ضـمنِه أعيـى عـلى المترصِّـدِ

سَـعدُ المجَـرّةِ بالكواكـب دائـمٌ في زَعْمِهِـمْ وقـسيمُها لم يَـسعَدِ

من خَصَّ بالـسُّفليِّ جِـرْمَ البـدرِ أم من خصَّ بـالعُلْويِّ جِـرمَ الفَرقَـدِ

ما شاهقُ الطَّودِ الـمُنيفِ وإن علا إلا بمنزلـةِ الـحَـضيضِ الأوهـدِ

وجَوازُ عكسِ الأمرِ في ذا واضـحٌ للعقـلِ فـازدَدْ مـن يقينِـك تَرشُـدِ

ذاك اختصاصٌ لـيس يَعلَـمُ كُنهَـهُ من ليس يوصَفُ بالبقاءِ السَّرمَدي

خَفْـضٌ عليـك أبـا فـلانٍ إنّهـا نُـوَبٌ تُطالعُنـا تَـروحُ وتغتـدي

سـالتْ علينـا للـشُّكوكِ جَـداولٌ بعـدَ اليقـين بهـا ولـمّا تنفَـدِ

وتبَّعقـت[1] بـالكُفر فينـا ألـسُنٌ لا يَفقِـدُ التـضليلَ مـن لم تَفقِـدِ

أعـــداؤنا في ربِّنـــا أحبابُنـــا جرحوا القلوبَ وأقبلوا في العُـوَّدِ

كُـشِف القِنـاعُ فـلا هَـوادةَ بينَنـا حتـى نُغـادرَهمْ وراء الـمُـسندِ

ستنالُـــهمْ منّـــا الغَـــداةَ قَـوارعٌ إن لم تَغُلْهـم غولُـــها فكـأنْ قـدِ

وتَصُوبُ فـيهمْ سُـحْبُنا بـصواعقٍ تلـك التـي جَلَبـتْ منيّـةَ أربَـدِ[2]

من كـان يَـضرِبُهم بـسيفٍ واحـدٍ فأنـــا أضـــاربُ [....]

ولعَمْــرُ غــيرِهمُ وتلــك أَليّــةٌ إنّ الحِـمَام لــجَمْعِهم بالمرصَـدِ

قالوا: الفلاسفُ، قلتُ: تلـك عـصابة جاءت من الدّعوى [بـما لم يُعهَـدِ]

---

(١) التبعق في الكلام: هو التوسع فيه والتكثر منه وفي الحديث: «إن الله يكره التبعق في الكلام»، وأصل هذا من تبعق المطر؛ وهو انفتاحه بشدة.

(٢) أربد: أخو لبيد الذي دعا عليه الرسول ﷺ فأهلكته صاعقة، وخبره مشروح في المصادر.

خـدَعَتْ بألفـاظٍ تَـرُوقُ لطافـةً ... فـإذا طلبـتَ حقيقـةً لم توجَـدِ
ذو علمِهم لو كـان شـاهَدَ علمَنـا ... ورأى جَهابـــذةَ الكـــلام....
لَعَـراهُ مـن حَسْرٍ[1] هنـاك تلألـؤٌ ... وأقـــام بـــينَ تحـيُّرٍ وتبلُّـــدِ
أسـفي ولـو أنّي نُـصِرتُ علـيهمُ ... لثَلَمْتُ في الـمُهجاتِ كـلَّ مُهنَّـدِ
يُلغَـى كتـابُ الله بـينَ ظهـورِهم ... وجميـعُ مـسنونِ النبـيِّ محمـدِ
يـــا قاتَـــلَ اللهُ الجهالــــةَ إنهـــا ... وَرَقٌ لأغـصانِ الـشبابِ الأملـدِ

ومنهُ في الوصايا والأمثالِ وذمِّ الزّمان [من المتقارب]:

ردِ الطُّرْقَ[2] حتـى تـوافي النَّمـيرا ... فـــرُبَّ عـسيرٍ أتـــاح اليـسيرا
وأرسِـلْ قَلُوصَـكَ طَـوْرًا شـمالًا ... وطَـوْرًا جنوبًـا وطَـوْرًا دَبُـورا
وشُـــنَّ عـــلى غازيـــاتِ الـــبلادِ ... من الـنصِّ والـذّمل جيشًا مُغـيرا
وفِـرْ مـاءَ وجهِـك[3] حتـى تَجُـمَّ ... وأطـفِ الـسمومَ بـه والـهَجِيرا
وطِـرْ حـين أنـت قـويُّ الـجَنا ... حِ لا عُـــذرَ عنـــدَكَ أن لا تَطـيرا
ولا تقعَـــنَّ وأنـــت الـــسليـ ... ـمُ حيث يُضاهي الـمَهِيضُ الكسيرا
فـــأمُّ الترحُّـــل تُـــدعَى وَلُـــودًا ... وأُمُّ الإقامـــةِ تُـــدعى نَـــزُورا
وذو العَجْـز يرضَـعُ ثـديًا جَـدودًا ... وذو العَـزْم يرضَـعُ ثـديًا دَرورا
يعِـــزُّ عـــلى النَّبْـــل أنّي غَـــدَوْتُ ... أُكَنّـــى أديبًـــا وأُسْـــمَى فقـــيرا
وأنّيَ ثُبْـــتُ لكـــفِّ الزمـــانِ ... يُعـــرِّقُ عظمـــيَ عَرْقًـــا مُبِـــيرا

---

(١) في الأصل: «حسن»، ولا معنى لها.
(٢) الطرق: الماء الذي خوضت فيه الإبل وبولت فيه.
(٣) وفر ماء وجهك، أي: صنه.

ومـــــا ذاك أنّيَ هَيّابــــــةٌ　　أخـافُ الرحيـلَ وأشـنَا الـمَسيرا

ولكـــنْ بحُكـــم زمـــانٍ غـــدا　　يَـحُطُّ الجِيـادَ ويُـسْمي الـحَميرا

قال المصنِّفُ عفَا اللهُ عنه: أغفَلَ من بيت: (وأرسِلْ قَلُوصَك) ناحيةَ الشّرق وهي فُضلاها، فبانَ بذلك نَقْصُه، وأرى أنه لو قال في بيتين [من المتقارب]:

وَأرسِلْ قَلُوصَـكَ طُـولًا وعرضًـا　　دُجًـى أو ضـياءً سُرًى أو مَـسِيرا

[فطَـوْرًا شَـمالًا وطَـوْرًا صَـباءً]　　وطَـوْرًا جَنوبًـا وطَـوْرًا دَبُـورا

[لَـجمَعَ بين] الجهاتِ الأربع، ولكان أتَمَّ، فتأمَّلْه، واللهُ الموفِّق.

وفي الاعتبار [من السريع]:

للمـــرءِ في حِمامِـــهِ عِـــبرةٌ　　وإنّـــما يَعتـــبرُ العاقـــلُ

يَـــذكُرُ بـــالكونَيْنِ مـــن جنّـــةٍ　　ومـــن جحـــيم ذكْرُهـــا هائـــلُ

وإنّـــما يَعـــرِضُ أنموذَجًـــا　　مـــن ذا وذا لـــو نَبِـــهَ الغافـــلُ

نعيمُـــهُ فيـــه الـــشقاءُ الـــذي　　يُـــشفِقُ منـــه العالِـــمُ العامـــلُ

تكـــادُ نفـــسُ المـرءِ مـــن حَـــرِّه　　تَـــزولُ لـــولا أنـــه زائـــلُ

يـــا صـــاحبي والجِـــدُّ لي شـــيمةٌ　　ولـــيس مـــن أصـــحابي الهـــازلُ

نحـــن طلْبـــانِ فبـــادِرْ بنـــا　　مـــن قبـــلِ أن يَقنُـــصَنا الحابـــلُ

بحـــرٌ سَـــلِمنا منـــه في ســـاحلٍ　　فـــما تَـــرى إن غُمِـــرَ الـــساحلُ

في حيـــث لا تُنجـــي الفتـــى حيلـــةٌ　　ســـواءٌ الفـــارسُ والراجـــلُ

وشعرُه كثير، وقد جَمَعَ له بعضُ أصحابِه المختصّينَ به ما عَلِقَ بحفظِه منه أو أحضَره ذكْرُه، أو أسْأرتْه عَوادي التنقُّل والاضطراب إلى آخِر ربيعَيْ ستّينَ

وخمس مئة، فناهَزَ ذلك ستةَ آلافِ بيت وخمسَ مئةِ بيت، وقد وقَفْتُ منه على مجلّد متوسِّط[1].

وُلد سنةَ خمس مئة، وتوفِّي سنةَ سبعينَ وخمس مئة.

٩٢ـ محمدُ[2] بن حَمّاد العَجْلانيُّ، فاسيٌّ، أبو عبد الله.

رَوى عن أبي ذَرّ الـخُشَنيّ والقاضي أبي عبد الله ابن الصَّيْقَل واختَصَّ به وكتَبَ عنه، وكان من العلماءِ بالحديث والعنايةِ التامّة بروايتِه وسَماعِه، من أبدع الناس حُسْنَ صَوتٍ وطِيبَ نَغْمة، وهو كان المعيَّنَ لقراءة الحديث بين أيدي الأمراءِ والسّلاطين[3]، ودخَلَ الأندَلُسَ غازيًا فاستُشهدَ بإصابة سَهْم قضَى عليه في وَقيعة العُقَاب يومَ الاثنين منتصَفَ صَفَرٍ تسع وست مئة[4].

٩٣ـ محمدُ[5] بن خَيْر بن عُمرَ بن خليفةَ مولى إبراهيمَ بن محمد بن يَغْمور اللَّمْتُونيُّ ـ وكان يَكتُبُ في نَسَبه: الأَمَوي، بفتح الهمزة ـ فاسيُّ المولدِ والنَّشأة، استَوطنَ إشبيليَةَ وغيرَها من الأندَلُس، أبو بكر، ابنُ خَيْر.

---

(١) قال ابن دحية في ترجمة ابن حبوس في المطرب: «وقد رفعت ديوان شعره للمقام المولوي السلطاني الملكي الكاملي الناصري، أدام الله إنعامه، ووالى له حسن الصنع وأدامه» المطرب: ٢٠٠.
وذكر القفطي في ترجمته لابن حبوس في كتابه «المحمدون من الشعراء» أنه كان يمتلك نسخة من ديوان الشاعر، قال: «وله ديوان شعر مدون وقفت عليه وملكته، واستعاره مني علي بن القاسم بن علي بن عساكر بسفارة الصدر محمد بن محمد البكري، ولم يعد» (المحمدون ١/ ٣٣٤).

(٢) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٣٨)، والذهبي في المستملح (٣٤٤).

(٣) لعل هذه الإشارة أقدم ما وصل إلينا في موضوع سارد الحديث في المجالس الحديثية الملوكية.

(٤) زاد ابن الأبار في ترجمة المذكور أنه ولي قضاء سبتة.

(٥) ترجمه الضبي في بغية الملتمس (١١٢)، ومنصور بن سليم في ذيل إكمال الإكمال ١/ ٢٥٢، وابن الأبار في التكملة (١٤٥٠)، والذهبي في المستملح (١٥٤)، وتاريخ الإسلام ١٢/ ٥٥٩ وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٨٥ ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٥٥٨ والعبر ٣/ ٦٩ وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٦٦، والصفدي في الوافي ٣/ ٥١، واليافعي في مرآة الجنان ٣/ ٤٠٢، وابن الجزري في غاية النهاية ٢/ ١٣٩، وابن ناصر الدين في توضيح المشتبه ١/ ٢٧٠ و٣/ ٢٦٩، =

رَوى عن أبوَيْ إسحاق: ابن حُبَيْش وابن فَرقَد، وأبوَي الأصبَغ العيسَيَيْن: ابن أبي البَحْر وابن زروال، وآباءِ بكر: البِرْزاليِّ وابن رِزق وابن طاهر المحدِّث وعبد العزيز بن يدير وابن العَرَبيّ وابن فَنْدَلَةَ وابن مُحرِز وابن الـمُرْخِي وابن المِلْح وموسى بن سيِّد، وأبي جعفرٍ ابن الـمُرْخي، وأبي الـحَجّاج الأُنْديِّ القَفّال، وآبا[ءِ الـحَسَن: شُرَيْح]، ولازَمَه إلى حين وفاتِه وعليه عَوَّل في القراءات؛ وعبدِ الرحيم بن [قاسم] وعَبّاد بن سِرْحان وابن محمد بن لُبّ، وعيسى بن هَيْبَةَ ومحمد بن الطُّفَيْل [وابن الصَّفّار] يونُسَ بن مُغيث، وأبوَي الـحُسَين: سُليمانَ بن أبي زَيْد وعبدِ الملِك ابن الطّلّاء، وأبوي [حَفْص: ابن إسماعيلَ] وابن عَبّاد، وأبي داودَ بن يحيى الـمَعافِريِّ، وآباءِ عبد الله: ابن الأحمر وابن الحاجِّ مكّي وابن صَالح وابن عبد الرّزاق وابن مَعْمَر وابن الـمُناصِف وابن نَجاح وابن [أبي] الـخِصَال وابن أُختِ غانم، وآباءِ العبّاس: ابن حَرْب وابن زَرْقون وابن العَريف [....]، وأبوي الفَضْل: حَفيدِ الأعلم وعِيَاض، وآباءِ القاسم: الأشْبُونيِّ وابن بَشْكُوال و[ابن الرَّمّاك] وابن رِضا والقَنْطَريِّ وابن المِلْح، وآباءِ محمد: شُعَيْب بن عيسى الأشجَعيِّ وابن مَوْجُوال وعبد الحقّ بن عَطيّة والكبتوريِّ وعبد الحقِّ بن المِلح، وآباءِ مَرْوان: الباجِيِّ وابن محمد المليلة وابن مسَرّة وأبي الوليد حَجّاج، قرَأَ عليهم وسمع.

وناوَلَه أبو بكر بنُ زَيْدانَ وأجاز له. وصَحِبَ أبا جعفرٍ البِطرَوْجيَّ، وأبا العبّاس بنَ محمد بن خاطِب، وجالسَ أبا محمد الـمُرْسيَّ، وأجازوا له.

وقرأ على أبي جعفرٍ ابن زَيْدون ـ وصَحِبَه كثيرًا ـ وأبي عبد الله ابن الـمُجاهد، وأبي القاسم ابن الرَّمّاك، وأبي الوليد هارونَ بن أبي الغَيْث، ولم يَذكُرْ أنهم أجازوا له.

= وابن حجر العسقلاني في تبصير المنتبه ١/ ٥٠، والسيوطي في بغية الوعاة ١/ ١٠٢ وطبقات الحفاظ ٤٨٣، وابن العماد في الشذرات ٤/ ٢٥٢، والزبيدي في «خبر» من تاج العروس، والكتاني في فهرس الفهارس ١/ ٣٨٤. وله ذكر في نفح الطيب ٢/ ١٥٦، ٥١٢، ٥١٤، ٥٩٨، و٣/ ٦٤. وانظر مقدمة الدكتور بشار عواد معروف لكتابه الفهرسة.

ولقِيَ أبا القاسم بنَ فَرتُونَ وساءلهُ وأجازَ له لفظًا، ولقِيَ أبا الـحَسَن محمدَ بن خَلَف اللَّبْليَّ، وأبا عبد الله ابنَ الـحَمْزيّ، وأبا عَمْرٍو الـخَضِرَ بن عبد الرّحمن، وأبا عَمْرو القاسمَ الزَّنْجانيَّ، وابن وَرْد، وأبا مَرْوان بن قُزْمان؛ ولم يقرَأْ عليهم ولا سَمِع، وأجازوا له.

وكتَبَ إليه مُجيزًا ولم يلقَهُ من الأندَلُسيِّينَ: أبو بحرٍ الأسَديُّ، وأبوا بكر: ابنُ الـخَلُوف وابنُ عامر العامِريُّ، وآباءُ الـحَسَن: طارقُ بن موسى الـمَخْزوميُّ وعبدُ الجليل والأطريُّ وابن اللَّوّان والمالطيُّ نزيلُ الـمَرِيّة وابن مَوْهَب وابن نافع وابن هُذَيْل، وأبو الـحَكَم بن غَشِلْيان، وأبوا عبد الله: ابن وَضّاح وابن أبي أحَدَ عشَر، وأبو القاسم خَلَفُ بن الرُّويُّه[1]، وفَضْلُ الله ابن اللَّجّام، وآباءُ محمد: خليلٌ والرُّشَاطيُّ، وابنُ عَتّاب، وأبو المطرِّف ابنُ الوَرّاق، وآباءُ الوليد: ابن بَقْوِي وابن رُشْد وابن طَرِيف. ومن الـمَشْرقيِّين: أبو الطاهر السِّلَفيُّ، وأبو عبد الله المازَريُّ نزيلُ الـمَهْديّة.

وشيوخُه يُنيفونَ على مئة ضمَّن ذكْرَهم وما رَوى عنهم بَرنامجًا حافلًا مفيدًا نبيلًا[2]. وقال جابرُ بن أحمد القُرَشيُّ[3]: [كتَبَ إليّ - يعني ابنَ خَيْر -] يُخبِرُني أنّ فِهرِستَه عشَرةُ أجزاء، كلُّ جُزء منها ثلاثونَ [ورقة].

قال المصنِّفُ عَفا اللهُ عنه: قد وقَفْتُ على أكثره، ومما وقفتُ [عليه: اختصارُه في] ذكْر الشّيوخ الذين رَوى عنهم وتواريخِهم وتسميةُ ما أخَذَ [عنهم، يقَعُ في سِفْرٍ] لطيفٍ هو مقدارُ ثُلُث البرنامَج، وقد استمدَدتُ منه ما اشتَمَلَ عليه [من الفوائد]

---

(١) الكلمة خالية من النقط في الأصل، وترجمة ابن الرويه في التكملة (٨٤٠) قال ابن الأبار: «حدث عنه ابن خير في كتابه إليه من بطليوس، أحسبه في نحو الثلاثين وخمس مئة».

(٢) انظر أسماء شيوخ ابن خير في فهرسته المطبوعة، وهم مرتبون فيها حسب بلدانهم (من ص٥٥٨ إلى ص٥٧٤ من تحقيق الدكتور بشار) وذكر المؤلف وابن الأبار أن جابر بن محمد القرشي رتبهم على حروف المعجم.

(٣) ترجمته وبعض أخباره في التكملة (٦٥٨) والتعليق عليها.

لهذا المجموع، وكذلك وقَفْتُ على أسانيدِه في القراءاتِ متواترها وشاذِّها بخطِّه، في مجلَّدٍ لطيف أيضًا، وهو خارجٌ عن البرنامج.

رَوى عنه ابنُ أُختِه أبو الـحُسَين ابنُ السَّرّاج[1]، وهو آخِرُ الرواةِ عنه وفاةً؛ وأبو إسحاقَ بن عليّ الزَّواليُّ، وأبو أُميّةَ بن عُفَيْر، وأبو البقاءِ يَعِيشُ، وآباءُ بكر: بنو الأحامد: ابنُ الصَّيْقَل وابن السّرو وابنُ كَبير وابن إسماعيلَ الـمَنِيشي، وابن عبد الله بن أبي زَمَنين وابن عبد الرّحمن بن جُمهُور، واليَحْيَيانِ: ابن أحمد الـهَوّاري وابن محمد الـهَوْزَنيُّ، وأبوا جعفر: ابن سَلَمةَ وابن محمد ابن الأصلع، وآباءُ الـحَجّاج: ابن أحمدَ بن عبد الغنيّ وابن حُسَين بن عُمَر وابن عليّ الجميميُّ وابن محمد بن رجلون، وآباءُ الـحَسَن: ابن أحمدَ الشَّرِيشيّ وابن حَمّاد وابن عَتِيق بن مؤمن، وبنو المحمّدِينَ: البَلَويُّ وابن ثابتٍ البَهْرانيُّ وابن خَرُوف النَّحْويّ وابن خِيَار وابن هشام والفَهْميُّ ومُرَجّى بن يونُس، وأبو الـحُسين بن عَظِيمةَ، وأبوا الـخَطّاب: ابن الـجُمَيِّل وابن واجِب، وأبو الخليل مُفرِّجُ بن حُسَين، وأبو زيد شُعَيْب بن إسماعيلَ بن سَكَن، وأبو عليّ الكفيفُ، وأبو سُليمانَ بن أحمدَ الغافقيُّ، وأبو الطاهرِ إسماعيلُ بن أبي الـحُسَين التونُسيُّ، وأبوا طالب: عبدُ الـجَبّار بن هارون وعَقِيل بن عَطِيّة، وآباءُ عبد الله بنو الأحامد: ابن عَيّاش وابنا عَبْدي الله: الأنْدَرْشيُّ والشَّوّاش، وابن إبراهيمَ ابن البَقّار؛ وابنا عَبْدي الرّحمن: ابنُ الرداد وابن عَزوز، وأبناءُ اليوسفِينَ: ابن الـجَذع وابن عبد الله بن محمد بن عامورَ الباهِليُّ الفاسيّ وابنُ محمد بن خَلَف القُضاعيُّ، وآباءُ العبّاس: ابنُ عبد الله بن سيِّد الناس وابن عليّ الفِهْريّ وابن محمد بن راتع، وآباءُ عليّ: الـحَسَنانِ: ابن محمد البَطَلْيَوْسيُّ وابن موسى، وعُمرُ بن عبد المجيد الرُّنْديّ، وأبو عُمرَ أحمدُ بن محمد بن مَسْلَمةَ التُّجِيبيّ، وآباءُ القاسم: ابن البُستانيّ وابن بَقِيّ وعبدُ الرحمن بن محمد الأنصاريُّ وعبدُ الرحيم ابن الـمَلْجوم وابن

(١) ترجمته ومصادرها في الذيل والتكملة ١/ الترجمة ٥١٤.

عبد البَرّ القَرَمونيُّ وابنُ أبي هارونَ وعامر بن هشام، وآباءُ محمد: ابن أحمدَ بن نُعمان، وابن عُبَيد الله الباجيُّ وابن عيسى بن صَدقون [....] وابن عمّار، ومالكُ بن عُمر، وأبوا نَصْر: الفَتْحان: ابن أحمدَ [الفِرْيانيُّ وابن الفَصّال]، ويحيى بن يحيى الأنصاريُّ، وغيرُهم ممّن جَرى له ذكْرٌ في هذا [الكتاب ممّن هو على شَرْطِه] وسوى مَن حدّث عنه بالإجازة ممّن ذَكَرَ فيه أيضًا ممّن هو [على شرطِه وسواهم].

وكان من أئمّة الـمُقرئين المجوِّدين وجِلّة المحدِّثينَ الـمُسنِدين، ثقةً [فيما يَرويه] رِضًا مأمونًا متّسعَ الرّواية، أخَذَ عن النَّظِيرِ والكبير والصَّغير، حتى اجتَمعَ [له في القراءات] ما لم يجتمعْ لغيرِه من نُظرائه. وكان متفنّنًا في علوم اللّسان متقدِّمًا في [النَّحو واللُّغة] منها.

وكانت كُتُبُه وأصُولُه في غاية الصّحة ونهايةِ الإتقان لتهمُّمِه بمقابلتِها وعُكوفِهِ على تصحيحِها مؤيَّدًا على ذلك بحُسن الخطِّ وإتقانِ التقييدِ والضَّبط اللّذَيْن برَّزَ فيهما على متقدِّمي الأكابر من مشاهيرِ أهلِهما[1]، دَأَبَ على ذلك دهرَه وأنفَدَ[2] فيه عمُرَه، وكتَبَ بخطِّه الكثيرَ ومتِّع بصحّةِ بصَره، فقد وقَفتُ في بعض ما كتَبَ ـ وهو قد جاوَزَ السبعينَ من عمُرِه بسنتينِ أو نحوِهما ـ على ما يُقضَى منه العَجَب، دقّةَ خَطّ وإدماجَ حروف معَ البيان، فكان في ذلك وحيدًا، وأثمرَ الـمُغالاةَ فيها بعدَ وفاتِه حتى تجووزَت في أثمانِها الغايةُ التي لا عهدَ بها، وتمادت رغبةُ الناس في اقتناءِ ما يوجَدُ بخطِّه أو بتصحيحِه ومُنافستهم فيه إلى الآنَ.

وعلى ذلك فقد وقَفتُ له على أوهامٍ مصدَرُها الغفلةُ التي يقتضيها النَّقصُ البَشَريّ، فالكمالُ لله وحدَه[3].

---

(١) في الأصل: «أهلها».

(٢) في الأصل: «وأنفذ».

(٣) ذكر الشيخ محمد بن عبد الرحمن الفاسي في «المنح البادية» كلام ابن عبد الملك هنا، وهذا يدل على وقوفه على الذيل والتكملة، وانظر مآل النسخة التي وقف عليها.

وكان حَسَنَ الـخُلُق كريمَ الصُّحبة حميدَ العِشرة، يُثني عليه ويَعترِفُ بفضلِه في ذلك كلُّ مَن صاحبَه.

وسمِعتُ شيخَنا أبا عليّ الماقريَّ[1] يقول: سمِعتُ أبا الـخَطّاب بنَ واجِب يقول: سمِعتُ أبا عبد الله بنَ حَمِيد يقول: سمِعتُ أبا الـحَسَن بنَ مُغيث يقول: أبو بكر بن خَيْر، خيرٌ ابنُ خير، وذلك في حَداثتِه وحين قراءتِه عليه، فكان أبو الـخَطّاب يقول: فكيف لو رآه حينَ رأيناه؟!

وَلِيَ الصّلاةَ بجامع قُرطُبَةَ الأعظم سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ وخمس مئة برغبةِ واليها حينَئذٍ، واتّصلتْ إمامتُه به إلى أن توفِّي سَحَرَ ليلةِ الأربعاء الرابعةِ من ربيع الأول سنةَ خمسٍ وسبعينَ وخمس مئة ودُفن بإزاءِ الدار التي أُنزِل فيها ثُم نُقِل إلى إشبيلِيَةَ فدُفن بمقبُرة مُشكةَ[2] منها، هذا أصحُّ ما قيل في وفاتِه، وكانت جَنازتُه مشهودةً لم يتَخلّفْ عنها كبيرُ أحد، وحضَرَها الوالي حينَئذٍ أبو عليّ الـحَسَنُ بن عبدِ المؤمن[3] وأُتبعَ ثناءً [جميلًا] وذِكْرًا صالحًا.

ومولدُه بفاسَ ليلةَ الأحد الثامنةَ والعشرينَ من رمضانِ [سنةِ اثنتينِ وخمس مئة، كذا قال لـمّا] سألهُ أبو القاسم ابنُ الملجوم عنه.

٩٤ـ محمدُ بن ذِمَام[4] بن الـمُعتزِّ [الصُّنْهاجيُّ]، أبو عبد الله.

رَوى عن أبي عليّ ابن سُكّرة[5].

---

(١) في الأصل: «المعافري»، محرفة.

(٢) في الأصل: «مسكنه»، وهو تحريف، ومقبرة مشكة تذكر كثيرًا في كتب الصلات.

(٣) كان واليًا على قرطبة من سنة ٥٧٢ إلى سنة ٥٧٥هـ (البيان المغرب: ١١٠، ١١٣). وكان أيضًا من كتاب والده في خلافته، كما كان واليًا على سبتة سنة ٥٦٥هـ (البيان ٨٣-٨٤) انظر المن بالإمامة: ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٣٩، والبيان المغرب: ٨٣، ٨٤، ١١٠-١١٣، والأنيس المطرب: ٢٠٣، ٢٦٧. وهو معدود في الأمراء الشعراء وهو توأم أخيه الحسين الذي كان واليًا على إشبيلية.

(٤) في الأصل: «هشام»، محرف، وقد تقدمت ترجمة أخيه في الرقم (٢٤).

(٥) لم يذكره ابن الأبار في المعجم في أصحاب الصدفي.

٩٥ـ **محمدُ**[١] **بن سُليمانَ بن يحيى البونتي، أبو عبد الله.**

تَلا على أبي عُمارةَ سُليمانَ بن أبي القاسم. ودخَلَ الأندَلُسَ طالبًا [العلمَ، فقرَأَ] على أبي الـحَسَن ابن أخي الدُّش، وأبي الـحُسَين يحيى بن إبراهيم ابن البَيّاز، [وسَمِعَ] الحديثَ على أبي بحرٍ سُفيانَ بن العاص، وأبوَيْ عبد الله: الـخَوْلانيِّ، وابن فَرَج، وأبي عليّ الغَسّاني ولم يَذكُرْه ابنُ الأبّار في أصحابِه[٢].

وشرَّق فروى عنه هنالك منصُورُ بن خَميس بن محمد بن إبراهيمَ اللَّخْميّ.

٩٦ـ **محمدُ بن سُليمانَ الدَّكاليُّ، أبو عبد الله.**

رَوى بإشبيلِيَةَ عن أبي العبّاس ابن الرُّوميّة[٣].

٩٧ـ **محمدُ بن سُليمانَ اللَّمْتُونيُّ.**

وأظُنُّه أخا عُمرَ بن ذِمَام[٤] لأُمِّه.

رَوى عن أبي عليّ بن سُكّرةَ[٥].

٩٨ـ **محمدُ بن سير بن محمد بن عُمرَ اللَّمْتُونيُّ.**

رَوى عن عَبّاد بن سِرْحان.

---

(١) ترجمه ابن بشكوال في الصلة (١٢٨٥)، والضبي في بغية الملتمس (١٢٧)، وابن الأبار في المعجم في أصحاب القاضي الصدفي (١١٥)، والذهبي في تاريخ الإسلام ١١/ ٦٦٠.

(٢) لكن ذكره في معجم أصحاب الصدفي، كما تقدم في التعليق السابق، فكأنه لم يطلع على ذلك لأنه لم يذكر روايته عن أبي علي الصدفي، وقد سمع من أبي علي بمرسية، كما أنه لم يقف على وفاته، وقد توفي بالمرية في صفر سنة ست وثلاثين وخمس مئة، ولم يعرف أن ابن بشكوال ذكره في «الصلة» وفي مشيخته.

(٣) هو المعروف بالنباتي، وتقدمت ترجمته المطولة في السفر الأول (٧٥٨).

(٤) تقدمت ترجمته في الرقم (٢٤).

(٥) لم يذكره ابن الأبار في «المعجم».

٩٩ـ محمدُ[١] بن عبد الله بن أحمدَ بن عبد الرّحمن بن سُليمانَ الأَزْديُّ، سَبْتيٌّ قُرطُبيُّ الأصل، انتقَلَ منها أبوه إلى سَبْتَة، أبو عبد الله الأَزْديُّ.

رَوى عن أبوَيْ بكر: ابن مالكٍ ـ ولقِيَه بشَرِيش وأجاز له ـ ويحيى بن خَلَف الـهَوْزَنيِّ، وأبي جعفر بن يحيى الخطيبِ بقُرطُبَةَ ـ وبها لقِيَه ـ وأبي الـحَجّاج بن عبد العزيز الشّفة، وآباءِ الـحَسَن: ابنَي الأحمدَيْن: الـجَيّانيّ ـ وأكثَرَ عنهُ ـ وابن خُـمَيْر وابن خَرُوف النَّحْويِّ وابن محمد ابن الـحَصّار، وأبي الـحُسَين ابن الصائغ، وأبي ذَرّ بن أبي رُكَب، وأبي الصَّبر الفِهْرِيّ، وأبوَيْ عبد الله: التُّجِيبيِّ ـ وأكثَرَ عنه ـ وابن حَسَن بن عَطِيّة بن غازي، وأبوَيْ عبد الله: ابن محمد بن عيسى التَّميميِّ والعَزَفيِّ، وآباءِ محمد: الـحَجريِّ ـ وأكثَرَ عنهُ ـ وابن حَوْطِ الله، وعبد الجليل بن موسى، لقِيَ هؤلاءِ.

وأجاز له ولم يلقَهُ من أهل الأندَلُس والمغرِب: أبو بكر بنُ أبي جَمْرةَ، وأبو الـحُسَين بن زَرْقون، وأبوا الـخَطّاب: ابنُ الـجُمَيِّل وابن واجِب، وأبوا عبد الله: ابنُ أيّوبَ بن نُوح وابن خَلَف ابن نَسْع، وأبوا العبّاس: ابن سُليمانَ بن طالبِ بن محمد ابن عَرَب بن البقاءِ الـمُرِّيُّ عُرِف بابن أبيَض؛ وابن عبد الرّحمن ابن مَضاءٍ، وأبو العطاءِ بنُ نَذِير، وأبو القاسم بن بَقِيّ، وعبدُ الرّحيم ابن الـمَلْجوم، وآباءُ محمد: ابن جُمْهُور وابن محمدٍ التادَليُّ، وعبد الـمُنعِم ابن الفَرَس، وأبو موسى القُزُوليُّ.

ومن أهل المشرِق جماعةٌ وافرةٌ من أهل مِصرَ والإسكندَريّة: أبو قاسم هبةُ الله بن عليّ بن ثابتِ بن مَسْعود الأنصاريُّ البُوصِيريُّ، [وتقيُّ الدِّين أحمدُ] ابن طارقِ بن سِنَان، وعبدُ المِلك بن عيسى بن دِرْياس، وحَسَنُ بن.... القاسم الصِّقِلِّيُّ الـمَدَنيُّ، وعبدُ الله بن خَلَف بن رافِع الـمِسْكيُّ، و[حاتمُ بن سنان بن بشر] الجرميُّ الـحَبْلي[٢]، وإسماعيلُ بن صَالح بن أَنَس بن عدنانَ اللَّخْميُّ،

---

(١) ترجمه الرعيني في برنامجه ١٦٨-١٦٩، وابن الزبير في صلة الصلة ٣/ الترجمة ٣٠.

(٢) منسوب إلى حَبْلة، من أعمال الرملة، قيدها المنذري في التكملة ١/ الترجمة ٦٩٤، وهو مترجم في وفيات سنة ٥٩٨هـ منها، وفي تاريخ الإسلام ١٢/ ١١٣٩ وكانت وفاته بمصر.

و[ربيعةُ بن الـحَسَن بن] عليّ بن عبد الله اليَمَني[1] الـحَضْرَميُّ، وعبدُ الغنيِّ بن عبد الواحد بن علي [الـمَقْدِسيُّ،] وآباء الحسن العَلِيّانِ: ابن محمد بن يوسُفَ بن خَرُوفٍ القُرطُبيُّ، وابن الـمُفضَّل الـمَقْد[سيُّ،....] بن عبد الرّحمن بن أحمَدَ الأنصاريُّ، وأبوا عبد الله: المحمّدانِ: ابن أحمَدَ بن حامدِ [بن مُفرِّج] بن غِيَاث الأرْتاحيُّ، وابن سَعِيد بن الـحُسَين بن محمد بن سَعِيد المأمونيُّ، [وعليُّ] بن يوسُفَ بن عبد الله بن بُنْدارٍ الدِّمشقيُّ، وعُمَرُ بن يوسُفَ بن عُلْوانَ الأسَديُّ ابن الأستاذ، والشّريفُ أبو هاشم عبدُ المطّلب بن أبي الـمَعالي الفَضْل بن عبد المطّلبِ ابن الـحُسَين بن أحمَدَ بن الـحُسَين بن محمد بن الـحُسَين بن عبد الرّحمن بن عبد المَلِك بن صَالح بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب الهاشميُّ رئيسُ الحنَفيّة بحَلَب[2].

ومن أهل دمشقَ: أبو طاهرٍ بَرَكاتُ بن إبراهيمَ بن طاهر بن بَرَكات الـخُشُوعيُّ، وأبو محمد عبدُ الصّمد بن جَوْشَن بن مُفرِّج بن مزروع التَّنُوخيُّ، وأبو البَرَكات عَقِيلُ بن أبي الـحُسَين بن أبي الجنّ الـحُسَيْنيُّ، وأبو اليُمن زَيْد بن الـحَسَن بن زَيْد بن الـحَسَن بن سَعْد بن عِصْمةَ الكِنْديُّ.

ومن أهل حَرّان: أبو الثّناء حَمّاد بن هبة الله بن حَمّاد، وأبو عبد الله محمدُ بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية، وأبو محمدٍ عبدُ القادر بن عبد الله الرُّهاويُّ.

ومن أهل الـمَوْصِل: نَصْرُ الله بن سَلامةَ بن سالم الهيتي[3]، وعبدُ الـجَبّار ابن أبي الفَضْل بن أبي الفَرَج بن حـمزةَ الـحُصْريُّ، وفِتْيانُ بن أحمَدَ بن محمد

---

(1) في الأصل: «اليمان»، وما أثبتناه من مصادر ترجمته (وتنظر التكملة للمنذري ٢/ الترجمة ١٢٤٦ والتعليق عليها، وتاريخ الإسلام ١٣/ ٢١٢).

(2) هو المعروف بافتخار الدين، توفي سنة ٦١٦هـ (الذهبي: تاريخ الإسلام ١٣/ ٤٧٧).

(3) في الأصل: «المليني»، محرفة، وما أثبتناه هو الصواب، وهو منسوب إلى «هيت» البلدة المشهورة على الفرات، قائمة إلى اليوم وفيها قبر عبد الله بن المبارك، وتنظر ترجمته في تاريخ الإسلام ١٢/ ١١٥٩.

ابن سَمْنِيّة[1]، وأبو القاسم عبدُ الـمُحسِن بن أبي الفَضْل عبد الله بن أحمدَ بن محمد بن عبد القاهر الطُّوسيُّ.

ومن أهل بغدادَ: أبو محمدٍ عبدُ العزيز بن محمود بن المبارَك بن الأخضَر، وأبو القاسم سَعِيدُ بن محمد بن محمد بن عَطّافٍ الـهَمَذانيُّ، وأبو محمد عبدُ الله بن دِهبل بن عليّ بن منصُور بن كارِه الـحَرِيميُّ، وأبو الفُتوح يوسُفُ بن أبي بكرٍ المبارَكُ بن كامل بن أبي غالبٍ الـخَفّاف، ومحمد بن هبةِ الله بن كامل الوكيلُ، وعبدُ الرزّاق بن عبد القادر بن أبي صَالح الجِيليُّ، وإبراهيمُ بن محمد بن بَكْروس، وضياءُ الدِّين أبو أحمدَ عبدُ الوهاب بن عليّ بن عليّ بن عُبَيد الله بن سُكَيْنة، وأحمدُ بن محمد بن محمد [....][2]، وعبد السّلام[3] بن عبد الرّحمن بن عليّ بن سُكَيْنَةَ، والأنجَبُ بن أبي [السَّعادات بن محمد][4] بن عبد الرّحمن الـحَمّاميُّ، وأبو محمدٍ أحمدُ بن إبراهيمَ بن عبد الوهّاب، وأبو حَفْص عُمرُ بن محمد السُّهْرَوَرديُّ، وأبو الفَضْل عبدُ الواحِد [بن عبد السلام بن] سُلطانَ[5]، وأبو بكرٍ محمدُ بن المبارَك بن محمد بن محمد بن مَشِّق، ويَعِيشُ بن [ريحان بن مالك

---

(١) في الأصل: «سمينة»، محرفة، وقيده المنذري بالحروف فقال: «بفتح السين المهملة وسكون الميم وكسر النون وتشديد الياء آخر الحروف» (التكملة ٢/ الترجمة ١٣٩٨، وينظر المشتبه للذهبي ٣٦٩)، وترجمه الذهبي في وفيات سنة ٦١٢هـ من تاريخ الإسلام ١٣/ ٣٤٨.

(٢) ممحو في الأصل، ولعله أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسين ابن الفراء، أبو العباس الحنبلي المتوفى سنة ٦١١هـ.

(٣) توفي عبد السلام هذا سنة ٦٢٧هـ، وهو مترجم في تكملة المنذري ٣/ الترجمة ٢٢٧٨، وتاريخ الإسلام ١٣/ ٨٣٨ وغيرهما.

(٤) ما بين الحاصرتين ممحو في الأصل، واستفدناه من ترجمة المذكور في تاريخ ابن الدبيثي ٢/ ٥٥٢، وتكملة المنذري ٣/ الترجمة ٢٧٩٤، وتاريخ الإسلام ١٤/ ١٧٠، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٤ وغيرها، وتأخرت وفاته إلى سنة ٦٣٥هـ.

(٥) هو أبو الفضل الأزجي البيّع (تاريخ الإسلام ١٣/ ٩٩).

الأنباريُّ][1]، وعبدُ الرّحمن بن يحيى بن مُقبِل ابن الصَّدْر، وأحمدُ بن هبة الله بن العلاء، [وأبو الكَرَم] عبدُ السّلام بنُ أبي القاسم المبارَك[2] بن أحمدَ بن صَبُوخا[3]، وأبو عبد الله [الـحُسَينُ] بن أحمدَ بن الـحُسَين بن أحمدَ بن عبد الله بن أيّوب، وأبو يَعْلَى حمزةُ بن عليّ بن حمزةَ القُبَّيْطيُّ الـحَرّانيّ، وأبو الـحَسَن عليُّ بن محمد ابن عليّ الـمَوْصِليُّ الأصل، وأبو القاسم بن يوسُف بن أبي الكرم[4] بن أبي الـحَسَن بن صَبُوخا، وأبو يوسُفَ سُليمانُ بن محمد بن عليّ الـمَوْصِليُّ الأصل، وعبدُ اللّطيف بن أبي النَّجِيب السُّهْرَوَرْديُّ، ومحمدُ بن عليّ بن يحيى بن عليّ بن محمد ابن الطَّرّاح، وأبو محمدٍ عبدُ العزيز بن مَعالي بن غَنِيمةَ بن مَنِينا[5]، وأبو

---

(١) ما بين الحاصرتين ممحو في الأصل سوى خيال «الأنباري»، واستفدناه من تكملة المنذري ٣/ الترجمة ٢٠٧٨، وتاريخ الإسلام ١٣/ ٧٢٨ وهو أنباري الأصل بغدادي الدار حنبلي توفي سنة ٦٢٢هـ.

(٢) في الأصل: «بن المبارك» وهو خطأ ظاهر، فهو عبد السلام بن المبارك بن أحمد بن عبد السلام، أبو الكرم الظفري المعروف بابن صبوخا، ترجمه ابن الدبيثي في تاريخه ٤/ ١١٥، والمنذري في التكملة ٢/ الترجمة ٩٢٦، وابن الساعي في الجامع المختصر ٩/ ١٨٦، والذهبي في تاريخ الإسلام ١٣/ ٦٣، وقد سمع منه ابن الدبيثي، وذكر أنه توفي في ليلة الخميس العشرين من رجب سنة ٦٠٢هـ ودفن يوم الخميس بباب أبرز.

(٣) في الأصل: «صبوحا» بالحاء المهملة، مصحف، وقيده الصفدي في الوافي بالحروف (٦/ ٢٢٥).

(٤) في الأصل: «بن علي الكرد» ولا معنى لها، ولعله هو المترجم في تاريخ ابن الدبيثي ٢/ ١٩٩ !؟

(٥) في الأصل: «بن سينا»، وهو تحريف، وهو عبد العزيز بن معالي بن غَنِيمة بن الحسن المقرئ، أبو محمد المعروف بابن منينا المتوفى سنة ٦١٢هـ، ومنينا، قيده المنذري بالحروف فقال: «بفتح الميم وكسر النون وسكون الياء آخر الحروف وبعدها نون مفتوحة» (التكملة ٢/ الترجمة ١٤٤٣)، وترجمه ابن نقطة في إكمال الإكمال ١/ ١٩٠ و٤/ ١٢٦ و٥/ ٣٥٢، وابن الدبيثي في تاريخه ٤/ ١٤٠، والذهبي في التاريخ ١٣/ ٣٤٠ والسير ٢٢/ ٣٣ والمختصر المحتاج ٣/ ٤٨ والمشتبه ٤٤٨ و٥٩١ والعبر ٥/ ٤١ وغيرهم.

عبد الله محمدُ بن أبي المعالي[1] بن مَوْهوب بن جامِع بن عَبْدون ابن البَنّاء، والـحَسَن بن أبي سَعِيد بن سَعْد الله ابن البَوّاب، وعبدُ الله بن عثمان ابن قُدَيْرة[2]، وأبو إسحاقَ يوسُفُ بن أبي حامدٍ محمد بن أبي الفَضْل محمد بن عُمَرَ بن يوسُف الأرمَويّ، والمبارَكُ بن أنوشْتكِين بن عبد الله، ومحمد بن أبي الفَتْح[3] بن عبد الرّحمن ابن عَصِيّة[4] الـحَرّانيّ، ومحمدُ بن عليّ بن فارس القُبَّيْطيُّ الـحَرّانيّ ـ أخو أبي يَعْلى وهو الأصغر ـ وسَعِيدُ بن محمد بن سَعِيد الرَّزّاز، وعبد الغنيّ بن أبي القاسم ابن البُنْدار، وعبد الله بن عُمَرَ اللَّتّي، وظَفَرُ بن سالم بن عليّ ابن البيطار، وأرْمانوسُ ابن عبد الله الرُّوميُّ عَتِيقُ ابن الزُّيْنَبيّ، وعبدُ الله بن صافٍ الخازِنيُّ عَتِيقُ ابن الخازِن[5]، وإسماعيلُ بن سَعْد الله بن محمد بن عليّ بن حَمْدي، ونَفِيس بن [أبي][6]

---

(١) اسمه عبد الله، وهو مترجم في تاريخ ابن الدبيثي ١/ ٣٨٧، وتكملة المنذري ٢/ الترجمة ١٤٣٨، وتاريخ الإسلام ١٣/ ٣٤٩، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٥٨ وغيرها.

(٢) في الأصل: «ووزيرة»، وما أثبتناه هو الصواب، وهو عبد الله بن عثمان بن محمد بن الحسن الدقاق يُعرف بابن قديرة، توفي سنة ٦١٢هـ، ترجمه ابن الدبيثي في تاريخه ٣/ ٤٧١، والمنذري في التكملة ٢/ الترجمة ١٤٢٠ وقيد «قديرة» بالحروف، وابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب ٤/ الترجمة ١٠٨٥، والذهبي في تاريخ الإسلام ١٣/ ٣٣٩ وغيرهم.

(٣) أبو الفتح اسمه المبارك، وأما كنيته هو فأبو الرضا، وهو من أهل الحربية، ذكره ابن الدبيثي في تاريخه ٢/ ١٠٠ ولم يذكر وفاته لتأخرها عن النشرة الأخيرة لكتابه التي وقفت عند سنة ٦٢١هـ، والمترجم توفي سنة ٦٢٨هـ، وهو مترجم في إكمال ابن نقطة ٤/ ١٧٦، وفي التقييد، له ١١٤، وتكملة المنذري ٣/ الترجمة ٢٣٢٤، وتاريخ الإسلام ١٣/ ٨٦٩ وغيرها.

(٤) عصية، مختلف في تقييده، فقد قيّده بعضهم بضم العين المهملة مصغرًا، وقيّده آخرون بفتحها، وهو الراجح، وقد غَلّط الحافظ ابن نقطة من قيّده بالضم.

(٥) قال جمال الدين ابن الدبيثي: «كان أبوه مولًى لرجل يُعرف بحُسين الخازن فنُسِب إليه، هكذا ذكر عبد الله هذا وقال لي: قرأت...» إلخ، فهو ليس «ابن الخازن»، وتوفي عبد الله هذا بالمارستان العضدي ببغداد سنة ٦٠٣هـ ودفن بمقبرته (تاريخ ابن الدبيثي ٣/ ٤٦٠).

(٦) زيادة متعينة من تاريخ ابن الدبيثي ٤/ ٨٢، وتكملة المنذري ٣/ الترجمة ١٧٨٨، والذهبي في تاريخ الإسلام ١٣/ ٥٦٥.

البَرَكات بن حُفْنا[1] الزَّعيميُّ[2].

ومن أهل إربِل: أبو حَفْص عُمرُ بن محمد بن طَبَرْزَد الدّارْقَـزِّيُّ، وأبو علي حنْبلُ بن عبد الله بن فَرَج البغداديُّ الرُّصافيُّ الـمُكبِّرُ[3].

ومن أهل واسِطَ: أبو الفَتْح[4] بنُ أحمد بن بَخْتِيار بن عليّ بن محمد بن المندَائيِّ، وعليّ بن عليّ بن المبارك بن نغوبا[5]، وأبو طالبٍ عبدُ الرّحمن بن محمد بن عبد السّميع بن عبد الله بن عبد السّميع بن عليّ بن القاسم بن الفَضْل بن أحمدَ بن جعفرِ بن سُليمانَ بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس، وأبو الـحَسَن عليّ بن أحمد بن سعيد[6] الدّبّاس.

رَوى عنه أبو العبّاس بن فَرتُون، وأبو القاسم محمدُ بن عبد الرّحيم بن الطَّيِّب وغيرُ واحد من أهل سَبْتَةَ. وحدّثنا عنه من شيوخِنا أبو الـحَسَن [الرُّعينيُّ، وأبو القاسم...]، وأبو محمدٍ مَوْلى سَعيد بن حَكَم، وكان شيخُنا أبو الـحَسَن كثيرًا [ما يَعِدُني باستجازتِه لي فلم] يَقْضِ.

---

(١) في الأصل: «حفني»، وما أثبتناه هو الصواب، قيده المنذري بالحروف فقال: «بضم الحاء المهملة وسكون الفاء وفتح النون».

(٢) قال الزكي المنذري: «قيل: كانت أمه من موالي زعيم الدين يحيى بن جعفر صاحب المخزن فنُسب إليه، وربي مع أولاده، وسمع معهم».

(٣) هكذا نسبهما المؤلف لإربل فما أصاب، فهما ليسا من أهلها، وإنما ذهبا إليها فحدثا بها، كما في تاريخ إربل لابن المستوفي، وهو أمر معلوم بداهة في ترجمتهما.

(٤) اسمه محمد، وهو مترجم في تاريخ ابن الدبيثي ١/ ٢١٤ وفيه مصادر ترجمته الكثيرة.

(٥) في الأصل: «نقويا»، محرف، وهو مقيّد ومترجم في إكمال ابن نقطة ١/ ٤٢٣، وتكملة المنذري ٢/ الترجمة ١٣٦٤، وتاريخ الإسلام ١٣/ ٣١٨، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٤ وغيرها.

(٦) في الأصل: «سعد»، محرف، وهو مترجم في تاريخ ابن الدبيثي ٤/ ٣٩٨، وتاريخ ابن النجار ٣/ ٥٨، وتكملة المنذري ٢/ الترجمة ١١٦٠، وتاريخ الإسلام ١٣/ ١٦٥، وميزان الاعتدال ٣/ ١١٣ وغيرها.

وكان شيخًا جليلًا مُسِنًّا راويةً مُكثرًا عَدْلًا ثقةً، [أكثَرُ مرويّاتِه عن أبي عبد] الله بن الغازي، وأبي محمدٍ الـحَجريّ، وجماعةٍ من شيوخِه القُدماء: [بالسّماع عن جُلِّهم و] بالإجازةِ عن بعضِهم.

وكان فقيهًا عاقدًا للشّروط جيِّدَ الخطّ، [وَلِـيَ خُطّةَ القضاءِ] بسَبْتَةَ وعُرِفَ بالنّزاهة في أحوالِه واستقامةِ الطريقة في متصرَّفاتِه. [وُلد بسَبْتَةَ إمّا] سنةَ سبع وإمّا سنةَ ثمانٍ وستّينَ وخمس مئة، وتوفِّي بها ليلةَ الثلاثاءِ [السابعةِ والعشرينَ][1] من رمضانِ ستينَ وست مئة.

١٠٠ـ محمدُ[2] بن عبد الله بن حَسَن الزَّرْهُونيُّ، فاسيُّ [الأصل، أبو] عبد الله، ابنُ الزِّقّ.

أخَذَ بفاسَ عن جماعةٍ، ثم رَحَلَ إلى الأندَلُس طالبًا العِلمَ، فأخَذَ بمُرْسِيَةَ عن أبي عبد الله بن حَمِيد ولازَمَه، وأبي القاسم بن حُبَيْش، وبقُرطُبَةَ وغيرِها عن محمدِ بن مَسْعود، وأبي الوليد بن رُشْد الصَّغير، وببِجَايةَ عن أبي عبد الله بن إبراهيمَ الأصُوليِّ، وأبي محمدٍ عبد الحقِّ ابن الـخَرّاط. وعاد إلى فاسَ، ثم انتَقَلَ منها إلى جبلِ زَرْهُونَ فاستَوطنَه. رَوى عنه أبو العبّاس ابن فَرْتُون.

وكان من جِلّة النَّحْويِّين وكبار الأُستاذِين، مبرِّزًا في الذّكاء والتيقُّظ، مُشرِفًا على علوم الأوائل، متقدِّمًا في علم الكلام وأصُولِ الفقه. درَّس ما كان عندَه طويلًا، وانتَفعَ به خلقٌ كثير، وله معَلَّقاتٌ مفيدةٌ وتنبيهاتٌ نبيلة على «كتابِ سِيبوَيْه» وغيرِه ممّا كان يَنتحلُه من العلوم.

وتوفِّي بجبل زَرْهُونَ.

---

(١) محو في الأصل، وفي صلة الصلة: «توفي رحمه الله ليلة الاثنين السادس والعشرين من رمضان سنة ستين وست مئة». وذكر ابن الزبير في ترجمة المذكور أيضًا أنه «كان له مال ورثه عن أبيه وأنفقه في رحلته على الفقراء والمنتمين إلى التصوف حتى نفد وتحرف ببلده بالتوثيق».

(٢) له ترجمة في صلة الصلة ٣/ الترجمة ١٩، وفيها أن المترجم «من أهل زرهون: جبل بالمغرب من حوز مكناسة».

١٠١ ـ **محمدُ بن عبد الله بن سَعِيد، تِلِمْسينيٌّ، أبو عبد الله.**

رَوى عن أبي عليّ بن سُكّرة[١].

١٠٢ ـ **محمدُ[٢] بن عبد الله بن طاهرٍ الـحُسَينيُّ، فاسيٌّ؛ أبو عبد الله، ابنُ الصَّيْقَل.**

رَوى عن أبي إسحاقَ بن قُرقُول[٣].

رَوى عنه أبو الـحَسَن ابنُ القَطّان، وأبو عبد الله بن حَـمّاد العجلانيُّ[٤] وكان راويةً للحديثِ، حافظًا لمتُونِه، بَصيرًا بعِلَلِه، عارفًا برجالِه، مُشرفًا على طبقاتِهم وتواريخِهم، عُنيَ بهذا الشأنِ أتمَّ عناية، ودرَسَه ببلدِه، واستدرَكَ على «الأحكام الكبرى» لعبد الحقِّ أحاديثَ كثيرةً في أكثرِ الكُتُب رأى أنّ أبا محمد أغفَلَها وأنّها أَوْلى بالذِّكْر مّما أورَدَه أبو محمدٍ في «الأحكام»، دَلّ ذلك على حُسن نَظَرِه وجَوْدةِ اختيارِه، ومال وقتًا في فاسَ إلى التحليق بالوعظِ والتذكير فانجَذَبت نفوسُ الناس على طبقاتِهم إليه، وكان وَقُورَ المجلس نظيفَ الملبس جميلَ الشّارة. [وَلّاه الناصرُ، من] بني عبد المؤمن، قضاءَ الجماعة بعدَ وفاةِ أبي عبد الله [محمد بن مَرْوانَ[٥]، فكان] محمودَ السِّيرة، مشكورَ الأحوال، صادعًا

---

(١) لم يذكره ابن الأبار في «المعجم».

(٢) ترجمه المراكشي في المعجب ٣٩٢، وابن الأبار في التكملة (١٧٣٦)، وابن الزبير في صلة الصلة ٣/ الترجمة ١٤، والذهبي في المستملح (٣٤١) وتاريخ الإسلام ١٣/ ١٩٧، والمراكشي في الإعلام ٤/ ١٦٠.

(٣) في الأصل: «فرتون» خطأ، وما أثبتناه من التكملة الأبارية، وقال ابن الزبير: «روى عن ابن حنين، وابن الرمامة، وغيرهما».

(٤) في صلة الصلة: «روى عنه شيخنا أبو الحسن الغافقي (أي الشاري) ووثقه، وكان ـ كما قال ـ واحد وقته فصاحة وخطابة ومشاركة في العلوم الدينية».

(٥) كانت وفاة القاضي ابن مروان في سنة ٦٠١هـ وقد ذكر صاحب المعجب أن المترجم هو الذي ولي قضاء الجماعة من بعده، وفي الذخيرة السنية أنه ولي قضاء الجماعة للمنصور.

بالحقِّ[1]، جَزْلًا مَهِيبًا [مشهورَ العَدْل إلى أن] توفِّي بإشبيلِيَةَ سنةَ ثمانٍ وست مئة، وقد قَدِمَ الأندَلُسَ غازيًا [معَ الناصِر من بني] عبد المؤمن[2].

١٠٣ـ محمدُ[3] بن عبد الله بن عبد الكريم الأنصاريُّ، طَنْجيٌّ، [أبو عبد الله.

رَوى] عن أبي بكر ابن العَرَبيّ، وأبي الـحَسَن يونُسَ بن مُغيث، وأبي مَرْوان بن [مَسَرّةَ. رَوى عنه] أبو العبّاس العَزَفيُّ، وأبو محمدٍ الناميسيُّ.

وكان من أهل الأدب. [وُلد بطَنْجةَ، وبها] توفِّي سنةَ خمسٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ أو نحوِها.

١٠٤ـ محمدُ[4] بن عبد الله بن [عيسى] الكُتَاميُّ، سكَنَ قَصْرَ عبد الكريم، أبو عبد الله، ابن الـمَدَرة.

صَحِبَ أبا العبّاس ابنَ العَرِيف، وتأدَّبَ في النّحوِ بأبي القاسم ابن الأَبْرَش.

رَوى عنه أبو الرّبيع الـخُشَنيُّ، وأبو محمد بن فَلِيج، وكان متحقِّقًا بعلوم اللّسان بارعًا في الأدبِ منها.

١٠٥ـ محمدُ[5] بن عبد الله بن محمد بن عيسى بن حُسَين التَّميميُّ، سَبْتيٌّ، أبو عبد الله.

---

(١) نقل ابن الزبير عن برنامج الشاري ما يلي: «وولي قضاء الجماعة ولم يعرف له في أحكامه ميل ولا قبول هدية ولا غير ذلك، قال: ورماه أحد شهود مراكش ممن كان يردّ شهادته لما صح فيه عنده بما لا يليق به قال: وتعصب على هذا الشخص الفاضل السني في قصة ذكرها والله أعلم بحقيقه ذلك».

(٢) في الذخيرة السنية أنه مات بإشبيلية بعد رجوعه من غزوة العقاب سنة تسع وست مئة.

(٣) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٣٠)، والذهبي في المستملح (٣٣٦) وتاريخ الإسلام ١٢/ ٨٠٧.

(٤) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٣٦١)، والسيوطي في بغية الوعاة ١/ ١٥٠. وقال ابن الأبار: «وأحسبه من الغرباء».

(٥) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٢٧)، والذهبي في المستملح (٣٣٤).

رَوى عن أبيه، وأبي الفَضْل عِيَاض. رَوى عنه أبو الـحُسَين بنُ جُبَيْر. كان محدِّثًا عاليَ الروايةِ فاضلًا.

١٠٦ ـ محمدُ[1] بن عبد الله بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الوهّاب بن يوسُفَ بن محمد بن دادوشَ اليَفْرَنيُّ، فاسيٌّ، أبو عبد الله، ابن دادوش.

رَوى عن آباءِ بكر: ابن آسيةَ، وابن أبي جَمْرةَ، وابن أبي زَمَنِين، وأبي جعفرِ ابن مَضَاء، وأبي الـحَسَن نَجبَةَ، وأبي ذرٍّ ابن أبي رُكَب، وأبوي العبّاس: ابن سُعود، واختَصَّ به كثيرًا، والقوارئيِّ الشاعر، وأبي[2] عُمرَ بن عاتٍ، وأبي القاسم عبد الرّحمن ابن الـمَلْجوم، وأبي محمدٍ التادَليِّ.

رَوى عنه أبو الـحَسَن الرُّعَيْنيُّ شيخُنا، وأبو عبد الله ابن الموّاق، وأبو العبّاس بن فَرتُون.

وكان فقيهًا حافظًا، ذاكرًا الآدابَ والتواريخَ، حَسَنَ المحادَثة ممتِعَ المحاضَرة، بهيَّ المنظر، جميلَ الرُّواء، نظيفَ الملبَس، سَرِيَّ الهمّة. استُقضيَ بغيرِ موضِع فشُكرت سِيَرُه، وارتَسَم بالعدالةِ والنَّزاهة والـجَزالة وإعداءِ المظلوم على الظالم. وامتُحنَ بأسْرِ العدوِّ الرُّوميِّ إيّاه في البحرِ، نفَعَه الله، واحتُمِل إلى أَشْبُونَةَ ثم افتُكّ.

أنشَدتُ على شيخِنا أبي الـحَسَن الرُّعَيْنيِّ رحمه اللهُ، ونقَلتُه من خطِّه، قال: وكتَبَ إليّ بخطِّه ومن قولِه ـ يعني أبا عبد الله ابنَ دادوش ـ [من البسيط]:

---

(١) ترجمه الرعيني في برنامجه ٢٠٣-٢٠٥، وابن الزبير في صلة الصلة ٣/ الترجمة ٢١ وهو فيه: «محمد بن محمد بن عيسى»، فكأن اسم والده سقط من المطبوع، ونقل عنه ابن عذاري في «البيان المغرب» أخبارًا تتعلق بنكبة الوزير الكاتب ابن عطية وآخر أيام المنصور، كما نقل عنه شعرًا في وفاة المنصور، وتدل نقوله أن له كتابًا في التاريخ (ينظر البيان المغرب ٣٦، ٢٠٥، ٢٠٦). وفي الترجمة محو أكملناه من الترجمتين المذكورتين.

(٢) في الأصل: «وابن»، وهو تحريف.

يـا ماجـدًا لـرُعَيْنٍ ينتمـي حـسَبًا شِـكايتي دونَ شـكٍّ أنـت تُبرِيهـا
سفينةُ الوعدِ في بحرِ الرّجا وقَفَتْ [فامنُنْ بريح من الإنجـازِ تُجريهـا]

قال: وأنشَدَ لنفسِه في دُولابٍ ـ يعني ابنَ دادوش ـ [من المتقارب]:

وباكيـــــةٍ لم تُـــرَعْ للنَّـــوى ولا عَرفَـتْ رفَـراتِ [الهـوى]
تـــئنُّ أنينـــيَ يـــومَ اســـتقَلَّ رِكـابَ سُـلَيْمى بـذاتِ [اللِّـوى]
إذا أســبَلتْ دمعَهــا في الــصَّعيـ ــدِ أينَـعَ كـلّ قـضيبٍ [ذَوَى]

وُلد بفاسَ في ذي قَعْدةِ تسعٍ وستّينَ وخمسِ مئة، وتوفِّي بسَبْتَة [صَدْرَ تسع وثلاثينَ] وست مئة.

١٠٧ ـ محمدُ بن عبد الله بن مالكٍ الكَلْبيُّ، أبو عبد الله، زبريج[1].

رَوى عن [أبي....][2] ابن الجائزةِ الإشبيليِّ، وأبي عبد الله ابن الرَّمّامة، وأبي العبّاس بن عليّ [الزَّرْهُونيِّ][3] الزِّياديِّ الـمِكْناسيِّ مكناسةَ الزّيتون، وأبي عثمانَ سَعِيد بن خَليفةَ.

رَوى عنه يوسُفُ البَهْرانيُّ[4]. وكان فقيهًا عارفًا حافظًا للمسائل بَصيرًا بالفَتْوى في النّوازل. استُقضيَ وقتًا. وله مصنَّفٌ في الصّلاة حَسَنٌ تلقّاه الناسُ بالقَبولِ وحمَلُوهُ عنه ونفعَ اللهُ به خلقًا كثيرًا.

١٠٨ ـ محمدُ بن عبد الله بن مُبشّرِ بن عبد الله بن يونُسَ بن عِمْرانَ القِيْسيُّ، مِكْناسيٌّ مكناسةَ الزّيتون، أبو عبد الله.

---

(١) هكذا في الأصل، وضبّب عليها الناسخ.

(٢) ممحو في الأصل، ووقفنا على ترجمة أبي زكريا يحيى ابن الجائزة الشريشي (تحفة القادم: ٣٥).

(٣) ممحو في الأصل وأكملناها من ترجمته في التكملة (٣٢٠)، وهو أحمد بن علي.

(٤) ذكره المؤلف في السفر الأول في ترجمة أحمد بن مسعود (٨٢٨) وقال: «روى عنه يوسف بن أحمد البهراني».

وهو قريبُ الزاهدِ أبي عِمرانَ المارْتُليِّ[1]. كان كاتبًا مُجيدًا شاعرًا مُحسِنًا بارعَ الخَطِّ، حيًّا بعدَ العشرينَ وست مئة.

١٠٩ـ محمدُ[2] بن عبد الله بن مصالةَ الفازَازيُّ ثم الرِّكْلاويُّ، مِكْناسيٌّ مكناسةَ الزّيتون، استَوطنَ بأخَرةٍ فاسَ، أبو عبد الله، ابنُ عبو.

رَوى عن أبي بكرٍ ابن العَرَبيّ[3]، وأبي الفَضْل عِياض[4].

رَوى عنه أبو عبد الله بنُ عليّ بن هشام شيخُنا، وأبو العبّاس ابنُ فَرتُون[5].

وكان شيخًا فاضلًا مُعتنيًا بتفسيرِ القرآن العظيم مشهورًا بمعرفتِه، درَّس زمانًا طويلًا وعُمِّر كثيرًا وعَلَتْ روايته، فكان من آخِر السامعينَ على شيخَيْهِ المذكورَيْن[6].

١١٠ـ محمدُ بن عبد الله بن يَلُوسْفَان ـ بياءٍ مَسْفول مفتوح ولام وواوِ مَدّ وسينٍ غُفْل ساكن وكافٍ[1] وألفٍ ونون ـ ابن عبد الرّحمن بن عُمرَ بن سَنْتَل

---

(١) ترجمته في التكملة (١٧٨٣)، وتحفة القادم (٥٨)، والمغرب ١/ ٤٠٦-٤٠٧، والغصون اليانعة ١٣٦-١٣٨، وصلة الصلة ٣/ الترجمة ٥٠، وتاريخ الإسلام ١٣/ ٨٠٥ وغيرها. وانظر أيضًا برنامج الرعيني (الفهرس) ونفح الطيب (الفهرس).

(٢) له ترجمة في صلة الصلة ٣/ الترجمة ١٦ وبغية الوعاة ١/ ١٤٧ نقلًا عن النضار لأبي حيان. قال أبو حيان في توجيه اسم عبو: «وهم (أي المغاربة) يسمون عبد الله: عبو، ومحمدًا: حمو» قلنا: تحرف الاسمان في طبعة البغية إلى عبود وحمود، والوجه ما ذكرناه. هذا والمترجم ممن يستدرك على مؤلف جذوة الاقتباس.

(٣) في صلة الصلة أنه روى عنه بإشبيلية الموطأ والصحيحين وغير ذلك.

(٤) في صلة الصلة أنه سمع عليه كتاب «الشفا» وغير ذلك.

(٥) في بغية الوعاة: «روى عن أبي إسحاق الكمال وأبي جعفر ابن فرتون الحافظين» وهذا وهم ولا يتفق مع ما ذكره المؤلف، ويبدو أن سوء النقل أو سرعته هما السبب في تحريف عبارة: «روى عنه» إلى «روى عن». كما تحرفت الكماد إلى الكمال. ويؤكده قول ابن الزبير: «وذكره الشيخ في الذيل وروى عنه هو وأبو إسحاق ابن الكماد الحافظ وغيرهما».

(٦) لم يذكر المؤلف تاريخ ميلاده ولا وفاته، وقال ابن الزبير: كتب لبعض من أخذنا عنه بتاريخ سنة إحدى عشرة وست مئة.

ـ بسين غُفْل مفتوح ونونٍ ساكن وتاءٍ مَعْلوّ مفتوح ولام ـ ابن يَزِيدَ الزَّنَاتيُّ ثم اليَفْرَنيّ، نزيلُ دكالةَ، عبدُ ابنِ أبي عامر[2].

كذا نقلتُ اسمَه ونَسَبَه وتوليه من خطِّه. رَوى عن إبراهيمَ بن طلحةَ ابن العَطّار، وأبي القاسم بن غالبٍ الشَّرّاط.

١١١ـ محمدُ[3] بن عبد الله، صِقِلّي، أبو عبد الله.

رَوى عن أبي الـحَسَن عليِّ بن أبي بكرٍ الرَّبَعيِّ اللَّخْميِّ الفقيه[4].

قَدِمَ الأندَلُسَ فسُلبَ في الطريق إلى غرناطةَ ودخَلَها سَليبًا، واستقَرَّ فيها يُروِّي الناسَ إلى أن [توفِّي سنةَ ثمانِ عشْرةَ] وخمسِ مئة.

١١٢ـ محمدُ بن عبد الرّحمن بن موسى، [أبو عبد الله، ابنُ الحاجّ].

رَوى عن أبي إسحاقَ بن قُرقُول، وأبي بكرٍ عبد الرحيم.

١١٣ـ محمدُ بن عبد الرّحمن بن يحيى بن أحمدَ ابن الحاجِّ عبد الله [بن محمد بن عبد الله][5] بن محمد الـمَغِيليُّ، فاسيٌّ؛ أبو عبد الرّحمن الـمَغِيليُّ[6].

---

(١) كذا بالأصل مع أنه رسم بالفاء في الكلمة.

(٢) لم نقف عليه في مكان آخر، وابن أبي عامر المذكور لعله المنصور المشهور.

(٣) له ترجمة في الصلة (١٣٢٨)، وبرنامج ابن عطية: ١١٠.

(٤) هو الفقيه المالكي المشهور مؤلف التبصرة وهي تعليق كبير على المدونة. انظر ترجمته في الديباج ٢/ ١٠٤.

(٥) محو في الأصل، والتكملة من ترجمة جد المترجم يحيى في جذوة الاقتباس رقم ٦١٩.

(٦) لم نقف على ترجمته عند غير المؤلف، وفي الأنيس لابن أبي زرع خبر مطول عن ظروف مقتله بسبب ولائه للموحدين وتآمره مع أشياخ فاس على خلع الأمير أبي بكر بن عبد الحق المريني ومحاولة الرجوع إلى حكم المرتضى الموحد (انظر الأنيس المطرب: ٢٩٤-٢٩٥)، والمترجم من بيت بني المغيلي بفاس وهو بيت علم وثروة وتولى بعض أعلامه القضاء والكتابة في دولتي الموحدين والمرينيين، ومن هؤلاء يحيى جد المترجم المتوفى سنة ٥٧٤ وحفيده المترجم هنا، وأبو غالب محمد ابن القاضي أبي عبد الرحمن ـ حفيد صاحب الترجمة (جذوة الاقتباس رقم ٢٠٧، وانظر بيوتات فاس: ٢١).

رَوى عن أبي [البقاءِ يَعِيش بن] القَديم، وأبي[1] عبد الله بن أحمدَ بن البُيوت[2] وأبي الـحَسَن بن خَرُوف [الدريدنُه]، وأبي ذَرٍّ بن أبي رُكَب ـ وأكثَرَ عنه ـ وغيرِهم، وتَفقّه على أبي يحيى بن [المواق؟].

دخَلَ الأندَلُسَ مرتَيْن، إحداهُما: في بيعةِ المأمون من بني عبد المؤمن. [وكان] فقيهًا حافظًا وَجيهًا ببلدِه مكبَّرًا عند أهلِه حظِيًّا عند الأمراءِ والسّلاطين. استُقضِيَ بفاسَ وحُـمِدت أحوالُه وشُكِرتْ سِيَرُه.

وقُتلَ بفاسَ في رجبِ ثمانٍ وأربعينَ وست مئة.

١١٤ ـ محمدُ[3] بن عبد الرّحمن القَيْسيُّ، قَيْرَوانيٌّ، نزيلُ سَبْتَةَ ثم يابِسةَ؛ أبو عبد الله، ابنُ الشّواذكي.

رَوى عن أبوَي الـحَسَن: ابن عبد الجليل بن محمد، والـحُضْريِّ؛ وأبي الـحُسَين سُليمانَ بن محمد بن الطّراوة، وأبي داودَ بن يحيى، وأبي عبد الله بن لُبّ الدَّرُوقيّ، وأبي العبّاس بن محمد المالَقيِّ، وأبي الفَضْل عِيَاضٍ وغيرِهم.

رَوى عنه أبو عبد الله بن أحمدَ العَزَفيُّ ـ وهو ابنُ ابنِ أُختِه ـ وكان مُقرِئًا مجوِّدًا مُعتنيًا بالعلم صالحًا خطيبًا فاضلًا.

كتَبَ الكثيرَ على رداءةِ خطِّه، وعُرِف بالخيرِ ومتانةِ الدِّين، وتوفِّي بسَبْتَةَ.

١١٥ ـ محمدُ بن عبد الرّحمن اللَّمَطيُّ، ابنُ تازليت.

رَوى عن شُرَيْح.

---

(١) في الأصل: «وآباء»، وهو تحريف.

(٢) في الأصل: «الفتوت»، وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد الطليطلي، هاجر من بلده بعد ضياعه، وسكن فاس، وكان من جلة المقرئين. انظر ترجمته في السفر الخامس من هذا الكتاب (الترجمة ١٢٧٩)، وفيها: ابن بر البيوت، ولكنها ترد عند المؤلف في بعض التراجم: ابن البيوت.

(٣) لم يترجم له ابن الأبار في التكملة، ولا ابن الزبير، ولكن ذكره ابن الأبار في ترجمة أبي العباس أحمد بن محمد الغافقي المالقي من التكملة، فقال: «وأخذ عنه أبو عبد الله المعروف بابن الشواذكي» (الترجمة ١٥٤).

١١٦ـ محمدُ[1] بن أبي زَيْدٍ عبد الرّحيم[2] بن محمد بن أبي العَيْش الأنصاريُّ الـخَزْرَجيُّ؛ تلمسينيٌّ أندَلُسيُّ الأصل، أبو العَيْش.

رَوى ببلدِه عن أبي بكرٍ محمد بن يوسُف بن مُفرِّج بن سَعادةَ، وأبوَيْ عبد الله: ابن عبد الرّحمن التُّجِيبيِّ وابن عبد الحقِّ، ورَوى أيضًا عن أبي محمد بن حَوْطِ الله.

حدّثنا عنه أبوا محمد: ابنُ أبي خرص الواعِظ، ومَوْلى سَعِيد بن حَكَم[3]. وكان أديبًا بارعَ الكتابة، شاعرًا مُجيدًا، رائقَ الـخَطّ، ذا مشاركةٍ في فنونٍ من العلم.

دَخَلَ الأندَلُسَ وكتَبَ عن بعض الوُلاةِ بها ثم تَخَلَّى عن ذلك ولزِمَ الانقباضَ، وآثَرَ الـخَلْوةَ والعُزْلةَ عن الناس، ونَبَذَ علائقَه منهم. وله في طريقةِ الزُّهد وسُبُل الـخَيْر والوعظِ والتذكير وتنزيهِ الباري سبحانَه وما جَرَى مجرى ذلك منظوماتٌ بديعة، وقَفْتُ على كثيرٍ منها بخطِّه الأنيق، ومنها: «الحقائقُ الـمَصُونة في الألفاظِ الموزونة في ذكْرِ أسماءِ الله الـحُسنى وصِفاتِه واقتباسِ أنوارِها من مخلوقاتِه الباهرةِ ومَصنوعاتِه». نَظَمَ في [كلِّ قطعةٍ اسمًا من الأسماءِ الـحُسنى] أجادَ فيها وبَلَغَ الغايةَ؛ منها في ذكْرِ [اسم الله سبحانَه] [من الكامل]:

اللهَ قُلْ ودعِ الوجودَ وما حَوَى ... إن كنتَ [مُرتادًا بلوغَ كمالِ]

فالكلُّ دونَ الله إن حقَّقْتَهُ ... عَدَمٌ على التفصيلِ [والإجمالِ]

واعلَمْ بأنك والعوالم[4] كلَّها ... لولاهُ في مَحْوٍ وفي اضمحلالِ

---

(١) ترجمه ابن الزبير في صلة الصلة ٣/ الترجمة ٢٨، ووردت إشارة في البستان لابن مريم، ص١٥٩ إلى محمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي الخطيب بتلمسان.

(٢) في الأصل: «عبد الرحمن» وهو تحريف من الناسخ لأنه يرد عند المؤلف كما أثبتنا في مواضع أخرى، ولعبد الرحيم بن محمد بن أبي العيش والد المترجم هنا ترجمة في التكملة (رقم ٢٣٨١) ومعجم أصحاب الصدفي (رقم ٢٢٤)، وصلة الصلة ٣/ الترجمة ٣٧٩، وتاريخ الإسلام ١٢/ ٤٥٠.

(٣) في الأصل: «حكيم»، محرف.

(٤) في الأصل: «والعوامل»، وما أثبتناه هو الصواب.

فالعـارفونَ فنُـوا ولـمّا يـشهَدوا ... شـيئًا سـوى الـمُتكبِّرِ الـمُتَعالي

ورأَوْا سِـواه عـلى الحقيقـةِ هالكًـا ... في الحـالِ والمـاضي و[الاستقبالِ]

مَـن لا وجـودَ لِذاتِـه مـن ذاتِـهِ ... فوجـودُه لـولاه عـينُ مُـحالِ

فالـمَحْ بطَرْفِك أو بعقلِكَ هل ترى ... شـيئًا سـوى فعـلٍ مـن الأفعـالِ

وانظُـرْ إلى أعـلى الوجـودِ وسُـفلِهِ ... نظـرًا تؤيِّـدُه بالاسـتدلالِ

تجِـدِ الجميـعَ يـشيرُ نحـوَ جلالِـهِ ... بلسانِ حـالٍ أو لـسانِ مقـالِ

هو مُـمسكُ الأشـياءِ مـن عُلـوٍ إلى ... سُـفلٍ ومُبـدعُها بغـيرِ مثـالِ

وَجَـبَ الوجـودُ لذاتِـه وصـفاتِهِ ... فـردًا عـن الأكفـاءِ والأمثـالِ

فاسـكُنْ إليـه بهمّـةٍ عُلويّـةٍ ... متنزِّهًـا عـمّا سـوى الفَعّـالِ

يبقَـى وكـلٌّ يـضمحِلُّ وُجـودُهُ ... مـا واجـبٌ كمقيَّـدٍ بـزوالِ

وهو الذي يُرجَى ويُخشى، لا تَلُـذْ ... بـسِواهُ في حـالٍ مـن الأحـوالِ

فالـشرعُ جـاء بـذا وأنـوارُ الهـدى ... قـد أيّدتْـه فعِـشْ خـليَّ البـالِ[1]

---

(١) لم نقف على هذه القصيدة في موضع آخر، ووردت الأبيات الستة الأولى منها في رسائل الشيخ محمد العربي الدرقاوي ٦٤، ٩١ (ط. حجرية) وهي مما يردده المنشدون، وفي نفح الطيب ٥/ ٢٦٠ أن أبا مدين كان كثيرًا ما ينشد هذا البيت:

الله قل، وذر الوجود وما حوى ... إن كنت مرتادًا بصدق مراد

وأبو مدين متقدم الطبقة على أبي العيش المترجم هنا، وللفقيه الرغاي الرباطي (ت ١٣١٥هـ) تخميس عليها أوله:

يا غافلًا سمع النداء فما ارعوى ... وبرأسه عرش المشيب قد استوى

ومؤملًا والعمر منه قد انطوى ... الله قل وذر الوجود وما حوى

إن كنت مرتادًا بلوغ كمال

انظر أعلام الرباط وسلا للمرحوم الجراري ٢/ ٨٥-٨٦.

وأتبَعَ هذه القطعةَ قطعًا ضمَّن كلَّ قطعةٍ منها اسمًا أو اسمَيْنِ من أسماءِ الله الـحُسنى إلى تمامِها ناحيًا منحى أبي الـحَسَن بن أحمد بن محمد بن عُمرَ الوادي آشيِّ المتقدِّم الذِّكْر [في] إنشاءاته التي أودَعَها: «الوسيلةَ لإصابةِ المعنى، في إحصاءِ أسماءِ الله الـحُسنى»[1]. ولأبي العَيْش في وَصْف حالِه وانقطاعِه إلى الله تعالى وإيثارِه العُزْلةَ، ونقَلتُه من خطِّه [من الوافر]:

قَنِعتُ بما رُزِقتُ فلستُ أسعى ... لـدار أبي فلانٍ أو فلانِ

وآثرتُ المقامَ بكسرِ بيتي ... ولا أحدٌ نراه ولا يَراني

ولا ألقَى خليلًا غيرَ حَبْرٍ ... مُعِينٍ في المعارفِ أو مُعانِ

وقد أيقنْتُ أنّ الرّزقَ آتٍ ... وإن لم آتِهِ سعيًا أتاني

وقد حَققتُهُ فهمًا وعِلْمًا ... وقد شاهدتُه رأيَ العِيانِ

فلازمْ ذا بإخلاصٍ تُمَكَّنْ ... هنا وهناك من أسنى مكانِ

[وكان يُنشئُ للوا]عظِ أبي محمد بن أبي خرص[2] رحمَه الله أشعارًا، يفتتحُ بها [مجالسَه أو يُنشِدُها] أثناءها تدُلُّ على صِدقِه وتشهَدُ بإجادتِه.

١١٧ـ محمدُ[3] بن [عبد الـجبّار بن أبي بكر بن] محمد بن أبي العَرَب حَـمْدِيس الأزْديُّ، سَرقوسيٌّ.

---

(١) راجع ترجمة المذكور في السفر الخامس (الترجمة ٣٤٧) وفيه قطعة مختارة من كتاب «الوسيلة» المذكور. وكذلك التكملة (٢٨٠٣).

(٢) يُعد المؤلف في أصحابه وشيوخه، وقد يكون ترجم له في القسم المفقود من الغرباء، وقد ذكره في السفر السادس (الترجمة ١٢١٨)، قال وهو يعدد مؤلفات ابن عسكر المالقي: «ومنها: الجزء المختصر في السلو عن ذهاب البصر، ألفه لصاحبنا أبي محمد بن أبي خرص الضرير الواعظ رحمه الله...».

(٣) ولد الشاعر المشهور ابن حمديس وفي ديوانه قصيدة يرثي فيها زوجته التي كانت أم ولديه: أبي بكر، وعمر وقد صنعها الشاعر على لسان عمر يعزي أخاه أبا بكر (ق ٢٩٧) وفي قصيدة أخرى (١٣٩) يشير إلى ولد له صغير تركه في سفاقس (راجع الديوان، تحقيق د. إحسان عباس) أما محمد هذا فهو في الخريدة ق٤ ٢/ ٨٥ ونقل العماد عن ابن بشرون قوله أنه أشعر من والده عبد الجبار وأورد له قصيدة بائية.

رَوى عن أبيه [أبي محمد، وكان أديبًا] حَسَنَ الوِراقة في الطريقة الـمَشْرِقيّة.

١١٨ـ محمدُ[١] بن عبد الحقِّ [بن إبراهيمَ] بن عبد الله بن وَهْب الصُّنهاجيُّ، أبو عبد الله.

رَوى عن أبيه، وأجاز له أبو عبد الله محمدُ بن هشام بن أبي جَـمْرةَ، وأبو الوليد بن رُشْدٍ الكبير.

١١٩ـ محمدُ[٢] بن عبد الحقِّ بن سُليمانَ اليَعْمُريُّ، ويقال: البطوئيُّ، تِلِمْسينيُّ، نَدْروميُّ الأصل، أبو عبد الله، ابنُ سُليمان، والنّدروميُّ.

رَوى ببلدِه عن أبوَيْ محمد: أبيه، وتفقَّه به، وعِمرانَ التَّليديِّ؛ وأبوَيْ بكرٍ: ابن عُصفُور واللَّقَنْتيِّ؛ وأبوَي الـحَسَن: جابر بن محمد وابن أبي قَنُّون، وأبي عليّ حَسَن ابن الـخَرّاز. وصَحِبَ الزاهدَيْنِ الفاضلَيْنِ: أبا عبد الله بنَ محيو الـهَوّاريَّ، وأبا مَدْيَن شُعَيْبَ بن الـحَسَن الأندَلُسي.

وبفاسَ عن أبي الـحَسَن بن حُنَيْن، وأبي عبد الله ابن الرَّمّامة، وأبي محمد قاسم ابن الزّقاق، ولقِيَ بها أبا الـحُسَين اللَّوَاتيَّ وأجاز له.

وبـمَرّاكُش عن أبي الـجَيْش مُجاهد، وأبوَيْ عبد الله: ابن خليل وابن الفَخّار، وأبوي القاسم: ابن حُبَيْش والسُّهَيْليّ.

وبها وبإشبيلِيَةَ عن أبي بكر بن الـجَدّ، وأبي جعفرِ بن مَضَاء، وأبي الـحَسَن نَـجَبةَ، ولقِيَ بها أبا عِمرانَ الزاهد.

---

(١) تقدمت ترجمة مماثلة لمن اسمه عمر، ولا نعرف هل المترجم هنا أخوه أو هو نفسه، راجع رقم ٢٧.

(٢) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٤٥) وفيه: «اليفرني» بدل: اليعمري، وهو الصواب إن شاء الله، والرعيني في برنامجه (٩٢)، وابن الزبير في صلة الصلة ٣/ الترجمة (٢٠)، والغبريني في عنوان الدراية ٢٥٢، والذهبي في المستملح (٣٥٠) وتاريخ الإسلام ١٣/ ٨٠٢ وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦١، ويحيى بن خلدون في بغية الرواد ١/ ١١٢، وابن الجزري في غاية النهاية ٢/ ١٥٩، والمراكشي في الإعلام ٤/ ١٨٤.

وبَسْبْتَةَ عن أبي محمد بن عُبَيد الله، وصَحِبَ بها أبا الصَّبر أيّوب، ولقِيَ أبا الـحُسَين ابنَ الصّائغ، وأبا عبد الله بنَ حَـمِيد، وأبا محمدٍ عبدَ الـمُنعم ابن الفَرَس.

وأجاز له من أهل الأندَلُس: آباءُ بكر: ابنُ خَيْر وابن رزق وابن نُـمارة، وأبوا الـحَسَن: ابن هُذَيْل وابن النِّعمة، وأبو العبّاس الـخَرُّوبيّ، وأبو القاسم ابنُ بَشْكُوال.

ومن أهل المشرِق: أبو طالبٍ التَّنُوخيُّ، وآباءُ طاهر: السِّلَفيُّ وابنُ عَوْف وابن مَعْشَر(١)، وآباءُ عبد الله: الـحَضْرَميُّ والرَّحَبيُّ الـمِصريُّ والكِرْكنتيُّ، وأبو القاسم البُوصِيريُّ، وأبو يعقوبَ ابن الطُّفَيْل الدِّمشقيُّ. وقد ضمَّن ذكْرَهم وكيفيّةَ روايتِه عنهم برنامـجَهَ الذي سمّاه «الإقناع، في ترتيبِ السَّماع».

رَوى عنه أبو الـحَجّاج بنُ محمد بن عليّ الأسَديُّ، وأبو زكريّا بن أبي بكر بن عُصفُور، وأبوا عبد الله: ابنُ أبي بكرٍ البريّ، وابن عليّ بن حَـمّاد، وأبو العبّاس الـمَوْرُوريُّ، وأبو العَيْش محمدُ بن عبد الرحيم [الأنصاريُّ، وأبو موسى] بن يوسُف بن تامحجلت.

وحدَّث عنه بالإجازة شَيْخا[نا: أبو الـحَسَن الرُّعَيْنيُّ، وأبو عليّ] الماقَريُّ، وأبو عبد الرّحمن عبدُ الله بن القاسم بن زَغْبوشَ وغيرُهم.

وكان راويةً للحديث فقيهًا حافظًا متكلِّمًا متفنِّنًا في علوم جَمّة بارعَ [الكتابة حَسَنَ الـخَطّ] جَـمّاعةً للكُتُبِ الجليلة مُغاليًا في أثمانِها، احتَوتْ خِزانتُه [على ما لم يجتمعْ لأحدٍ] من أبناءِ جنسِه كثرةً ونَفاسة(٢)، وكتَبَ بخطِّه الكثير، وعُنيَ بتصحيح [كُتبه].

---

(١) كذا في الأصل، وفي برنامج الرعيني: وأبو الطاهر إسماعيل بن علي بن بشر النحوي، وفي بغية الوعاة ١/ ٤٥١: إسماعيل بن علي بن أبي مقشر النحوي أبو الطاهر.

(٢) قال ابن الزبير: «وكان عنده أعلاق نفيسة من أمهات الدواوين وأصول رفيعة».

وله مصنَّفاتٌ كثيرة أحفَلُها: «المختار، في الـجَمْع بين المنتقَى والاستذكار»[1] [وغيرُ] ذلك مـمّـا سمّاه في آخِرِ برنامَجِه، وقد رأيتُ إثباتَ أسمائها هنا؛ ليقِفَ عليها [المتشوِّفُ] إليها، قال هنالك:

«مَراتبُ تواليفي:

«الفَيْصَلُ الجازم، في فضيلةِ العِلم والعالِـم» في مراتبِ العلوم، جزء.

«بَرنامَجي»، وهو كمراتبِ التواليف، وسمّيتُه: «الإقناع في كيفيّة الإسماع»، جزء.

«لُبابُ الإعراب»، جزءٌ كبير، «فُرقانُ الفرقان وميزانُ القرآن» جزء، «عقيدةُ عِلْيةِ[2] الـخَلْق وزُبدةُ معرفةِ الحقّ، المضنونُ بها على غير أهلِ الصِّدق»، جزء، «غريبُ الشِّهاب»، جزء. «إكمال اللآلي على الأمالي»، سِفْران، «غريبُ الموطّإ وإعرابُه»، سِفر، وسمّيتُه: «الاقتضابَ»؛ لأني اقتضَبتُه من الكتابِ الكبير كتابِ «المختار الجامع بين المنتقَى والاستذكار»، بزياداتٍ من «التمهيد» وغيرِه تونِّقُ النفوسَ وتَرُوق الأبصار، في نحوِ العشرينَ سِفْرًا، يشتملُ على نحوِ الثلاثة آلاف ورقة. «مُختار المختار بين يدَيْ مختصَر كتابِ البخاريّ»، في سِفرٍ كبير، جزءٌ من شعري منتَخَل، «ميزانُ العمل» جزءٌ كبير، «إرشادُ المسترشِدِ وبُغيةُ الـمُريدِ الـمُستبِصرِ الـمُجتهد»، سِفرٌ صغير، «الإيماءُ إلى نجاةِ المريد» جزء، «النُّبذة الـمُسعِدة واللمحةُ الـمُصعِدة»، في الاعتبار، جزء. «النُّكَتُ المحرَّرة والفصُولُ المحبَّرة»، في حقيقةِ التنزيه ونَفْي التشبيه، جزء، «الأجوبةُ المحرَّرة على المسائلِ المغيَّرة»، جزء. «التّسَلّي عن الرَّزِيّة والتحَلّي بالرّضا بقضاءِ باري البرِيّة»، جزء. مجموعٌ شعريٌّ في

---

(١) جمع فيه بين المنتقى للباجي والاستذكار لابن عبد البر، ومنه أجزاء مخطوطة بخزانة القرويين، انظر وصفها في فهرس مخطوطات خزانة القرويين للمرحوم العابد الفاسي ١/ ١٧٧ وما بعدها، وفي السفر السادس (الترجمة ٥٩٧) ذكر المؤلف أن ابن زرقون جمع بين الكتابين المذكورين وسمى كتابه «الأنوار» جمع فيه بين منتقى الباجي واستذكار ابن عبد البر وتمم فيه ما رأى تتميمه واستدرك ما اقتضى نظره استدراكه، ونبه على مواضع يجب التنبيه عليها.

(٢) في الأصل: «غلبة»، ولعل الصواب ما أثبتنا.

المواعظ، جزء. «نَفْثَةُ ذي الضّراء ومَسْلاتُه برثاءِ الآباءِ الأبناء»، جزءٌ كبير. التذكِرة للنّوادرِ المتخيَّرة»، مضَى منه نحوُ ثلاثةِ أسفارٍ ولم يتمَّ، وهو بين يدَيّ. «حدودُ أنواع الـحُكْم الشَّرعي»، جزء. «مُستصفَى الـمُستصفَى»، ابتُدِئَ ولم يتمَّ. «فَصْلُ المقال في مناقلِ أحوالِ غزوةِ أهلِ الإلحادِ والضّلال»، إلى طُلَيْطُلة، كذا، جزءٌ[1]».

انتهت[2] مشتملةً على ما رأيتُ التنبيهَ عليه، وذلك جَـمْعُ التآليفِ على تواليف، وصوابُه: تآليف [....] همزةٌ وقبلَها واو، وتقديرُ كوامل هذه المصنَّفات [....] وقد تقدَّم ليَ التنبيهُ عليه، والثلاثةُ آلافٍ بإضافة ما فيه الألِفُ واللام إلى ما ليستا فيه، وهذا ممنوعٌ، وأُتبِـعُ هذه التسميةَ ما رأيتُ ذكْرَه من نَعْتِها أو [نحوِه]: قال:

«وكيفيّةُ ترتيبِها أنّ أوّلَ ما ينبغي أن يُلقَى إلى ما يعتني به في طلبِ العلم هو فَضْلُ العلم لينهضَ إلى طلبِه عن حرصٍ عليه ورغبةٍ فيه، ثم مَراتبُه [ليرتِّبَ العلومَ الكثيرة؟] في مراتبِها، فيَعلمَ الأعلى من الأدنى والكُلّيَّ من الـجُزْئيّ، والآلةَ [من الأصل] المقصود، واللاحقةَ من السابقة، فيَرى كلَّ علم منها في رُتبتِه فيقصِدَ إلى الأعلى منها فيجعَلَه وَكْدَه ويَنظُرَ في غيرِه نظرَ مشاركةٍ واستبصار؛ لئلّا يجهَلَه فيعاديَه وأهلَه، ثم يُلقَى إليه ما هو كالآلة من العلوم كعلم مَداركِ العقول وعلم اللّغة والإعراب، ثم يُلقَى إليه التفقُّهُ في الحديثِ الذي هو الأصل وعلمُ أسرار علوم الدِّين الذي هو كالثمرة، ثم يُتبَعُ بما هو كالتتمّة للعلوم وكالـمُبتدَع من جُملتِها مـمّا لا يختَصُّ بعلم منها؛ فلذلك رتَّبتُها هذا الترتيب، فبدأتُ بفَضْل العلم ومَراتبِه، وثنَّيتُ بالآلة منه، وثلّثْتُ بالأصل منه، وختمتُ بما هو كالـمُبتدَع من جُملتِه وكالتتمّةِ والتكميل منه، والحمدُ لله على هدايتِه»[3].

---

(١) ربما كان هذا الكتاب متعلقًا بغزوة المنصور طليطلة سنة ٥٩٢هـ وهي السنة المعروفة بسنة طليطلة (انظر البيان المغرب: ١٩٨-٢٠٠).

(٢) علق الرعيني على تسمية مؤلفاته فقال: «تواليف لها أسماء هائلة!»؟

(٣) تؤلف هذه الفقرة المفيدة حلقة تضاف إلى الحلقات المعروفة في مراتب العلوم عند ابن حزم وابن العربي وابن خلدون وابن الخطيب وغيرهم من الأندلسيين والمغاربة (وانظر في ترتيب العلوم، السفر الأول، الترجمة ١٤٨).

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: نقلتُ ما تقَدَّم من تسمية هذه المصنَّفات وما أُتْبِعَ ذكْرَها به من آخِرِ نُسخة من «الإقناع» وعلى ظهرِها خطُّه مؤرَّخًا برجبٍ ست مئة.

وكان حَسَنَ الخَلْق والخُلُق، بهيجَ المنظر، رائقَ الملبَس، مُوسِرًا، مؤثرًا نَفَّاعًا بجاهِه ومالِه، مِطعامًا، وجيهًا ببلدِه وسواه، خطيبًا[1] عندَ الوُلاة والأمراءِ والسّلاطين، تَعْروهُ أحيانًا غفلة. واستُقضيَ ببلده مرّتيْنِ فحُمِدت سِيرتُه وعُرِف بالعدل والإنصافِ والجزالة.

أنشَدتُ على شيخِنا أبي الحَسَن الرُّعَيْنيِّ رحمه الله، ونقَلتُه من خطِّه، لأبي عبد الله بن عبد الحقِّ هذا في عدِّ أحاديثِ البخاريِّ مما أذِنَ له فيه [من الطويل]:

جميعُ أحاديثِ الصَّحيح الذي رَوى الـ ... ـبُخاريُّ خمسةٌ وسبعونَ في العدِّ

وسبعةُ آلافٍ تضافُ وما مضَى ... إلى مئتينِ عَدَّ ذاك أُولو الجدِّ

مولدُه سنةَ ستٍّ أو سبع وثلاثينَ وخمسِ مئة. وتوفِّي بتِلِمْسينَ خمسٍ وعشرينَ وست مئة ابنَ تسع أو ثمانٍ وثمانينَ سنة.

١٢٠ـ محمدُ[2] بن عبد المُنعم بن مَنِّ الله بن أبي بَحْر الهَوّاريُّ، قَيْرَوانيُّ الأصل، سَكَنَ الأندَلُسَ زمانًا، [ثم انتقل إلى فاسَ، أبو] بكر، ابنُ الكَمّاد.

رَوى عن أبيه أبي الطّيِّب[3]، وأبي عبد الله [ابن سَعْدون القَرَويِّ].

رَوى عنه أبو الحُسَين يحيى بن عبد الباري الخُراسانيُّ المَهْدَويُّ نَزيلُ [فاسَ وأبو....] بن يوسُف ابن البَلْخيّ؛ وحدَّث عنه أبو القاسم عبدُ الرحيم بن [عيسى ابن المَلْجوم بكتابِ «علوم] الحديث» لأبي عبد الله الحاكم، وبجوابِ أبي محمد بن أبي زَيْد في [النّهي عن الجِدال في الدِّينِ مُناولةً منه وإجازةً ـ وكانا في مجلّد ـ لخمسٍ بقِينَ من ربيعٍ الآخِر [سنة سبع وعشرينَ] وخمس مئة.

---

(١) يجوز أن تكون: «حظيًا».

(٢) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٢٢)، وابن الزبير في صلة الصلة ٣/ الترجمة ٨.

(٣) ترجمته في الصلة البشكوالية (٨٣٨)، وتوفي سنة ٤٩٣هـ.

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: ذكَرَ ابنُ الأبّار [ترجمتَه] في الغُربَاء، وأمرُه عندي مُشكِلٌ؛ لأنّ أباه كان من جاليةِ القَيْروان الخارجينَ منها عندَ خَرابِها سنة تسع وأربعينَ وأربع مئة، وأُراه دَخَلَ الأندَلُسَ ذلك الوقتَ أو قريبًا منه، وقد سَمِع أبو بكرٍ هذا من أبي عبد الله بن سَعْدون بَبلَنْسِيَةَ في شوّال وذي قَعْدةٍ من عام ستٍّ وسبعينَ وأربع مئة، فلاحتمالِ أن يكونَ أبو بكرٍ هذا قد وُلد بالأندَلس فيُعدّ لذلك من أهلِها أشكَلَ أمرُه عندي، واللهُ يُطلِعُ على الجلاءِ فيه، وجعَلَه ابنُ الأبّار فاسيًّا، ووقَعَ عندَه اسمُ جَدِّه: مِنَ الله، مضبوطًا مجوَّدًا: مِنَ الله، هكذا على صيغة «مِن» حرف الجر[1]، والصّواب في ضبطِه ما ذكَرْتُه، وهو بفَتْح الميم وتشديد النُّون كما يُسمَّى بفَضْل الله ورِزْق الله وشِبهِهما، وكذلك وقَعَ عندَ أبي القاسم ابن الـمَلْجوم، وقَفْتُ عليه كذلك في نُسختَيْنِ من بَرنامجِه وفي نُسخة من بَرنامَج أبي موسى ابن الـمَلْجوم فاعلَمْه. واللهُ الموفِّق.

١٢١ـ محمدُ[2] بن عبد الوهّاب بن عبد الكافي بن عبد الوهّاب الأنصاريُّ، دِمَشْقيٌّ، أبو بكرٍ وأبو سَعْدٍ وأبو عبد الله، ابنُ الـحَنْبليّ.

رَوى عن أبي الفَرَج ابن الـجَوْزيّ، رَوى عنه أبو جعفر ابنُ الزُّبَير وأبو عبد الله بن أبي بكرٍ ابن رَشِيدٍ البغداديُّ الواعظ، وصاحبُنا أبو القاسم هبةُ الله

---

(١) هكذا قال، والذي في نسخة ابن الـجَلّاب: «مَنّ الله» كما قيده المؤلف، فالله أعلم.

(٢) ترجمه عز الدين الحسيني في وفيات سنة ٦٥٦ من صلة التكملة، فقال: «وفي الثاني عشر من ذي الحجة توفي الشيخ أبو المعالي وأبو اليُمن سعد، ويسمى محمدًا أيضًا، ابن عبد الوهاب بن عبد الكافي بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد بن علي بن أحمد الأنصاري الشيرازي الأصل الدمشقي المولد الحنبلي الواعظ الأطروش، ببلبيس، ودفن بها. ومولده بدمشق في صفر سنة ثمان وسبعين وخمس مئة» (١/ ٤٠٤-٤٠٥)، وترجمه ابن الزبير في صلة الصلة ٣/ الترجمة ٢٦ حيث التقى به بمرسية سنة ٦٥١هـ ثم بغرناطة حيث استدعاه إلى منزله وسأله عن شيوخه فذكرهم له، والذهبي في تاريخ الإسلام ١٤/ ٨١٦، وابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٦٧، ولم يضبط ابن الزبير ولا ابن عبد الملك وفاته لبعد الشقة، وقيدها عز الدين الحسيني كما تقدم، وشطح قلم الناسخ أو ابن الزبير فذكر أنه كان شافعي المذهب.

ابن محمد بن أبي بكر بن سَعِيد بن عبد الغَفُور الأوْسيُّ، ولقِيتُه وجالَسْتُه كثيرًا، وسمعتُ وعظَه، وكان لا يكادُ يُفقَهُ ما يقولُ؛ لإفراط عُجمةٍ كانت في لسانِه، فلا يفهَمُه إلّا من ألِفَه، وكان أصمَّ لا يكادُ يسمَعُ شيئًا[1]، فقيهًا حَنْبليَّ المذهب، آيةً من آياتِ الله في كثرةِ الـحِفظ وحضورِ الذِّكْر وحَشْد الأقوال فيما يَجري بمجلسِه الوَعْظيِّ[2] أو يُحاضرُ به في غيرِه، سريعَ الإنشاء ناظمًا ناثرًا، مع الإحسانِ في الطريقتَيْن، جيِّدَ الـخَطّ والكَتْب على كَبْرتِه.

وَرَدَ مَرّاكُش في وَسَط اثنتينِ وخمسينَ وست مئة. [وكان وقتَئذٍ ابنَ] ثمانينَ عامًا، ولم يكنْ في رأسِه ولحيتِه من الشَّيبِ إلّا [شُعَيْراتٌ تدركُ بالعَدّ] والـحَصْر.

وأخبَرَني أنه عَرَضَ وهو ابنُ عشرينَ عامًا على أبي الفَرَج ابن الـجَوْزيّ كتابَه «المنتخَب» عن ظهرِ قلبٍ ببغداد.

وفَصَلَ عن مَرّاكُش ذلك العامَ [عائدًا إلى المشرق] واجتازَ بسَبْتةَ وقد كان دَخَلَها أولَ ذلك العام وأجازَ منها البحرَ إلى الأندَلُس مُطوِّفًا على البلاد يَعقِدُ فيها مجالسَ الوعظ.

---

(١) قال ابن الزبير: «وكان أصم شديد الصمم لا يكاد يسمع شيئًا البتة، إنما كنت أخاطبه بالكَتْب فيجيبني إلا في قليل فقد يفهم بالعين والإشارة».

(٢) وصف ابن الزبير مجلسه الوعظي فقال: «نبيل المنزع في وعظه، يفتتح مجالسه بالتفسير بعد الخطب، ويوسط بذكر شيء من أخبار الصالحين، وبعض فصول من كلام ابن الجوزي، ويختم بفصل من السير، هكذا أبدًا لا يخرج عن عادته فيه، مع إحراز التناسب والالتئام في الأغراض الثلاثة، وتفسيره في مجالسه على التوالي يبدأ اليوم من حيث انتهى أمس، ولا يغيب يومًا إلا لعارض، وكلامه في ذلك كله منتقى مستوفى يشهد بحسن اختياره وتقدمه في فنه ولم يكن عنده كتاب يستعين به على كل ما كان بسبيله فيما اطلعت عليه من حاله، سوى خطب من كلام شيخه أبي الفرج ابن الجوزي في سفر بخطه، مع تأليف له سماه: مصباح الواعظ، ذكر فيه من وعظ من الصدر الأول، وما ينبغي للواعظ ويلزمه إلى ما يلائم هذا مختصرًا جدًا، وقفت على هذا التفسير بجملته باستعارته منه». ثم أشار بعد هذا إلى «حرص كان فيه في باب التكسب بتحرفه الوعظي نفر عنه بعض أصحابنا».

وُلد بدِمشقَ في حدودِ [ثمانٍ وسبعينَ وخمس مئة]، وتوفِّي ببلبيسَ، من مِصرَ، سنة سبع وخمسينَ وست مئة[1].

١٢٢ـ محمدُ[2] بن عثمانَ بن سَعِيد بن بقيميس ـ بباءٍ مَسْفول وقافٍ معقود وياءِ مَدّ وميم وياءِ مَدّ وسينٍ غُفْل ـ فاسيٌّ، أبو عبد الله.

أخَذ ببِجَايةَ عن أبي محمدٍ عبد الحقّ ابن الـخَرّاط. رَوى عنه أبوا العبّاس: ابن الرُّوميّة وابنُ الـمُزَيّن. وكان فقيهًا حافظًا عالـمًا بأصولِ الفقه مشرِفًا على مسائلِ الخلاف. توفِّي سنةَ ثمانٍ وست مئة.

١٢٣ـ محمدُ[3] بنِ عليّ بن أبي بكر بن عيسى بن حَـمّاد، ابنُ حماد الصُّنْهاجيُّ القَلْعيُّ، قلعةَ بني حَـمّاد، حَـمْزيُّ الأصل، استَوطَنَ مَرّاكُش بأخَرةٍ، أبو عبد الله، ابن كلانونَ وابنُ حمادو.

تعلَّمَ القرآنَ العظيم عندَ القاسم بن النُّعمان بن الناصِر بن عَلا الناس[4] ابن حمّادٍ الصُّنْهاجيّ، وكان يتعيَّشُ بعدَ انقراضِ دولتِهم بتعليم كتابِ الله جَلّ جلالُه.

ورَوى عن أبي جعفر بن محمد بن عَيّاش بمُرْسِيَةَ، وآباءِ الـحَسَن: ابن شُكر بن عُمرَ وابنَي المحمّدَيْن: ابن عبد المَلِك ابن القَطّان وابن عثمانَ التَّميميِّ القَلْعيِّ الـمُعمَّر، وأبي الـحُسَين ابن زَرْقونَ بإشبيلِيَةَ، وأبي ذَرّ ابن أبي رُكَب، وآباءِ عبد الله: ابن أبي بكر بن عبد الله الـحَمْزيّ وابن عبد الله بن محمد الـمَعافِريِّ ابن الـخَرّاط، وابن عبد الحقِّ التِّلِمْسَانيّ، وابن عليّ ابن مَـخْلوفٍ بالجزائر،

---

(١) ذكرنا أنه لم يضبط وفاته، فالصواب في وفاته: الثاني عشر من ذي حجة سنة ٦٥٦هـ.

(٢) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٣٧)، والذهبي في المستملح (٣٤٢) وتاريخ الإسلام ١٣/ ١٩٨.

(٣) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٤٦)، وفي تحفة القادم (المقتضب منه ١٣٥)، وابن الزبير في صلة الصلة ٣/ الترجمة ٢٢، والغبريني في عنوان الدراية ٢٥٢، والذهبي في المستملح (٣٥١) وتاريخ الإسلام ١٣/ ٨٠٢ وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢١١، ويحيى بن خلدون في بغية الرواد ١/ ١١٢، وابن الجزري في غاية النهاية ٢/ ١٥٩، والمراكشي في الإعلام ٤/ ١٨٤.

(٤) وتكتب: «عَلَنّاس» أيضًا.

وأبي العبّاس بن مبشّر بن سُرور مَوْلى الحمّاديِّينَ، وأبوَيْ محمد: عبدِ الحقّ ابن الـخَرّاط بِبجَايةَ وغَلْبون بمُرْسِيَة.

رَوى عنه أبو بكرٍ محمدُ بن غَلْبون، وأبو الـحُسَين بن عبد الله بن عبد الرّحمن السِّجِلْماسيُّ مُستوطِنُ أَزْمُور، وأبو عبد الله بنُ عليّ بن هشام شيخُنا، وأبو العبّاس ابن فَرتُون، وأبوا محمد: ابن عبد الرّحمن ابن بُرطُلّه، وابن موسى الرُّكَيْبيُّ.

وكان أديبًا، بارعَ النّظم والنّثر، نَزِهَ النَّفْس، حَسَنَ الـخُلُق، ذا حظّ صَالح من الفقه وأصُولِه، متحقِّقًا بالنّحو، متقدِّمًا في حفظِ اللّغاتِ والآداب، ضابطًا كُتُبَه، محافظًا عليها، جيِّدَ الـخَطّ، كتَبَ الكثيرَ وأتقَنَ تقييدَه، ولم يزَل الناسُ يتنافسونَ فيما يوجَدُ بخطِّه أو بمعاناتِه، ويعتمدونَه، وصنَّفَ في اللّغاتِ والتاريخ والآدابِ وما جَرى مجرى ذلك مصنَّفاتٍ، منها: [«الإعلام بفوائدِ الأحكام»] لعبد الحقّ، و«شَرْحُ قصيدةِ عُمرَ بن أبي ربيعةَ: أمِن آلِ نُعْم»، و«شرحُ: مقصورةِ ابن دُرَيْد»، و«الدُّبَاجة في أخبارِ صُنْهاجة»، وهذا الكتابُ غيرُ «النُّبَذ المحتاجة في أخبارِ صُنْهاجةَ بإفريقيّةَ وبِـجَاية». وديوانُ نَظْمِه ونَثرِه حافل، [وقد وقَفْتُ عليه] ومنه جزءٌ سمّاه «عُجالةَ المودِّع، وعُلالةَ المشيِّع»، وكلُّه أو جُلُّه صَدَرَ [عنه أيامَ] كونِه بـمُرْسِيَةَ، أفاد به بعضَ أصحابِه، وسَمّط قصائدَ وقِطَعًا [لجماعةٍ من] الشّعراء ظهَرتْ فيها إجادتُه، وعَكَفَ عامَّةَ عُمرِه على استفادةِ العلم [وإفادتِه]. واستُقضيَ بالجزيرة الـخَضْراء وبسَلا سنةَ ثِنتَيْ عشْرةَ وست مئة، وبأَزْمُور[1] [كما] استُقضيَ بمُرْسِيَةَ، فحُمدت فيها كلِّها سِيَرُهُ، وشُكرت أحوالُه، وعُرِف بالعدل وتمشيةِ الحقّ والـجَزالةِ والطّهارة.

---

(١) في مفاخر البربر: ٦٥ أنه ولي قضاء أزمور في مدة أمير المؤمنين المستنصر، وذلك في سنة ٦١٦هـ وفي الروض المعطار (مادة أزمور) حكاية وقعت بينه وبين محمد بن عقيل بن عطية وقد مر هذا بالمترجم وهو قاض بأزمور فلم يحسن لقاءه فعاتبه ابن عطية بقصيدة جيدة أولها:

ألا أيها القاضي الذي خلت عهده ... تحـول الليـالي وهـو لـيس يحـول

وفي صلة الصلة أن المترجم «ولي قضاء رباط تازا».

ومن نَظْمِه ـ وكتَبَ به من مُرْسِيَةَ إلى أبي عبد الله بن عبد الحق[1] التِّلِمْسانيِّ شاكرًا له على إجازةٍ بعَثَ بها إليه ـ [من الكامل]:

يـا أيُّهـا النَّـدْبُ الـسَّرِيُّ الأمجـدُ | والعالِـمُ الـحَبْرُ الفقيـهُ الأوحـدُ
يـا أيُّهـا البحـرُ المحـيطُ مَعارفًـا | لا تنتهــي، وفوائــدًا لا تنفَــدُ
وصلتْ إجازتُك الـمُجيزةُ سيّدي | نحـوَ الـذي أنحـو إليـه وأقـصِدُ
إنّ الدِّرايــةَ والروايــةَ منتهَــى | أمـلي الـذي أسـعَى إليـه وأحفـدُ
لا زلــتَ لي متفــضِّلًا فــأجَزْتَني | بفوائــدٍ يفنَــى الزمــانُ وتَخلُــدُ
فجــزاك عنّــا اللهُ خــيرَ جزائــهِ | فجــزاءُ مثلِــك عنــدَنا لا يوجـدُ
ووَدِدتُ لو أنّي لـديك، وأيـن مِـن | ظمــآنَ في البِيـدِ البَلاقِـع مـوردُ
ولقــد لقِيتُــك لُقيَــةً لكنّهــا | كانـت كـما أغفَـى وهَـبَّ مـسهّدُ
لم تـشفِ لي كمَـدًا وأنّـى يُـشتفَى | بزيــارةِ الطّيــفِ المــسهّدِ مُكمَــدُ
فإن اسـتمرّت بي الحيـاةُ لقيتُـكمْ | حــتمًا، وإلا فالمعــادُ الموعِــدُ
لا زِلــتُمُ في عِــزّةٍ وســعادةٍ | مــا لاحَ في جُـنح الدُّجُنّـةِ فرقَـدُ

توفِّي بمَرّاكُشَ بعدَ خَدَر أصابَه سنةَ تسع وعشرينَ وست مئة.

١٢٤ ـ محمدُ[2] بن عليِّ بن جعفرِ بن أحمدَ بن محمد القَيْسيُّ، قلعيٌّ ـ قلعة بني حَمّاد ـ استَوطنَ فاسَ، أبو عبد الله، ابنُ الرَّمّامة.

لقَبٌ جَرَى على أحمدَ جَدِّ أبيه في قولِ أبي محمد بن الياسَمِين[3]، ونقَلتُه

---

(١) هو الذي تقدمت ترجمته آنفًا (رقم ١١٨).

(٢) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٢٤)، وابن الزبير في صلة الصلة ٣/ الترجمة (٩)، والذهبي في المستملح (٣٣١) وتاريخ الإسلام ١٢/ ٣٨١.

(٣) لعله أبو محمد عبد الله ابن الياسمين العددي وترجمته في التكملة (٢٢٠٧) والغصون اليانعة: ٤٢، والذخيرة السنية: ٣٩، وجذوة الاقتباس رقم ٤٤٤، وقد ذُكر في الآخذين عن المترجم.

[من خطِّه، ونقَلَ ابن فَرتُونَ] عن بعضِ حَفَدةِ أبي عبد الله أنه أخبَرَه [أنّ الرَّمّامةَ: امرأةٌ نُسِب] إليها، والنفْسُ إلى قول ابن الياسَمين أميَل لنُبلِه[1] وحَذْقِه.

رَوى أبو [عبد الله عن خالِه أبي] الـحُسَين بن طاهر بن محشوّة[2] بالجزائر، وصِهرِه أبي إسحاقَ[3] بن حَمّاد [وأبي عبد] الله بن الطيِّبِ بن أبي الـحَسَن الكَلْبيِّ، وأبي الفَضْل يوسُفَ بن محمد [ابن النَّحْويّ] ولازَمَه وتفقَّه عندَه وبه انتفَعَ وإيّاه اعتمَد، وأبي محمدٍ عبد [الله المقري][4] ـ ولم يذكُرْ أنهم أجازوا له ـ وأبي بكرٍ ابن العَرَبي، وأبي حَفْص بن أحمد [التَّوزَريِّ]، وأبي الوليد بن رُشْدٍ الكبير ـ وشَكَّ في إجازتهم له ـ. وأكثرَ عن أبي بحرٍ الأسَديِّ [وأجاز له].

وكتَبَ إليه مُجيزًا ولم يَلْقَهُ: أبو محمد بنُ عَتّاب، وأبو الوليد بنُ طَريف ـ وقد قال ابنُ الأبّار: إنه لقِيَهما ـ وأجاز له أبو الـحَسَن عليُّ بن جعفرٍ السَّعديُّ ابنُ القَطّاع بإفادةِ أبي حفص ابن فُلفُل.

رَوى عنه أبوا إسحاق: ابنا المحمّدَيْنِ: ابن عبد الله الفِهْرِيّ والأنصاريُّ أبو شامةَ، وآباءُ الـحَسَن: ابن محمد بن خِيَار وابن عَتِيق بن مؤمن وابن موسى ابن النَّقِرات، وأبو ذَرّ الـخُشَنيّ، وأبو الرّبيع بن مَهْدي السَّرَقُسْطيُّ، وأبو زكريّا بن عبد العزيز بن عزّون، وأبو الطيِّب عَنْبرٌ مولى عبد الله بن مقر البادِسيُّ، وآباءُ عبد الله: ابنا الإبراهيمَيْنِ: ابن محمد أبو شامةَ ـ والدُ أبي إسحاق المذكورُ آنفًا ـ وابن البَقّار، وابن أبي درقةَ وابن قاسم بن عبد الرّحمن بن عبد الكريم، وأبو القاسم ابن بَقِيّ، وأبوا محمد: سَالـمُ بن محمد وابن محمد ابن الياسَمِين،

---

(١) قد يستغرب هذا الوصف في حقه مع ما وُصم به من شذوذ، قال ابن الأبار: ولم يكن مرضيًّا، ويبدو أن المؤلف هنا يفرق بين علمه وسلوكه.

(٢) في الأصل: «محشرة»، وما أثبتناه من التكملة، وترجمته في صلة الصلة ٤/ ٣١٥.

(٣) اسمه إبراهيم، وهو مترجم في التكملة الأبارية (٤٥٦)، والمعجم في أصحاب الصدفي (٤٥)، وهو قلعي أيضًا.

(٤) ذكر ابن الزبير أنه من مقرة ببلاد إفريقية، أما ابن الأبار فذكر أنه روى عن أبي محمد المقرئ ببجاية.

وأبو يحيى أبو بكرٍ ابنُ الـمَوّاق. وحدَّث عنه بالإجازة أبو الـحَسَن بن الـمُفضَّل الـمَقدِسيُّ.

وكان حافظًا للفقه نَظّارًا فيه بارعًا في معرفة أصُولِه ماهرًا في استنباطِ معانيه، شافعيَّ المذهب مُعوِّلًا على «بسيط» الغزّاليِّ واقفًا على عيونِه، مبرِّزًا في الكلام على [نُـكَتِه] متقدِّمًا في الفَضْل والوَرَع والتواضُع والنّزاهة والوقار وحُسن الـخُلُق وعُلُوِّ الهمة والانقطاع إلى العلم، وإيثار طلّابِه، وحثِّهم على طلبِه.

وشُهِرَ فضلُه فاستَخلصَهُ أميرُ المسلمينَ أبو الـحَسَن عليُّ بن يوسُف بن تاشَفين، فكان من أخصِّ حاضِري مجلسِه لديه.

ثم قَدَّمه للقضاءِ بفاسَ سنة ثلاثٍ وثلاثين[1] وخمسٍ مئة فتقَلّده، وسار فيه أحمدَ سيرة، واشتدَّت وَطْأتُه على الـمُفسِدينَ والذَّعَرة الـمُعتدين[2]، وبرَّزَ في إظهار الحقِّ والعدل والإنصاف والتسوية بين الأقوياءِ والضُّعفاء والمشروفينَ والشُّرفاء، واستمرّ على ذلك من حالِه مدّة، ثم [أُخِّر عن القضاءِ لا لِزلّة] لحِقَتْه ولا لرِيبةٍ تعلَّقت به[3]؛ وأقبَلَ على نشرِ العلم [والانتصابِ لإفادتِه] والجلوس للإقراء والإسماع، محتمِلًا مشَقّةَ التدريس [على كِبَرِ سنِّه] رغبةً في بثِّ العلم، وتحريضًا وإعانةً لـمُلتمِسيه. وكان [أكثَرَ] أصنافِ الناس قاطبةً قضاءً للحوائج بارًّا بقاصِديه؛ وكانت الدِّرايةُ أغلبَ عليه من الرِّواية؛ إذْ لم يتنبَّهْ لها إلّا في سِنِّ الكهولة؛ وقد أدرَكَ وعاصَرَ جملةً وافرةً من أكابرِ الشيوخ فلم يُعْنَ بالرِّوايةِ عنهم لشَغَفِه بالعلوم النَّظرية وعَكَفَ على تحصيلِها حتى صار[4] رأسًا فيها فكان لذلك قليلَ الرواية.

---

(١) في التكملة: «ست وثلاثين».

(٢) في صلة الصلة إشارة إلى موقف له من اليهود في فاس حيث منعهم من شراء أرض وبنائها.

(٣) كلام المؤلف مخالف لقول ابن الأبار: «وكان غير صالح للخطة لضعفه فلم تحمد سيرته مع أنه لم تلحقه زلة ولا تعلقت به ريبة».

(٤) في الأصل: «سار».

وله مصنّفاتٌ، منها: «تسهيلُ الـمَطْلب في تحصيل المذهب»، و«التفَصِّي عن فوائد التقَصِّي»[1]، و«التبيين في شَرْح التلقين»[2]، ومختصَرٌ نبيلٌ في أصُولِ الفقه[3].

وُلد في رجبٍ أو شعبان ـ وهو كان الغالبَ على ظنِّه ـ سنةَ تسع وسبعينَ وأربع مئة. وقال أبو عبد الله ابنُ أبي درقةَ: إنّ مولدَه في رجبِ ثمانٍ وسبعينَ، وقال: هكذا أخبرَني عن مولدِه، وتوفِّي بفاسَ قبلَ الزَّوال أو عنده من يوم الاثنين لتسع بقِينَ من رجبٍ سبع وستّينَ وخمس مئة، وصَلّى عليه القاضي بها حينَئذٍ أبو حَفْص بنُ عُمرَ بوصيّةٍ منه بذلك إليه، ودُفن بمقبُرة بابِ الجازيِّينَ[4]، وكان الحفلُ في جنازتِه عظيمًا والثناءُ عليه جميلًا والأسَفُ لفَقْدِه كثيرًا طويلًا، رحمةُ الله عليه.

١٢٥ـ محمدُ[5] بن عليِّ بن الـحَسَن بن عليّ التَّميميُّ الغَوْثيُّ، قَيْرَوانيٌّ سَكَنَ صَقِلِّيَةَ، أبو بكر، ابنُ البَرّ وكان جَدُّ أبيه هو المدعوَّ بالبَرّ.

رَوى عن أبي سَعْد أحمدَ بن محمد بن أحمدَ بن عبد الله بن حَفْص بن خليل بن عبد الله بن إبراهيمَ الماليِنيِّ، وأبي سَهْل محمد بن عليّ الـمَرْوَزيّ، وأبي

---

(١) التقصي لابن عبد البر.

(٢) التلقين للقاضي عبد الوهاب البغدادي.

(٣) وذكر له ابن الزبير اختصار الاحياء للغزالي.

(٤) باب الجازيين كما هنا أو الجيزيين كما في مواضع أخرى، هو أحد أبواب عدوة الأندلس، وذكر ابن القاضي في الجذوة أنه «هو باب الحمراء عند الناس اليوم».

(٥) ترجمه ابن نقطة في إكمال الإكمال ١/ ٢٨٨، وابن دحية في المطرب ١٥٩، والقفطي في إنباه الرواة ٣/ ١٩٠، وابن الأبار في التكملة (١٧٢١)، والرعيني في برنامجه ١٣٦، والذهبي في المستملح (٣٢٩)، وتاريخ الإسلام ١٠/ ١٣٣، والمشتبه ٥٥، واليمني في إشارة التعيين ٣٣٢، والفيروزآبادي في البلغة ٢٠٨، وابن ناصر الدين في توضيح المشتبه ١/ ٤٠١، وابن حجر في تبصير المنتبه ١/ ٧٣، والسيوطي في بغية الوعاة ١/ ١٧٨، وسواهم.

عليّ صَالح بن إبراهيمَ بن رِشْدِين - لقِيَه بمِصرَ سنةَ ثلاثَ عشْرةَ وأربع مئة - وأبي عِمرانَ موسى بن عيسى بن أبي حاجّ الغَفْجوميِّ الفاسيّ، وأبي القاسم ابن سَيْف، وأبوَيْ محمد: إسماعيلَ بن محمد بن عَبْدُوس، وعبدِ الوهاب بن عليّ بن نَصْر بن أحمدَ بن الـحَسَن بن هارونَ بن مالكِ بن طَوْق، وأبي يعقوبَ يوسُفَ بن يعقوبَ بن إسماعيلَ بن خُرَّزاذ النَّجِيرَميّ.

رَوى عنه أبو بكرٍ محمدُ بن سابقٍ الصِّقِلِّي، وأبو الـحَسَن عليُّ بن حَسَن بن مُهذَّب الرَّبَعي، وأبو الطيِّب عبدُ الـمُنعم بن مَنِّ الله ابن الكَمّاد، وأبو العَرَب الصِّقِلِّي، وآباءُ القاسم: زَيْدونٌ وعبدُ الرّحمن بن عُمرَ القَصْديريُّ وعليُّ بن جعفرٍ السَّعديُّ، وأبو محمدٍ عبدُ الله بن إبراهيمَ الصَّيْرَفيُّ.

وكان متحقِّقًا بعلوم [اللُّغة والأدبِ]، جيِّدَ الـخَطّ، مُحكَم الضَّبط، مقيِّدًا مُفيدًا، أكثَرَ من ضمِّ [الأصُول وعُنِيَ] بالبحثِ عنها حتى جَمَعَ منها ما لم يجمَعْه غيرُه.

وقَدِمَ الأندَلُسَ عامَ ستّينَ أو نحوَه، ووقَفْتُ على خطِّه بالرّواية عنه مؤرَّخًا بجُمادى الأولى سنةَ إحدى وستينَ وأربع مئة.

قرأتُ على شيخِنا أبي الـحَسَن الرُّعَيْنيِّ، رحمه الله، ونقَلتُه من خطِّه: أنشَدَني رحمه اللهُ وكتبَه لي بخطِّه - يعني أبا جعفر بنَ عبد المجيد ابن الـجَيّار - قال: أنشَدَني ابنُ الفَخّار، قال: أنشَدَني ابنُ العَرَبيّ قال: أنشَدَني أبو بكرٍ محمدُ بن سابقٍ الصِّقِلِّيُّ قال: قال لي أبو بكرٍ ابنُ البَرّ: أتيتُ القاضيَ أبا محمد عبدَ الوهّاب بنَ عليّ بن نَصْر بالمسجد الجامع بمِصرَ، فقلتُ له: يا سيّدَنا الإمام أنت القائل [من المتقارب]:

تَمَلَّكتَ يا مُهجتي مُهجتي ... وأسهَرْتَ يا ناظري ناظري

وما كان ذا أمَلي يا ملولُ ... ولا خَطَرَ الـهَجْرُ في خاطري

فجُدْ بالوِصالِ فدَتْك النُّفوسُ ... فلستُ على الهجرِ بالقادرِ

وفيك تعلّمتُ نَظْمَ الكلامِ ... فلقَّبَني الناسُ بالشاعرِ؟

فقال: يا أبا بكر، دَعْ ذا، فإنه كان في أيام الصِّبا.

قال أبو عبد الله بنُ أبي الفَضْل عِيَاض ـ وقد أورَدَ هذه الحكايةَ عن ابن العَرَبي بسندِه ـ: هذه الحكايةُ نقلتُها من خطِّ المحدِّث أبي الوليد ابن الدَّبّاغ، والشِّعرُ في كتاب «اليتيمة» للوَأْواء. قال شيخُنا أبو الـحَسَن رحمه الله: الذي ثَبَتَ منه في «اليتيمة» منسوبًا لأبي الفَرَج محمد بن أحمدَ الغَسّانيِّ الدِّمشقيِّ الملقَّب بالوأواءِ بيتانِ وهما: «تـمَلَّكتَ يا مهجتي» البيتَ، «وفيك تعَلَّمتُ نظمَ الكلام» البيتَ، خاصّة. وقد حدَّث غيرُ واحد من المشيَخة بالحكاية عن القاضي أبي بكرٍ ابن العَرَبيّ حسبَما سَردتُها أولًا. انتهى المنقولُ من خطِّ أبي الـحَسَن الرُّعَيْنيِّ رحمه الله.

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: وقد ذَكَرَ هذه الحكايةَ أبو عبد الله ابنُ الأبّار فقال: وقرأتُ بخطِّ شيخِنا أبي عبد الله بن نُوح: أخبَرَ أبو بكرٍ ابنُ العَرَبيّ قال: أخبرنا محمدُ بن سابقٍ الصِّقِلِّيّ، قال: أخبرنا أبو بكرٍ ابن البَرّ، قال: قلتُ لعبد الوهّاب ابن عليّ بن نَصْر القاضي: أنت القائلُ: «تملّكتَ» الأبياتَ؟ فخَجِلَ وقال: دَعْ هذا يا أبا بكر، فإنّها أخبارُ الصِّبا. قال ابنُ الأبّار: وقد أجازَ لي ما رواه ابنُ العَرَبيّ وألّفه القاضيانِ أبو بكرٍ ابنُ أبي جَمْرةَ وأبو الـخَطّاب بن واجِب [عنه، ويَروي ابنُ أبي جَمْرةَ] منهما عن أبي القاسم ابن وَرْد، عن محمد بن سابق الصِّقِلِّيِّ جميعَ ما ألّفه ورَواهُ.

قال ابنُ الأبّار: وحدّثني الخطيبُ أبو محمدٍ عبدُ الله بن عبد الرّحمن الأزْديُّ، والفقيهُ أبو العبّاس أحمدُ بن مُعاويةَ السُّلَميُّ بتونُسَ، وأنشَداني، قالا: حدّثنا القاضي أبو محمد بنُ حَوْطِ الله وأنشَدَنا، قال: حدّثنا أبو عبد الله محمدُ بن إبراهيمَ بن خَلَف بن أحمد ـ هو ابنُ الفَخّار ـ وأنشَدَنا، قال: حدّثنا أبو بكر محمدُ بن عبد الله ابن العَرَبيّ، وأنشَدَنا، قال: أنشَدَنا [أبو بكر ابنُ البَرّ، قال: أنشَدَنا][1]

(١) ما بين المعقوفتين ساقط في الأصل، وهو في التكملة، وسببه قفز الناسخ وسهوه.

أبو بكر الـجَزِيريُّ، وأخبَرنا، قال: أَتَيْتُ القاضيَ أبا محمد عبدَ الوهّاب في المسجد الجامع بمِصرَ، فقلتُ له: يا سيّدَنا الإمام، أنت القائلُ؟ وذكَرَ الأبياتَ إلى آخِرِها، فقال رضيَ اللهُ عنه: يا أبا بكر، دَعْ هذا، فإنهُ كان في أيام الصِّبا. قال ابنُ الأبّار: كذا سمِعتُ بلفظِ هذَيْنِ الشَّيخَيْنِ هذه الحكاية، وعلى ما في هذا الإسناد من رواية ابن العَرَبيّ عن ابن البَرّ كتبتُها عنهما، وهو غَلَطٌ لا شكَّ فيه؛ لأنه لم يلقَهُ ولا سَمِعَ منه، قال ابنُ الأبّار: وعندي أنّ أبا بكر الـجَزِيريَّ هو: محمدُ بن سابِق الصِّقِلِّي، نُسِب إلى جزيرة صَقِلِّيَةَ ويُكنَى أبا بكر، ولا روايةَ له عن عبد الوهّاب، وهو مذكورٌ في «الصِّلة»[1]، فأخَّره وقَدَّم ابنَ البَرّ مَن لا يَعرِفُ زمانَهما ولا تَهدَّى إلى الفرقِ بينَهما، ولعلّ ذلك من قِبَل ابن الفَخّار وغفَلَ عنه ابنُ حَوْطِ الله. قال ابنُ الأبّار: وقد وجدتُ بعضَ أصحابِنا يَروي الأبياتَ عن أبي جعفر بن عبد المجيد الـحَجريِّ المالَقيّ، قال: أنشَدَني الحافظُ أبو عبد الله بنُ إبراهيمَ ابن الفَخّار قال: أنشَدَنا ابنُ العَرَبيّ قال: أنشَدَنا أبو بكرِ الـجَزِيريُّ قال: أنشَدَني أبو بكر ابنُ البَرّ. وذكَرَ الأبياتَ ورواها كما أورَدَها ابنُ نُوح على الصّواب.

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: جعْلُ ابنِ الأبّارِ الوَهَمَ في قلبِ هذا الإسناد من قِبَل [ابن] الفَخّار لا وَجْهَ له عندي. فقد رواهُ عنه على الصّواب أبو جعفر بنُ عبد المجيد كما نابه أبو الـحَسَن الرُّعَيْنيُّ، ووجَدَه ابنُ الأبّار من رواية بعض أصحابِه عنه حسبَما ذَكَرَ ذلك كلَّه، ويَبعُدُ أيضًا توارُدُ الخطيبِ أبي محمد بن بُرطُلة والفقيهِ أبي العبّاس بن معاويةَ على هذا الوَهَم فالـحَمْلُ فيه عندي بمقتضَى هذا الإيراد على أبي محمد بن حَوْطِ الله، واللهُ أعلم.

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: هذا الذي حَدَسْتُه أولًا على أبي محمد بن حَوْطِ الله قد وقَفْتُ عليه ثانيًا، فكذلك ثَبَتَ في مُسلسَلاتِه بخطِّه، [وقد وقَفَ على هذا] الخطَّ أبو محمدٍ ابنُ بُرطُلة كما وقَفْتُ عليه بخطِّه أيضًا [....] والحمدُ لله، وما هي بأوّلِ

---

(١) الترجمة (١٣٢٥).

نِعَم الله عليّ، أوزَعَنا اللهُ شُكرَ نِعَمِه، ووقَفْتُ في بعض مُعلَّقاتي على بيتٍ قبلَ: «وفيكَ تعلَّمتُ، وهو [من المتقارب]:

[نثَرتُ الدُّموعَ] نظَمْتُ الكلامَ فسُمِّيتُ بالناظم الناثرِ[1]

واعلَمْ وراءَ ذلك، أنّ هنالك في طبقةِ شيوخ ابن العَرَبي أبا بكرٍ وأبا عبدِ الله محمدَ بنَ عبد الله ابن البَرّ[2] الجَزِيريَّ ـ الجزيرةَ الخَضْراء ـ شيخٌ مُسِنٌّ يَروي عن أبي بكرٍ ابن [المَرْشانيّ]. رَوى عنه أبو الفَضْل عِيَاضٌ، فقد يُوهِمُ أنه الواقعُ في هذا الإسناد برواية ابن البَرّ عنه وليس به.

١٢٦ـ محمدُ[3] بن عليٍّ بن عبد الكريم الفَنْدَلاويُّ ـ بفتح الفاءِ وسُكون النّون وفَتْح الدال الغُفْل ولام ألفٍ وواوٍ منسُوبًا ـ فاسيٌّ، أبو عبد الله، ابنُ الكَتّانيِّ، بفَتْح الكاف وتشديدِ التاء وألفٍ ونون منسوبًا.

أخَذَ عن أبي عَمْرٍو عثمانَ بن عبد الله السّلالقيِّ[4]. رَوى عنه أبو الحَجّاج

---

(١) لأبي زيد الفازازي قطعة في معارضة القطعة التي أكثر المؤلف من الكلام في سند روايتها ومما جاء في قطعة الفازازي:

نظمت الغرام نثرت الدموع فسميتُ بالناظم الناثر

برنامج الرعيني: ١٣٨.

(٢) كذا في الأصل، وعند المؤلف في السفر السادس (٧١٧) والتكملة (١١٧٠)، والغنية للقاضي عياض (١٥)، وبغية الوعاة ١/ ١٥٠ نقلًا عن ابن الزبير في الصلة وابن غالب في فرحة الأنفس وابن مكتوم أنه محمد بن عبد الله بن البراء وفي البغية المطبوعة «الفراء»، فخلط بينه وبين النحوي.

(٣) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٣٢) وسماه: «محمد بن عبد الكريم الفندلاوي» فكأنه نسبه إلى جده وتبعه من نقل عنه، والتادلي في التشوف ٣٣٥، والذهبي في المستملح (٣٣٨)، وتاريخ الإسلام ١٢/ ١١٨٣، وابن القاضي في جذوة الاقتباس ١/ ٢٢٠، وينظر: سلوة الأنفاس ٣/ ١٧٣، والأنيس المطرب ٢٧٠، ومفاخر البربر ٧١. وهو منسوب إلى فندلاوة من جبال بني يازغة.

(٤) القاف فيها بدل الكاف الأعجمية ولذلك ترسم «السلاجي» أيضًا.

الـمُكَلاتيّ[1]، وآباءُ الـحَسَن: الـحَضْرميُّ، والشارِّيّ[2]، وابنُ القَطّان، وآباءُ العبّاس: ابنُ عبد المؤمن، وبنو المحمّدِينَ: الأزْديُّ والبَكْريُّ والشَّريشيُّ والعَزَفيُّ وابنُ تامتيت، وأبو عليّ عُمرُ بن عبد المجيد الرُّنْديُّ، وأبو محمدٍ الناميسيّ[3].

وكان متحقِّقًا بعلم الكلام، متقدِّمًا في معرفةِ أصُول الفقه، ذا حظٍّ صالح من علوم اللّسان وقَرْض الشّعر. وله رَجَزٌ مشطورٌ مزدوَجٌ في أصُول الفقه مُستنبَل[4].

وكان زاهدًا وَرِعًا فاضلًا منقبِضًا عن الملوكِ وأبناءِ الدّنيا منقطعًا إلى العبادةِ والاجتهاد في الأعمال الصّالحة والانتصابِ لإفادةِ العلم والتدريس.

واكتفَى في معيشتِه بالقليل، وقد عُرِضت عليه الدّنيا غيرَ مرّة فما أجابَ إلى شيءٍ منها ولا غَرّتْه. وكان المنصُورُ من بني عبد المؤمن قد رَغِبَ في أن يكونَ من طلَبَةِ مجلسِه، فما قَدَرَ عليه البتّةَ.

---

(١) ستأتي ترجمته، انظر رقم ٢٢٩.

(٢) قال الشاري: أخذت عنه جملة وافرة من «إرشاد» أبي المعالي و«تلخيصه» تفهمًا وسمعت عليه رجزه وانظر سند ابن رُشيد السبتي في رواية هذا الرجز أو الأرجوزة كما يسميها، وأولها:

الحمـــد لله الحكـــيم الفاعـــل	مبتعـث الرسـل لقمـع الباطـل
اعلـــم بـــأن الفقـــه في اللـــسان	العلـم مـن غـير اعتبـار ثــان
وهــو في اصــطلاح أهــل الــشرع	علــم بحكــم ثابــت بـــالقطع
ثـــم أصـــوله عـــلى المواضـــعهْ	أدلـــة تفـــضي أيهـــا قاطعـــهْ

رحلة ابن رشيد ٢/ ٢٦٦.

(٣) لم يعدَّ المؤلف منهم أبا الحسن علي بن محمد المعروف بابن العطار، انظر ترجمته في التشوف رقم (٢٦٣).

(٤) نسب إليه الأخباريون المتأخرون كتاب «المستفاد» ومنهم ابن القاضي في الجذوة والجزنائي في «جنى زهرة الآس» وابن جعفر الكتاني، وليس له وإنما هو لأبي عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الذي سترد ترجمته فيما بعد، وقد التبس الأمر على المذكورين بسبب الاتفاق في الاسم والكنية، والتشابه في الجد الأعلى عبد الكريم، والاشتراك في النسبة الفاسية، والمعاصرة.

حدّثني الشّيخُ أبو الحَسَن الرُّعَيْنيُّ رحمه اللهُ قراءةً عليه، قال: حدثنا الشّيخُ السُّنِّيُّ أبو العبّاس العَزَفيُّ إجازةً إن لم يكنْ سَماعًا، قال: حدّثني الشّيخُ الأجَلّ أبو العبّاس أحمدُ بن عليّ القَنْطَريُّ أحدُ شهودِ بلدِنا، عن القاضي أبي الحَسَن ابن قاضي الجماعةِ أبي موسى عيسى بن عِمران، أنه قال له بإشبيلِيَةَ: سأَلَ اليومَ سيّدُنا أميرُ المؤمنينَ المنصُورُ أيّده اللهُ ونَصَرَه عن الفقيه [أبي عبد الله ابن الكَتّانيّ] سؤالَ مَن يَستدعيه وَشيكًا، وأظُنُّه قد وَجَّه عنه. ثم [بَلَغني من غير واحد من أهل التاريخ و] معرفتِه أنّ مشيَخةَ أهل فاسَ تلقَّوْهُ عندَ قُفولِه إلى العُدْوة بمقرُبةٍ من شَرِيش... فسَلَّموا عليه، فقال لهم: أفيكم ابنُ الكَتّانيّ؟ فقالوا له: لا، ثم أجاز البحرَ، وأمَرَ على أهل فاسَ بالتقَدُّم وعَرَّفَهم أنه يَستقبِلُ بلادَهم، ثم تلقَّوْه إلى وادي [سبو][1] فسَلَّموا عليه، فقال لهم: أفيكم أبو عبد الله الكَتّانيّ؟ قالوا له: لا، ثم تَلقّاه قليلٌ منهم [بالقُرب من فاسَ يتَقدَّمُهم] جماعتُهم فيهم أبو الحَسَن بنُ خِيَرةَ[2]، فقال لهم مثلَ ذلك، فقالوا له: لا، ثم دَخَلَ فاسَ، كلأها اللهُ، وهو بها، فسأَلَ عنه فعَرَفَ أنه شاكٍ، فوَجّه إليه أطبّاءه ليَنظُروا في علاجِه، ثم رَحَلَ عن فاسَ ولم يلقَهُ.

توفِّي بفاسَ ضُحى يوم الجُمُعة لأربعَ عشْرةَ ليلةً خَلَتْ من ذي الحجة سنةَ سبع وتسعينَ[3] وخمس مئة. وصَلّى عليه أبو يحيى أبو بكر[4] بنُ خَلَف ابن المواق.

---

(١) غير واضحة في الأصل.

(٢) كذا في الأصل، ولعله تحريف والصواب: ابن خيار. وقد تقدمت ترجمته في هذا السفر.

(٣) عند ابن أبي زرع: كانت وفاته في العشر الأواسط من ذي الحجة منها (أي من سنة ٥٩٥هـ) وفي التكملة: سنة ست وتسعين وخمس مئة، وفي الجذوة: سنة خمس وتسعين وخمس مئة، وفي التشوف: عام سبعة وسبعين وخمس مئة، ويبدو أن عدد سبعين محرف عن تسعين.

(٤) في الأصل: أبو موسى بن خلف ابن المواق، ولا شك أن الكنية المذكورة تحريف من الناسخ، وفي التشوف: «وصلى عليه الفقيه أبو يحيى أبو بكر بن خلف الأنصاري المعروف بالمواق» وعند ابن أبي زرع: وشهد أمير المؤمنين جنازته.

١٢٧ ـ محمدُ[١] بن عليٍّ ابن العابد، فاسيٌّ، أبو عبد الله، ابنُ العابد.

قَدِمَ الأندَلُسَ في حدود الثلاثينَ وست مئة، وارتَسمَ بالكتابة عن الأميرِ أبي عبد الله بن يوسُف بن نَصْر ابن الأحمر. وكان كاتبًا مُحسِنًا، شاعرًا مطبوعًا، تلبَّس حينًا بعَقْد الشّروط والكَتْبِ عن قاضي الجماعة أبي الـحَسَن بن محمد بن أبي عشَرةَ الفاسيِّ[٢] بمَرّاكُش، وإيّاه فاتَحَ أبو عبد الله ابنُ الـجَنّان بالرّسالة العَيْنيّة حسْبَما مَرّ ذكْرُ ذلك في رَسْمِه[٣].

قال أبو القاسم عبد الكريم بن عِمران: كتبتُ إليه أستَقرِضُه بعضَ قريضِه بعدَ أن شافهْتُه بذلك ووعَدَ به فمَطَلَ [من الطويل]:

إذا الشّعرُ وافَى في شعار ابـن عابـدٍ ... تقاصَرَ فيه الوَصْفُ عن حُسن موصُوفِ

سَبَى مُهَـجَ الـرائينَ لألاءُ لؤلـؤٍ ... له فوقَ أجيادِ الإجـادةِ مرصُـوفِ

ورَقّ نـــسيمًا فانتَـــشِقْ لهبوبِـــهِ ... شَذا وَرَقٍ من جنّة الـخُلدِ مخصوفِ

يُولِّـــدُ في أهـــلِ الوقـــارِ سَـــماعُهُ ... خفوفَ اهتزازٍ مثلَ ما شطح الـصُّوفي

لئن زان تأليفي بـبعضِ قريـضِهِ[٤] ... لقد تُـجتَلَى الحسناءُ في خَشِنِ الصُّوفِ

أيُّها الشاعرُ الـمُفلِق، قولةَ مُنصِف لا متملِّق، بَقِيتَ وللعُصْر بك اختيال، ولزَهْر الآدابِ من خمائل شمائلِك انثيال، ومهما ذكرَ القريض، بتصريحٍ أو بتعريض، فالناسُ فيه على براعتِك عِيال، اقتضَى الودُّ الذي لم نزَلْ نتعاطاه تعاطيَ الـجِريال، والاعتدادُ [بالأُخوّةِ التي لم نفتأْ] نجُرُّ في مجَـرّة برودِها سابغةَ الأذيال، أن أهُزَّ

---

(١) له ترجمة في الإحاطة ٢/ ٢٨٧، وجذوة الاقتباس رقم (٢٠٣)، ونيل الابتهاج: ٢٥٤، ٣٠٥. وولده محمد الكاتب من بعده له ترجمة في الإحاطة ٢/ ٢٨١. وانظر أيضًا اللمحة البدرية: ٥٣.

(٢) تقدمت ترجمته في هذا السفر رقم (١١).

(٣) انظر السفر الخامس، الترجمة (٦٣٦).

(٤) في الأصل: «فريضة».

عِطفَ انطباعِكمُ [المختال، وأستمِدَّ] عُنصرَ طِباعِكم السَّيّال، وأتقاضَى منكم دَيْنًا ما أحملُ اللومَ [فيه إلا على] صَرْفِ اللّيال، فبعثتُ بهذه الرُّقعة على ما تَرَوْنَ بها من جَذْبِ [أديمِها، فليس لـمُنتجِع] في مُصُوح هشيمِها مراد، ولا لمتطلِّع في تصفُّح مرسُومِها [مُستفاد،....] بخواطِرها شوقًا لـمَواطِرِها رَقَصَ الآل، تشيرُ بمعطَّل جِيدِها، [إلى ناظم] قلائدِ النَّظم ومُجيدِها، إشارةَ من راقَها لديه لألاءُ اللآل، فكيف بها إذا [قَرَعت] ففُتِح لها الباب، وكرَعَت في فمِ ذلك العُبَاب، واشتَمَلت من مَصُونِ ذخائرِه [على] اللُّباب، فهنالك تَبرُدُ الأُوام، وتَندَى بفُرادى من فرائدِ البديع وتُوام، ولا تزالُ تصرِّحُ بالثناءِ عليكم مترنِّمة، كورقاءَ في فروع الأَيْكِ مُهَيْنِمة، وفي دَوْحِ سَرَاوتِكم إن شاء اللهُ تجدُ الظّلال، وترِدُ الزُّلال، وتحُلُّ حيث حَلَّ من وَسْنى الـمُقَل الـخَيال، فتصَدَّقْ عليها وأوفِ المِكيَال، واللهُ يُهنيكم ما مَنَحَكم من محاسنَ رائقةٍ وخِلال، ويُقِيدُ في آياتِ السحر الحلال، وسلامُ الله عليكم ما انحسَرَ قناعُ الغَيْم عن جَبينِ هلال، ولبَّى الـمُحرِمونَ بإهلال، ورحمةُ الله وبركاتُه.

فأجابَه أبو عبد الله ابنُ العابِد بهذه الرّسالة [من الطويل]:

إذا قيلَ: مَن ربُّ القَريضِ الذي لهُ ... يَدينُ؟ فقُلْ: عبدُ الكريمِ ابنُ عِمـرانِ

حَبَـاني بـرَوْض مـن نتيجـةِ فكـرِهِ ... يَـرُوقُ بـه للـنظم والنثـر زهـرانِ

ونزَّهَنــــي في خطِّـــه وبيانِـــهِ ... فمن سامعٍ مُصْغٍ إليـه ومـن رانِ

كــسَاني بــه فخـرًا تهنَّـأتُ لُبْـسَهُ ... ومن لُبْس أثوابِ الإجادة أعـراني

أيُّها البحرُ الوَهُوب لفُرادى الجواهرِ والتَّوام، والـحَبْرُ اللَّعوب بأطرافِ الكلام، وُقيتَ عينَ الكمال، وبقِيتَ محروسَ الجمال، تتأنّقُ لمن باراكَ في ارتيادِ البَراعة، وتسبقُ مَن جاراك بجيادِ اليَراعة، وتتبختَرُ من ملابِس السعادة في مُوَشَّى برودِها، وتظفَرُ من أوانِس الآمالِ المنقادةِ بشهيٍّ برودِها، وَصَلتْني رُقعتُك التي

جَلَوْتَ في أسطارِها الكواعبَ، وعَلَوْتَ بإظهارِها الكواكبَ، وأظهَرْتَ في نَظْمِها ونثرِها السحرَ لـمُرتادِه، وذكَرْتَ بمُستافِ عنبرِها الشّحَر[1] على نأي بلادِه، فقلت: هذه غايةٌ لا أبلُغُ مَداها، وآيةٌ يتحدّى بها من أهداها، فتوقّفتُ عن الإجابة توقُّفَ الـحَسِير، وانصَرفتُ إلى الإذعانِ [انصرافَ؟] الأسير، وأنشَدتُ الخاطرَ وأرجاؤه داجية:

أبعدَ حَوْل [تُناجي الشوقَ ناجِية][2]

فأبَى لاغترارِه إلّا أن يُسجِلَ عُبَابَك بهذه الصَّبابة، ويُعاجِلَ [جنابَك بما لم] يُرزَقْ سواه من عَدَم الإصابة، ومَجْدُك يُسبلُ على هذه الـهَنَات [أذيالَ تجاوزِه، إذ لا] يَعدِلُ مَن قابَلَ تلك الـحُلَل الـمُسهَمات بأسمالِ معاوزِه[3]، واللهُ يُبقيكم [للمفاخِر] تنظِمونَ عقودَها، والمآثر تَحبُرونَ بُرودَها، والسلامُ عليكم ما اعتَدلتْ أنابيب، وانْسَدَلت من الظلام جَلابيب، وهطَلَت من سماءِ بلاغتِكم شآبيب، ورحمةُ الله تعالى وبَرَكاتُه.

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: نقَلتُ هاتَيْنِ الرِّسالتَيْن من خطِّ أبي القاسم بن عِمران، وأصحَبَ أبو عبد الله ابنُ عابدٍ جوابَه نُبذةً من نَظْمِه، منها، ونقَلتُها من خطِّه في أخوَيْن: وَسيم وأحدب [من الكامل]:

في ابنَيْ محمدٍ ان نظرتَ عجائبٌ ... أخَوانِ ظَبْيٌ أحورٌ وحُوارُ[4]

فمن الـجَمال بوجهِ ذاك مآثرٌ ... ومن الجِمالِ بظهرِ ذا آثارُ

---

(١) مستاف: من الاستياف وهو الاشتمام يقال: ساف يسوف سوفًا إذا شم. والشحر: بلد معروف ينسب إليه العنبر، وفي الأصل: الشجر، وهو تحريف.

(٢) محو في الأصل، وهو شطر بيت للمعري:

أبعد حول تناجي الشوق ناجية ... هلا ونحن على عشر من العشر

انظر سقط الزند.

(٣) المسهمات: البرد المخططات، والمعاوز: المباذل.

(٤) الحوار: ولد الناقة.

ومنها، ونقَلتُه من خطِّه في وَسِيم متغيِّر الثَّنِيّة له خالٌ بشارِبه [من المنسرح]:

وشـــادنٍ في القلـــوبِ مرتَعُـــهُ ... مُرَهَّـفُ القَـدِّ أهيَـفُ الـخَـصْرِ

نـشوانُ مَـن [ذاق] خمـرِ مُقلتِـهِ ... فـما تُفيـقُ أعطافُـه مـن الـسُّكرِ

رمـاهُ قـومٌ بـالنَّقْص حـينَ غَـدا ... يُـزري جَمـالًا عـلى سَـنا البـدرِ

قـالوا: سـوادٌ بـدا بمبـسِمِهِ ... ومـا عَهِـدنا الـسوادَ في الـدرِّ

فقلـتُ: مـا ذلكُـم بعائبِـهِ ... كفُّـوا، فعنـدي حقيقـةُ العُـذرِ

حبّـةُ قلبـي رأت مُقبَّلَـهُ ... فأفلتَـتْ مـن جـوانح الـصّدرِ

وارتـشَفتْ خمـرَ ريقِـهِ فـسَرى ... سـوادُها عنـد ذاك في الثّغـرِ

ثـم ثَـوَتْ فوقَـهُ مُخـبِّرةً ... مَـن عابَـهُ كُنْـهَ ذلـك الأمـرِ

ومنها ارتجالًا في شاربٍ رَعِف، ونقلتُه أيضًا من خطِّه [من الكامل]:

ومُهفهَـفٍ للبـدرِ حُـسنُ جبينِـهِ ... وليـانع الأغـصانِ مـائسُ عِطفِـهِ

لـمّا أراق دمـي ولاحَ بخـدِّهِ ... أجـراه قَـصْدُ إهـانتي مـن أنفِـهِ

ومنها، ونَقلتُه من خطِّه أيضًا وفيه وَصْفُ حَمّام [من السريع]:

[و] ... في ليلـةٍ مـن غُـرَر الـدهرِ

[مطَرُهـا أشـبَهَ ذا] لوعـةٍ ... أدمعُـهُ خـوفَ النـوى تجـري

[والـبرقُ] حَكَـى لمعَـهُ في الـدُّجى ... زَنْجيّـةٌ تبـسِمُ عـن ثغـرِ

[ ] البيـتَ حتـى أتـى ... بـأربع في صُـوَر البـدرِ[1]

[وجـاء] بـابن النحـل[2] في زُبـدةٍ ... مثـلَ عنـبرٍ شِـيَب بالـدُّرِّ

---

(١) يشبه قرص الخبز في استدارته بالبدر.

(٢) ابن النحل: هو العسل.

[ ] هاتِ الباقّلاءَ التي ... بدَتْ لنا في حُلَلٍ خُضْرِ
زَبَرْجَدٌ ضُمَّ على لؤلؤٍ ... صاغَها مُنسكبُ القطرِ
فاجتَمَعتْ أطعِمةً حقُّ مَن ... أُعطِيَها الإقرارُ بالشكرِ
فلم نزَلْ نجهَدُ في ضرِّها ... حتى أراحتنا من الضُّرِّ
وحينَ ضَمَّ اللّيلُ أذيالَهُ ... وانتَشَرتْ ألوِيةُ الفجرِ
قُمنا لبيتٍ حرجٍ مُظلمٍ ... قُسِّم بين البردِ والحَرِّ
تخالُ مَن ضمَّتْهُ أحشاؤه ... كأنما أُدرج في قبرِ
تلوحُ في أقبائه أنجُمٌ ... نقيضةٌ للأنجُمِ الزُّهرِ
تبدو نهارًا فإذا ما بدا ... جُنحُ الدُّجى غارت ولم تَسْرِ
يا طيبَهُ ليلًا ويا حُسنَهُ ... صُبحًا، لقد حاز سنى العُمرِ

وقد مَرّ له ذكْرٌ في رَسْم أبي جعفر بن طلحةَ الشُّقْريّ(١).

١٢٨ـ محمدُ بن عليِّ بن محمد بن عبد الرحيم(٢) بن هشام الأنصاريُّ الأوْسيُّ، مَرّاكُشيٌّ، نشأ بسَلَا، قُرطُبيُّ أصلِ السَّلف، أبو عبد الله، ابنُ هشام(٣).

رَوى بسَلا عن أبيه(٤)، ومؤدِّبِه أبي عليّ عُمرَ بن موسى بن الحَسَن بن عليّ بن مُكابِر بن بلولِ الصُّنْهاجيّ الفشْتاليّ(٥) من بني بلول، ثم مِن بني عَطّاف، وبه انتفَعَ في العربيّة والطريقةِ الأدبيّة؛ والزاهِدِ الفاضل أبي إسحاقَ بن أحمدَ

---

(١) راجع السفر الأول، الترجمة ٥٣١.

(٢) كذا في الأصل، وفي ترجمة والده عند المؤلف: عبد الرحمن.

(٣) عرّف به عبد الرحمن الفاسي في كتابه استنزال السكينة (مخطوط) نقلًا عما هنا.

(٤) له ترجمة في السفر الخامس (٦١٢) وفيها أنه قرطبي سكن مراكش ثم رباط الفتح، وولي بعض الأعمال السلطانية، وتوفي برباط الفتح سنة ٦٢٢هـ.

(٥) لم نقف على ترجمته.

القَلَبَّق[1]، وأبي جعفر ابن فَرْقَد[2]، وأبي عبد الله ابن حَمّاد[3]، وروى [بفاسَ] عن جماعة منهم: أبو عبد الله ابنُ عبو[4].

وشَرَّق مرّتَيْـن حَجَّ فيهما، فَصَلَ في أُولاهما من سَلا سنةَ ثمانٍ عشْرةَ وست مئة، وجال في بلادِ المشرق والشام والعراق، ودَخَلَ بغدادَ وتكْريتَ والـمَوْصِل ومِصرَ والإسكندَريّة، ورَوى عن طائفةٍ كثيرة من بقايا الشيوخ سَماعًا وقراءةً، وأجاز له منهم جَمْعٌ لا يُحصَوْنَ كثرةً، فمن شيوخِه ببغدادَ: أبو إسحاق إبراهيمُ بن عبد الرّحمن بن أبي [ياسر][5] القَطِيعيُّ الـخَيّاط، وأبو بكرٍ محمدُ بن أبي بكر بن عبد الله....، وأبو حَفْص عُمرُ بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن [سعد السُّهْرَوَردي][6]، وأبو سَعْد[7] ثابتُ بن مُشرَّف بن أبي سَعْد بن إبراهيمَ الأَزَجيُّ البناء[8]، وموفَّقُ الدِّين أبو عبد الله بن عبد اللّطيف[9]

---

(١) لم نقف على ترجمته، والقلبّق: السلحفاة، في اللغة اللاتينية.

(٢) لعله أخذ عنه أثناء توليه قضاء سلا (ت ٦٢٤هـ) انظر السفر الأول، الترجمة ٢٩.

(٣) انظر ترجمته في هذا السفر رقم (١٢٣) ولعله درس عليه أثناء قضائه بفاس.

(٤) ترجمته في هذا السفر رقم (١٠٩).

(٥) ما بين الحاصرتين ممحو في الأصل، واستفدناه من ترجمته في تاريخ ابن الدبيثي ٢/ ٤٦١، وتكملة المنذري ٣/ الترجمة ٢٠٦٠، وتاريخ الإسلام ١٣/ ٦٩٨، وهو من أهل القطيعة بباب الأزج في الجانب الشرقي من بغداد، وتوفي سنة ٦٢٢هـ.

(٦) ممحو في الأصل، وهو الصوفي المشهور الشيخ عمر السُّهروردي ثم البغدادي دفينها المتوفى سنة ٦٣٢هـ ومصادر ترجمته في التعليق على تاريخ ابن الدبيثي ٤/ ٣٥٣-٣٥٤.

(٧) في الأصل: «سعيد»، محرف، وما أثبتناه من مصادر ترجمته ومنها إكمال الإكمال لابن نقطة ٣/ ١٧٠، وتاريخ ابن الدبيثي ٣/ ٤٥، وتكملة المنذري ٣/ الترجمة ١٩٠٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ١٣/ ٥٧٣، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٥٢، وتوضيح ابن ناصر الدين ٥/ ٩٣ وغيرها.

(٨) محو في الأصل لم يبق منه سوى الألف واللام والباء، وأثبتناه من ترجمته.

(٩) هكذا في الأصل، وهو تخليط لا ندري إن كان من المؤلف أم من الناسخ صوابه: موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف، وهو الموصلي الأصل البغدادي الشافعي الفقيه النحوي الطبيب المشهور المتوفى سنة ٦٢٩هـ، وترجمته مشهورة فينظر سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٢٠ والتعليق عليه.

ابن يوسُف بن محمد بن عليّ [البغدادي]، ومحمد[1] بن أحمدَ بن صَالح بن شافِع الجِيليُّ، وبتكريتَ: أبو المعالي محمدُ بن نَصْر بن محمد بن المبارَك ابن البَرْدَغُوليِّ ابنُ الطاهِريّ[2]، وبحَماةَ: أبو القاسم عبدُ الله [الـحُسين][3] بن عبد الله بن رَواحةَ الـحَمَويُّ، وبدمشقَ: خطيبُها جَمالُ الدِّين أبو عبد الله بنُ أحمدَ بن محمد بن قُدامةَ الـمَقْدِسيُّ، وشمسُ الدِّين أبو نَصْر محمدُ بن هبة الله بن مَـمِيل[4] الشِّيرازيُّ، والقاضي أبو [....][5] الشَّهْرَزُوريُّ وغيرُهم، بإفادةِ صاحبِه أبي عبد الله بن يوسُف البِرْزاليِّ الإشبيليّ[6] مُستوطِنِ دمشقَ. وقَفَلَ من وِجهتِه هذه سنةَ ثِنتينِ وعشرينَ وست مئة، واستَوطنَ مَرّاكُشَ وقتًا.

ثم رَحَلَ إلى الأندَلُس وسَكَنَ إشبيلِيَةَ مدّة وشَرِيشَ أُخرى، ومنها فَصَلَ لرحلتِه الثانية سنةَ ثمانٍ وأربعينَ، وكان محرِّكُه إليها وباعثُه عليها ما حدَّثني به ونقَلتُه من خطِّه، قال: وذلك رؤيا رأيتُها في المنام لم تكنْ من أضغاثِ الأحلام؛ رأيتُ في العشْر الأواخِر من رمضانَ سيّدَ البشَر الشّفيعَ المشفَّع في الـمَحْشَر،

---

(١) هو أبو المعالي محمد بن أحمد بن صالح بن شافع الجيلي الأصل البغدادي، أحد الشهود المعدَّلين هو وأبوه وجده، توفي ببغداد سنة ٦٢٧هـ، وترجمته في تاريخ ابن الدبيثي ١/ ٢٢٩ والتعليق عليها.

(٢) في الأصل: «الظاهري»، والصواب ما أثبتنا، وهو مترجم في تاريخ ابن الدبيثي ٢/ ١٣٧، وقد سمع منه ابن الدبيثي وسمع من أبيه أيضًا.

(٣) ما بين الحاصرتين ممحو في الأصل، واستفدناه من ترجمته في صلة التكملة لعز الدين الحسيني ١/ ١٩٤، وتاريخ إربل لابن المستوفي ٢/ ٤١٢، وتاريخ الإسلام للذهبي ١٤/ ٥٤٧، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٦١ والتعليق الموسّع عليه، وتأخرت وفاته إلى سنة ٦٤٦هـ فكان من المعمرين.

(٤) مميل بالفارسية: محمد، وتنظر ترجمته في التكملة المنذرية الترجمة ٣/ ٢٨١٠، وتاريخ الإسلام ١٤/ ١٩٠.

(٥) محو في الأصل.

(٦) هو زكي الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالي الإشبيلي الأصل المتوفى سنة ٦٣٦هـ، وترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٥٥ وفيه ذكر مصادر ترجمته الكثيرة.

جالسًا على سرير، تُبرِقُ من وجهِه الأسارير، فبادرتُ إليه مُسرعًا، ووقَفْتُ بين يَدَيْه متخضِّعًا، وقلتُ له بعدَ أن سلّمتُ عليه، وقُمتُ مقام المستكينِ بين يدَيْه: يا رسُولَ الله، ما أعظمَ عندَ الله تعالى مَن سَلّم عليك، وقبَّل ثَرى نَعْلَيْك! فقال لي عليه الصّلاةُ والسلامُ مُجيبًا، بعدَ أن رَحَّب ترحيبًا: إنّي أُحبُّك، إنّي أُحبُّك، [إنّي أُحبُّك]، ثلاثًا يُعدِّدُها، ويُكرِّرُ الكلماتِ ويُردِّدُها، ثم قال لي في الآخِر: ومن أحبَّ شيئًا أكثرَ من ذكْرِه، فاستيقَظْتُ من منامي، وقمتُ على أقدامي، والعزائمُ منّي مشحوذة، وعِلَقُ تعلُّقي بحبالِ هذه الفانية بمُدى اليأسِ مقطوعةٌ مجذوذة، وخرَجْتُ لا أَلْوي على مُتعذِّر، خروجَ المجدِّ إلى لقاءِ المحبوبِ المشمِّر، فسِرتُ على عَوْنِ الله متورِّكًا، وبرؤيتي هذه المنامةَ متبرِّكًا، وبعُرَى وُدِّي الصّحيح، وحبِّي الصّريح متمسكًا[1]. ولم يُعْنَ في هذه الرحلة بالأخْذِ عن أحد، [ورَوى] عن الخطيبِ بباعوثا: من أرضِ عجلونَ من بلادِ الشام [أبي عليّ] بن عُمرَ الأنصاريِّ ابن الأنْدَلُسيّ[2]، وببُونةَ عن أبي القاسم محمد [....] محمد ابن مُحرِز التَّميميِّ التونُسيِّ من ذريّة الفاضل، الشهيرِ الكرامات...

[عرفتُه] بمَرّاكُش، وصحِبتُه كثيرًا وأخَذْتُ عنه معظمَ ما كان عندَه.

وكان [....] من أهل الصِّدقِ والعدالة، سُنِّيًّا فاضلًا مُنحِيًا على أهل البِدع [....] بارعَ الـخَطّ، سريعَ البديهة في النَّظم، مُكثرًا منه مُحسِنًا في بعضِه، حافظًا للقرآنِ العظيم، مُثابِرًا على تلاوتِه، طيِّبَ النفْس كريمَ الأخلاق جميلَ الدُّعابة مُمتِع المجالسة.

---

(١) من قوله: واستوطن مراكش وقتًا، إلى قوله: متمسكًا، منقول بالحرف في كتاب «استنزال السكينة» لعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي المتوفى سنة أربع وثمانين وألف، ولا يُعرف مآل النسخة التي نقل عنها (انظر الإعلام ٤/ ٣٣١-٣٣٤ ط. فاس).

(٢) ترجم به المؤلف في السفر الخامس (٨١٠) وقال: «روى عنه شيخنا أبو عبد الله بن هشام، لقيه بباعوثا من نظر عجلون بالشام وهو خطيبها، ووُصف بالتقدم في العلم والزهد والفضل والصلاح ومتانة الدين».

وُلد بمَرّاكُشَ سنةَ خمس وتسعينَ وخمسٍ مئة، وتوفِّي بها نصفَ ليلة الخميس الحاديةِ والعشرينَ من ذي قَعْدةِ أحدٍ وسبعينَ وستّ مئة، ودُفنَ إثْـرَ صلاةِ العَصْر من يوم الخميس المذكور بجَبّانة أسرغسن بمقرُبة من جامع عليّ بن يوسُف، عَمَرَه اللهُ بدوام الذِّكْر فيه، وشَهِدَ جَنازتَه خَلْقٌ كثير، وأثنَوْا عليه صالحًا، وكان أهلًا لذلك.

١٢٩ـ محمدُ[١] بن عليّ بن مَرْوانَ بن جَبَل الـهَمْدانيُّ، وَهْرانيٌّ، نشَأَ بتِلِمْسينَ شَلَوبينيُّ الأصل، أبو عبد الله، ابن مَرْوان.

رَوى عن أبي موسى عيسى بن عِمران. رَوى عنه أبو جعفر بن ثُعْبان. وكان فقيهًا مُستبحرًا في حفظِ المسائل ماهرًا في النّظر بارعَ الـخَطّ سَرِيَّ الهمّة. استُقضيَ بتلمسينَ وقتًا، ثم قَدَّمه المنصورُ، من بني عبد المؤمن، في حركتِه الـمَشْرقيّةِ الثانية ـ وهي حركةُ قَفْصة[٢] ـ إلى قضاءِ الجماعة بعدَ صَرْف أبي جعفرٍ ابن مَضَاء عن الـخُطّة حسبَما ذُكِر في رَسْم أبي جعفر[٣]، فتقَلَّده محمودَ السيرة متعرَّفَ العدل والنزاهة والتُّؤَدة، يُذكَرُ أنه لم يجلدْ أحدًا طولَ أيام استقضائه بسَوْط، وكان، على ما ذُكِر من مشكورِ أحوالِه، كثيرَ الـمَيْل إلى...

وكان المنصُورُ معجَبًا به [متحفِّيًا][٤] بشَخْصِه، حَظِيَ لديه كثيرًا فكان لا يَدخُلُ عليه أوجَهُ عندَه ولا أخفُّ على قلبِه منه[٥]، معَ علمِه بما كان عليه من

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٣٣)، وابن سعيد في الغصون اليانعة ٢٩، وابن الزبير في الصلة ٣/ الترجمة (١٣)، والذهبي في المستملح (٣٣٩) وتاريخ الإسلام ١٣/ ٤٢، والمراكشي في الإعلام ٤/ ١٢١.

(٢) كانت هذه الحركة سنة ٥٨٢هـ.

(٣) راجع السفر الأول من هذا الكتاب (٢٩١).

(٤) في الأصل: «متحنا» وفوقها ضبة، وصوابها ما ذكرنا.

(٥) أشار ابن الزبير إلى صفة من الصفات التي قربته من المنصور، قال: «وكان يخطب عند المنصور في محافل الوفود ومشاهد الجماهير قيامًا بالمصالح وإعرابًا عن الأغراض والمقاصد...».

الانهماكِ في التّصابي، قرأتُ بخطِّ التاريخيِّ العدل أبي العبّاس بن عليّ بن هارونَ[1]، قال: حدّثني أبو القاسم ابنُ بَقِيٍّ[2] رحمه اللهُ، قال: قال لي المنصورُ يومًا: صَحَّ عندي أنّ ابنَ مروانَ شرِبَ البارحةَ معَ نُدَمائه في الـمَحَجّة على الساقيةِ التي بمقرُبة من دارِه، وذكَرَ لي أنّ خَوابيَ الشّراب في دارِه، فاذهَبْ إليها وانظُرْ ما فيها، فرغِبتُ إليه أن يُعفيَني من ذلك، فتغافَلَ عنه، وهَمّ حينَئذٍ بإقامة الحدِّ عليه، وأجرى ذلك [في مجلسِه، وكان حاضرًا فيه أبو عبد الله] بنُ إبراهيمَ الأُصوليُّ[3]، وكان بينَه وبينَ ابن مَرْوان من [التدابُر ما] يكونُ بين متنافرَيْنِ، فقال له: يا سيّـدَنا لا تفعلوا، والأوْلى [أن تلتمسَ شُبهةً يُدرَأُ] بها عنه الـحَدّ، ثم [لا] تَشيعُ هذه الأُحدوثةُ حتى تبلُغَ صاحبَ بغداد [ويقال: إنّ المنتسبَ] إلى أشـرفِ خُططِ الشريعـة شاربُ خـمر! فكَفّ الـمنصورُ عنه عنـدَ ذلك[4]،

---

(١) راجع ترجمته في السفر الأول من هذا الكتاب (٤١٧).

(٢) يجدر التنبيه إلى ما كان بين ابن بقي وابن مروان من تنافر وتنافس على الخطبة، وكما ساق المؤلف هذه الحكاية فقد ساق مؤلف الغصون اليانعة حكاية أخرى «مما شنع عليه أعداؤه».

(٣) تقدمت ترجمته في هذا السفر برقم (٧٣).

(٤) وقع في كلام القاضي ابن إبراهيم محو واضطراب في الأصل، وقد اجتهدنا في ترميمه، وإذا كان المنصور كف عن إقامة الحد على القاضي ابن مروان عملًا بإشارة القاضي الأصولي، فقد أقام الحد على أحمد بن سعود العبدري القرطبي نزيل مراكش وأحد أعضاء مجلس المنصور العلمي، قال ابن عبد الملك في السفر الأول (٨٧١): «فلم يزل يحاضر طلبة العلم بمجلس المنصور الخاص بهم ويذاكرهم بين يديه مرعي الجانب ملحوظًا بعين التكرمة محترمًا لشاخته واضطلاعه بالمعارف إلى أن وجد منه يومًا بمجلس المنصور ريح مسكر فاستثبت أمره بالاستنكاه وتحقق فعند ذلك أمر المنصور بإقامة الحد عليه وبين يديه، ولما بلغ جالده أربعين أشار إليه أبو العباس بأن يكف وابتدر لباس ثيابه وقال للمنصور: أنا أحد عبدانكم ولا يجب علي سوى أربعين جلدة منتهى حد العبد، فقبل ذلك المنصور على علمه بما في طيه من التنكيت عليه، وإنما أشار بذلك أبو العباس إلى معتقد آل عبد المؤمن وطائفتهم قديمًا وحديثًا أن كل من خرج عن قبائلهم المعتقدة هداية مهديهم وعصمته فهم عبيد لهم أرقاء، فصرفه المنصور إلى منزله واستمر هجرانه إياه ومنعه حضور مجلسه».

[وبَلَغَ ابنَ مَرْوانَ] ما جَرى في المجلس، وما كان منَ ابن إبراهيمَ في شأنِه، فلِقيَه وأخَذَ في شكرِه [والثناءِ عليه] والاعتذارِ له ممّا سَلَف، فقال له ابنُ إبراهيم: خَلِّ عن هذا، فالذي بينَنا على [ما كان عليه، وإنّما فعلتُ ما فعلتُه] إبقاءً على الصِّنف وصَوْنًا له ورَعْيًا لحقِّه وسترًا عليه. ثم إنّ المنصورَ نكَبَه بعدُ؛ لأنه كان يؤكِّدُ عليه أبدًا في الوُصاةِ بتفقُّدِ السّجون والنظرِ لمن فيها من المسجونينَ وتعاهُدِهم بما يُخرجُه لهم من الصَّدَقات، فكان كلّما سأله عن شيءٍ من ذلك أجابَه بأنه شديدُ العنايةِ به كثيرُ التهمُّم بأحوالِهم؛ فلمّا كان في بعض الأسحار سَمِعَ ضَجّةً عظيمة، فسأل عنها، فأُخبِر أنه صياحُ المسجونينَ واستغاثتُهم، فأرسَلَ من وَثِقَ به في التطلُّع على أحوالِهم، فلمّا دخَلَ عليهم وسألَهم عن حالِهم أخبَروه بأنّهم في جَهْدٍ شديد، وأنّهم قد هَلَكوا جُوعًا وبردًا، ورغِبوا إليه في إيصال رَغَباتِهم إلى المنصُور وتطارُحِهم عليه في المُنّة عليهم بقتلِهم ليستريحوا من عظيم ما هم فيه من سُوءِ الحال وشدّة النَّكال، فأوصَلَ شِكايتَهم إلى المنصُور، فعَظُمَ ذلك عليه وأمر لهم بما يُصلحُ أحوالَهم[1]، وأمَرَ بسِجن القاضي في منزلِه فأقام به مسخوطًا عليه شهرًا أو نحوَه، ثم عَطَفَ عليه وأعاده إلى موضعِه من مجلسِه وصَرَفَه عن القضاء، وذلك بإشبيلِيَةَ سنةَ ثِنتَيْنِ وتسعينَ وخمسِ مئة. وقَدّم لخُطّةِ القضاء أبا القاسم بن بَقِيّ، فبقِيَ قاضيًا إلى أن توفِّي المنصُور، وكان من عهدِه لابنِه الناصِر إقرارُ ابن بَقيّ على القضاء طولَ حياتِه، فخالَفَ الناصِرُ في ذلك عهدَ أبيه، فحين صارَ إليه الأمرُ صَرَفَ ابنَ بقِيّ في جُمادى الأولى سنةَ ستٍّ وتسعينَ، وأعاد إلى القضاء حينئذٍ ابنَ مروان، فاشتدَّ إنكارُ ذلك على الناصِر، واستمرّ ابنُ مروانَ ناهضًا بأعباءِ الخُطّة، شديدَ الهَيْبة بصيرًا بالأحكام شديدَ النظرِ في الفَصْل بين الخُصوم إلى أنْ توفِّي ليلةَ الأحد تاسعةِ [جُمادى الأولى من سنة إحدى] وست مئة،

---

(١) هذا نص واضح الفائدة قوي الدلالة في عناية ملوك المغرب قديمًا بأحوال السجون والمسجونين.

ودُفن عصرَ يوم الاثنين، وصَلّى عليه [الخليفةُ الناصر، وكان الـحَفْلُ في] جَنازتِه عظيمًا[1].

١٣٠ـ محمدُ[2] بن عليّ بن يَخْلُف بن يوسُف بن حَسُّون، [من جزائرِ بني مزغنا][3] أبو عبد الله.

رَوى بِبجَايةَ عن أبي زكريّا يحيى بن ياسين [ابن اللُّؤلؤ، وأبي] محمد عبد الحقِّ ابن الـخَرّاط.

ودَخَلَ الأندَلُسَ طالبًا العلمَ فأخَذَ بإشبيلِيَةَ [عن أبي إسحاقَ] بن مُلْكون، وأبي بكر بن عيسى البَطَلْيَوْسي، وأبي محمد بن مَوْجُوال [البَلَنْسيِّ]، وأبي زَيْد السُّهَيْليِّ، وفي شيوخِه كثرة.

وتوفِّي ببلدِه في الآخِر من صفرٍ [سنةَ ستٍّ] وست مئة.

١٣١ـ محمدُ[4] بن عُمرَ بن نَصْر الفَنْزاريُّ[5]، سَلَاويٌّ، أبو عبد الله.

---

(١) مما يتصل بأبي عبد الله بن مروان أيام قضائه أنه طالب الخليفة المنصور برد أخته إلى زوجها الشيخ عبد الواحد الحفصي وقال له: إما أن تسيّر إليه أهله وإلا فاعزلني عن القضاء. وقد خضع الخليفة لحكم الشرع وانقاد لأوامره. انظر الحكاية بتمامها في وفيات الأعيان ٧/ ١٠-١١ والشهب اللامعة (مخطوط) والإعلام للمراكشي ٤/ ١٢١.

وستأتي ترجمة ولديه أبي علي مروان وأبي عمران موسى بن مروان فيما بعد. أما والد المترجم فقد كان فيما ذكر ابن سعيد «من الأجناد تقدم وساد وولي مدينة وهران» ومن هذه الأسرة ـ أسرة ابن جبل الهمداني ـ الكاتب القاضي الخطيب أبو محمد عبد الله بن جبل. (المعجب: ٢٦٩، والمن بالإمامة ١٥٠، ٢٢٣، ٢٣١).

(٢) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٣٥)، وعليها اعتمدنا في ملء الفراغات والمحو الواقع في نسختنا الفريدة.

(٣) محو في الأصل، وفي التكملة: من أهل الجزائر عمل بجاية.

(٤) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٤٧)، والذهبي في المستملح (٣٥٢) وتاريخ الإسلام ١٣/ ٩٣٦.

(٥) وقع في المطبوع من التكملة «الفزاري» من غلط الطبع فيصحح، وهو منسوب إلى «فنزارة» التي منها خميس فنزارة (الخميسات حاليًا)، وإلى فنزارة ينسب بنو عشرة السلاويون وابن المجراد السلاوي.

قَدِمَ الأندَلُسَ، [وشرَّقَ] وحَجّ، ورَوى عن أبي الـحَسَن ابن الـمُفَضَّل[1] الـمَقْدِسيّ، وأبي الطاهرِ الـخُشوعيِّ، وأبي محمدٍ القاسم بن عليّ بن عساكر.

رَوى عنه أبو الـحُسَين عُبَيدُ الله بن عاصم الدائريُّ[2] سنةَ ثلاثينَ وست مئة.

١٣٢ـ محمدُ بن عِمرانَ بن موسى الصُّنهاجيُّ، عُدْويٌّ[3].

رَوى عن أبي العبّاس ابن النّخّاس[4].

١٣٣ـ محمدُ[5] بن عِيَاض بن محمد بن عِيَاض بن موسى اليَحْصُبيُّ، سَبْتيٌّ بَسْطيُّ الأصل، نَزَلَ مالَقةَ وغَرْناطةَ، أبو عبد الله، ابنُ عِيَاض.

وقد تقَدَّم رفْعُ نَسَبِه في رَسْم أبيه[6]، رَوى عنه، وعن أبي البَرَكاتِ الفارسيِّ السَّلَماسيِّ، وأبي الـحَسَن ابن القَطّان، وأبي سُليمانَ بن حَوْطِ الله، وأبي الصَّبْر الفِهْريِّ، وأبي العبّاس العَزَفيّ، وأبوَي القاسم: ابن بَقِيّ، وعبد الرّحمن بن عليّ ابن القاسم.

---

(١) في الأصل: «الفضل» محرف، وهو أبو الحسن علي بن المفضل المقدسي الإسكندراني المتوفى سنة ٦١١هـ صاحب «وفيات النقلة».

(٢) هو عبيد الله بن عاصم بن عيسى الدائري ترجمه ابن الأبار في التكملة (٢٢٣٧) وكناه أبا الـحَسَن، وابن الزبير في صلة الصلة ٣/ الترجمة ٢٧٨ وكناه أبا محمد، والذهبي في المستملح (٥٢٤)، وتاريخ الإسلام ١٤/ ٦٢٢. وترجم المؤلف لولده أبي الحسين محمد في السفر السادس (١٣٠٨) وقال: «أجازه مع أبيه في مكتوب واحد أبو عبد الله محمد بن عمر بن نصر الفنزاري السلوي وذلك في شعبان من سنة ثلاثين وست مئة».

(٣) نسبه إلى عُدوة المغرب.

(٤) هو أحمد بن خلف بن عيشون، تقدمت ترجمته في السفر الأول (١٤١).

(٥) ترجمه ابن ابن الزبير في صلة الصلة ٣/ الترجمة ٢٩، والذهبي في تاريخ الإسلام ١٤/ ٧٨٩، وابن أيبك الدمياطي في مستدركه على صلة التكملة للحسيني ١/ ٣٥٤ هامش (١)، وابن الخطيب في الإحاطة ٢/ ٢٢٦، وابن فرحون في الديباج ٢/ ٢٦٦.

(٦) تقدمت ترجمته في هذا السفر برقم (٣٩).

وأجازَ له من أهل الأندَلُس: أبو الـحُسَين ابن زَرْقُون. ومن أهل المشرِق ثم دمشقَ: أبو الطاهرِ الـخُشُوعيُّ، وأبو محمدٍ عبدُ الصّمد بن جَوْشَن، وأبو البَرَكات ابنُ أبي الـجِنّ، وأبو اليُمْن الكِنْديّ.

ومن حلَبَ: أبو محمدٍ عبدُ الرّحمن بن عُلْوان، وأبو هاشم عبدُ المطّلب الهاشميُّ.

ومن حَرّانَ: أبو الثناءِ حَمّاد، ومحمدُ بن أبي القاسم ابن تَيْمِيّةَ، وأبو محمدٍ عبدُ القادر الرُّهَاويُّ.

ومن الـمَوْصِل: نَصْرُ الله بن سَلامةَ الهِيْتيُّ، وعبدُ الـجَبّار الـحُصْريُّ، وفِتْيانُ بن أحمد، وأبو القاسم عبدُ الـمُحسِن الطُّوسيُّ.

ومن بغدادَ: أبو محمد عبدُ العزيز بن الأخضَر، وأبو القاسم سَعِيدُ بن عَطّاف، وأبو الفُتوح يوسُفُ الـخَفّافُ، وأبو محمد عبدُ الله بن دِهْبل، ومحمدُ بن هبة الله الوكيل، وعبدُ الرزّاق بن عبد القادر الجِيليُّ، وإبراهيمُ بن محمد بن بَكْرُوس، وأبو محمدٍ عبدُ الوهّاب بن سُكَيْنة، وأحمدُ بن محمد ابن الفَرّاء، وعبدُ السّلام ابن سُكَيْنة، والأنجَبُ الـحَمّاميُّ، وأبو محمد أحمدُ الشُّبّاك[1]، وأبو حَفْص عُمرُ السُّهْرَوَرْديُّ، وأبو الفَضْل عبدُ الواحد بن سُلطانَ، وأبو بكرٍ محمدُ بن المبارَك بن مَشِّق، وعبدُ الرّحمن بن يحيى ابن الصَّدْر، وأحمدُ بن هبة الله بن العلاءِ، وأبو الـحَسَن عليُّ بن يوسُفَ بن صَبُوخا، وأبو عبد الله الـحُسَين بن أحمدَ، وأبو يَعْلَى حمزةُ [بن علي بن حمزة ابن القُبَّيْطي[2]، وأبو الـحَسَن] عليُّ بن محمد مَوْصليُّ

---

(1) المعروف من هذه الطبقة من بني «الشُّبّاك» ببغداد: أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي العز ابن الشباك، توفي سنة ٦١٦هـ (وهو مترجم في تاريخ ابن الدبيثي ٤/ ٤٠٨، وإكمال ابن نقطة ٣/ ١٤٥، وتاريخ ابن النجار ٣/ ٩٠، وتكملة المنذري ٢/ الترجمة ١٦٨٤ وغيرها)، أما أحمد هذا فلم نقف على ترجمة له.

(2) الترميم من تاريخ ابن الدبيثي ٣/ ٢٠٨، وتكملة المنذري ٢/ الترجمة ٩٣٩، وتاريخ الإسلام ١٣/ ٥٧.

الأصل[1]، وأبو القاسم بن يوسُف بن صَبُوخا، [وأبو الفضل سليمان بن محمد بن علي بن أبي سعد، موصلي][2] الأصل أخو عليّ المذكور، وعبدُ اللّطيف بن أبي النَّجيب[3]، ومحمدُ بن [علي بن يحيى ابن الطراح، وأبو] محمد عبد العزيز بن مَنِينا، وأبو عبد الله محمدُ بن أبي المعالي ابن البَنّاء، والحَسَن بن أبي سَعِيد بن سَعْد الله ابن البَوّاب، وعبدُ الله بن عثمان [بن قُدَيْرة]، وأبو إسحاقَ يوسُفُ بن [أبي حامد محمد بن أبي الفضل محمد بن عُمر بن يوسف الأُرموي]، والمبارَكُ ابن أنوشْتِكين، ومحمدُ بن أبي الفَتْح بن عَطِيّةَ، وعبدُ الغنيِّ بن أبي [القاسم][4] ابن البُنْدار، وعبدُ الله بن عُمرَ اللَّتِّيُّ، وظَفَرُ بن سالم ابن البيطار، وأرمانوسُ [بن عبد] الله، وعبدُ الله بن صَافٍ الخازِنيُّ، ومحمد بن علي القُبَّيطيُّ، وسَعِيد بن محمد الرَّزّازُ، وإسماعيلُ بن سَعْدِ الله بن حَمْدي، ونفيسٌ الزَّعِيميُّ.

ومن إربِلَ: أبو حَفْص ابن طَبَرْزَد، وأبو عليّ حَنْبل الرُّصَافيُّ.

ومن أواسطَ: أبو الفَتْح محمدُ بن أحمد المَنْدائي، وعليُّ بن عليّ بن نَغُوبا[5]، وأبو الحَسَن عليُّ بن أحمدَ الدَّبّاسُ، وأبو طالبٍ عبدُ الرّحمن بن محمد بن عبد السّلام الهاشميُّ.

---

(1) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن أبي سعد الموصلي الأصل البغدادي المولد والدار الخياط المتوفى سنة ٦١٤هـ (ترجمه ابن الدبيثي في تاريخه ٤/ ٥١٠، وابن النجار في التاريخ المجدد، الورقة ٩ من نسخة باريس، والمنذري في التكملة ٢/ الترجمة ١٥٤٠، والذهبي في تاريخ الإسلام ١٣/ ٤١٦).

(2) ما بين الحاصرتين ممحو في الأصل، استفدناه من تاريخ ابن الدبيثي ٣/ ٣٥٧، وتكملة المنذري ٣/ الترجمة ١٣٨٩، وتاريخ الإسلام ١٣/ ٣٣٧.

(3) هو عبد اللطيف بن عبد القاهر بن عبد الله السهروردي الصوفي المشهور (تاريخ ابن الدبيثي ٤/ ١٩٢).

(4) استفدنا في ملء كثير من هذه الفراغات بما ورد في الترجمة (٩٩) من هذا السفر حيث أصلحنا النص هناك.

(5) في الأصل: «بقويا» محرف.

حدّثنا عنه من شيوخِنا أبو جعفرٍ الطَّبّاعُ، وأبو الـحَسَن الرُّعَيْنيُّ، وأبو عبد الله بن أُبيّ، وأبو محمد مَوْلى أبي عثمانَ بن حَكَم. ومن أصحابِنا أبو عبد الله ابن عَيّاش. وكان ماهرًا في النّحو، شديدَ العناية به، محصِّلًا له، فقيهًا حافظًا للمسائل، بصيرًا بالفتاوى في النّوازل، مُشاركًا في الأدب. واستُقضيَ بغَرناطةَ وبغيرِها، وكان آخِرَ قُضاة العَدْل بالأندُلُس مشهورَ النَّزاهةِ والطهارةِ والذّكاء.

وُلد عام ثمانينَ وخمسٍ مئة، قال: أظُنُّ ذلك في رجَب، وتوفِّي بغَرناطةَ وهو يتَولّى قضاءها ظُهرَ يوم الخميس لثلاثةٍ بقِينَ من جُمادى الآخِرة سنةَ خمس وخمسينَ وست مئة، ودُفن إثْرَ صلاةِ الـجُمُعة بعدَه، واحتَفلَ الناسُ بحضورِ جَنازتِه، وشَهِدَها الأميرُ حينَئذٍ، وأثنَى عليه الناسُ صالحًا وأسِفوا لفَقْدِه.

١٣٤ـ محمدُ[1] بن عِيَاض بن موسى اليَحْصُبيُّ، سَبْتيٌّ، أبو عبد الله، جَدُّ المذكورِ قبلَه متّصلًا به.

رَوى عن أبيه أبي الفَضْل، وأبوَيْ بكرٍ: ابن رِزْق وابن العَرَبيّ، وأبي القاسم بن بَشْكُوال. رَوى عنه ابنُه أبو الفَضْل.

وكان فقيهًا محدِّثًا مشهورَ العَفافِ والطّهارة عليَّ الهِمّة متواضِعًا، ذا حظّ من الأدبِ، ومعرفةٍ [بالأخبار، وَلِـيَ القضاءَ بدانِيَةَ] قبلَ السّبعينَ وخمسِ مئة، ثم بغَرْناطةَ، فحُمِدت [سيرتُه وعُرِفت نَزاهتُه] وتوفِّي بغَرْناطةَ، وقيل: بسَبْتةَ، عامَ خمسةٍ وسبعينَ [وهُو ابنُ ثمانٍ] وأربعينَ عامًا.

١٣٥ـ محمدُ[2] بن عيسى بن محمدِ بن أصبَغَ بن محمدِ [بن محمد بن أصبَغَ ابن] عيسى بن أصبَغَ الأزْديُّ، مَهْدَويٌّ نشَأ بتونُس، قُرطُبيٌّ أصل [السَّلَف]،

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٢٦)، وابن الزبير في الصلة ٣/ الترجمة (١٠)، والذهبي في المستملح (٣٣٣) وتاريخ الإسلام ١٢/ ٥٦٠، والصفدي في الوافي ٤/ ٢٩٤، وابن فرحون في الديباج ٢/ ٢٦٦.

(٢) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٦٣٢)، والرعيني في برنامجه (٥٥)، وابن سعيد في المغرب ١/ ١٠٥، والذهبي في تاريخ الإسلام ١٣/ ١٢٠، والمراكشي في الإعلام ٤/ ١٨١.

انتَقلَ أبوه[1] في الفِتنة عندَ انقراضِ دولةِ لَـمْتُونةَ من الأندَلُس فاستَوطنَ [إفريقيّةَ]، أبو عبد الله، ابنُ الـمُناصِف.

وقد تقدَّم تعيينُ الـمُناصِف من سَلَفِه في رَسْم [أبي الوليد] الـحَسَن بن عيسى بن أصبَغ[2].

رَوى أبو عبد الله ـ بتونُسَ ـ عن أبيه، وأبي الـخَطّاب ابن الـجُمَيِّل، وتفقّه بأبي الـحَجّاج الـمَخْزوميِّ ولازَمَه كثيرًا، وقاضيها أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد القَحْطانيّ ابن أبي دَرَقة، وبأبي إسحاقَ الكانميِّ وتأدَّبَ به، وبأبي بكر عَتِيقِ بن عليّ الفَصِيح. وانتَقلَ إلى تِلِمْسينَ وأخَذَ بها عن أبي عبد الله التُّجِيبيّ.

رَوى عنه أبوا إسحاقَ: ابنُ أحمدَ ابن الواعِظ وابنُ زكريّا الشَّبانسيّ، وأبوا بكر: ابن سيِّد الناس وابن مُحرِز، وأبوا جَعْفر: ابنُ عبد الله بن محمد وابن عليّ البنيوليُّ، وأبو الـحَسَن ابنُ القَطّان، وأبو الـحُسَين [بن] عُبَيد الله بن عِصام الدائريُّ، وأبو الـخَطّاب بن خليل، وأبو الرَّبيع بنُ سالم، وأبو زكريّا بن عُصفُور التِّلْمسينيُّ، وأبو عبد الله بن عبد الرّحمن بن حَوْبَر، وأبو العبّاس بن عُمرَ القُرطُبيُّ، وأبو سَعْدٍ الـحَفّار، وأبو القاسم وأبو الزّهر وأبو الـحُسَين بنو رَبيع، وأبوا محمد: ابن عبد الرّحمن بن بُرطُلّه وابنُ عليّ بن عبد الجليل بن عليّ بن عبد الجليل الأَزديُّ القَرَويُّ، وأبوا الوليد: ابنُ أحمدَ بن سابِق وابنُ الحاجّ.

وحدّثنا عنه من شيوخِنا أبو الـحَسَن الرُّعَيْنيُّ، وأبو محمدٍ حَسَنٌ ابنُ القَطّان.

وكان فقيهًا نَظّارًا، جانحًا إلى الاجتهاد، مائلًا إلى القولِ بمذهبِ الشافعيِّ ناصرًا له مُناظرًا عليه، وكان معَ ذلك شديدَ العناية بتلقينِ القاضي أبي محمدٍ

---

(١) تقدمت ترجمته في السفر الخامس (٩٣١).

(٢) في القسم المفقود من هذا الكتاب، ولأبي الوليد هذا ترجمة في التكملة الأبارية (٦٩٠) وفي معجم أصحاب الصدفي (٦٦)، وتاريخ الإسلام للذهبي ١٢/ ٦٣٨، والمستملح، له (٦).

عبد الوهّاب، جيِّدَ النظرِ في فقهِه وتبيينِ غوامضِه، واستَدْرك فيه فَصْلَ السَّلَم على طريقتِه، لإغفال أبي محمدٍ إياه منهُ[1]، فقال: فصلٌ. السَّلَمُ جائز، وهو: بيعٌ معلومٌ في الذِّمة ممّا ينضبطُ في الصِّفة في الـمَكِيل الموزونِ وغيرِ ذلك من العُروض والـحَيوان والرَّقيق وسائرِ أنواع المتمَلَّكاتِ التي يجوزُ بيعُها مشاهدةً وتَحصُرُها الصِّفة إذا غابت حَصْرًا لا يتبَعُه التعيينُ كالقمار. وله خمسةُ شروط، أحدُها: أن يكونَ في الذِّمة مطلقًا لا متعيِّنَ الذات، والثاني: أن يكونَ معلومًا [....] يتعلَّقُ الغَرَضُ بها في مثلِه، والثالث: أن يكونَ مؤجَّلًا.... أقلُّه اختلاف، وأما أكثرُه فما لم ينتهِ إلى الغَرَر لطُولِه، والرابع: أن يكونَ [....] المحلّ وسواء كان معدومًا حالَ العَقْد أو موجودًا متّصلَ الوجود... [والخامس]: أن يكونَ رأسُ المال نَقْدًا لا مؤخَّرًا بشَرْطِ فوقِ ثلاثٍ باتّفاق... فإذا سَلَّم بشروطِه صَحّ ولزِمَ وإن عَيَّنا موضعًا للقبض كان أتم... لم يَبطُلْ وقُضِيَ بالعُرف في قَبْض أهل الموضِع ما سَلِموا فيه من ذلك... في حُكم المشروط، ولا يجوزُ السَّلَمُ فيما لا يجوزُ بيعُه، كترابِ الصّاغة و... وأنواع النجاسات وإن صَحَّ تَمَلُّكُه، ولا في شيءٍ معَ جُزَاف ما شُرِعَ جُزَافُه ولا في شيءٍ من المعادنِ وإن صَحّ بيعُ جميعِه معَ المشاهدة؛ لأنّ الصِّفةَ لا تحصُرُه إذا غاب، ولا في الأُصُولِ الثابتة من العَقار والدُّور والأرضِينَ وما لا يُنقَلُ وإنْ حَصَرتْه الصِّفةُ عندَ المغِيب؛ لأنّ من صفاتِه المقصودةِ ذِكْرَ الجهاتِ والأقطار، وذلك يُخرجُه إلى التعيين، وهو مُنافٍ لـحُكم السَّلَم، ولا في طعامِ قريةٍ بعينِها أو ثمرةِ بستانٍ بعينِه إذا كان ممّا لا يُؤمنُ أن يُخلَفَ لأنه غَرَر، وكالسَّلَم في العَيْن، ويجوزُ الأجَلُ إلى الـجُذَاذ والـحَصَاد وقُدوم الحاجّ؛ لأنه معلومٌ لا يتفاوتُ قَدْرُه في الاختلافِ له.

---

(١) ذكر ابن رُشيد كذلك في رحلته مسألة نسيان باب السلم وسقوطه من كتاب «التلقين» كما ذكر مسألة أخرى شبيهة بها، وهي نسيان باب القسم وسقوطه من كتاب قوانين العربية لابن أبي الربيع النحوي.

وإذا حَلّ أجَلُ السَّلَم وقَبَض بعضَه وأقال في بعضٍ لم يـجُزْ؛ لأنه بَيْعٌ وسَلَف، فإنْ غَلَبا على التبعيض بانقضاءِ الإبّانِ فيما له إبّانٌ وما لا يُتَّهمانِ على قصدِه، ففي موجِب الـحُكم اختلافٌ فعن مالكٍ أنه يتأخَّرُ بالبقيّةِ إلى عام قابِل، وعلى ذلك إن تَراضَيا على الـمُفاصلة معجَّلًا بحسابِ ما فَضَلَ وردِّ ما بقِيَ من رأس المال لم يَـجُزْ؛ لأنه يَؤُولُ إلى بَيْع وسَلَف، وقد رُوِيَ عنه أيضًا الجوازُ؛ لأنهما لم يَقصِداه، والثاني: قولُ أشهبَ: أن موجبَ الـحُكم المحاسَبة ورَدُّ ما فَضَلَ؛ لأنّ فواتَ الأجل المعقود عليه مُـخْرج له عن شرطِ العَقْدِ فيما بقِيَ، وعلى ذلك إنْ تَراضَيا على التأخير إلى عام قابِلٍ لم يَـجُزْ؛ لأنه يَؤُولُ إلى فَسْخ الدَّين في الدَّين، ومن أسلَمَ في طعام فأخَذَ عن المحلِّ طعامًا من جنسِه وبمَكِيلِه لكنْ أدنى أو أعلى من صفةِ ما أسلَمَ فيه: حُمِلَ على الـمُسامحة والرِّفق، وإن كان قبلَ المحلِّ: لم يَـجُزْ؛ لأنه في الدُّون وُضع على التعجيل وفي الأعلى عُوِّض عن الضّمان، فإن كان مثلَه وعلى صفتِه من غيرِ زيادةٍ ولا [نُقْصان... عليه، فإنْ أخَذَ عن الجِنس من الطّعام كالبُرِّ، أو أخَذَ أيَّ عَرَضٍ كان عن أيِّ طعام كان: لم يَـجُزْ قبلَ... الطعام قبلَ قَبْضِه، ويجوزُ ذلك في غيرِه من سائر... إذا قَبَضَ الجنسَ الآخَرَ مكانَه، فإن تأخَّر القَبْضُ عن العَقْد... الدَّين بالدَّين.

قال أبو عبد الله ابنُ الـمُناصف رحمه الله: [يُفهَمُ] من كلام القاضي من كتابِ البُيوع من «التّلقين» إحالةٌ على تبيينِ [بَيْع السَّلَم] فيما يوردُه، ثم لم يقَعْ إلينا في شيءٍ من نُسَخ «التلقين»، فلعلّه نَسِيَ أو ذَهِلَ أو غيرَ ذلك من لوازم البشر، وقد رَغِبَ عند المطالعةِ لهذا الكتاب بعضُ الإخوانِ [منّي] إلحاقَ فَصْل السَّلَم إليه بما يُناسبُ الموضوعَ وغَرَضَ المؤلِّف في هذا الكتابِ من التحديق، فلم نَرَ في إجابتِه بأسًا ورَغِبْنا أن يكونَ استلحاقُه عليه بنَحْوٍ ممّا صَرَّح به من مذهبِه واختيارِه، وتضمُّنِه بعضَ ألفاظِه من كتابِ «الـمَعُونة»[1]، فكثيرًا ما يَجري

---

(١) هو كتاب «المعونة على مذهب علماء المدينة» للقاضي عبد الوهاب البغدادي.

بها معَ «التلقين» فلخَّصْنا هذا الفَصْلَ ونقَّحْنا ألفاظَه وضَبَطْنا معانيَه، وربّما زِدْنا تنبيهًا على أشياءَ ليست في «الـمَعُونة»، فاستقَلَّ إن شاء اللهُ فَصْلًا لائقًا بكتابِ «التلقين»، واللهُ الموفِّق.

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: أورَدْنا هذا الفَصْلَ هنا وإن لم يكنْ من شرطِ الكتابِ؛ لغَزَارتِه وللإفادةِ به، ولنَدُلَّ بمُضمَّنِه على جلالةِ محرِّرِه وتمكُّنِ معرفتِه وبَراعةِ تصرُّفِه.

وكان حافظًا للُّغات، رَيّانَ من الآداب، شاعرًا مُجِيدًا مُرجِّزًا مطبوعًا، من بيتِ علم ورياسةٍ فيه، وتنقَّل في خُططِه السَّرِيّة؛ بارعَ الـخَطّ في كلِّ طريقة. ذَكَرَ لي شيخُنا أبو محمدٍ ابنُ القَطّان أنه كان يكتُبُ ثلاثَ عشْرةَ طريقةً هو فيها كلِّها مُجيد. قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: قد رأيتُ منها أربعَ طرائقَ، وهيَ كما وَصَفَ شيخُنا أبو محمد.

وكتَبَ الكثيرَ وكان مُقِلًّا من الرِّواية ضابطًا لِـما يحدِّثُ به، ثقةً فيه، صنَّفَ كثيرًا، من مصنَّفاتِه: «الإنجاد في الجهاد»[1] يكونُ في حجم «تفريع» ابن الـجَلّاب أو أشَفَّ يسيرًا، وهو ممّا ظَهَرَ فيه حُسنُ اختيارِه وجَوْدةُ نَظَرِه وصحّة فقهِه واستنباطِه، وقَفْتُ على نُسختَيْنِ منه بخطِّه الـمَشْرقيِّ؛ وكان تأليفُه إيّاه بنَدْبِ أبي عبد الله بن أبي حَفص بن عبد المؤمن[2] أيامَ ولايتِه ببَلَنْسِيَةَ وابنُ الـمُناصِف قاضٍ بها، ومقالةٌ في «الأيْمانِ اللازمة»، ورَجَزٌ في فنونٍ من العلم؛ أراجيزَ مطبوعةً، منها: «الدُّرّةُ السَّنِيّة [في المعالِـم السُّنِّية» جعَلَها في] أربعةِ مَعالم، الأول: في عِلم

(١) توجد منه نسخة مخطوطة بخزانة ابن يوسف بمراكش. انظر وصفها وتحليلها في بحث الأستاذ الكتاني (الباحث س١ ع٢).

(٢) انظر أخباره في البيان المغرب: ٢٣٣ (قسم الموحدين)، والعبر لابن خلدون ٦/ ٥٢١، وكذلك ما كتب عنه المؤرخ هويس ميراندا في كتابه: التاريخ السياسي لدولة الموحدين ٢/ ٥١٦ وكتابه: تاريخ بلنسية الإسلامية ٣/ ٢٦٥، وكتاب ابن شريفة عن أبي المطرف ابن عميرة ص٨٥ وما بعدها.

الكلام، الثاني: في أُصولِ [الفقه، الثالث: في فروعِه][1] ، الرابع: في السِّيَرِ النّبَوية، وفي تقريظِها والتحريض على حفظِها يقولُ [من السريع]:

مـن لم تـكُ الـدُّرةُ في حَـوْزِهِ	فجِيدُ عُليا مجدِ[هِ عاطلُ]
روضـةُ آدابٍ حُـلى سُـؤدَدٍ	منبَـعُ علـم وَدْقُـهُ [هاطلُ]
فاقـت بنـاتُ الـنظم في فنِّهـا	لا يتساوى الحـقُّ [والباطلُ]

وقَفْتُ عليها بخطِّه المشرِقيِّ. ومنها: «الـمُذهَّبةُ في نَظْم الصِّفات من الـحُليِّ والشِّيَات»[2]، و«الـمُعقِّبة لكتابِ الـمُذهَّبة»، في الأنعام والظِّباء وحُمُر الوَحْش والنَّعام [....] وما يتعلَّقُ بها. وقَفْتُ عليهما[3] بخطِّه المغرِبيِّ مجموعَيْنِ في مجلَّدٍ واحد، وقد خَدَمَ الأولى منهما وطرَّرَ حواشيَها بخطِّه المشرِقيِّ[4].

سَكَنَ تِلِمْسينَ كثيرًا متلبِّسًا بعقْد الشّروط، وكان مُبرِّزًا في معرفتِها بصيرًا بعِلَلِها، ثم استُقضيَ ببلَنْسِيَةَ، ثم نُقل منها إلى قضاءِ مُرْسِيَة فاستمرّت ولايتُه القضاءَ بها كثيرًا مشكورَ السِّيرة حتى ظهَرت منه غلظةٌ في تأديبِ بعضِ أهلِها لإفراطِ حِدّةٍ كانت فيه، وقيل: إنّما كان ذلك منه ببلَنْسِيَة، فأُلزِم سُكنى قُرطُبَة.

---

(١) ما بين معقوفين ممحو في الأصل. وفي المغرب ١/ ١٠٦: «وذكر المحدث أبو العباس ابن عمر أنه جمع كتابًا فيه أربعة علوم: أصول الدين، وأصول الفقه، وفروعه، وسيرة النبي ﷺ». وتوجد من الدرة السنية مخطوطات في المغرب وتونس. انظر وصفها وتحليلًا لها في بحث الأستاذ الكتاني المذكور.

(٢) توجد منها نسخ مخطوطة في المغرب وغيره، وهي منشورة ضمن التقويم الجزائري لسنة ١٩٣٠=١٩١٢ حسبما جاء في كتاب الأستاذ المنوني (العلوم والآداب... ص٦١) وذكر القاسم التجيبي في برنامجه أن المذهبة أرجوزة تحتوي على ألف مزدوجة (البرنامج: ٢٨٣ تحقيق عبد الحفيظ منصور، وانظر بروكلمان: الذيل ١/ ٩١٠).

(٣) في الأصل: «عليه».

(٤) ينسب إلى ابن المناصف أيضًا كتاب «تنبيه الحكام في الأحكام» توجد منه نسخ مخطوطة (انظر بحث الأستاذ الكتاني).

وكان من قضاةِ العَدْل والـجَزالة، جميلَ الهيئة بهيَّ المنظر تامَّ المروءة. ثم استقرَّ أخيرًا بمَرّاكُش خطيبًا بجامع بني عبد المؤمن الأقدم جامع الكتبيين إلى أن توفِّي بها غَداةَ يوم الأحد لاثنتَيْ عشْرةَ ليلةً بقِيَت من ربيع الأول سنةَ عشرينَ وست مئة، ودُفنَ إثْرَ صلاةِ العصر من يوم وفاتِه خارجَ بابِ تاغزوت، وشَهِدَ جنازتَه خَلْقٌ كثير، وأسِفوا لموتِه، وأثنَوْا صالحًا، وهو كانَ خاتمةَ بيتِهم النَّبيهِ، رحمه الله.

ومولدُه بتونُس - وقيل: بالـمَهْديّة، وهو أصَحّ - في رجِبِ ثلاثٍ وستّينَ وخمسٍ مئة.

وقَبَّح اللهُ الحسَدَ المذموم، فقد حَمَلَ أبا عبد الله ابنَ الأبّار على ذكْرِه إيّاهُ في الأندَلُسيِّينَ تشبُّعًا لهم ببعضِ ما ذكَرْناهُ به وخَتَمَ رسْمَه بما نَصُّه: وذكْرُه في الغُرَباءِ [لا يصحُّ] ضَنانةً بعلمِه على العُدوة. وكذلك ذكَرَهُ ابنُ الزُّبَيْر في الأندَلُسيِّينَ ولم يذكُرْ أين وُلد لـمّا لم يعلَمْه، وخَتَمَ ذكْرَه بما نَصُّه: ومولدُه بالـمَهْديّة وإنّما ذكَرْتُه في البلَديّينَ تبعًا للشّيخ وغيرِه ولتأصُّلِه الأندَلُسيّ وعراقتِه.

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: كان هذا مُلحقًا في حاشيةِ كتاب ابن الزُّبَير بخطِّه، وأراه إنّما ألـحَقَه لـمّا تعرَّفَه [من قِبَل ابن الأبّار]، وأرى أنه الـمَكْنيَّ عنه بغيرِه، واللهُ أعلم. ثم أنِفَ من [الاعترافِ بالوَهَم والخطإ] اللذَيْن وقَعَ فيهما بذكرِه في الأندَلُسيِّين، فاعتذَر [عن صنيعِه بهذا العُذرِ] الفاتر. وتبَعيّتُه للشّيخ مع علمِه بخطئه أقبحُ من الخطإ، [والغريبُ أنه عُنِي] بإصلاح ما وقَعَ في كتاب الشّيخ، واشتدّت عِنايتُه بذلك، ونبَّه في [خُطبةِ كتابِه] على أنه جُلُّ مقصودِه. وأما تبعيتُه غيرَه فإنْ يكُن ابنَ الأبّار فقد ذكرتُ [ما عُرِف به] من التعصُّب المشنوءِ، ولا عبرةَ بالتأصُّل والعَراقة بالنّظرِ إلى ما تقرَّر [من] الاصطلاح في الغُرباء. واللهُ يعصِمُنا من الزَّيْغ والزَّلَل، ويحمينا من مُواقعةِ الخطإ والـخَطَل، ويَهدينا إلى أقوم المسالِك في القولِ والعمل، إنه مُنعِمٌ كريم، وصَلَواتُ الله وسَلامُه على سيِّدِنا محمدٍ وعلى آلِه الطيِّبينَ الأكرمين.

١٣٦ـ محمدُ[١] بن عيسى بن مع النَّصْر بن إبراهيمَ بن دُوْناس ـ بدال غُفْل وواوِ مَدّ وألفٍ بعدَ نون وآخِرهُ سين ـ ابن زكريّا بن سَعْدِ الله بن سَعِيد بن محمد بن مُنِيب[٢] بن عليّ بن المنصُور بن سُليمان ـ وأملَى عليَّ حفيدُه صاحبُنا أبو سَعِيد محمد[٣]، بعدَ مُنيب: ابنَ بَرُوْن ـ بباءٍ بواحدة مفتوح وراءٍ وواوِ مَدّ ونون ـ ابن وَكيل بن هشام بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عليّ بن محمد بن الحَسَن بن محمد بن عبد الله بن الحَسَن بن الحَسَن بن عليِّ بن أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنه، ووعَدَني بتحقيقِه، ولم يُقْضَ بذلك حتى فصَلتُ عن فاس، فاسيٌّ، أبو عبد الله المومنانيُّ، نَزلَ بعضُ سَلَفِه، سُليمانُ أو غيرُه، بني مومنانَ من حَوْزِ فَنْدَلاوة بحَوْمة فاس.

رَوى عن أبيه عيسى[٤]، وصِهر أبيه أبي محمدٍ يشكر[٥] بن موسى، وتفَقَّه بهما، وأبي الحَجّاج بن نَمَويّ، وأبي الحَسَن ابن القَطّان، وأبي الخَطّاب ابن الجُمَيِّل، وأبي ذَرّ الخُشَنيّ، وآباءِ عبد الله: ابن عبد الرّحمن التُّجِيبيِّ وابن عبد الحقّ وابن قاسم ابن القَطّان نزيلِ مِكْناسةَ، وأبوَي العبّاس: ابن البَقّال وابن الرُّوميّة، وأبي العلاءِ الإدريسيِّ إمام مسجدِ ابن أغلَبَ، وأبوَي القاسم: ابن زانيف وعبد الرّحيم ابن المَلْجوم، وأبي محمدٍ عبد العزيز بن زَيْدان، وأبي موسى الجُزُوليّ، وأجاز

(١) ترجمه ابن خميس في أعلام مالقة (٥١)، وابن الأبار في التكملة (١٧٤٨)، وابن الزبير في صلة ٣/ الترجمة (٢٣)، والذهبي في المستملح (٣٥٣) وتاريخ الإسلام ١٤/ ٣٠٣، وابن القاضي في جذوة الاقتباس ١/ ٢١٥، والمراكشي في الإعلام ٤/ ٢٢٩. وله أخبار في البيان المغرب ٣٥٦-٣٥٧ (قسم الموحدين)، وعبر ابن خلدون ٦/ ٥٣٧، والاستقصا ٢/ ٢٤٦.

(٢) في «التكملة»: «حبيب».

(٣) لعله محمد بن عبد الرحمن المومناني القاضي المترجم في جذوة الاقتباس رقم (١٩٣).

(٤) له ترجمة في جذوة الاقتباس رقم (٥٦٩).

(٥) له ترجمة في الجذوة رقم (٦٥٥)، والتشوف رقم (١٧١)، وسلوة الأنفاس ٣/ ١٦٤، والأنيس المطرب ٧١-٧٢ (ط. دار المنصور).

له هو وأبو عبد الله الشارِّيُّ، وأبو القاسم مَوْلى ابن أباقا، وأبوا محمد: ابنُ حَوْطِ الله وعيسى بن سُليمان الرُّنْدِيُّ. وله شيوخٌ غيرُ هؤلاء.

رَوى عنه بَنُوه[١] وغيرُ واحد. وكان محدِّثًا ناقدًا، بصيرًا بعلم الحديث، ذاكرًا لرجالِه، حافظًا لمتُونِه، مُشرِفًا على معانيه، جميلَ الخَطّ متقِنَ التقييد، جميلَ الشّاوةِ حسَنَ المشاركة ممتِعَ المجالسة، حريصًا على العلم، أنفَقَ جُلَّ عُمرِه في اقتناءِ [الكُتُب[٢]، ثم أصابه] التعرُّضُ لِـما لا يَعْنيه من الأمورِ السُّلطانية والاقتحام [لغوائلِها حين داخَلَ السيّدَ أبا] حَفْص بنَ أبي محمد عبد العزيز بن أبي يعقوبَ بن عبد [المؤمن في القيام على الرّشيدِ] من بني عبد المؤمن، وفاوَضَه في ذلك مشافهةً ومكاتبةً، [وكتَبَ إليه مرّةً بطاقةً] ببعضِ ما كان بينَهما من ذلك الأمرِ[٣] ودفَعَها إلى فتاهُ ليُوصلَها [إليه، وقال] له: احمِلْها إلى بابِ السَّرّاجين[٤]، وهو حيثُ سُكنى أبي حَفْص، فحَمَلَها [إلى بابِ] القَرّاقين[٥]، وهو بابُ الصَّرفِ من القَصْر، ودفَعَها إلى الحاجبِ عَنْبر الصَّغير[٦]، فحَمَلَها إلى الرّشيد، وكان ذلك بقُربِ من بعضِ المواسِم، فلمّا أعلَمَ الحاجبُ الرَّشيدَ بو[صُول البطاقة] من قِبَل الموماني وقَعَ في نفسِه أنها تذكِرةٌ بما جَرَت به العادةُ معَ مثلِه من [الإحسانِ][٧] في

---

(١) المعروف من بنيه أبو عبد الله محمد الذي سترد ترجمته في هذا السفر.

(٢) في أعلام مالقة: «وكان عنده من الكتب ما لم يكن عند أحد، أدخل إلى مالقة فوائد وكتبًا لم يشاهدها قبلُ أحد من أهلها».

(٣) في البيان أن الرشيد ولى السيد المذكور ولاية عظيمة وأمره بالخروج بالعسكر إلى جهة هسكورة وغيرها فكتب إليه الموماني براءة بخط يده يهنئه فيها بولايته وأنها إن شاء الله لخلافة تكون أو كلام يدل على هذا.

(٤) في البيان أنه باب السراجين القديم الذي كان بمقربة من جامع الكتبيين من سور الحجر.

(٥) كان يعرف أيضًا بباب السراجين ثم أصبح يعرف بباب القراقين. انظر البيان.

(٦) في البيان: القائد أبو المسك، ولعلها كنية المذكور عند المؤلف.

(٧) في البيان أن الموماني كانت له حظوة عند الرشيد يأمر له في المواسم والأعياد بجزيل الخير والإحسان.

ذلك الموسم[1] فلم يتشوَّفْ إليها ولا عرَّجَ عليها واشتَغل عنها بما رأى في الحال أنه أهمُّ منها. ولـمّا عاد فتاهُ إليه بعدَ بُطءٍ سألهُ عن سببِ إبطائه، فذَكَرَ أنه كان في ارتقابِ الحاجبِ عَنْبر الصّغير حتى وَجَدَ إليه سبيلًا فدَفَعَ البطاقةَ إليه، فقال له: أين دفعتَها؟ فقال له: ببابِ القَرّافين[2]! فسُقِطَ في يدِه وكتَبَ في الفَوْرِ بطاقةً في العُذرِ عمّا تضمَّنتْه تلك البطاقةُ الأولى، وقال له: احمِلْها إلى الحاجبِ وادفَعْها إليه، فلمّا صارت هذه البطاقةُ الثانيةُ إلى يد الحاجبِ عَرَضَها على الرّشيد، فقال: ما لهذا الإنسانِ والإلحاح، وقد رفَعَ الآنَ بطاقةً أخرى! ما هذا إلا لزيادةٍ عندَه، ففَكَّ طابَعَ هذه الثانية وقرأها فوجَدَها في الاعتذار عن مُضمَّن البطاقةِ الأولى، فارتابَ لها والتمسَ البطاقةَ الأولى بينَ غيرِها من الرِّقاع التي رُفِعت إليه ذلك الوقتَ فألْفاها مشتملةً على مقاصدَ لا يَسمَحُ الملوكُ في مثلِها، وبعَثَ في الحينِ عنه وعن أبي حَفْص وأُدخِلا إلى القَصْر، فكان آخرَ العهدِ بهما، وكان ذلك سنة تسع[3] وثلاثينَ وست مئة، نسألُ اللهَ حُسنَ العاقبة ودوامَ العافية.

١٣٧ـ محمدُ[4] بن قاسم بن عبد الكريم التَّميميُّ، فاسيٌّ، أبو عبد الله.

رَوى ببلدِه عن أبي إسحاقَ ابن قُرقُول، وآباءِ الـحَسَن: ابن أحمدَ بن حُنَيْن وابن الـحَسَن اللَّوَاتيّ وابن موسى ابن النَّقِرات، وأبي عبد الله بن عليٍّ ابن الرَّمّامة ـ وهُو أولُ من سَمِع هو عليه ـ وأبي محمد بن محمد ابن الصّائغ السَّبْتيّ؛ وبسَبْتَة عن أبي عبد الله بن حَسَن بن غازي، وأبي محمد بن عُبَيد الله.

---

(١) كان الموسم حسب البيان سبعًا وعشرين من رمضان.

(٢) سبب غلط الغلام أنه كان هناك باب السراجين القديم وباب السراجين الجديد الذي أصبح يعرف بباب القراقين.

(٣) في أعلام مالقة: «ووصل مالقة خبر موته في أوائل ذي قعدة عام ثمانية وثلاثين وست مئة» أما ابن عذاري فساق الحادثة في أخبار تسع وثلاثين ثم قال في آخرها: «ولم أتحقق تاريخ هذه المسألة هل كانت في هذه السنة أو في التي قبلها».

(٤) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٣٤)، والذهبي في المستملح (٣٤٠) وتاريخ الإسلام ١٣/ ٨٤، والكتاني في فهرس الفهارس ٢/ ٩٤.

وشَرَّق وحجَّ، وأقام ببلادِ المشرِق خمسةَ عشَرَ عامًا، ولقِيَ فيها [بمكّةَ المكرّمةِ] أبا حَفْص بنَ عبد المجيد الـمَيَانجيَّ وأبا الطاهر [....]، وأبا الفِداءِ إسماعيلَ بن عليّ الـمَوْصِليَّ الواعظَ [وأبا القاسم عبد الرحيم][1] بن أبي البَرَكات إسماعيلَ بن أبي سَعْد[2] النَّيسابوريَّ... بن عبد الله بن عبد الغنيِّ القَلْعيّ، وعبدَ الوهّاب بن عليٍّ بن أُختِ [....].

وبمدينةِ الرّسولِ ﷺ وكرَّمها أبا جعفر بنَ يحيى [وتَدبَّج] معه.

وبفُسطاطِ مِصرَ: أحمدَ بن طارقِ بن سِنَان أبا الرِّضا، وإسماعيلَ [ابنَ الزَّيّات] أبا الطاهر، والـحَسَن بن أبي الفَتْح منصُورَ بن محمد السَّعْديَّ الدِّمياطيَّ، [وعليَّ] بن ربيعةَ بن الـحَسَن بن عليِّ بن عبد الله بن يحيى التَّمّارَ الـحَضْرَميَّ أبا نِزار، وسُليمانَ بن يوسُفَ الكَتّانيَّ المالَقيَّ أبا الرَّفيع، وشُجاعَ بن محمد بن سيِّدهم الـمُدْلِجيَّ، وعبدَ الله بن بَرِّي بن عبد الـجَبّار بن بَرِّي المقدِسيَّ أبا محمد، وعبدَ الرّحمن بن محمد بن حَسَن أبا القاسم، وعبدَ الخالق بن صَالح بن عليّ بن رَيْدانَ[3] المِسْكيَّ أبا محمد، وعَشيرَ[4] بن عليّ بن أحمدَ بن الفَتْح الـجَبَلي[5] أبا القبائل، وقاسمَ بن إبراهيمَ بن عبد الله المقدِسيَّ أبا محمد، والمحمَّدِينَ: ابنَ أسعدَ بن عليّ الـحَسَنيَّ الشّريفَ النَّسّابةَ أبا عليّ، وابنَ حَمْد بن حامد بن مُفرِّج بن غِيَاث الأرتاحيَّ، وابنَ طِعَان بن بَدْر بن أبي الوفاءِ أبوَيْ عبد الله، ومحمودَ بن أحمدَ بن عليّ المحموديَّ البغداديَّ الصّابونيَّ أبا الفَتْح، ومُقاتلَ بن عبد العزيز بن

---

(١) ما بين الحاصرتين من مصادر ترجمته مثل تاريخ ابن الدبيثي ٤/ ٨٦، وتاريخ الإسلام ١٢/ ٦٤٠، والوافي بالوفيات ١٨/ ١٢١، وهو ممن حدث بمكة.

(٢) في الأصل: «سعيد»، وهو تحريف ظاهر.

(٣) بالراء المهملة، قيده ابن نقطة، وهو من الآخذين عنه (إكمال الإكمال ٣/ ٥٥)، ويتصحف في الكتب إلى: «زيدان» بالزاي، كما في بغية السيوطي ٢/ ١٠، ومعجم البلدان وغيرها.

(٤) في الأصل: «عسير» مصحف، وينظر تاريخ الإسلام ١٢/ ٧٨٣.

(٥) في الأصل: «الجيلي»، مصحف، وهو من جَبَلة في بلاد الشام.

يعقوبَ البَرْقيَّ، ومُنجِبًا[1] مولى أبي صادق، وهبةَ الله بن عليّ بن سعود[2] البُوصِيريَّ أبا القاسم، واليَحْيَيْن: ابنَ عَقِيل بن رِفاعة بن غدير[3] السَّعدي، وابنَ عليّ بن عبد الرّحمن القَيْسيَّ البَجّانيَّ الدانيَّ إمامَ مسجد عَيْثَم أبا زكريّا[4]. وبالقَرافة منها: أبا الـحَسَن عليَّ بن أحمدَ بن محمد بن أحمدَ الحارِثيَّ الصُّوفيَّ. وبقليوبَ ـ إحدى قُراها ـ: أبا البَحْر عبدَ الغنيِّ بن جابرِ بن عليّ بن القاسم، وابنَه أبا الـحَسَن عليًّا. وبالقاهرة: أبا الـحَسَن عليَّ بن إبراهيم بن نَجَا الأنصاريَّ الدِّمشقيَّ، والمحمدَيْن: ابنَ أبي السَّعادات عبدَ الرّحمن بن محمد بن أبي الـحَسَن المسعود أبا سَعْد، وابنَ يوسُفَ بن عليّ الغَزْنَويَّ أبا الفَضْل، وأبا القاسم محمودَ بن محمد القَزْوينيَّ، وأبا يعقوبَ يوسُفَ بن هبةِ الله بن محمود بن طُفَيْل الدِّمشقيَّ. وبقِفْط ـ من الصّعيد الأعلى من مِصرَ ـ أبا الـحَسَن شِيثَ بن إبراهيمَ بن محمد، وأبا زكريّا يحيى الصِّقِلِّيّ.

وبثَغْر الإسكندَريّة حماهُ الله: الأحامدَ: ابنَ عبد الله بن عليّ العُكْبَريَّ أبا الفتح، وابنَ... أبا الفَضْل، وابنَ محمد بن أحمدَ السِّلَفيَّ أبا الطاهر، وابن...، وإبراهيمَ بن عبد الله الأنصاريَّ أبا إسحاق، وإسماعيلَ بن...، وأيوبَ بن عبد الله ابن أحمدَ بن أيّوبَ الفِهْريَّ السَّبْتيَّ أبا الصَّبر... المقدِسيَّ أبا الـحَسَن، والـحَسَنَيْنِ: ابنَيْ عبد الله: ابن [عبد الرّحمن ابن الجبّاب أبا المكارم]، وحُسَين بن عبد السّلام بن عَتِيق أبا القاسم، وحَمّادَ بنَ هبة الله بن [حماد] الـحَرّانيَّ أبا الثّناء، ودِرْعَ بن عيسى الأمَويَّ أبا الـحَسَن، وعبدَ... الرَّبَعيَّ أبا محمد، وابنَ يوسُفَ بن دُلَيْل أبا الفَضْل، وعبدَ المِلك بن أبي [القاسم التوزَريَّ] أبا مَرْوانَ ابن الكَرْدَبُوس وتدَبَّج معَه،

(١) في الأصل: «منجب» ولا تستقيم نحوًا، وترجمته في تاريخ الإسلام ١٢/ ٨١٠.

(٢) في الأصل: «مسعود»، محرف، وتنظر تكملة المنذري ١/ الترجمة ٦٤٧، وتاريخ الإسلام للذهبي ١٢/ ١١٦١.

(٣) في الأصل: «عذير»، مصحف، وينظر تاريخ الإسلام للذهبي ١٣/ ٢٦٢، وعقيل بفتح العين وكسر القاف، قال بشار: هكذا وجدته مقيدًا بخط عز الدين الحسيني في «صلة التكملة»، وقيده الذهبي بضم العين مصغرًا.

(٤) مترجم في تكملة المنذري ١/ الترجمة ١٩٤، وتاريخ الإسلام ١٢/ ٨٩٠ ترجمة مختصرة.

وعبدَ الوهاب بن عبد الرّحمن بن الـحَسَن... الطّرغونيَّ أبا محمد، والعليَّيْنِ: ابنَ إسماعيلَ بن تميم الرَّبَعيَّ القَناويَّ ـ وقَنا: من صعيدِ مِصرَ ـ وابنَ المفضَّل الـمَقْدِسيَّ أبوَي الـحَسَن، وفُتوحَ بن خَلُوف بن يَخْلُفَ الـهَمْدانيَّ أبا نَصْر، والمحمّدَيْن: ابن عبد الرّحمن الـحَضْرميَّ، وابن محمد بن الـحَسَن بن عليّ الرَّبَعيَّ الكِرْكنْتيَّ، والبِجَائيَّ أبا عبد الله، ومحمودَ بن صَالح بن عثمانَ الـمَخْزوميَّ أبا الثناء، ومخلوفَ بن عليّ بن عبد الحق القَرَويَّ أبا القاسم ابنَ جارَةَ[1]، والـمُسَلَّمَ بن مكيّ بن خَلَف القَيْسيَّ الدِّمشقيَّ أبا الغنائم، والمظفَّرَ بن سِوَار أبا منصُور، ونَصْرَ الله محمدَ بن أحمدَ النَّصِيبيَّ أبا الفتح، ويحيى بن عبد المهيمِن أبا الفَضْل.

وبأطْرابُلُسِ المغرِب: أبا محمد عبدَ الـمُعطي بن خَلَف بن عبد الـمُعطي الأنصاريَّ.

وبتونُس: أبا عبد الله بن عبد الرّحمن بن محمد الرُّعَيْنيَّ، وأبا القاسم بن مُشكانَ القابسيَّ.

وببِجَايةَ: أبا محمد عبدَ الحقِّ بن عبد الرّحمن ابن الـخَرّاط.

ومن النساءِ بمِصرَ: الأختين[2]: ستَّ الكلّ، وستَّ العِلم ابنتي[3] عبد الله ابن رِفاعةَ بن غَديرٍ السَّعديِّ. وبها وبالقاهرة: فاطمةَ بنتَ سَعْد الـخَيْر بن محمد ابن سَهْل الأنصاريّ. وبالإسكندَريّة: تَقِيّةَ بنتَ الخطيبِ أبي الفَرَج غَيْث بن عليّ بن عبد السلام الأرمنازيّ؛ فقرَأَ عليهم وسَمِع وأكثرَ عن بعضِهم، وأجاز له جماعةٌ منهم. ولقِيَ أميريْ بن ناصِر بن عليّ الفارسيَّ أبا الـحَسَن، وحمزةَ بن عثمانَ الـمَخْزوميَّ، وذُبيانَ بن ساتِكينَ بن أبي المنصُور أبا الـحَسَن، وظافرَ بن عَطِيّةَ ابن مَوْلاهم اللَّخْميَّ أبا المنصور، وعثمانَ بن عبد الله بن العلاءِ الدِّمياطيَّ أبا عُمَر،

---

(١) تكملة المنذري ١/ الترجمة ٢٠، وتاريخ الإسلام ١٢/ ٧٦٧.

(٢) في الأصل: «الأختان» ولا تستقيم.

(٣) في الأصل: «ابنتا».

وعليَّ بن صَمْدونَ بن فاضل الصُّوريَّ أبا الـحَسَن، وعليَّ بن سَعْدٍ الـهَمْذانيَّ، وعُمرَ بن عليّ... بن يحيى بن عبد الله الشَّهْرَزُوريَّ، وأبا القاسم بن... وأبوَيْ عبد الله: ابن إبراهيمَ ابن الفَخّار ومحمدَ بن محمودِ بن عليٍّ الـهَمَدانيَّ، وأبا الـحَرَم مكيَّ بن أبي الطاهر بن [أبي العز بن حَمْدون الطِّيبي][1]، وأجازوا له.

وكتَبَ إليه مُجيزًا ولم يلقَهُ من أهل الأندَلُس: أبو...، ومن دِمياطَ: أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن عُمرَ بن عليّ بن سَماقا الإسعردي[2] [ومن دمشقَ]: أبو العبّاس[3] أحمدُ ابن حمزةَ بن عليّ بن الـحَسَن بن عبد الله بن العبّاس السُّلَميُّ [ابن الموازيني]، وأبو الطاهر إسماعيلُ بن عليّ ابن الـجَزِيريّ، وبَرَكاتُ بن إبراهيمَ بن بَرَكاتٍ [الـخُشُوعيُّ]، والـحَسَن بن هبةِ الله بن محفوظٍ الرَّبَعيُّ، وعبدا الرحمن: ابنُ الـحُسَين بن [الـخَضِر][4] بن عَبْدان[5] الأزْديُّ، وابن عليّ بن الـمُسَلَّم بن الـحَسَن ابن أحمدَ الخِرَقيُّ، وأبو الـحَسَن بن حمزةَ بن عليّ الشافعيُّ، وأبو محمدٍ القاسمُ بن عليّ ابن عساكر. وقد ضمَّن ذكْرَهم بَرناجًا حافلًا سمّاه بـ«النُّجوم الـمُشرقة في ذكْرِ من أخَذْنا عنه من كلِّ ثَبْتٍ وثقة» واختَصَر منه مجلدًا لطيفًا وقَفْتُ عليه بخطِّه.

---

(١) ما بين الحاصرتين مستفاد من ترجمته في تكملة المنذري ٣/ الترجمة ٣٠٩٢ وتاريخ الإسلام ١٤/ ٣٣٠.

(٢) في الأصل: «الأشعري» محرف، وهو منسوب إلى «إسعرد» مدينة من مدن أرمينية على رافد من روافد دجلة العليا، لم يذكرها ياقوت في معجمه، ينظر بلدان الخلافة الشرقية للسترنج الإنكليزي، ص١٤٥. وهذا الإسعردي حدث بالإسكندرية وغيرها، وتولى الحكم بثغر دمياط وبمدينة بلبيس وغيرهما (التكملة للمنذري ٢/ الترجمة ١٤٣٥، وذيل الروضتين ٩١، وتاريخ الإسلام ١٣/ ٧٨١).

(٣) هكذا كناه، والمحفوظ في كنيته: أبو الحسين، كما في ترجمته من التكملة المنذرية ١/ ٧١، والمصادر الكثيرة المذكورة في التعليق على ترجمته فيها.

(٤) ما بين الحاصرتين ممحو في الأصل، وهو مستفاد من ترجمته في تكملة المنذري ١/ الترجمة ٤٨، وتاريخ الإسلام ١٢/ ٧٨١.

(٥) في الأصل: «حمدان»، محرف، والصواب ما أثبتنا (تنظر تكملة المنذري ١/ الترجمة ٤٨، وتلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي ٤/ الترجمة ٢٤٠، وتاريخ الإسلام ١٢/ ٧٨١).

رَوى عنه أبو الـحَسَن عليُّ بن الـحَسَن بن يوسُف الشَّلْطيشيُّ، وأبو عبد الله ابن حَسَن التُّجِيبيُّ ابن مجبر، وأبو العبّاس بنُ أبي الرّبيع بن ناهِض، وقد أخَذَ عنه بالإسكندَريّة أبو مروانَ عبدُ المَلِك بن أبي القاسم التّوْزَريُّ ابن الكَرْدَبُوس[1]، وهو في عِدادِ أصحابِه ومنهم.

وكان محدِّثًا حافظًا ذاكرًا للحديث ورجالِه وتوارِيخهم وطبقاتِهم، ولم يكن في ضبطِه بذلك، وحدَّث بالمشرِق والمغرب.

ومن مصنَّفاتِه: كتابُ «المستفاد، في مناقبِ العباد، بمدينةِ فاسَ وما يَليها من البلاد»[2]، سِفران، و«أدبُ الـمُريدِ السالك والطريقُ إلى الواحدِ المالك»، ورسالةُ «البُرهان في ذكْرِ حَنينِ النّفوسِ إلى الأحبةِ والأوطان»، و«اللُّمعة، في ذكْرِ أزواج النبيِّ ﷺ وأولادِه [السّبعة]»، و«الإنابة في ذكْرِ طريق أهل الاستجابة»، في جُزأين، و«الإيضاح عن طريق أهل الصّلاح»، و«كشْفُ أحوالِ المفتونين عن الدّنيا بالدِّين»، و«بُستانُ العابِدين ورَيْحانُ العارِفين في ذكْرِ أهل الصَّفوة والانقطاع إلى الله بالـخَلْوة»، و«التعزية في المصائبِ والمرزية»، و«الأغذية ممّا جاء في الحديث»، و«تُحفةُ الطالب ومُنيةُ الراغب في الأحاديثِ النّبوية العَلِيّة السَّنِيّة»، و«المنتقَى من بَهْجة المجالس»، و«زادُ الحاجّ في مناسِك الحج»، و«الأربعونَ حديثًا»، إلى غير ذلك.

قال ابنُ الأبّار: بَلَغَني أنه دَخلَ الأندَلُس [وتوفِّي ببلدِه آخِرَ سنة ثلاثٍ] أو أوَل أربع وست مئة.

---

(١) هو مؤلف كتاب «الاكتفاء في أخبار الخلفاء» الذي نشر منه الدكتور العبادي قطعة تتعلق بتاريخ الأندلس ـ معهد الدراسات الإسلامية ١٩٧١م.

(٢) قال ابن عربي الحاتمي في الوصايا من كتابه الكبير الفتوحات: «سمعنا عليه هذا الكتاب بقراءته، أظنه مات بفاس» وقد وهم بعضهم فنسب هذا الكتاب إلى محمد بن علي الفندلاوي الذي تقدمت ترجمته، راجع رقم ١٢٦.

١٣٨ ـ محمدُ[١] **بن قاسم بن مَنْداس [جزائريٌّ، جزائرَ] بني زغنا، أشِيريُّ الأصل والسَّلَف، أبو عبد الله ابن مَنْداس.**

[أخَذَ العربيّة] عن نَزيلِها أبي موسى القُزُوليِّ، واختَصَّ به وصحِبَه إلى الأندَلُس، [وقد أكثَرَ من] الأخْذِ عنه والاستفادةِ منه، ثم تحوَّل إلى مَرّاكُش، ورَوى [بها لَقيَ عن] ابن الشّيخ، وأبي عبد الله محمد بن حَسَن الأنصاريِّ، وبقابِس [عن أبي القاسم ابن مجكانَ] آخِرِ الرُّواةِ عن أبي عبد الله المازَريّ، وسَمع أيضًا من أبوَي الـحَسَن: ابن مؤمن، ونَجَبَة، وأبي ذَرٍّ الـخُشَنيّ، وأبي الصَّبر الفِهْريِّ، وأبي محمد بن عُبَيد الله، وحدّث بالإجازةِ العامة عن أبي الطاهر السِّلَفيِّ.

رَوى عنه أبو محمد بنُ محمد بن عُبادة، وحدّث عنه بالإجازةِ أبو عبد الله ابنُ الأبّار، والرئيسُ أبو القاسم العَزَفيُّ، وحدّثنا عنه مُكاتبةً.

وكان مُستبحِرًا في النّحوِ حافظًا لأقوالِ أهلِه، عُنيَ به كثيرًا، والتزَمَ تدريسَه ببلدِه الجزائرِ إلى غاية عمره.

وُلد بالجزائرِ مُستهَلَّ جُمادى الأولى سنةَ سبع وخمسينَ وخمس مئة، وتوفِّي بها في أوّل جُمُعةٍ من محرَّمِ ثلاثٍ، وقيل: خمسٍ، وأربعينَ وست مئة.

١٣٩ ـ محمدُ[٢] **بن محمد بن عبد الله بن عيسى بن مَسْعود الكُتَاميُّ، تلمسينيٌّ، سَكَنَ سَبْتَةَ، أبو عبد الله، ابنُ الخضار، أخو الأستاذ الـمُجوِّد أبي الـحَسَن**[٣].

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٥٠)، والذهبي في المستملح (٣٥٥) وتاريخ الإسلام ١٤/ ٤٧٨، والسيوطي في بغية الوعاة ١/ ٢١٤، والمراكشي في الإعلام ٤/ ٢٣٤.

(٢) ترجمه ابن الزبير في صلة الصلة ٣/ الترجمة ٣٤، والوادياشي في برنامجه ١٢٨، وابن القاضي في درة الحجال ٢/ ٢٦٣، وينظر إفادة النصيح ٩٨، ١٠١-١٠٢، وبرنامج التجيبي ٦٢، ٧٤، ١٣٢، ١٣٥، ١٤٠، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٧٢، ٢٧٤.

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد ابن الخضار أصله من تلمسان وانتقل إلى سبتة، أخذ عنه ابن رشيد في سبتة ووصفه بالمقرئ والإمام الأوحد في العروض والقافية. له ترجمة في غاية النهاية ١/ ٥٧٨، وصلة الصلة ٤/ الترجمة ٢٣٦. توفي سنة ست أو سبع وسبعين وست مئة.

سَمِع بسَبْتَةَ على الرئيس الفقيه أبي القاسم العَزَفيِّ سيرةَ رسُولِ الله ﷺ، و«الدُّرَّ المنظَّم»، من تأليفِه، مرّات، وأجازَهما له. وأجاز له بها أبو العبّاس بن محمد الـمَوْرُوريُّ، وأبو عَمْرٍو عثمانُ بن محمد العَبْدَريُّ ابنُ الحاجّ، وسَمِع بها على أبي مَرْوانَ محمدِ بن أحمدَ الباجِيّ، وفي وِجهتِه صَحِبَه[1] إلى المشرِق[2].

وبدمشقَ على أبي عبد الله محمد بن أبي جعفرٍ أحمدَ بن عليّ بن أبي بكر بن إسماعيلَ القُرطُبيِّ، وأبي العبّاس أحمدَ بن يوسُفَ ابن زِيري التِّلِمْسينيّ، وأبي عَمْرٍو عثمانَ بن عبد الرّحمن ابن الصَّلاح[3]، وأبي نَصْر محمدِ بن هبة الله بن مَـمِيل[4]. وناوَلَه بها أبو محمدٍ عبدُ الرّحمن بن أبي القاسم بن عبد الرّحمن بن عبد الـمُنعم، وأجازوا له، وأجاز له أبو الـحَسَن بن أبي عبد الله بن أبي الـحَسَن ابن الـمُقَيَّر، وأبو عبد الله بن يوسُف البِرْزَاليُّ، وعبدُ العزيز بن عثمانَ بن أبي طاهرٍ الإرْبِليُّ وعثمانُ بن عُمرَ المالِكيّ.

رَوى عنه غيرُ واحد من أصحابِنا. ولقِيتُه بسَبْتَةَ وحاضَرتُه كثيرًا وبايَتُّه وشاهدتُ من ذكائه وحضورِ ذكرِه [ما يَقضي منه العجَب، وكان] تأريخيًّا حافظًا أكمَهَ، يخترقُ أزِقّةَ سَبْتَةَ وربَضَها [دونَ اعتمادٍ على أحد، وسايرتُه] ببعضِ شوارِعِها فربّما عَطَفَ بالترحُّم أو بالذِّكْر على زقاقٍ [أو مقبُرةٍ عند مُحاذاتِه إيّاهما]، وأُخبِرتُ عنه بعجائبَ أغربَ من هذا النوع[5].

---

(١) في الأصل: «صحبته».

(٢) ترجمة المذكور في السفر الخامس (١٢٩٨) وقد ساق المؤلف مراحل رحلته الحجازية في الذهاب والإياب حتى مصر القاهرة حيث توفي، كما ورد خبر هذه الرحلة في إفادة النصيح لابن رشيد: ٩٦-١٠٤ وفيها أن ابن الخضار لم يفارق أبا مروان إلى وقت وفاته.

(٣) في برنامج الوادي آشي ودرة الحجال أن المترجم سمع تأليف علوم الحديث لابن الصلاح عليه بدمشق في رابع شوال أربعة وثلاثين وست مئة.

(٤) سمع عليه حسب ابن الزبير ثلاثيات البخاري ومن أول الديوان إلى كتاب الإيمان.

(٥) مما يتصل بهذا ما ذكره ابن الزبير من أنه دخل الأندلس تاجرًا.

مولدُه [بتلمسينَ يومَ الاثنين] منتصَفَ ذي قَعْدةِ تسعةٍ وست مئة، وتوفِّي بسَبْتةَ بعدَ صَلاةِ [.... يوم] السّبتِ آخِر أيام شوّالٍ سبع وتسعينَ وست مئة[1].

١٤٠ـ محمدُ[2] بن محمد بن عبد [الرّحمن بن عبد الملِك] بن مُحارِب القَيسيُّ، إسكندَريٌّ مَغْرِبيُّ الأصل، أبو عبد الله.

رَوى [عن أبوَي الحَسَن]: ابن المُفضَّل وابن مُؤمن، وأبوَي الطاهر: السِّلَفيِّ وابن عَوْف، وأبي عبد الله [ابن الحَضْرميِّ]، وأبي القاسم بن مُوَقّى.

ودخَلَ الأندَلُسَ فروَى بغَرناطةَ عن أبي جعفر بن حَكَم، وأبي محمد بن عبد المُنعم ابن الفَرَس، وأبي الوليد ابن رُشْدٍ الصّغير وغيرِهم. وأجازَ له أبو محمد التادَليُّ، وله شيوخٌ غيرُ هؤلاء.

وقد تُكُلِّم في دَعْواهُ الروايةَ عن السِّلفيِّ[3]، ولا بُعدَ فيها عندي. ولقِيَ أبا العبّاس أحمدَ[4] بن أبي بكر بن عيسى بن قُزْمانَ فأنشَدَه بعضَ شعرِ أبيه.

وُلد سنةَ أربع وسبعينَ وخمس مئة، وتوفِّي سنةَ إحدى وأربعينَ وست مئة.

١٤١ـ محمدُ بن محمد بن عيسى بن معَ النَّصْر[5] المومنانيُّ، فاسيٌّ، أبو بكر.

وَلَدُ أبي عبد الله المذكور [قبلُ]، وقد تقَدَّم رفعُ نَسَبِه في رَسْم أبيه[6].

ذَكَرَ لي الخطيبُ الفاضلُ صاحبُنا أبو الحُسَين بن أبي القاسم عبد الرّحمن بن

---

(١) عبارة ابن الزبير: «وتوفي في الموفي ثلاثين لشوال عام سبعة وتسعين وست مئة».

(٢) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٤٩)، والذهبي في المستملح (٣٥٤) وتاريخ الإسلام ١٤/ ٣٩٦.

(٣) قال ابن الأبار: «وكان يزعم أنه سمع من السلفي الأربعين له».

(٤) تقدمت ترجمته في السفر الأول من هذا الكتاب (٧٢٢).

(٥) في الأصل: «مع الصبر»، وهو تحريف ظاهر.

(٦) الترجمة (١٣٦).

أبي عبد الله المزدغيُّ[1] أنه عَزَمَ وقتًا على التزوُّج، فارتادَ في بيوتِ أهل فاسَ، فأشار عليه أبو الحَسَن ابنُ زرنبق[2] بابنةِ أبي بكرٍ هذا وقال: لا تعدِلْ عنها، فإنّها من أهل البيتِ النّبويِّ الكريم، فعَمِلَ على إشارتِه وتزوَّجها، فهي أُمُّ بنيهِ: أبي الفَضْل وغيرِه.

رَوى أبو بكرٍ عن أبيه، وأبي العبّاس النَّبَاتيِّ ـ لقِيَه بإشبيلِيَة ـ وأجازَ له أبو الرّبيع بنُ سالم.

لقِيتُه كثيرًا بفاسَ وجالستُه طويلًا، وخبِرتُ منه جَوْدةً وسلامةَ باطن. وكان له تعلُّقٌ بطَرَفٍ من الرواية.

وُلد سنةَ ثلاثٍ وعشرينَ وست مئة.

١٤٢ ـ محمدُ[3] بن محمد بن أبي بكرٍ الجُذَاميُّ، سَبْتيٌّ، أبو عبد الله، وهو سِبطُ أبي عَمْرٍو عثمانَ ابن الجُمَيِّل[4].

رَوى عن أبي الخَطّاب[5] عمِّ أُمِّه، وأبي الحَجّاج بن نَمَويّ، وأبي الحَسَن

---

(١) المذكور من بيت بني المزدغي ـ من بيوتات العلم والصلاح بفاس قديمًا ـ ولي الخطابة والإمامة بجامع القرويين من سنة ٦٩٤هـ إلى وفاته سنة ٧٢٦هـ وقد وليهما قبله والده عبد الرحمن وجده محمد كما وليهما بعده ولده أبو الفضل محمد، وسترد ترجمة أشهر أعلام هذا البيت أبي عبد الله المزدغي بعد قليل (انظر: بيوتات فاس ٨-٩ ط. دار المنصور، وجذوة الاقتباس ١/ ٦٠-٦٤، ٢/ ٢٢٢، والذخيرة السنية ٨١-٨٢ ط. دار المنصور، ونيل الابتهاج: ٢٢٩، وسلوة الأنفاس ٢/ ٣٨).

(٢) هكذا في الأصل، ولعله ابن زُنْبَق ـ بضم الزاي وسكون النون وفتح الباء ـ من بيت بني زنبق بفاس، وهو بيت فقه وكتابة وشعر وترف، منهم أبو المكارم منديل بن زنبق الذي كان في عهد السلطان أبي عنان المريني (انظر بيوتات فاس ٥٠ ط. دار المنصور، الرباط).

(٣) كان والده من رواة الحديث الآخذين عن القاضي عياض (برنامج الرعيني ٤٥، وفهرس خزانة القرويين ٢/ ٢٣٢، ومجلة المناهل ٢٢/ ٣١٠).

(٤) ترجمته في التكملة الأبارية (٢٦٦٦) والتعليق عليها.

(٥) ترجمته في التكملة الأبارية (٢٦٤٩) والتعليق عليها.

ابن خَرُوف، وأبي الصّبرِ الفِهْريّ، وأبي عليّ الرُّنْديّ، وأبوَيْ محمد: ابن حَوْطِ الله وابن عُبَيد الله.

حدَّث عنه بالإجازة صاحبُنا أبو مَرْوانَ بن موسى ابن الكَمّاد، وكان محدِّثًا وافرَ الحَظّ من معرفةِ أصُولِ الفقه والنّحو.

وتوفِّي بشَرِيش مُغرَّبًا عن وطنِه.

١٤٣ ـ محمدُ[1] بن موسى بن بَشِير بن جَنّادِ[2] بن لَقِيط [الكِنَانيُّ الرّازيُّ] والدُ التأريخيِّ أبي بكرٍ أحمد[3].

كان متفنّنًا في العلم [متحدِّثًا] فصيحًا مُفوَّهًا بليغًا.

وَفَدَ مِرارًا من المشرِق على [الملوكِ من] بني مَرْوانَ بالأندَلُس تاجرًا، وهَلَك منصرَفَه من الوِفادة على [الأميرِ المنذِر في ربيعٍ] الآخِر سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ ومئتين.

١٤٤ ـ محمدُ بن موسى الصُّنْهاجيُّ، [أبو] مَرْيَم.

رَوى عن أبي عليٍّ الصَّدَفيّ[4].

١٤٥ ـ محمدُ بن مَيْمونِ بن ياسين [الصُّنْهاجيُّ اللَّمْتُونيُّ]، استَوْطَنَ إشبيلِيَةَ، أبو عبد الله.

رَوى عن أبيه[5]، وأبي محمدٍ عبد الحَقّ. رَوى عنه أبو بكر بنُ عبد العزيز السّلاقيّ.

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧١٨)، والذهبي في المستملح (٣٢٨).

(٢) ويرد في بعض المصادر: «حماد».

(٣) ترجمته في طبقات الزبيدي ٣٠٢، وتاريخ ابن الفرضي (١٣٥)، وجذوة المقتبس (١٧٥)، وبغية الملتمس (٣٣٠)، ومعجم الأدباء ١/ ٤٧٢، وإنباه الرواة ١/ ١٣٦، وغيرها.

(٤) لم يذكره ابن الأبار في المعجم.

(٥) ستأتي ترجمته في الرقم (١٨٨).

١٤٦ـ **محمدُ بن وارتدفي الصُّنهاجيُّ.**

١٤٧ـ **محمدُ**[١] **بن [يحيى] بن إبراهيمَ الـخَزْرَجيُّ، مِصْريٌّ، أبو القاسم، ابنُ الصَّوّاف، وأخو أبي الوفاء**[٢].

رَوى عن أبي الطاهرِ السِّلَفيّ. حدّثنا عنه شيخُنا أبو الـحَسَن الرُّعَيْنيُّ، لقِيَه بإشبيلِيَةَ.

وكان راوِيةً للآدابِ حاضرَ الذِّكْر لها، ممتِعَ المجالسة، ذا حَظٍّ من قَرْض الشّعر، قرأتُ على شيخِنا أبي الـحَسَن الرُّعَيْنيِّ ونقَلتُ من خطِّه، أنشَدَني لنفسِه فيما ذَكَرَ ـ يعني أبا القاسم هذا ـ (لُزوميٌّ) [من الكامل]:

ومحاولٍ منّي خِضَابَ مَشِيبِهِ ... فلعلّ في أهلِ الشّبيبةِ يَحصُلُ

قلتُ: اكسُهُ بسَوادِ حظّيَ مرّةً ... ولكَ الضّمانُ بأنه لا يَنصُلُ

وكانت بينَه وبينَ أبي محمدٍ عبدِ الله بن عبد الحقّ قَرابة[٣]. وتوفِّي في نحو العشرينَ وست مئة.

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٤٩)، والرعيني في برنامجه (١١٠)، والذهبي في المستملح (٣٤٥).

(٢) هو القاضي أبو الوفاء إبراهيم بن يحيى الخزرجي المصري الوافد على الموحدين المستقضى من قبلهم (برنامج الرعيني: ٢٠٧، ونفح الطيب ٣/ ٦٨، وستأتي ترجمة ولده أبي الحجاج يوسف المتوفى بمراكش في نحو ٦١٦هـ. انظر رقم ٢١٩).

(٣) عبارة ابن الأبار: «وكانت بينه وبين قاضيها (إشبيلية) قرابة» وأبو محمد عبد الله بن عبد الحق المهدوي الذي سماه المؤلف، ولي قضاء الجماعة بإشبيلية وتوفي سنة ٥٨٩هـ انظر ترجمته في التكملة (٢٢٠٣)، ولا نفهم معنى القرابة بين المترجم ـ وهو مصري الأصل ـ وبين القاضي المذكور ـ وأصله من المهدية ـ والأقرب إلى الفهم أن يكون القاضي الذي لم يسمه ابن الأبار هو أبو المكارم هبة الله المصري الوافد على المنصور والذي ولي قضاء إشبيلية سنة ٥٧٩هـ وصاحب أبي الوفاء المذكور قبل، والله أعلم. انظر البيان المغرب الموحدي: ١٢٩، ونفح الطيب ٣/ ٦٨ تحقيق د. إحسان عباس، والتكملة (٢٣٠٨)، وجذوة الاقتباس رقم (٦١١).

١٤٨ـ محمدُ بن يحيى بن داودَ التادَليُّ، مَرّاكُشيٌّ، أبو عبد الله[1].

أخَذَ النَّحو بالأندَلُس عن أبي عبد الله بن محمد بن أبي البقاء ـ وعليه معوَّلُه ـ وبمَرّاكُش عن أبي موسى القُزُوليّ. رَوى عنه أبو الحَسَن طاهرُ بن عليّ.

وكان موصُوفًا بالذكاءِ وثُقوب الذِّهن مبرِّزًا في النَّحو متحقِّقًا به، درَّسه طويلًا بجزيرة شُقْر وغيرِها، واستُقضيَ.

١٤٩ـ محمدُ بن يحيى، طَنْجيٌّ.

رَوى عن أبي عبد الله بن أحمدَ بن منظور.

١٥٠ـ محمدُ[2] بن يَـخْلَفْتَن بن أحمدَ بن تنفليتَ الفازَازيُّ.

وهو أخو أبي زيدٍ[3] وكبيرُه. رَوى عن أبيه، وأبي عبد الله التُّجِيبيِّ.

---

(١) سيترجم المؤلف ـ فيما بعد ـ ليحيى بن داود التادلي، وبين الترجمتين تشابه ملحوظ، ولا نعرف هل هو والد المترجم هنا أم هو نفسه.

يلاحظ أن المؤلف لم يترجم ـ فيمن اسمه محمد بن يحيى ـ لمحمد بن يحيى بن محمد العبدري الصدفي الفاسي وقد ترجم له ابن الزبير مع الغرباء في الصلة ٣/ الترجمة ٢٥.

(٢) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٤٣)، وابن الزبير في صلة الصلة ٣/ الترجمة (١٧)، والذهبي في المستملح (٣٤٨) وتاريخ الإسلام ١٣/ ٦٨٢، والصفدي في الوافي ٥/ ٢١٣.

(٣) اسمه عبد الرحمن، وهو مترجم في التكملة الأبارية (٢٣٥٦)، وتحفة القادم (٨٥) ط. دار الغرب، وبرنامج الرعيني (٣٨)، وصلة ابن الزبير ٣/ الترجمة ٣٧٦، وتاريخ الإسلام ١٣/ ٨٣٧، والإحاطة ٣/ ٥١٧ وغيرها. وكان لهذين الأخوين الفازازيين اليجفشيين وأولادهما حظوة لدى الخلفاء الموحدين: الناصر والمأمون والرشيد والسعيد والمرتضى، وأما أولادهما فهم: أبو محمد عبد الله بن محمد استقضي بمالقة وإشبيلية (أعلام مالقة، رقم ٧٨)، وأبو عبد الله محمد ولد أبي زيد كان من كتاب الرشيد (الإحاطة ٣/ ٥١٧)، وأبو عمران موسى بن أبي عبد الله (تقدم ذكره في السفر السادس برقم ٣١١)، وأبو زكريا الفازازي من كتّاب المرتضى (البيان المغرب ـ قسم الموحدين ٣٧١-٣٨٩)، وانتقل بعضهم إلى الحفصيين حيث كانت لهم حظوة ورئاسة وعلم (انظر الفارسية ١٢٢، ١٥٠).

وكان من بيتِ عِلم ونَباهة حافظًا للحديثِ يَستظهرُ حفظًا «صحيحَ البخاريِّ» أو مُعظمَه، ذا حظّ من الفقه، وتقَدُّم في معرفة الآدابِ وذكْرِ التواريخ واللّغاتَ، كاتبًا بليغًا، شاعرًا مُجِيدًا، بارعَ الـخَطّ، وَقُورًا، كثيرَ التُّؤدة، حَسَنَ السَّمت، جميلَ [الهيئة ولـمّا رآه] الناصرُ من بني عبد المؤمن في وَقارِه وتُؤُدتِه [أمَرَ بإعفائه] من الخِدمة بالكتابة وترفيعِه عنها وتخييرِه [القضاءَ في أيٍّ] بلادِ الأندَلُس شاء، فاختار قُرطُبة، فاستُقضِيَ بها إلى أن [خَلَفَه] أبو القاسم ابنُ بَقِيّ، واستُقضيَ بـمُرْسِيَةَ سنةَ ستَّ عشْرةَ وست مئة، كذا [وقَفْتُ عليه. وذكَرَه] أبو عبد الله ابنُ الأبّار، ولم يضبِطْه. ثم استُقضيَ بغَرْناطةَ [سنةَ سبعَ؟] عشْرةَ، ومنها كتَبَ إلى أبي العلاء ابن المنصُور جوابًا عن خطابٍ استدعاهُ به إلى قُرطُبَةَ ليَستقضِيَه بها، فصادَفَ وصُولُ خِطابِه استصحابَ المطر وتعذُّرَ الـخُفوف على أبي عبد الله بعيالِه وجُملتِه، وأدرَجَ في الجوابِ مُدرَجًا يبيِّنُ فيه عُذرَه بالمطر وفيه [من مخلع البسيط]:

شَـوْقي إلى ذلـك الجـلالِ ... كـما رَجَـا الـبرءَ ذو اعـتلالِ

وشـامَ بَرْقًـا حليـفُ سُـهدٍ ... وحـام صَـبٌّ عـلى وِصـالِ

وكيـف لا والعـلاءُ وقْـفٌ ... ببـابِكمْ والمقـامُ عـالي

لكـنْ حَمَـاني الرحيـلَ نَـوْءٌ ... بـالَغَ في الـلَّيِّ والـمِطالِ

طبَّبـتِ الأرضَ منـهُ سُـحْبٌ ... مُكلَّـلاتٌ مثـلَ الجبـالِ

إنْ هـاجَني للخفـوفِ عَـزْمٌ ... أرسـى بأمطـارِه الثِّقـالِ

فليتَـهُ مَـنّ بـاحتمالي ... عـلى رِيـاح لـه عِجـالِ

فمِـن قَبُـولٍ إلى دَبُـورٍ ... ومـن جَنـوبٍ إلى شـمالِ

حتـى أوافي جنـابَ مَلْـكٍ ... مبـاركِ الـخَيْم والـخِلالِ

ولأرى التـاجَ زيَّ مَلْـكٍ ... صيَّـرَ تيجانَـهُ المعـالي

يـــسبِقُ ميعـــــادَهُ إلينـــا　　إذا نَـــواهُ بـــذْلُ النّـــوالِ

قُرطُبـــةُ منـــذُ حَـــلَّ فيهـــا　　في خفـضِ عـيشٍ وأمـن حـالِ

قـــد أخَـــذتْ منـــه أيَّ عهـــدٍ　　بـالأمنِ مـــن حـادثِ الليـالي

هالاتُهـــا حولَـــه اســـتدارَتْ　　كالبـــدرِ في ليلـــةِ الكـــمالِ

ولـمّا وقَفَ أبو العلاءِ على جوابِه والأبياتِ التي أودَعَها الـمُدرَج طيَّه أمَرَ أخاه أبا زيد، وكان أجلَّ كُتّابه، بإجابتِه عن كتابِه وعن أبياتِ الـمُدرَج، فقال جوابًا عن أبياتِ الـمُدرَج [من مخلع البسيط]:

لبَّيْـــكَ مـــن مُخلـــصٍ مُـــوالِ　　مبـــاركِ الـــخَيْم والـــخِلالِ

نادَيْـــتَ والملتقـــى بعيـــدٌ　　ســـمعًا للُقيـــاكَ في احتفـــالِ

فبُحـــتَ شـــوقًا بـــذكرِ شَـــوْقٍ　　والجمـــرُ يَـــذْكو مـــن الـــذُّبالِ

فارحَـــلْ كـــما تـــشتهي وتهـــوى　　عـــن اهتبـــالٍ إلى اهتبـــالِ

خَفِـــيَّ بَـــرٍّ شـــهِيَّ ذكْـــرٍ　　خـــليَّ فكـــرٍ رخـــيَّ بـــالِ

تحـــت ظـــلالٍ بـــلا طـــلالٍ　　فـــوقَ دمـــاثٍ بـــلا بـــلالِ

والأُفْـــقُ يَهفـــو لـــه نـــسيمٌ　　يـــزِلُّ عـــن مـــوطئِ الـــزُّلالِ

وللمطايـــا حثيـــثُ ســـيرٍ　　كالـــسُّحْبِ في مِقـــوَدِ الـــشِّمالِ

تقـــصُرُ أيامهـــا عليهـــا　　فتَغـــنَمُ الطُّـــولَ في الليـــالي

يـــا مُجريًـــا في البيـــانِ طَرْفًـــا　　نـــائي المـــدى واســـعَ المجـــالِ

وجهـــتَ قبـــلَ اللقـــاءِ طِرْسًـــا　　أشـــهى وصُـــولًا مـــن الوِصـــالِ

حَـــلَّ محـــلَّ الرِّضـــا وجـــلّا　　بالـــدرِّ مـــن ســـحرِه الحـــلالِ

واســـتوقَفَ الطَّـــرفَ إذ تَـــبَدَّى　　في الزَّهـــرِ والزُّهـــرِ والـــلآلي

[لا] يَبرَحُ الحُسنُ عنه حتّى ... يبقى بديلًا من الخَبالِ
فمن شِمالٍ إلى يمينٍ ... ومن يمينٍ إلى شِمالِ
أنت لعَمْري الأثيرُ حقًّا ... بما تملَّكتَ من خِلالِ
وقد سَمِعنا ونحنُ نرجو ... رؤيةَ ما قيل بالكمالِ
فإنْ جرى فالجميلُ منكمْ ... وليس بالبدع صِدقُ بالِ

ثم قَدِمَ قُرطُبة واستُقضيَ بها إلى أن توفِّي أوّلَ انبعاثِ الفتنةَ سنةَ إحدى وعشرينَ وست مئة.

١٥١ـ محمدُ[١] بن يَعْلَى[٢] بن محمد بن وَليدِ بن عُبَيد الله المَعافِرِيُّ، سَبْتيٌّ، أبو بكرٍ الجَوْزيُّ.

وهو خالُ القاضي أبي الفَضْل عِيَاض بن موسى. رَوى بسَبْتَةَ عن أبي عليّ بن خالدِ الكِنْديّ، وجالَ في طلبِ العلم بالأندَلُس وإفريقيّةَ.

مَولدُه بسَبْتَةَ سنةَ ثمانٍ وعشرينَ وأربع مئة، وتوفِّي بها يومَ الجُمُعة لسبع بقِينَ من صَفَرِ ثلاثٍ وثمانينَ وأربع مئة.

١٥٢ـ محمدُ بن يوسُفَ بن تاشَفينَ اللَّمْتُونيُّ[٣]، أبو عبد الله.

روى [...].

١٥٣ـ محمدُ بن يوسُفَ بن عبد الله بن محمد بن عامُور، أبو عبد الله.

رَوى عن أبي إسحاقَ بن يوسُفَ بن قُرقُول، وأبي بكر بن...، وأبي عبد الله بن أحمدَ ابن المجاهد.

---

(١) له ترجمة في إحدى نسخ الصلة لابن بشكوال (ينظر التعليق عليها ٢/ ٢٤٤ ط. د. بشار)، وصلة ابن الزبير ٣/ الترجمة ٦. وله ذكر في الغنية للقاضي عياض ١٥٧، ١٩٨.

(٢) ويقال فيه: «علي».

(٣) هكذا وردت هذه الترجمة، ولا نعرف أهو ولد لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين، أم إنه مجرد اتفاق في الاسم والنسبة.

١٥٤ـ محمدُ[1] بن يوسُفَ بن عبد الله قَيْروانيٌّ، [أصلُه من وادي الحِجارة] انتقَلَ منها بعضُ سَلَفِه إلى إفريقيّة.

كانت له عنايةٌ بالعلم ومَيْلٌ [إلى التّدوين] وحِفظِ أيام الناس وأخبارِ الأُمم وتواريخ البُلدان.

ودخَلَ الأندَلُسَ [في دولة] الحَكَم المستنصِر بالله، وألَّفَ له في مسالكِ إفريقيّةَ وممالِكها ديوانًا ضَخْمًا، [وفي] أخبار ملوكِها وحروبِهم والقائمينَ عليهم كتبًا جَمّة، وفي أخبارِ تاهَرْتَ ووَهْرانَ وسِجِلْماسةَ ونكورَ والبصرةِ وغيرِها كُتُبًا حِسَانًا. وحَظِيَ عندَ المستنصِر حُظوةً تامة، وتوفِّي بقُرطُبَةَ ودُفن بها.

١٥٥ـ محمدُ[2] بن يوسُف بن عِمرانَ المَزْدَغيُّ[3]، فاسيٌّ، أبو عبد الله.

تَلا بالسَّبع على أبي عبد الله بن أحمدَ بن البُيوت، ورَوى الحديثَ واللّغةَ والآدابَ عن أبي ذَرّ بن أبي رُكَب، واختَصَّ به كثيرًا، وأبي محمدٍ عبدِ العزيز بن عليّ بن زَيْدان، وعلمَ الكلام وأصُولَ الفقه على أبي عبد الله بن عليّ ابن الكَتّانيّ، وتفَقّه بأبي القاسم بن زانيف.

ورَحَلَ إلى الأندَلُس طالبًا العِلمَ صُحبةَ أبيه في بعضِ تردُّدِه إليها تاجرًا، فرَوى بإشبيلِيَةَ وقُرطُبَةَ وغيرهما عمّن أدرَكَه من شيوخِها[4]. رَوى عنه ابناه:

---

(١) ترجمه الحميدي في جذوة المقتبس (١٦٠)، والضبي في بغية الملتمس (٣٠٤)، وابن الأبار في التكملة (١٠١٣)، والمقري في نفح الطيب ٣/ ١٦٣.

(٢) ترجمته في صلة الصلة (٣/ الترجمة ٢٧)، ونيل الابتهاج: ٢٢٩، وجذوة الاقتباس رقم (١٩٠)، وسلوة الأنفاس ٢/ ٣٨، والذخيرة السنية: ٨١-٨٢، وبيوتات فاس: ٨ (ط. دار المنصور). ووالده أول هذا البيت مترجم في جذوة الاقتباس رقم (٦٣٨)، وبيوتات فاس: ٨.

(٣) نسبة إلى مزدغة، وهي كما في بيوتات فاس: قبيلة من البربر عمل قلعة صفرو، أي جبال بلاد بوبلان.

(٤) في صلة الصلة لابن الزبير أن المترجم «لقي بتلمسان أبا عبد الله بن عبد الرحمن التجيبي وأخذ عنه».

أبو جعفرٍ[1]، وأبو القاسم عبدُ الرّحمن، وأبو الـحَسَن بن محمد، وآباءُ عبد الله: ابنا عَبْدي الله: البَكْريُّ وابنُ الحاجِب، وابن عبد الرّحمن بن راشِد، وأبو محمد بن عبد الرّحمن العِراقيُّ.

وكان ماهرًا في علوم اللّسان، جامعًا لمعارفَ سُنّيّة سَنِيّة، فاضلًا، نَزِهَ النَّفْس، سَرِيَّ الهمّة، موصوفًا بالإيثارِ وكرَم الطِّباع، ومتانةِ الدِّين، وإجابةِ الدّعوة، ذا حَظٍّ صَالح من روايةِ الحديث، ضابطًا لِـما يَرويه ثقةً فيما يحدِّثُ به، حَسَنَ الإيراد لكتابِ الله، طيِّبَ النغْمة به، قائمًا على تفسيرِه.

وله في التفسيرِ كتابٌ حَفِيل مُفيد انتَهى فيه إلى سُورة الفتح[2] واختُرِم دونَه، ومن مصنَّفاتِه سواه: «أنوارُ الأفهام في شَرْح الأحكام»، انتهى فيه إلى الأقضية، ومقالةٌ على حديثِ «إذا نزَلَ الوباءُ بأرض»... الحديثَ. وأخرى «فيما يحقُّ للفقراءِ المضْطَرّين، في أموالِ الأغنياءِ المغتَرِّين»[3] وعقيدةٌ مرَجَّزة[4].

وكان[5] له اعتناءٌ تامٌّ بكتاب «السِّيرة»[6] جيِّدُ الكلام عليها. [أقرَأَ بفاسَ]

---

(١) في بيوتات فاس ٩: «الفقيه القاضي الخطيب أحمد ابن الخطيب محمد بن يوسف، وكان شاعرًا كبيرًا».

(٢) في الذخيرة السنية أنه وصل به إلى سورة تبارك الذي بيده الملك.

(٣) تتمة العنوان حسب الذخيرة السنية: «وما يجب في ذلك على الولاة الآمرين، وعلى جميع المسلمين».

(٤) في الذخيرة أنها أرجوزة في علم الأصول أولها:

الحمــد لله العــلي الأعــلى	رب الموالي والعلى والسفلى
ومالك الدنيا ويوم الـدين	ومبــدع الخلــق بــلا معــين
أحمده حمـدًا يـوازي فـضله	فليس شيء في الوجود مثلـه

(٥) من هنا إلى آخر الترجمة أضيف خطأ إلى ترجمة محمد بن الحسن بن حجاج في الإعلام للمراكشي ٤/ ٢٣٨ نقلًا عن هذه النسخة من الذيل والتكملة وكان ذلك بسبب عدم التنبه إلى اختلاط أوراقها وعدم ترتيبها وقد بذلنا جهدنا في إعادة ترتيبها ترتيبًا سليمًا إن شاء الله.

(٦) المقصود به كتاب سيرة ابن إسحاق، ولعل اعتناء المزدغي بهذا الكتاب من تأثير شيخه أبي ذر الذي له شرح في غريبها، وهو مطبوع.

وبسَبْتَةَ حينَ أَوْبِهِ إليها أيامَ المتأمِّر بها أبي العبّاس اليَنَشْتِيِّ[1]، ووَلِـيَ الـخُطبةَ [والصّلاةَ] بجامع القَرويِّينَ الأعظم بفاسَ[2]، وكانت أولى صلاةٍ صلّاها [في يوم] الثلاثاءِ لأربعَ عشْرةَ ليلةً خَلَت من محرَّمِ ثلاثٍ وخمسينَ [وست مئة، وأُخرى صلاةٍ] صلّاها عشاءَ ليلةِ وفاتِه وصَلّاها بـ(الضحى) و(ألم نشرَحْ)، وانصَرفَ إلى [دارِه] فتوفِّي فُجاءةً، رحمه اللهُ، الأحدَ الرابعةَ عشْرةَ من ربيع الأول سنةَ [خمس وخمسينَ] وست مئة ابنَ اثنينِ وثمانينَ عامًا، وصَلّى عليه ابنُه الخطيبُ بجامع القَرَويِّين [الأعظم]، وخليفتُه في إمامةِ الفريضة بعدَ وفاتِه أبو القاسم عبد الرّحمن، ودُفن برَوْضةِ سَلَفِه بحَوْمةِ القَلّالينَ[3] من عُدْوة الأندَلُس بفاسَ، وكان الحفلُ في جنازتِه عظيمًا لم يتخلَّفْ عنها كبيرُ أحد[4]، وأسِفَ الناسُ لفَقْدِه وأطابوا[5] الثناءَ عليه، وصَحِبَتْهُ من دارِه إلى مدفِنِه طيرٌ شبهُ الخطاطيف لا عهدَ بها غَطَّت الأُفُق كثرةً، فكانت تُرفرفُ على نَعْشِه حتى

---

(١) محو في الأصل، وترجمة الينشتي وأخباره في الروض المعطار: ١٠٣، ٦٢٢، والبيان المغرب ٣/ ٣٣٨، واختصار القدح، وقال ابن الزبير في المترجم: «واقتصر على تفسير القرآن حتى شُهر بذلك، وكان يجلس للناس لذلك إلى أن توفي... تعرفت أحواله أيام كوني بغرب العدوة واختلافي إلى سبتة وكان له صيت رحمه الله».

(٢) في روض القرطاس والجذوة وغيرهما أن المترجم لما «دعي للإمامة استرجع ثلاث مرات، فقيل له في ذلك، فقال: إنه أخبرني الشيخ الحافظ المحدث أبو ذر الخشني وأنا أروي عنه الأحكام في الحديث النبوي يوم توفي الفقيه عبد الله بن موسى المعلم وولي القضاعي عوضه فنظر إلي مليًّا ثم قال لي: يا محمد! إنك تلي الإمامة بالصلاة بالناس في جامع القرويين، وذلك في آخر عمرك، فلما دُعيت للإمامة ذكرت مقالة الشيخ وعلمت أن أجلي قد قرب فاسترجعت».

(٣) في بيوتات فاس وجذوة المقتبس: «ودفن بروضة سلفه بالقرب من باب الفتوح».

(٤) في بيوتات فاس: «وخرج الناس في جنازته، ولم يبق صغير ولا كبير إلا وأسف. ذكر ذلك الحافظ ابن عبد الملك في الذيل والتكملة».

(٥) كذا في الأصل، وهي صحيحة، ويقال أيضًا: وأطالوا.

ووريَ فتفرَّقت ولم يُرَ شيءٌ منها بعدُ، وطال تعجُّبُ الناس منها والتحدُّث بها دهرًا[1]. وقد جَرى له ذكْرٌ في رَسْم أبي محمد بن عبد الرّحمن العراقيّ[2].

١٥٦ـ محمدُ بن يوسُفَ الصُّنهاجيُّ.

رَوى عن شُرَيْح.

١٥٧ـ مجاهدُ[3] بن محمد الفِهْريُّ، أبو الـجَيْش وأبو الـحَسَن.

رَوى عن أبي الفَضْل عِيَاض بن موسى[4].

١٥٨ـ محمودُ[5] بن أبي القاسم الفارِسيُّ، يُكْنَى أبا المعالي.

حدَّث عنه أبو زَيْد الفازَازيُّ، ولا أدري أين لقِيَه.

قال المصنِّفُ عفَا اللهُ عنه: هكذا ذكَرَ ابنُ الأبّار هذا الرَّسْمَ في الغُرَباء من غير زيادةٍ ولا نَقْص، ولا وجهَ لذكْره فيهم؛ لأنه لم يَدخُل الأندَلُسَ، على ما سأذكُرُه إن شاء الله، وإنّما ذَكَرَه تشبُّعًا على مألوفِ عادتِه واستكثارًا بما لا يصحُّ له، ولتقصيرِه معَ ذلك في ذكْرِه؛ رأينا الإعلامَ ببعض أحوالِه، فنقول:

---

(١) أشار إلى هذه الكرامة جميع الذين ترجموا به، ونقف على مثلها في ترجمة الحافظ ابن الفخار كما ذكره المؤرخان ابن حيان والقبشي ونقله ابن بشكوال في الصلة (١١١٣) والقاضي عياض في المدارك.

(٢) السفر الذي يحيل المؤلف إليه مفقود.

أغفل المؤلف ترجمة محمد بن عمر الدراج السبتي المشهور المتوفى سنة ٦٩٣هـ (صلة الصلة ٣/ الترجمة ٣٥).

(٣) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٨٩٣) وفي معجم أصحاب الصدفي (١٧٩)، وابن الزبير في صلة الصلة ٣/ الترجمة (٩٥)، والذهبي في المستملح (٣٩١) وتاريخ الإسلام ١٢/ ٨٠٩، والمراكشي في الإعلام ٣/ ٢٨١.

(٤) هكذا هذه الترجمة عند المؤلف، وفي التكملة: «مجاهد بن محمد بن مجاهد، أندلسي، يكنى أبا الجيش. روى عن أبي علي الصدفي، وأبي محمد بن عتاب، وأبي جعفر بن غزلون ونظرائهم. ذكره يعيش بن القديم وقال: لقيته بمراكش وبها توفي في ذي القعدة سنة خمس وثمانين وخمس مئة». وزاد في المعجم أنه «سكن مراكش وحظي عند أمرائها هو وعقبه». ولهذا حفيد اسمه صهيب مترجم في التكملة (١٩٤٦) وصلة الصلة ٣/ الترجمة ١٢١، وتاريخ الإسلام ١٤/ ٤٤.

(٥) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٨٧٤).

أبو المعالي هذا خُراسانيٌّ، يلقَّبُ شمسَ الدِّين، وَرَدَ المغرِبَ والناصرُ من بني عبد المؤمن بإفريقيّةَ، ودخَلَ تونُسَ وهي أقصَى أثرِه من بلادِ المغرِب، ومنها كَرَّ قافلًا إلى بلادِه بعدَما حَظِيَ عندَ الناصر وأجْزَلَ صِلتَه، وهنالك رَوى عنه أبو العبّاس بن إسحاقَ، وأبو محمدٍ عبدُ الله بن عبد الجليل بن عليّ بن عبد الجليل الأزْديُّ القَرَويُّ الحافظُ، وأبو زَيْدٍ الفازَازيُّ، وامتَدَحَه بقصيدةٍ فريدة رأينا إثباتَها هنا تكميلًا للإفادة، وتنبيهًا على ما لأهلِ المغرِب في الفَضْل من الـحُسنى والزيادة [من الكامل]:

[قَرُبـوا وفَـرْطُ دُنـوِّهم] يُغْرينـي ... ونـأَوْا وفَـرْطُ صـبابتي يـدعوني

.... منّـــــي لُقًّـــــى ... في رَبْعِهـم أشـجِيهِ أو يَـشجيني

[وتقول لي الأطلالُ]: أين أحبّتـي؟ ... وتقولُ لي الأطلالُ: أيـن قَطِينـي؟

... عـلى إيثـارِهمْ آثـارهمْ ... لـو أنّني عاملـتُ مـن يَـجْزِيني

... عـلى تَـرْكِ البكـاءِ وإنّـما ... نَزَفتْ شؤونُ الحـبِّ ماءَ شـؤوني

[نَعبَ الغُرابُ] وللمَشُوقِ كهانـةٌ ... فعلِمـتُ قطعًـا أنـه يَعْنينـي

[لـمّا] استقَلّوا واستَقلّوا خِـدْرَهمْ ... نُـسِخت منـايَ لـديهِمُ بمَنُـونِ

فـسبقتُهمْ وجِمالُـهمْ يُحـدِي بهـا ... وجَمالُـهم مـن فوقِهـا يَـحْدوني

يا مُعرِضينَ وقـد عرَضـتُ مـشيِّعًا ... رُدُّوا الـسلامَ فلفظـةٌ تكفينـي

هـاكمْ فـؤادي فـاقبَلوه وإنـهُ ... ثمـنٌ يجِـلُّ لـديَّ عـن مثمـونِ

فنَضَوْا سُجوفَ الـخَزِّ عن أحداجِهمْ ... فبَـدَت ليَ الأقـمارُ فـوقَ غـصونِ

وفهمتُ سرَّ الـحُسن وهْـو مُكتَّمٌ ... في ليـلِ شَـعْر فـوقَ صُبح جَبِـينِ

ورهَنْـتُ لُبِّـي والحيـاةُ بوقْفَـةٍ ... ضَنُّوا بهـا مـن بَعْـدِ قَبْض رُهـونِ

وتـسَلَّموا رَهْني ومـا إنْ سَـلَّموا ... تيهًـا فبُـؤتُ بـصفقةِ المغبـونِ

أمَّلتُ آرامَ الكِناس ودونَها | للطارقِ المحزونِ أُسْدُ عَرينِ
وسلكتُ وَجْدًا في طريقِ هَواهُمُ | ما بينَ مأسورٍ وبين ظَعِينِ
وظننتُ لينَ قُدودِهمْ بقلوبِهمْ | فإذا القساوةُ طيَّ ذاك اللِّينِ
عاهدتُّهمْ أنْ لا فِراقَ وإنّما | عاهدتُ كالحِرباءِ في التلوينِ
وقَرَرْتُ عينًا بالخِداع وقلّما | قَرَّتْ عيونٌ عند حُورٍ عِينِ
ورجَوْتُ في تحسينِهمْ تحصينَهمْ | فجَهِلتُ ما للصادِ معنى السّينِ
ولقد مرَرْتُ على المنازلِ بعدَهمْ | فذكرتُ عهدَ صَبابتي ومُجوني
ورأيتُ من نُعمانَ ما يُشقينَني | ورأيتُ مَن يَبرينَ ما يَبرينني
أيامَ طَرْفي راتعٌ في رَوْضةٍ | للحُسن بينَ سَوالفٍ وعيونِ
متفرِّقَ اللّحظاتِ في أفنائها | للجَمْع بينَ الوردِ والنَّسرينِ
ووجدتُ من رِيقٍ هناك ونَغْمةٍ | أشهى من الصّهباءِ والتلحينِ
ونشَقْتُ عَرْفًا خِلتُ حين نشَقْتُهُ | أنّ ....
عيشٌ نعُمتُ به فبان ببينِهِ | صبرٌ أتاني فَقْدُه في الحينِ
كان الفؤادُ برامةٍ في راحةٍ | للوَصْل بين معاهدٍ ......
فالآنَ إذ حَلّ الصدودُ برَبْعِها | عقَدتْ عليه عُقدة ......
يا قلبُ طاوعتَ الجُفونَ سَفاهةً | فجزاكَ ضعفُ فُتورِها ......
أسَرتْكَ لـمّا قيَّدَتْكَ بسِحرِها | فاخلُدْ بلا فكٍّ ولا تأمينِ
خِلتَ الجُفونَ من السّيوفِ قريبةً | ما جُرْحُ أسيافٍ كجُرح جُفونِ
إياكَ من لَمْح اللِّحاظ فإنهُ | سهمٌ لقَوْس الحاجبِ المقرونِ
هوِّنْ إذا هوَّلتَ واعلَمْ أنّما | تقوَى على التهويل بالتهوينِ

ولكـمْ عـذولٍ قـد ردَدْتُ مقالَـهُ ... ردَّ المقـيم عـلى مقـام الـهُونِ

لم أسـتطعْ رَجْـعَ الكـلام وإنّـما ... أعرَبـتُ عـما شـفَّني بـأنيني

لا نُصحَ يُجدي في مَشُوقٍ جسمُهُ ... قـد دَقَّ حتـى عـاد كـالعُرجونِ

دَعْ ذكْـرَ عُـروةَ أو كُثَـيِّرِ عَـزّةٍ ... وابن الـذَّريح وقيسٍ المجنونِ[1]

يكفيكَ من بحـرِ الغـرام وعـصْفِهِ ... دمـعُ الهـوى وتـنفُّسُ المحـزونِ

لا صبرَ لي من بعـدِهم لا صبرَ لي ... ولوَ انّني في حِلم شمسِ الـدِّينِ

العالِـم العَلَـمِ الـذي تَزْهَـى بـهِ ... أرضُ العـراق إلى أقـاصي الـصّينِ

والأوحَـدِ الـسبّاقِ غـيرَ مُـدافَعٍ ... في حلبـةِ المفـروضِ والمـسنونِ

إنسانُ عين الفَضْل قلـبُ ضـلوعِهِ ... بـشواهدٍ جَلّـت عـن التبيـينِ

بـالله أو في الله أو لله مـا ... يأتيـهِ حـين تحـرُّكٍ وسـكونِ

لم يـأتِ في الإبـداع فنَّـا واحـدًا ... إلا أتَـى مـن بعـدِه بفنـونِ

حَفِـظَ ابـنُ إسماعيل فقـهَ ربيعـةٍ ... زُهـدَ الـجُنَيْد ذكـاءَ أفلاطـونِ[2]

إنْ ظَـنَّ أرسَـلَ ذهنَـه مـستثبِتًا ... فأتـاه عـمّا ظنَّـه بيقـينِ

يـا مَـن يُعارضُـه بعـارضِ علمِـهِ ... إيـاك خَـوْضَ البحـرِ دونَ سَفِينِ

كـم مُـدّعٍ قـد رام مـا قـد رمتَـهُ ... بمُغالطـاتٍ في حـلى تـزيينِ

---

(١) يشير إلى عروة بن حزام وكثير عزة وقيس بن الذريح وقيس مجنون ليلى.

(٢) ابن إسماعيل هو البخاري، وربيعة الرأي شيخ الإمام مالك، والجنيد الزاهد المعروف، وأفلاطون الفيلسوف المشهور، ومن الغريب تمثيل الفازازي به مع أنه اشتهر بمعاداة أهل الفلسفة، ويقول في قصيد له (برنامج الرعيني: ١٠٤):

فاقـذف بـأفلاطون أو رسـطالس ... وذويهـما تـسلك طريقًـا لاحبـا

ويبدو أن القافية هي التي ألجأته إلى التمثيل به.

عَطَفَ الصّوابَ للَبْسِهِ فأزاحَهُ ... عَطْفُ الصباح على الليالي الجُونِ

.... قد جاء ما قد جَلّ عن قانونِ

.... بمقوّلٍ ... بالحقِّ في تحقيقِه مقرونِ

.... كأنهُ ... سيفُ الوصيِّ يَجُول في صِفِّينِ[1]

...... إذا سمعتَ حِجَاجَهُ ... لعَدلتَ للمُزَنيِّ عن سحنونِ[2]

عَجَزَ البيانُ فما يحيطُ بمثلِهِ ... فلك البُروج إلى مقرِّ النونِ[3]

يَدْري أفانينَ العلوم بأسرِها ... والناسُ يفتنُّونَ في أفنونِ

ولقد أبَرَّ على الجميع بيانُهُ ... في فنَّيِ المعلوم والمظنونِ

إيهِ وللآدابِ منه فخرُها ... إذْ فاق في المنثورِ والموزونِ

سِلْمٌ لأبكارِ المعاني ذهنُهُ ... وسواه حَرْبٌ للمعاني العُونِ

بَرَزَت لنا ألفاظُهُ مختالةً ... في كلِّ عِلْقٍ للعلوم مَصُونِ

وأبانَ من عِلم الكلام وغيرِهِ ... ما كان إذ ما كان غيرَ مُبِينِ

وطمَتْ بحارُ علومِهِ فتقاذَفَت ... من لفظِهِ باللُّؤلؤِ المكنونِ

ساوى لدَيْه معلِّمٌ متعلِّمًا ... إذْ كلُّهم في رُتبةِ التلقينِ

صَدَروا وقد وَرَدوا بحارَ علومِهِ ... في غيرِ ممنوعٍ ولا ممنونِ

يا طالبًا للعلم هاكَ نصيحةً ... لمجرِّبٍ في نُصحِه مأمونِ

لا تَعْدِلَنْ بأبي المعالي غيرَهُ ... فتقيسَ مضنونًا على مظنونِ

---

(١) هو الإمام علي، وصفين الوقعة المعروفة.

(٢) المزني: إسماعيل بن يحيى الإمام الجليل ناصر المذهب الشافعي، وسحنون: مصنف المدونة في الفقه المالكي.

(٣) النون: الحوت ومقره البحر.

عُنوانُ ما أخفاه من أخلاقِهِ ... بِشرٌ يلُوحُ بوجهِه الميمونِ

أكرِمْ بنفسٍ للنَّفائس أُهِّلت ... فتمكَّنت في رُتبةِ التمكينِ

لو يستطاعُ لدوِّنت آدابُهُ ... لكنّها أعيَتْ على التدوينِ

حَبْرٌ يُقِلُّ لدُرةٍ من بحرِهِ ... ما جُهِّزت بُورانُ للمأمونِ[1]

يا سيِّدًا عمَّ البرِيّةَ فضلُهُ ... قولًا وعلمًا فاستفادوا دوني

مَن شكَّ في أنْ ليس غيرَك مُعلمٌ ... بطلٌ لديه شهادةٌ بيمينِ

إنّي عقَدتُ أذِمّتي بولائكمْ ... وجعَلتُ رُكنَ جلالِكمْ لركوني

وتركتُ فيكَ سواكَ غيرَ معقِّبِ ... فعَدوْتُ تموزًا إلى تشرينِ

وقَرنتُ شُكرَك بالفرائضِ رفعةً ... فوجدتُه للفَرْضِ خيرَ قرينِ

صُغتُ المديحَ وقد سبقتُ لمَدْحِكم ... .

ما قلتُ قطُّ الشعرَ[2] لكن منكمُ ... في كلِّ صعبٍ ....

ولقد بعثتُ به وأعلمُ أنهُ ... نقدٌ ولكنْ عفوُكمْ ......

وإليكَها تَشْنا سواكَ لوَ انهُ ... في مُلكِ كِسرى أو ......

لو أنّني قلَّدتُ غيرَك حُلْيَها ... أضحى بها التقريطُ ......

لم أدعُ بالدنيا لكمْ إذ لفظُها ... دونٌ ولا أرضى لكم بالدُّونِ

فعليَّ أن أدعو بطُولِ بقائكم ... وعلى جميع الناس بالتأمينِ

---

(١) كان جهاز بوران بنت الحسن بن سهل شيئًا عظيمًا، وضُرب المثل بوليمة عرسها فقيل: دعوة الإسلام (ثمار القلوب: ١٦٥).

(٢) المعروف أن صاحب القصيدة له شعر كثير؛ ولذلك لا نفهم معنى قوله هذا إلا أن تكون هذه أول قصيدة نظمها والمعروف أن معظم شعره في الأغراض الدينية فله المعشرات الزهدية والمعشرات الحبية، والعشرينيات في مدح الرسول ﷺ وهي مطبوعة.

وكان أبو المعالي هذا فقيهًا شافعيَّ المذهب نَظّارًا فيه قويَّ الانتصار له، راسخَ القَدَم في التحقق به متقدِّمًا في الكلام فصيحًا في المناظرة، سديدَ العبارة عن أغراضِها، ذا حظّ صَالح من الأدب ناظمًا ناثرًا حسَنَ المحاضَرة طيِّبَ المحادثة آلِفًا مألوفًا. وتوفِّي بالعراق.

١٥٩ـ مَرْوانُ[١] بن عبد الملِك بن إبراهيمَ بن سَمَجُونَ اللَّوَاتيُّ، طَنْجيٌّ، أبو عبد الملِك.

شرَّقَ وسَمعَ بمِصرَ من ابن نَفِيس، وابن مُنيِّر، وأبي محمد بن الوليد، وجالَسَ عبدَ الحقّ الصِّقِلِّيَّ بها[٢]، وأخَذ عن أبي عليّ بن أمدقيو بسِجِلْماسةَ.

وكان فقيهًا حافظًا مُشاوَرًا مُفتيًا، ولِـيَ الصّلاةَ والـخُطبةَ بسَبْتَةَ ثم تحوَّل إلى طَنْجةَ صَدْرَ دولة اللَّمتُونيِّينَ، فولِـيَ الصّلاةَ والـخُطبةَ بها ثم أحكامَها، وتصَدَّرَ قديمًا لإقراءِ القرآن، وكان مقرئًا مجوِّدًا لُغَويًّا ذا حَظّ من الشّعر يَذهبُ فيه إلى التقعيرِ، وفصاحةٍ في الـخَطابة، وكان يَستعملُ الإعرابَ في كلامِه فلا يَلحَنُ البتّةَ.

توفِّي بطَنْجةَ سنةَ إحدى وتسعينَ وأربع مئة.

١٦٠ـ مَرْوانُ بن عبد الملِك بن إبراهيمَ الهلاليُّ، طَنْجيُّ الأصل أظُنُّه وُلد بها أو ببعضِ بلادِ العُدْوة، أبو محمد.

جَدُّ أبي القاسم أحمدَ بن عبد الوَدُود بن سَمَجُون[٣].

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: ذكَرَه ابنُ الزُّبَير، ولولا نَسَبُه وكُنيتُه لقلتُ: إنه الذي قبلَه، وقد أشكَلَ عليَّ أمرُه، فاجعَلْه من مباحِثِك[٤].

---

(١) ترجمه القاضي عياض في الغنية (٨٦)، وابن الأبار في التكملة (١٨٠٨)، وابن الزبير في صلة الصلة ٣/ الترجمة ٦٤.

(٢) يعني: بصقلية.

(٣) تقدمت ترجمته في السفر الأول (٣٥١).

(٤) ويستفاد من قراءة مجموع الترجمة فيها أنه الذي قبله بدون شك.

١٦١- مَرْوانُ[1] بن عمّار بن يحيى، بِجَائيٌّ، أبو الحَكَم.

رَوى ببلدِه عن أبي محمدٍ عبد الحقِّ ابن الخرّاط، وبفاسَ عن أبي ذَرّ الخُشَنيّ، وبسَبْتةَ عن أبي محمدٍ الحَجري.

ودخَلَ الأندُلُس طالبًا العلمَ، فأخَذَ بها عن أبي عبد الله ابن حَمِيد، وأبي القاسم ابن حُبَيْش، وأبي محمدٍ عبد المُنعم ابن الفَرَس، وأجازوا له هم وأبو بكر ابنُ الجَدّ ولم يَلْقَهُ.

وكان من الأدباءِ [النُّبهاء، مشاركًا في أبوابٍ] من العلم، حَسَنَ الخَطّ، جيِّدَ الضَّبْط، طيِّبَ النَّفس، [وكتَبَ] عن بعضِ وُلاة الأندلُس، واستُقضيَ بالمَرِيّة، لقِيَه أبو [الرّبيع بن سالم، ورَوى] عنه، وخبِرَ أحوالَه، فكان يُثني عليه جميلًا[2]، وتوفِّي في نحوِ [عشرةٍ وست مئة].

١٦٢- مَرْوانُ بن محمد بن عليّ بن مَرْوانَ بن جَبَل الهَمْدانيُّ، تِلِمْسينيٌّ [وَهْرانيُّ الأصل] حديثًا، شَلْوبانيُّه قديمًا، أبو علي.

تفَقَّه بأبيه[3] وغيرِه، ببلدِه وبمَرّاكُش. وكان فقيهًا حافظًا للمسائل بصيرًا بالفتوى في النّوازل.

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٨٠٩)، وابن الزبير في صلة الصلة ٣/ الترجمة ٦٢ وجعله من الأندلسيين.

(٢) زاد في التكملة: قال (أي: أبو الربيع): «ودخل بلدنا بلنسية كاتبًا لبعض الأمراء، ولم أره أنا إذ ذاك، ثم لقيته بإشبيلية، وتصاحبنا في دار الإمارة وسواها، وأنشدني رحمه الله، قال: أنشدني أبو محمد عبد الحق، يعني الإشبيلي، لنفسه رحمه الله:

لا يخدعنك عن دين الهدى نفر ... لم يرزقوا في التماس الحق تأييدا

عُمي القلوب عروا عن كل معرفة ... لكنهم كفروا بالله تقليدا

(٣) هو القاضي أبو عبد الله محمد بن مروان، وقد تقدمت ترجمته في هذا السفر (١٢٩)، وستأتي ترجمة أخي المترجم موسى فيما بعد (١٧٨)، ولهما أخ آخر قال فيه ابن سعيد: «الكاتب القاضي أبو زكريا» وذكر أنه كان مثل أبيه في حفظ الأدب وأنه ولي قضاء المرية والكتابة عن الأمير أبي يحيى بن أبي زكريا الحفصي وذكر لقاءه إياه في القاهرة ووفاته سنة ٦٥٢هـ (الغصون اليانعة: ٣٤)، وفي اختصار القدح: ٢٤ ذكر للشيخ الفقيه الأكرم أبي محمد ابن القاضي مروان ويبدو أنه ولد المترجم هنا.

واستُقضيَ [....] سنةَ ثلاثَ عشْرةَ وست مئة، وبتلمسينَ وبغَرْناطةَ ومُرْسِيَة.

١٦٣ـ مَرْوانُ بن موسى بن نُصَيْر [...][١].

١٦٤ـ مَسْعودُ بن عبد الكريم بن عليِّ بن عبد الـمُحسِن، تونُسيٌّ.

رَوى بقُرطُبَةَ عن أبي الوليد بن رُشْدٍ الصّغير.

١٦٥ـ مَسْعودُ بن عليِّ بن المنصُور الـمَصْمُوديُّ الصّلتانيُّ الـمَنْفِيُّ من كُورةِ طَنْجة.

رَوى ـ فيما أحسَبُ ـ عن أبي القاسم الـحَسَن بن عُمرَ الـهَوْزَنيِّ. وكان محدِّثًا، حيًّا سنةَ ثمانِ عشْرةَ وخمس مئة.

١٦٦ـ مُصعَبُ[٢] **بن محمد بن أبي الفُرات بن مُصعَب بن زُرارةَ القُرَشيُّ العَبْدَريُّ، صِقِلِّيّ، أبو العَرَب.**

قَدِمَ الأندَلُسَ وحدَّث بها عن أبي بكر بن البَرّ التَّميميّ[٣].

رَوى عنه الخطيب أبو عليّ حُسَين بن محمد بن عَرِيب[٤].

وكان حافظًا للُّغاتِ والآدابِ، شاعرًا مُفلِقًا، أكثَرَ من مَدْح رؤساءِ صِقلِّيَة وغيرِهم.

---

(١) بيض المؤلف لهذه الترجمة وكأنه لم يتوفر على المادة المطلوبة لها في وقت التحرير، ومروان هو أحد أولاد موسى بن نصير ومنهم عبد العزيز وعبد الأعلى وعبد الله وعبد الملك، ولهم مقام معلوم في الفتوح وأُسندت إليهم الولايات، ولهم تراجم في كتب الطبقات ومروان فيما تذكر الروايات هو الذي قتل لذريق (انظر البيان المغرب ١/ ٤٤، ونفح الطيب ١/ ٢٣٩).

(٢) ترجمه ابن بسّام في الذخيرة ٤/ ٢٠٨، والعماد في الخريدة ٢/ ٢١٩، وابن الأبار في التكملة (١٨١٣)، وابن خلكان في وفيات الأعيان ٣/ ٣٣٤، والذهبي في المستملح (٣٦٦) وتاريخ الإسلام ١١/ ٨٣، وابن شاكر في عيون التواريخ ١٢/ ١٦ وغيرهم.

(٣) تقدمت ترجمته في هذا السفر برقم (١٢٤).

(٤) ترجمته في التكملة (٧٣٥) وفيها: «وسمع من أبي العرب الصقلي الشاعر أدب الكتّاب لابن قتيبة، لقيه بطرطوشة وقد قارب المئة في سند فقرأ عليه وكان يرويه بعلو عن أبي بكر بن البر».

وقَفْتُ على بعضِ ما دوّن من شعرِه في مجلَّدينِ متوسِّطين، ومنه في الغزَل [من الكامل]:

شِعري وعـشقي والحبيـبُ ثلاثـةٌ ... بَهَـروا فـما لهُـمُ وحقِّـك رابـعُ

فهـمُ نظـائرُ لا تفاضُـلَ بيـنَهمْ ... كـلٌّ لأوصـافِ المحاسـنِ جـامعُ

ولـمّا تغلَّبَ الرُّومُ على صِقِلِّيّة خرَجَ منها سنةَ أربع وسبعينَ[1] وأربع مئةٍ ووَرَدَ إشبيلِيَةَ على المعتمِد أبي القاسم محمد بن عَبّاد في ربيعِ الأوّل سنةَ خمس وسبعينَ[2]، فحَظِيَ عندَه حُظوةً تامّة، وبالَغَ في الاحتفاءِ به، وله معَهُ أخبارٌ مُستطرَفة، منها: أنه حضَرَ يومًا مجلسَ المعتمِد وقد أُدخِلَ عليه جُملةٌ وافرةٌ من دنانيرِ الفضة فأمَرَ له بخريطتَيْن منها، وكانت بين يدَي المعتمِد صُوَرٌ صِيغت من عَنْبر من جُملتِها صورةُ جَمَلٍ مرصَّع بنَفِيس الجوهر، فقال له أبو العَرَب مُعرِّضًا: ما يَحمِلُ هذه الدنانيرَ أيّدَكَ اللهُ إلا جَمَل! فتبسَّمَ المعتمِدُ وأمَرَ له به، فابتدَأَ أبو العَرَب مُرتجِلًا [من البسيط]:

أجدَيْتَني جَـمَلًا جُونًا شَـفَعتَ بـهِ ... حِملًا من [الفضّة البيضاءِ لو حُمِلا]

نِتـاجُ جُـودِك في أعطـانِ مكرُمـةٍ ... لا قد يُعرَّفُ [من مَنْـع ولا عُقِـلا]

فاعجَبْ لشأني فشأني كلُّه عجَـبٌ ... رفَّهتني فحملتُ [الحِملَ والـجَمَلا][3]

وله من قصيدةٍ يمدَحُه بها ويَذكُرُ قبضَه على أبي بكر بن [عمّار] [من الطويل]:

كـأنّ بـلادَ الله كفّـاكَ إن يَـسِرْ ... بها هاربٌ تجمَـعْ [عليـه الأنـاملا]

فـأين يفِـرُّ المـرءُ عنـك بجُرمِـهِ ... إذا كان يَطوي في يدَيْك [الـمَراحلا][4]

---

(١) كذا في الأصل، وفي التكملة: «أربع وستين وأربع مئة»، وهو الصواب.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: «وستين».

(٣) ورد الخبر في الذخيرة ٤/ ٢٠٩، وبدائع البدائه: ٣٧٣ وغيرهما.

(٤) الذخيرة ٤/ ٢٠٩، والخريدة ٢/ ٢٢١ وغيرهما.

وكذلك حَظِيَ عندَ سائر ملوكِ الأندَلُس في تردُّدِه عليهم أو [استقرارِه عندَهم]، وبعدَ الحادثِ على المعتمِد بن عَبّاد لَـحِقَ بسَرَقُسْطةَ في جَنابِ المقتدِر بالله أحمدَ ابن الـمُستعين بالله سُليمانَ بن أحمدَ بن محمد بن هُود الـجُذَاميِّ ثم ابنِه الحاجبِ أبي عامرٍ يوسُفَ ثم ابنِه الـمُستعين أبي جعفرٍ أحمد، وله فيهم أمداحٌ كثيرةٌ دوِّنت في مجلّد متوسِّط، ثم صار بأخَرةٍ إلى مَيُورْقَةَ في كنَفِ صاحبِها ناصِر الدّولة أبي مَرْوانَ مُبشّر بن سُليمان، وخاطَبَه وهو بها أبو محمد عبدُ الـجَبّار بن حَمْدِيسَ من بعض بلادِ إفريقيّةَ بقصيدةٍ[1] بارعة قرَّظَه فيها وبالَغَ في الثناءِ عليه فألفاه رسُولُه وقد مَسَّه الكِبَر واستَولَى عليه الـهَرَم حتى ضَعُفت مُنّتُه وعَجَزَ عن إجابتِه، ووقَفَ بعضُ أصحابِ ابن حَمْديس على تلك القصيدة فقال له: قد حَططتَ نفْسَك عن مرتبةِ أبي العَرَب، فقال له ابنُ حَمدِيس: هو في نفسي أجَلّ وقَدْرُه عندي أعظم إلى شاخِتِه وحُرمةِ البلديّة التي جمعَتْنا ولم أخرُجْ معَ ذلك عن سَنَن أهل الأدب، فأقام بذلك عُذرَه، وقال: صَدقْت. وأقام أبو العَرَب بمَيُوْرقَةَ إلى أن توفِّي سنةَ ستٍّ وخمس مئة، وقد تقدَّم في رَسْم أبي بكر بن عيسى ابن اللَّبّانة[2] أنه دُفنَ إلى جَنْبِه، وأنه كان دَحْداحًا[3]، وأنّ أبا العَرَب كان طُوالًا رحمه الله.

١٦٧ ـ الـمُغيرةُ[4] بن أبي بُردةَ، ويقال: ابنُ عبد الله بن أبي بُرْدة، واسم أبي بُردةَ: نَشيط، ابن كِنَانةَ القُرَشيُّ العَبْدَريُّ، من أنفُسِهم، وقيل: حليفٌ لهم، وقد تقَدَّم بعضُ هذا في رَسْم عبد الله بن الـمُغيرة[5].

---

(١) لم نقف عليها في ديوان ابن حمديس المطبوع.

(٢) الترجمة التي يحيل المؤلف إليها في سفر مفقود.

(٣) في الأصل: «رجراجًا»، وهو تحريف، والدحداح: القصير.

(٤) ترجمه ابن سعد في الطبقات ٥/ ٢٤٠، وخليفة بن خياط في تاريخه ٢٨٨، ٢٩٢، والبخاري في تاريخه الكبير ٧/ الترجمة ١٣٨٩، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٨/ الترجمة ٩٨٣، وابن حبان في الثقات ٥/ ٤١٠، وابن الأبار في التكملة (١٨١٤)، والمزي في تهذيب الكمال ٢٨/ ٣٥٢، وابن حجر في تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٥٦، وغيرهم.

(٥) هو ولد المترجم، والإحالة على سفر مفقود، وترجمته في التكملة (١٩٥٠).

رَوى الـمُغيرةُ عن أبي هريرةَ. رَوى عنه الحارثُ بن يَزيدَ، وسَعيدُ بن سَلَمةَ الأزرق، وعبدُ الله بن سَعِيد الـمَخْزوميُّ، وعبدُ العزيز بن صَالح، وموسى بن الأشعث، ويحيى بنُ سَعِيد الأنصاريُّ، ويَزيدُ بن أبي حَبِيب، وأبو مَرْزوقٍ التُّجِيبيُّ.

وَلِـيَ غزْوَ البحر [لموسى بن نُصَيْر سنةَ ثمانٍ] وتسعينَ، والطالعةَ بالبَعْث من مِصرَ لعُمَر [بن عبد العزيز].

وكان له عَقِبٌ بإفريقيّة، وقد خَرَّجَ مالكٌ في «الموطإ» [حديثَ الـمُغيرة عن أبي] هريرةَ في الوضوء من ماءِ البحر[1] من رواية سَعِيد بن [سَلَمةَ، وقولُ] أبي عُمرَ بن عبد البَرِّ فيه[2]: «لم يروِ عنه فيما عَلِمتُ إلا صَفْوانُ [بن سُليم، ومَن] كانت هذه حاله فهو مجهولٌ لا تقومُ به حجةٌ عندَهم» وفي [قوله عن المغيرة][3] أنه «غيرُ معروف، وقيل: ليس بمجهول» معدودٌ في أوهامه رحمه الله؛ فقد أخرَجه أبو عيسى التِّرمذيُّ في «جامعِه» وقال[4]: حديثٌ حسَنٌ صحيح. وسأل التِّرمذيُّ البخاريَّ عنه فقال: هو عندي صحيح، قال: فقلت للبخاري: هشيمٌ يقول: الـمُغيرةُ بن أبي بَرْزَة؟ فقال: وَهِمَ فيه، إنّما هو الـمُغيرةُ بن أبي بُردة، وهُشيمٌ ربّما وَهِمَ في الإسناد، وهو من المقطَّعاتِ أحفظ، وقَعَ هذا للترمذيِّ في «عِلَلِه»[5]. قال أبو عُمرَ: لا أدري ما هذا من البخاريّ، ولو كان عندَه صحيحًا لخرَّجَه في مصنَّفِه الصّحيح عندَه، ولم يفعَلْ؛ لأنه لا يُعوِّلُ في الصَّحيح إلّا على الإسناد، وهذا الذي لا يحتَجُّ أهلُ الحديثِ بمثلِ إسنادِه.

وهذا وَهَمٌ آخَرُ لأبي عُمرَ؛ فإنّ البخاريَّ إنّما قَصَدَ في «جامعِه» إلى تصحيح ما خرَّج لا إلى إخراج كلِّ ما صَحَّحَ، وقد رَوَيْنا بالإسنادِ إلى أبي أحمدَ بن عَدِيّ،

---

(١) الموطأ (٤٥) برواية يحيى الليثي (ط. د. بشار).

(٢) التمهيد ١٦/ ٢١٧-٢١٨.

(٣) ما بين الحاصرتين ممحو في الأصل، واستفدناه من التمهيد.

(٤) الجامع الكبير للترمذي (٦٩) بتحقيق الدكتور بشار.

(٥) ونقله ابن عبد البر في التمهيد ١٦/ ٢١٨.

قال: سمِعتُ الـحَسَنَ بن الـحُسَين البَـزّارَ يقول: سمِعتُ إبراهيمَ بن مَعْقِل[1] ـ هو النَّسَفيُّ ـ يقول: سمِعتُ محمدَ بن إسماعيلَ البخاريَّ يقول: ما أدخَلتُ في هذا الكتابِ ـ يعني «الجامع» ـ إلا ما صَحَّ وتركتُ من الصِّحاح كي لا يَطولَ الكتاب. فقد صَرَّح البخاريُّ رحمه اللهُ بأنه ترَكَ من الصَّحيح عندَه قَصْدًا للاختصار، وفي حُكمِه بصحةِ هذا الحديث ومتابعةِ التِّرمذيِّ إياه على ذلك دليلٌ على أنّ راوِيَيْهِ سَعِيدَ بن سَلَمة والـمُغيرةَ بنَ أبي بُرْدةَ في عِداد من يُقبَلُ حديثُهما ويُحتَجُّ بهما، ويؤيِّدُ ذلك إدخالُ مالكٍ حديثَهما في «موطئه»، وذلك توثيقٌ لهما، ويُقوّي ذلك في المغيرة باستعمالِ عُمرَ بن عبد العزيز إياه، فلم يكنْ رضيَ اللهُ عنه لِيَستعملَ إلا أهلَ العدل والفَضْل من خِيَار هذه الأُمة، ودخَلَ الأندَلُسَ معَ موسى بن نُصَيْر، وكان يُخرِجُه أبدًا على العساكر[2]، وقد تقَدَّم له ذكْرٌ في رَسْم عبد الله بن الـمُغيرة.

١٦٨ـ منصُورُ[3] بن خُزَامةَ، مَوْلى رسُولِ الله ﷺ.

قالَ ابنُ بَشْكُوال فيه: تابعيٌّ [إن صَحَّ خبَرُه، وحَكَى عن] عبد الله بن عابد أنه وَجَدَ بخطِّ الـحَكَم ما يدُل على [تعميرِه[4]].

١٦٩ـ منصُورُ[5]] بن فوناس بن مُسلم بن عَبْدون بن أبي فوناس الزَّرْ[هُونيُّ، فاسيٌّ، أبو عليّ، قال] فيه ابنُ الأبّار: منصورُ بن مُسلم بن عَبْدون.

---

(١) في الأصل: «مغفل»، وهو تصحيف، وينظر تاريخ الإسلام ٦/ ٩١٤.

(٢) يضاف إلى ذلك أن النسائي وثقه، وهو من المتشددين في التوثيق. ثم إن الدارقطني بحثه في العلل له (١٦١٤) بحثًا مستفيضًا، ومال إلى التوثيق والتصحيح. وينظر نصب الراية ١/ ٩٦-٩٩، وردّ الدكتور بشار على ابن عبد البر في تعليقه على الموطإ ١/ ٥٦.

(٣) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٨٣٣)، وذكره المقري في نفح الطيب ١/ ٢٨٨ و٣/ ١١.

(٤) قال ابن الأبار: ولا يصح ذلك.

(٥) ترجمه ابن الأبار في معجم أصحاب الصدفي (١٧٤)، والتكملة (١٨٣٧)، وابن الزبير في صلة الصلة ٣/ الترجمة ٧٩، والذهبي في المستملح (٣٦٨)، وتاريخ الإسلام ١٢/ ٨٩ و١٢٠.

أخَذَ ببلدِه [عن جماعة، منهم: أبو] الـحَسَن عَبّادُ بن سِرْحان، ثم وَرَدَ الأندَلُسَ طالبًا العلمَ، [فروى بقُرطُبَةَ عن أبي] بحرِ الأسَديّ، وأبوَيْ محمدٍ: ابن السِّيْد وابن عَتّاب، وبمُرْسِيَةَ عن [أبي عليّ الصَّدَفيّ] وأبي محمد بن أبي جعفر، وعاد إلى بلدِه.

رَوى عنه أبو عبد الله بنُ [أحمدَ بن وشون[1]]، وأبو القاسم عبدُ الرّحيم ابن الـمَلْجوم، وأبو محمد بن فَلِيج.

وكان فقيهًا حافظًا مُفتِيًا مُشاوَرًا محدِّثًا ذاكرًا، عَدْلًا ثقةً، فاضلًا حاجًّا، وُلد عامَ اثنين [وسبعينَ] وأربع مئة، وتوفِّي بفاسَ عام ستةٍ وخمسينَ وخمس مئة.

١٧٠ ـ منصُورُ[2] بن محمد ابن الحاجِّ داودَ بن عُمرَ اللَّمْتُونيُّ، أبو عليّ.

رَوى بمَرّاكُشَ عن أبي عُمرَ مَيْمونِ بن ياسين اللَّمْتُونيّ، وبقُرطُبَةَ عن أبي بحرِ الأسَديّ، وأبي محمد بن عاتٍ وأكثَرَ عنه، وبفاسَ عن أبي محمد بن أيّوب الشاطبيّ، وببَلَنْسِيَةَ عن أبي الـحَسَن طارقِ بن يَعِيش، وبمُرْسِيَةَ عن أبي عليّ الصَّدفي، وأبي الوليد ابن الدَّبّاغ.

وكان محدِّثًا حافظًا ذكيًّا فهِمًا حسَنَ الـخَطّ، واقتنَى من دواوين العلم ما لم يكنْ لأحدٍ مثلِه في عصرِه، وكانت له في قومِه رياسة، وهو فخرُ لَـمْتُونةَ العِلميُّ، ليس لهم مثلُه ممّن دخَلَ الأندَلُس، وعليه قام أبو الـحَكَم بن الـحَسَن بن حَسُّونٍ بمالَقَةَ كما تقَـدَّم في رَسْمِه[3]، ووَلِـيَ بَلَنْسِيَـةَ ليحيى بن عليّ بن غانيـةَ نحـوَ

---

(١) من بيت بني وشون الهذليين، ولي القضاء منهم بالمغرب جملة (انظر بيوتات فاس: ٤١، ٦٩) وترجمة القاضي عبد الله بن أحمد بن وشون في الجذوة رقم (٤٣٦) والسلوة ٢/ ٤٩.

(٢) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٨٣٦)، وفي معجم أصحاب الصدفي (١٧٣)، والذهبي في المستملح (٣٦٧)، وتاريخ الإسلام ١١/ ٩١٩، والمراكشي في الإعلام ٧/ ٢٥٥.

(٣) الترجمة التي يحيل عليها المؤلف في سفر مفقود، ويبدو أن المؤلف ساق فيها كعادته نبذة تاريخية تتعلق بأخريات دولة المرابطين في الأندلس. انظر في أيام أبي الحكم ابن حسون المذكور كتاب الإعلام لابن الخطيب: ٢٥٤-٢٥٥.

أَحَدَ عشَرَ عامًا. وتوفِّي بيابِسةَ سنةَ سبع وأربعينَ، وقيل: بمَيُورْقةَ في حدودِ الخمسينَ وخمس مئة.

١٧١ـ منصُورُ بن مَـخْلوف بن عيسى المجاجيُّ، من بني يجفش[1]، أبو عليّ.

رَوى عن أبي داودَ الـهِشاميّ.

١٧٢ـ الـمُنَيْذِرُ[2] الإفريقيُّ.

له صُحبةٌ، دخَلَ الأندَلُسَ فيما ذَكَرَ عبدُ الملِك بن حبِيب، حَكاهُ عنه الرازيّ، ولم يذكُرْ ذلك أبو عُمرَ بن عبد البَرّ ولا غيرُه ممن ألّف في الصَّحابة، وإنّما لم يَذكُروا ذلك واللهُ أعلم لبُعدِ الأمَدِ في استفتاح الأندَلُس عن وفاةِ رسُول الله ﷺ، فلا يتأتّى ذلك إلّا لمن عُمِّر من الصّحابة رضيَ اللهُ عنهم العُمُرَ الطّويل، فبلَغَ المئةَ أو نحوَها وإن كان فيهم مَن بَلَغَها وزاد عليها، ولكنّه لم يصحَّ عندَنا من طريقٍ يوثَقُ به أنه دَخلَها أحدٌ منهم، ولكنه [وَرَدَ أنه] دَخلَها فذكَرْناهُ كما ذَكَرَه من تقدَّم وتبرَّأْنا [من عُهدتِه. رَوى عنه] أبو عبد الرّحمن الـحُبُلِـيّ.

قال أبو سعيد بن يونُس: [له صُحبةٌ]، وقال: كان بإفريقيّةَ، وقال أبو عُبَيد الله محمدُ بن الرَّبيع: [دَخَلَ مِصرَ ولهم عنه حديث]، وسَكَنَ إفريقيّة.

وحديثُه هو ما حدَّثناهُ الحافظُ أبو [عليٍّ الماقريُّ سَماعًا] إن لم يكن قراءةً بثغرِ آسِفي حَـماه اللهُ، قال: حدّثنا الأسعدُ عبدُ الرحمن بن مُقرَّب بن عبد الكريم ابن الـحسَن بن عبد الكريم التُّجِيبيُّ [....] قال: أخبرنا أبو القاسم عبدُ الرّحمن بن مكّيٍّ بن حمزةَ بن مُوَقّى بن حمزةَ الأنصاريُّ [سَماعًا] قال: أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن إبراهيمَ الرازِيّ، قال: أخبرنا أبو الـحَسَن عليُّ بن الـحَسَن بن شَعْبانَ الـخَوْلانيُّ قراءةً عليه وأنا أسمع سنةَ اثنتين وأربعينَ وأربع مئة، قال: أخبرنا

---

(١) بنو يجفش بطن من زناتة تازا وينسب إليهم عدد من الأعلام منهم مهدي بن توالا صاحب القلعة.

(٢) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٨٧٥)، وتنظر الإصابة لابن حجر ٦/ ١٤٤، ونفح الطيب ٣/ ٥.

أبو عبد الله محمدُ بن الـحَسَن بن عليّ بن محمد بن يحيى الدَّقّاقُ، قال: أخبرنا أبو عُبَيد الله محمدُ بن الرَّبيع بن سُليمانَ الأزْديُّ الجِيزيُّ[1]، قال: حدثنا يحيى بنُ عثمانَ بن صَالح، قال: حدثنا عبدُ القاهر بن رِشْدِينَ، قال: حدّثني أبي، عن حُيَيِّ بن عبد الله الـمَعافِرِيِّ، حدّثه عن أبي عبد الرّحمن الـحُبُليِّ، عن الـمُنَيْذِر صاحبِ رسُولِ الله ﷺ، قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «مَن قال: رضِيتُ بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ نبيًّا فأنا الزّعيمُ فلآخُذَنّ بيدِه فلأُدخِلنّه الجنّة»[2].

قال المصنِّفُ عفَا اللهُ عنه: كلُّ مَن ذَكَرَ هذا الرجُلَ فيما وقَفْتُ عليه فإنّما سمّاه الـمُنَيْذِرَ على لفظِ تصغير مُنذِر، وقال فيه: الإفريقيّ، أو: سَكَنَ إفريقيّة. ووقَعَ في نُسختي من «الحروف» لأبي عليّ سَعيدِ بن عثمانَ بن سَعِيد بن السَّكَن[3] بخطِّ القاضي الرّاوية العَدْل الضابِط أبي عبد الله محمد بن أحمَدَ بن محمد بن يحيى بن مُفرِّج القُرطُبيِّ[4] ما نصُّه: ذِكْرُ الـمُبتَدِر اليَمانيِّ، على لفظِ اسم الفاعل منَ: ابتَدَر. وجوَّدَ ضَبْطه في إسنادِ الحديث كذلك، وجعَلَه يمانيًّا كما ذكَرْتُه، وقال: رُوي عنه حديثٌ واحد، وأرجو أن يكونَ صحيحًا، قيل فيه: إنّ له صُحبةً، وليس بمشهور، فخَرَّجَ حديثَه عن أهل مِصرَ وهو من مَذْحِج، ويقال: من كِندَةَ، حدّثناهُ محمدُ بن هارونَ الـحَضْرميُّ ببغدادَ، قال: حدثنا محمدُ بن يحيى الأزْديُّ، قال: حدثنا يحيى بنُ غَيْلانَ الأسلميُّ، قال: حدثنا رِشْدِينُ بن سَعْد، عن حُيَيِّ بن

---

(١) هو الإمام محمد بن الربيع الجيزي الذي والده صاحب الإمام الشافعي وله كتاب فيمن دخل مصر من الصحابة في مجلد أورد فيه مئة ونيفًا وأربعين رجلًا واستدرك عليه ابن عبد الحكم في فتوح مصر وابن يونس في تاريخ مصر وابن سعد في طبقاته، ولخص السيوطي الكتاب المذكور في حسن المحاضرة، والمؤلف ينقل عن كتاب الجيزي نفسه فيما يبدو.

(٢) ورد هذا الحديث مسلسلًا بالمغاربة في المنح البادية (مخطوط)، وهو حديث ضعيف.

(٣) كتاب الحروف في أسماء الصحابة لأبي علي ابن السكن (انظر فهرسة ابن خير، رقم ٣٧٣).

(٤) ترجمته في تاريخ ابن الفرضي (١٣٥٨)، وجذوة المقتبس (١٠)، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٥١/ ١١٤، وتاريخ الإسلام ٨/ ٤٨٢.

عبد الله، عن أبي عبد الرّحمن، عن الـمُبْتَدِر صاحبِ النبيِّ ﷺ، وكان يَسكُنُ إفريقيّةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «مَن قال: رَضِيتُ بالله ربًّا [وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ نبيًّا فأنا الزّعيمُ لآخُذَنَّ بيدِه فلأُدخِلَنَّه الـجَنّة...»].

ولم أجدْ عن الـمُنَيْذِر غيرَ هذا الحديث، وهو ممّا تَفرَّدَ به، [واللهُ أعلمُ] بصحتِه.

١٧٣ـ مَوْدودُ[1] بن عُمرَ بن مَوْدودٍ الفارسيُّ، كذا [ذَكَرَ ابنُ الأبّار] اسمَه ونَسَبَه، وإنّما هو: عُمرُ بن مودود، وقد ذُكِر[2].

١٧٤ـ موسى[3] بن [حَجّاج بن أبي] بكر، جزائريٌّ جزائرَ بني زغنا، أَشيريُّ الأصل، سَكَنَ بأخَرةٍ تَدَلَّس، [أبو عِمران.

تنقَّل] في الأندلُس طالبًا العلمَ نحوَ ستِّ سنين، فأخَذَ بإشبيلِيَةَ وقُرطُبَةَ [والـمَرِيّة عن أبي] إسحاقَ ابن حُبَيْش، وآباءِ بكر: البِرْزَاليّ وابن العَرَبيّ وابن طاهر، وأبي [الـحَسَن شُرَيْح]، وأبوَيْ عبد الله: ابن أصبَغ وابن وَضّاح[4]، وأبوَي القاسم: ابن رِضا وابن وَرْدٍ ولازَمَه إلى حينِ وفاتِه، وأبي محمدٍ عبد الحقِّ بن عَطِيّة، وأبي مَرْوانَ بن مسَرَّةَ، وأجازَ له أبو الـحَجّاج بنُ رُشْدٍ القَيْسيُّ وسَمِع منه، وابن يَسْعُون، وقرَأ عليه، وأبو عبد الله ابنُ أبي الخِصَال، وأبو محمد النَّفَزيُّ الـمُرْسيّ.

وكان تامَّ العنايةِ بشأن الرّواية على رداءةِ خطِّه وعَدَم ضبطِه، وَلِـيَ الصّلاةَ بجامع الجزائر مدّةً، وتوفِّي بتَدَلَّس منتصَفَ [صَفَرٍ] تسع وثمانينَ وخمس مئة.

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٨٩٨).

(٢) في الرقم (٣٥).

(٣) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٨٩)، والذهبي في المستملح (٣٦٢)، وتاريخ الإسلام ١٢/ ٨٨٩.

(٤) وقف ابن الأبار على سماعه منه تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة في سنة سبع وثلاثين وخمس مئة.

١٧٥ـ موسى بنُ أبي القاسم عبد الرّحمن بن عبد الله بن محمد بن عيسى الـمَرّاكُشيُّ، أبو عِمرانَ المالَقيُّ[١].

رَوى بقُرطُبَةَ عن أبي عبدِ الله بن أحمدَ بن عَيّاش.

١٧٦ـ موسى بن عيسى بن عِمرانَ بن دافَالَ المِكْناسيُّ ثم الوَرْدميشيُّ التِّلِمْسينيُّ، سَكَنَ معَ أبيه[٢] وبعدَه مَرّاكُش، أبو عِمران، ابنُ عِمران.

رَوى عن أبيه، وأبي عليّ حَسَن بن عبد الله ابن الـخَرّاز، وأبي القاسم القُرَشيِّ، وأبي محمدٍ عبد الحقِّ ابن الـخَرّاط، ويحيى بن ياسين. وكان من بيتِ علم وجَلالة، وحَسَبِ شهير وأصالة، ذا حظّ من العلم، عظيم الوَقار والتُّؤَدة، سَرِيَّ الهمّة، موسِرًا نَفّاعًا بجاهِه ومالِه، حظِيًّا عندَ الملوك والأُمراء، قلَّده الناصرُ من بني عبد المؤمن قضاءَ الجماعة بعدَ وفاةِ أبي عبد الله بن الصَّيْقَل[٣]، فاستمرَّت ولايتُه القضاءَ إلى وفاةِ الناصِر، فأقرَّه بعدَه ابنُه الـمُستنصِر.

وكان جَزْلًا في أحكامِه معروفَ النزاهة مشكورَ السِّيَر[٤]، إلى أن توفِّي بمَرّاكُشَ وهو يتَولّى قضاءَ الجماعة سنةَ ثمانِ عشْرةَ وست مئة.

---

(١) هذا من بني المالقي الذين خدموا دولة الموحدين منذ ظهورها واستقروا بمراكش وأصبحوا من أهلها، ووالده أبو القاسم عبد الرحمن كان رئيس الطلبة وجده أبو محمد عبد الله ولي الخطة نفسها، راجع رقم (٤٣).

(٢) تقدمت ترجمته برقم (٤٤).

(٣) تقدمت ترجمته برقم (١٠٢).

(٤) هذا رأي المؤلف، ولعله رأي أهل الجد والضبط، وثمة رأي آخر يخالفه وقد يكون رأي أهل الأدب والمجون، وتصوره الحكاية الآتية: «اجتمع ابن أبي خالد وأبو الحسن بن الفضل الأديب عند أبي الحجاج ابن مرطير الطبيب بحضرة مراكش، وجرى ذكر قاضيها حينئذ أبي عمران موسى بن عمران بينهم، وما كان عليه من القصور والبعد عما أتيح له، وأوثر به، فقال أبو الحجاج:

ليس فيه من أبي موسى شبه

وقال أبو الحسن:

فأبوه فضة وهو شَبَه =

١٧٧ـ موسى[١] بن عيسى بن محمد بن أصبَغَ الأزْديُّ، مَهْدَويٌّ، قُرطُبيُّ الأصل، أبو عِمران، ابنُ الـمُناصِف.

[نشَأَ بتونُسَ معَ أخيه] أبي عبد الله، رَوى عن أخيه أبي عبد الله[٢]. وكان كاتبًا بارعًا، شاعرًا مُجيدًا مُكثرًا، وقَفْتُ على بعض [شعرِه في سِفْرٍ] ضَخْم يحتوي على أزيَدَ من خمسةَ عشَرَ ألفَ بيت، [وأمّا الأراجيزُ فعديدة، ومنها: «مُلحَقةُ الأدب في ما اسمُكَ يا أخا العَرَب؟» على طريقة ابن سِيْده وابن حَرِيق وابن زَنُّونٍ في أراجيزِهم[٣] في ذلك الـمَغْزى، [وبَلَغَ] في أرجُوزتِه الغايةَ من الاحتفال، وهي تشتملُ على نحو... وقَفْتُ عليه بخطِّه، ثم أعاد نَظْمَه أخصَرَ من المحتفَل

= وقال ابن أبي خالد:

كـم دعـاه إذ رآه عــرة وأبـاه إذ دعـاه يـا أبـهْ»

(نفح الطيب ٤/ ٥٩)، ومهما يكن الفرق بين هذا القاضي ووالده كما تقول المطارحة فإنها تبقى من قبيل الأدبيات الهزلية وقد يكون وراءها ملابسات المعاصرة والمنافسة وكذلك المنافرة المعروفة بين العُدْويين والأندلسيين فالقاضي عدوي والثلاثة المذكورون أندلسيون (انظر ترجمة ابن أبي خالد في تحفة القادم: ١٢٠، وترجمة أبي الفضل في القدح المعلى: ١٠٨، وترجمة أبي الحجاج في عيون الأنباء ٣/ ١٢٧. وأبو عمران قاضي القضاة بمراكش المترجم هو الذي يقول فيه الشاعر:

يخـط في الـرق خطًّـا كأنـه خـط شـيطان

يفـك عنـه المعمـى موسى بن عيسى بن عمـران

وله ولد اسمه محمد انتقل إلى تونس وكُتِبَ عليه أن يشترك في مغامرة يعقوب الهرغي الذي ثار سنة ٦٣٩هـ بطرابلس على أبي زكريا الحفصي ودعا لنفسه وتسمى بالإمام الفاطمي ولكن دعوته فشلت وقبض عليه وقتل وصلب هو وأتباعه ومنهم ولد المترجم أبو عبد الله محمد الذي كان أعد خطبة لتقرأ يوم بيعة صاحبه (انظر رحلة التجاني: ٢٦٨).

(١) ترجمته في المغرب ١/ ١٠٧ ووردت الإشارة إليه في نفح الطيب ٤/ ١٤١.

(٢) تقدمت ترجمته في هذا السفر رقم (١٣٥).

(٣) راجع في هذه الأراجيز السفر الخامس (٥٥٣) و(٦٣٩) والأصل فيها أرجوزة ابن سيده وهي مطبوعة.

في مقدارِ نصفِه، وقَفْتُ عليه بخطِّه، ومنها: أُرجوزةٌ في قصّة مقتل الـحُسَين رضيَ اللهُ عنه، عَمِلَها باقتراح الفاضل أبي إسحاقَ إبراهيمَ بن زكريّا الدِّرعيِّ المالِكيِّ الكفيف، وقد تقدَّم له ذكْرٌ في رَسْم أبي أُميّةَ بن عُفَيْر، ورَسْم أبي زَيْد الفازَازيِّ[1]، وأشار أبو عِمرانَ في قريبٍ من آخِر أُرجوزتِه إلى معنى ما ذكَرْتُه منَ اقتراح أبي إسحاقَ المذكور ذلك عليه، فقال [من الكامل]:

وتــرى نعامتَــهُ أكَنَّــتْ فرخَــهُ ... وذُبابُـــهُ نـــاءٍ مـــداهُ يَـــصيرُ

وتكلّـف الـصُّرَدانِ منـه لـسانَهُ ... ولحــرِّه في الأُذْن منـــه ظهـــورُ

وحَداتُــهُ قــد أشرفَــتْ وفراشَــةٌ ... وبـــشَعرِ صَلْـصلِهِ تَـراه يُـشيرُ

والـصّقرُ واليَعْـسوبُ ثـم شِـهامةٌ ... في الحلــقِ منــه أدارَهــنّ مُـديرُ

رَحُبــت دجاجتُــهُ وزان غُرابُــهُ ... خَـرِبٌ فلـيس لـحُسنِهنَّ نظـيرُ

والغُــرُّ منــه وناهــضاهُ كــأنّما ... للــشرِّ يجــري بيــنَهن كــسيرُ

وترى القَطاةَ علَتْ عـلى خطّافـةٍ ... وتــرى أديـمًا قــد عــلاه النُّــورُ

وأقَـــلَّ ذلـــك كلَّـــهُ بحـــوافرٍ ... صُـلبٌ أقلَّتْهـــا هنـــاك نُـــسورُ

يَعْـدو وأجنحـةُ الطّيـورِ تــمُدُّهُ ... فبَــكَتْ شَـمالٌ خلفَـهُ ودَبُــورُ

وفي جغرافيا ونقَلتُه من خطِّه أيضًا [من السريع]:

ســـافِرْ بـــلا زادٍ ولا مركَـــبِ ... مـن مطلَـع الـشمس إلى المغـربِ

وخُضْ بحارَ [الأرضِ][2] ما عَرْبَدَتْ ... أمواجُهـــا يومًـــا عـــلى مركـــبِ

---

(١) ترجمة أبي أمية بن عفير في السفر الثاني وهو مفقود، وترجمة أبي زيد الفازازي المشار إليها في السفر السابع وهو مفقود أيضًا، راجع رقم (١٥٠) أما ترجمة الكفيف الدرعي فلم نقف عليها، ولم يحل المؤلف على رسمها؛ وذلك لأنه لم يدخل الأندلس فلم يكن على شرط كتابه وقد ضاع عدد كبير من تراجم أعلام المغرب بسبب التقيد بهذا الشرط.

(٢) في الأصل: «وخض بحارًا»، وأصلحناه كذا؛ ليستقيم الوزن.

وجُبْ قفارًا ليس تَعْيا بها ... في جَبَلٍ وَعْرٍ ولا سَبْسَبِ

فهذه الدُّنيا التي سَهَّلتْ ... سُبْلَ المسافات فلم تصعُبِ

.... فابعَدْ بها إن شئت أو فاقرُبِ

.... مكان بها ... فسِرْ على الفورِ إلى الأرحبِ

.... كذا للفتى ... لم تذهبِ الأفكارُ في مذهبِ

[وله في تغيُّر] الرُّسوم، ونقَلتُه أيضًا من خطِّه [من الطويل]:

.... طال عهدُها ... وغيَّرَ منها الرَّسمُ تغييرَ أحوالِ

[فأضْحَت] كرَسْم الدارِ بان قَطينُها ... ولا شيءَ أشجَى في الديار من الخالي

وجرَّتْ عليها الرامِساتُ ذيولَها ... فعفَّى بها آثارَها جرُّ أذيالِ

فأنشدتُ إذ أبصَرْتُ تغييرَ رَسْمِها: ... (ألا عِمْ صباحًا أيُّها الطَّلَلُ البالي)

وله في قالَبِ الطُّوب مُلغِزًا، ونقَلتُه أيضًا من خطِّه [من الطويل]:

وما بالعٌ في يومِهِ ألفَ لُقمةٍ ... وأكثَرَ أضعافًا إذا هو أُطعما؟

وما لقمةٌ إلا وتَعدِلُ وزنَهُ ... مضاعفةً؟ فافهَمْهُ فيمَن تفهَّما

إذا امتلأت أحشاؤه قام مُعجِلًا ... وخَلّى بُرازًا كلَّ ما كان لُقِّما

وكان داعي نَظْم هذا المَقْتَلِ ... مُرجَّزًا في شكلِه المُفصَّلِ[1]

بعضُ صِحابِنا الذين صَحِبوا ... في الله حبًّا جلَّ فيه السببُ

رَغَّب أن يعُمَّهُ التنظيمُ ... الصاحبُ الكفيفُ إبراهيمُ

المنتمي لدرعةٍ في النَّسَبِ ... المقتدي بمالكٍ في المذهبِ

---

(١) هكذا في الأصل، والظاهر أن ثمة سقطًا بحيث جاء هذا الانتقال إلى الرجز.

وقال بعدَ هذا بأبياتٍ في عُدّة هذه الأُرجوزة [من مشطور الرجز]:

وحــين أكمَلــتُ المــرادَ فكمُــلْ ووفَّـــق اللهُ إلى خــيرِ العمــلْ

انتهــتِ الأبيــاتُ منــهُ عــدّا مُزدوِجــاتٍ إن بَلَغْــتُ الــحَدّا

ألفَــيْنِ في نظامِهــا مُرصَّــعهْ وإن تــرِدْ أفرادَهــا فأربعــهْ

وقَفْتُ عليها بخطِّه أيضًا إلا يسيرًا ضاع من أوّله، وذلك مئتا بيت وستّةُ أبياتٍ مزدَوَجة لها أربع مئة بيت واثنتا عشرة مشطورة، ومنها أرجوزةٌ في قُرعة الفأل بديعة، إلى غير ذلك من الأراجيزِ التي أجاد فيها ودلّت على اقتدارِه وتمكُّن انطباعِه.

ومن نظمِه في بعض ألوانِ الـخَيْل، ونقَلتُه من خطِّه [من المتقارب]:

ويــوم تجــارَتْ بــه أربــعٌ مـن الـخَيْل يـا لـك مـا أعجَبـا

أعــارَ لهــا الجــوُّ أثوابَــهُ سَلَــكْنَ بهــا مــذهبًا [مــذهبا]

فأهــدَى الــصّباحُ لــذا حُلّــةً لــذلك أبــصرتُهُ أشــهَبا

وأهـدى دُجـى اللّيـل ثوبًـا لـذا فكــان بــه أدهمًــا [غَيْهَبــا]

ووَرَّدَ ذا شــفَقٌ فاكتَســى بتوريــدِهِ ضَرَمًــا مُلْهَبــا

وشـمسُ الأصـيل تبـدّتْ بـذا فظــلَّ لــشُقرتِه مُــذهَبا

وقــسَّم فيهــا هبــوبَ الرِّيــاح فــما اعــترَضَ الــبَرْقُ إلا كَبَــا

فهــذا شَــمالٌ وهــذا جنــوبٌ وهــذا دَبُــورٌ وهــذا صَــبَا

وفيما يُسمَّى من الفَرَس بأسماءِ الطّير، ونقَلتُه من خطِّه أيضًا [من الكامل]:

بــأبي جَـوادٌ مـا جـرى في حلْبـةٍ فــتَراهُ إلا مــرَّ وهْــو يطــيرُ

قل: كيف لا يدَعُ الطيورَ نَواكصًا عــن شَــأْوِه وتحمَّلتْــه طيــورُ

فعــلا بهامتِــهِ عــلى عُــصفُورِه وسَــمَا بدِيكَيْــهِ لــه التــشميرُ

وله في الـمُجَبَّنات[1] [من الوافر]:

وسَــفّاجينَ[2] تحـسَبُهم مُلوكًــا ... إذا صَـعِدوا منــابرَهم جلوسًــا
وقــد ظَفِــروا بــصنعةِ كيمِيــاءٍ ... ولــيس تُعِيــبُ صَـنْعتُها الرئيسا
أذابــوا مــن عجيــنهمُ لُــجَيْنًا ... فــصيَّرَه اللَّظــى تِــبْرًا نفيــسا
وصــاغوا لِلَّهــاةِ مجبَّنــاتٍ ... تكــاد تُعيــدُ للمــوتى النفوسـا
تعــودُ خـدودُهُنَّ البِيضُ حُمْـرًا ... كوَجْنـةِ مَـن يَعِـلُّ الـخَنْدَريسا
تلــوحُ عــلى أكفِّهــمُ بُــدورًا ... وتُطلعُهــا طــواجنُهمْ شُموسـا
كـأفلاكٍ رَبـا[3] [و] نجـوم سَـعْدٍ ... طَوالــع لا تــرى فيهـا نَحِيـسا
كــأنّ شخوصَــها إذْ قابلَتْنــا ... وجــوهٌ لا تــرى فيهــا عُبوسـا
حَـشَوْا جُبْنًـا بواطنَهــا وزُقّــت ... ظواهرُهــا فَــراقَ لهـا لَبُوسـا
جلَوْهــا فــضّةً تزهَــى بتبــرٍ ... مذهَّبــةً كـما تَــجْلو العروسـا
تــرى أيــديَهمْ أعنــاقَ طَــيْرٍ ... وأنمُلَهــا إذا اجتمَعَــتْ رؤوســا
وتـسمَعُ في حلــوقِ القــوم منهـا ... إذا انـدرجت بهـا أبـدًا حَسِيـسا
لــيعلمَ ذو الرَّشــادِ بــأنّ كيسًا ... يُفــرَّغُ ....

وكان من أبرع الناسِ خَطًّا في الطريقةِ المغربية، [كتَبَ أزمّةَ] الـمَجَابي السُّلطانية، وفاق في أحكامِها أهلَ عصرِه، وفيه يقولُ [أبو الرَّبيع] ابنُ أبي غالب[4]،

---

(١) المجبنات: نوع من القطائف يضاف إليها الجبن في عجينها وتُقلى بالزيت.

(٢) جمع سفاج وهو الذي يعالج صنع المجبنات وقليها.

(٣) كذا في الأصل.

(٤) هو سليمان بن أحمد بن علي بن يوسف بن أبي غالب، أبو الربيع، تقدمت ترجمته في السفر الرابع برقم (١٣٣).

وهو من بَديع تجنيسِ القَوافي وغريبِه ونقلتُه من خطِّ صاحبِهما أبي القاسم بن عِمران [من الطويل]:

أمالكةُ اسمَعي حديثَ الـمُناصفِ ... ولا تَعذِلي ما العَذْلُ رأي الـمُناصِفِ

وإن جُرتِ رِفقًا لا كما جارتِ النَّوى ... بجَهْل فإن يوضَحْ لكِ العلمُ ناصفِ

صِفي باشتياقي اليومَ سَمْعَ حديثِه ... وإن كان فيه يستوي علمُنا صِفِ

وخلّ الـمُنى يَلهَجْ بذكْرِ الـمُناصفِ ... فؤادي وإن افصَحْتُ فابنُ الـمُناصفِ

وقد جَرى له ذكْرٌ في رَسْم أبي القاسم عبد الكريم بن عِمران[1].

وتوفِّي في مَرّاكُش في رجبِ سنة سبع وعشرينَ وست مئة، ودُفن خارجَ باب فاسَ.

١٧٨ـ موسى[2] بن محمد بن عليِّ بن مَرْوانَ بن جَبَل الـهَمْدانيُّ، تِلِمْسينيٌّ وَهْرانيُّ الأصل حديثًا شَلَوْبانيُّهُ قديمًا، وسَكَنَ معَ أبيه مَرّاكُش وقتًا، أبو عِمرانَ، ابنُ مَرْوان.

رَوى عن أبيه[3] وتَفقَّه به وبغيرِه، واستُقضيَ بمالَقَةَ ثم بغَرْناطةَ ثم تطُلْ مُدّةُ استقضائه بها حتى أَتَتْه منيّتُه في شعبانِ ثمانٍ وست مئة. وكان الحفلُ في جَنازتِه عظيمًا حضَرَه الوالي بغَرْناطةَ فمَن دونَه[4].

---

(١) ترجمة أبي القاسم عبد الكريم بن عمران في السفر السابع مع الغرباء وهو مفقود، وترجمته في التكملة (٢٥٦٤).

(٢) له ترجمة في صلة الصلة (٣/ الترجمة ٥٩)، قال ابن الزبير: «نشأ في حجر الخلافة بمراكش لاختصاص أبيه بالموحدين».

(٣) تقدمت ترجمته مع الإشارة إلى بعض أعلام هذه الأسرة (راجع رقم ١٢٩).

(٤) الوالي بغرناطة يومئذ هو أبو إبراهيم إسحاق بن أبي يعقوب بن عبد المؤمن (انظر الترجمة رقم ١٣٧).

١٧٩ـ موسى بن مَلُّوْل ـ بفتح الميم وشدِّ اللام وواوِ مَدّ ولام ـ الصَّوْديُّ[١] ـ بصادٍ معقود ومفتوح وواوٍ ودال غُفْل منسوبًا ـ أبو عِمران.

رَوى عن أبي القاسم ابن بَشْكُوال.

١٨٠ـ موسى بن هارونَ بن خِيَار، أبو عِمران.

رَوى بالـمَرِيّة عن أبي القاسم ابن وَرْد.

١٨١ـ موسى[٢] بن ياسين مَوْلى صَالح بن إدريسَ الـحِميَريِّ صاحبِ نَـكُور[٣]، أبو عِمران.

دَخَلَ الأندَلُس، وعُنيَ بالحسابِ والفرائض، وصنَّف بها كُتُبًا نافعةً معروفةً به.

١٨٢ـ موسى بن يوسُفَ بن محمد الـمَغِيليُّ[٤]، من نَظَر فاسَ.

رَوى عن أبي بكرٍ ابن خَيْر.

١٨٣ـ مَيْمونُ[٥] بن أحمَدَ بن محمد القَيْسيُّ، قَلْعيٌّ قلعةَ بني حمّاد، أبو الفَضْل وأبو وَكيل.

نَزَلَ قُرطُبَةَ وسَكنَها مُدّةً إلى أن تغلَّبت عليها الرُّوم ـ قصَمَهم اللهُ ورجَعَها ـ فاستَوطنَ أَرْكَش[٦].

---

(١) ثمة أعلام بهذه النسبة، منهم: أبو عبد الله الصودي (التشوف: ١٧٤)، وجمال الدين الصودي الجدميوي إمام الفرضيين بالإسكندرية (نيل الابتهاج: ١٤٠-١٤١ نقلًا عن رحلة التجيبي) وقد ضبطها كضبط المؤلف فقال: «والصودي: بفتح الصاد المهملة وسكون الواو فدال مهملة». والنسبة إلى قبيلة صودة: قبيلة مصمودية.

(٢) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٧٨٨).

(٣) انظر في أصحاب نكور المغرب للبكري: ٩٠-٩٩.

(٤) النسبة إما إلى مغيلة: مدينة من أنظار فاس كما في المطرب: ١٢٤، أو إلى قبيلة مغيلة البربرية. ولعل المترجم من بيت بني المغيلي. انظر بيوتات فاس: ٢١.

(٥) له ترجمة في صلة الصلة (٣/ الترجمة ١٠٣).

(٦) كذا في الأصل، وفي صلة الصلة: مراكش، ولعلها أقرب إلى المعنى.

وكان رجلًا صالحًا فاضلًا اشتُهر بحفظِ «موطّإِ» مالِك بن أنس عن ظَهْر قلب، وأكتَبَ القرآنَ طويلًا بقُرطُبَةَ [ومَرّاكُش][1].

[توفِّي سنةَ] خمسٍ وثلاثينَ وست مئة.

١٨٤ـ مَيْمونُ[2] بن جُبارةَ بن خَلْفونٍ الفَرْداويُّ، أبو تَـمِيم.

رَوى عنه أبو عبد الله بن عبد الحقِّ التِّلِمْسينيُّ[3] [وغيره]. وكان من كبار العلماء وجِلّة الرُّؤساءِ كريمَ اليدِ جميلَ الأخلاق [عظيمَ] الـحُرْمة، استُقضيَ ببَلَنْسِيَةَ مُذْ سنةِ ثمانٍ وستّينَ وخمس مئة [إلى سنةِ إحدى] وثمانين، فكان محمود السِّيرة موصوفًا بالعَدْل والـجَزالة.

ودرَّس الأصُول [بتلِمْسانَ] وببَلَنْسِيَةَ، وبه انتفَعَ أهلُها في ذلك الفنّ، وكان يصِفُهم بالذّكاءِ وثقوبِ الذّهن وجَوْدة القرائح.

وممّن أخَذ عنه بها منهم: أبو جَعْفرٍ الذّهبيُّ وأبو الـحَجّاج ابن مرطَيْر، ثم صُرِفَ عنها إلى قضاءِ بِجَايةَ فتقلَّده إلى أنِ استُقدمَ إلى مَرّاكُش واستُقضيَ بمُرْسِيَةَ بعدَ وفاة قاضيها أبي القاسم ابن حُبَيْش[4]، فتوفِّي في طريقِه إليها بتلمسينَ سنةَ أربع وثمانينَ وخمس مئة.

١٨٥ـ مَيْمونُ[5] بن عليّ بن عبد الخالق الصُّنهاجيُّ ثم الـخَطّابيُّ، فاسيٌّ

---

(١) محو في الأصل، وقال ابن الزبير: «وكان يحفظ الموطأ عن ظهر قلب ويعلِّم الكتاب العزيز بالبلدين المذكورين».

(٢) ترجمه ابن الأبار (١٨٥٢)، والغبريني في عنوان الدراية ٢٠٦، والذهبي في المستملح (٣٧٠)، وتاريخ الإسلام ١٢/ ٧٩٢، والمراكشي في الإعلام ٧/ ٣١٠.

(٣) تقدمت ترجمته في هذا السفر رقم (١١٩).

(٤) كانت وفاة القاضي ابن حبيش في سنة ٥٨٤هـ.

(٥) ترجمته وأخباره وأشعاره في تحفة القادم: ٢١٩ (دار الغرب)، وروايات المبرزين: ٤٩، ورحلة ابن رشيد (مخطوط)، ومفاخر البربر: ٦٥-٦٧ (ترجمة ذاتية)، وأزهار الرياض ٢/ ٣٧٨-٣٩٢ (نقلًا عن الإشادة للعزفي عن المؤلف هنا)، ودرة الحجال رقم (٣٧٢) ومن المصادر الحديثة: النبوع للأستاذ كنون، والحلقة ٧ من ذكريات.. والعلوم والآداب للأستاذ المنوني: ١٧٦-١٧٧، ورسالة المغرب س٦ع٤.

أو من بعضِ أنظارِها، سَكَنَ بأخَرةٍ مَرّاكُش، أبو عَمْرو، ابن خَبّازة، نسبةً إلى خالِه الشاعر الشهير بابن خَبّازة[١] لـمُلازمتِه إياه.

رَوى بفاسَ عن أبي محمدٍ عبد العزيز بن عليّ بن زَيْدان[٢]، وقَدِمَ الأندَلُسَ قديمًا، فروَى بها عن أبي الـحَجّاج ابن الشّيخ، وأبي محمد بن الـحَسَن ابن القُرطُبيِّ، ثم قَدِمَها بعدُ غير مرّة بعدَ العشرينَ وست مئة وقبلَها. رَوى عنه أبوا عبد الله: ابن أحمدَ الرُّنْديُّ وابنُ عبد الـمُنعم اللّوَاتيُّ، وأبو عِمرانَ بنُ أبي الـحَسَن، وأبو القاسم بن عِمران.

وكان أديبًا شاعرًا مُفلِقًا من أكبرِ أعاجيبِ الدّهر في سُرعة البديهة، ناظمًا أو ناثرًا، معَ الإجادة التي لا يُجارَى فيها، والتفنُّن في أساليبِ الكلام معرَبِه وهَزْلِه، على اختلافِ طرائقِ الناس بحسَبِ بلادِهم المتنازحة، جيِّد الـخَطّ، قويَّ الأعضاء، معتدِلَ التركيب، متمكِّنَ الصّحة، جَهْوريَّ الصّوت، وافرَ الـمُنّة وهو قد جاوَزَ السّبعينَ[٣]، ذا مشاركةٍ حسَنة في عِلم الكلام وأصُول الفقه، تطوَّر كثيرًا وتنسَّك وتصَوَّف وقتًا، ووَعَظَ وتُلقِّي وعظُه بالقَبُول، وعارَضَ ابنَ الـجَوْزيّ في بعض فصُولِه فأجاد.

---

(١) لا نعرف من هو هذا الشاعر بالضبط، وقد أشار ابن الأبار في تحفة القادم إلى شاعر هجاء يدعى ميمون بن علي، وهذا اسم مترجمنا وإن لم يصلنا من هجائه إلا بيتان في هجاء مهدي الموحدين، وثمة ترجمة في صلة الصلة (٤/ الترجمة ٣٢٤) لعلم يعرف بابن خبازة السبتي واسمه علي بن محمد بن عبد الله الحضرمي وتوفي في نحو العشر وست مئة، ولكن ترجمته لا تدل على أنه كان شاعرًا.

(٢) ترجمته في التكملة (٢٤٨٧)، وأشار الشاعر في إجازته لبعضهم إلى شيوخ آخرين أخذ عنهم بفاس وسمى جده للأم علي بن مهدي القيسي وأبا الحسن بن حرزهم وابن دوناس، كما ذكر أنه قرأ بسبتة على ابن عبيد الله الحجري وأبي الصبر أيوب. وكأن المؤلف لم يقف على هذه الإجازة؛ إذ انه يميل إلى الاستقصاء في سرد الشيوخ إلا إذا كان غير متحقق من أخذه عنهم.

(٣) في طرة الأصل: لعله التسعين.

قال أبو القاسم ابنُ عِمْران: رأيتُه بسَبْتَةَ عامَ أربعةٍ أو خمسةٍ وست مئة وهُو في زِيِّ النُّسَّاك، اجتَمَعتُ به عندَ الشّيخ الفاضل أبي العبّاس الأزرق[1] رضيَ اللهُ عنه وهو لابسٌ مُرَقَّعةً، وعَرَضَ عليه وأنا حاضِرٌ وثيقةً كتبَها في طلاقِه الدّنيا، ثم رأيتُه بعدَ عام ستّةٍ وعشرينَ، وسايَرْتُه في مَحلّة المأمون[2] [المتوجِّهة إلى مَرّاكُش] وهو محتسِبُ الطعام بها، فأنشَدَني من شعرِه قطعًا كثيرةً، وكان مُكثِرًا من النّظم، فذكَرَ لي شيخُنا أبو الحَسَن الرُّعَيْنيُّ رحمه الله أنه كان بإشبيلِيَةَ في كنَفِ أبي العلاء ابن المنصُور، وأنه لزِمَه نحوَ [...، وجُمِعت] له أمداحُه فيه فبَلَغَت ثلاثةَ مجلَّداتٍ ضخمة، ومن أمداحِه فيه [وقد انتَقل إلى إشبيلِيَةَ] واليًا بعدَ قُرطُبَة: قولُه [من البسيط]:

يا سعدُ حمصُ لقد نالت بكَ الأملا … كأنّك الشمسُ قد حَلَّت بها الحَمَلا
فكلُّ فصلِ ربيعٍ ناشرٌ زَهَرًا … تَخالُهُ فوقَ أعطافِ الرُّبى حُلَلا
وأيُّ جوّ تجَلَّت فيه مُنحرِفًا … أنوارُ عَدْلِك في الدنيا فما اعتَدَلا؟!
هي السّعادةُ أحظَتْها بما سألتْ … وحسبُ ذي السُّؤلِ أن يحظَى بما سألا
[وحبّذا] نيّةٌ أضمَرْتَها صَدَقتْ … فأكسَبَ الصِّدقُ تلك النيّةَ العمَلا
قد حقَّق اللهُ آمالَ العبادِ فمُذْ … وليتَ أذهبتَ عنها الرَّوعَ والوَجَلا
إن كان فيها أميرُ المؤمنينَ وقد … نالت بعَلْياهُ في أقطارِها الأملا
فعدلُهُ كالمسَمَّى جيءَ مبتدَأً … به وكنتَ له التوكيدَ والبَدَلا
سلَّتْك كفُّ الهُدى منه على ثقةٍ … سَلَّ الحسامِ بها كي تحسِمَ العِلَلا
واليومَ قد علِمتْ أقطارُ قُرطُبةٍ … لفَقْدِ مرآك منها ما بها نَزَلا

---

(١) انظر ذكره في اختصار الأخبار: ١٩.

(٢) كان سفر المحلة المذكور من إشبيلية إلى مراكش في سنة ٦٢٥هـ (انظر البيان: ٢٦٤).

باتت وسَلسالُ ذاك النهرِ في كدَرٍ ... فيها وناعمُ ذاك الرَّوْض قد ذَبُلا

وأصبحتْ حمصُ جنّاتُ النّعيم وقد ... أعدَدْتَ رِفْدَك للعافي بها نُزُلا

قد كان بالنهرِ معناها يَرُوقُ حلًا ... واليومَ بالبحرِ معناها يفوقُ علا

بحرٌ يَهُولُ فيُفني مَوْجَ سطوتِهِ ... كما يقولُ فيُغني كلَّ مَن سألا

يَفِيضُ بالعلم أو بالجُودِ زاخرُهُ ... يَروي ويُروِي فيُغني قال أو فعلا

فللرواةِ جميعًا والعُفاةِ بهِ ... للورِدِ سَلسالُ ماءٍ قد صَفَا وحَلا

يا واصلًا سنَدَ التوحيدِ يحمِلُهُ ... عن الخلائقِ بالمَهْديِّ متّصلا

عَلياكَ كالنّصِّ لم يَبْقَ الظهورُ بها ... من البيانِ سوى التأويل محتملا

وللفضائلِ أنواعٌ معدَّدةٌ ... وأنت جنسٌ على أنواعِها اشتَمَلا

.... عن أن يحيطَ بها ... وهل لها غايةٌ حتى يقالَ ألا؟!

.... يطوفُ الآمِلونَ بهِ ... وكفُّك الرُّكنُ مما اعتادت القُبَلا

.... بها ما صفا وبها ... بيضُ القواضبِ نارٌ تحرِقُ البطلا

.... مائها بالجودِ منهمرًا ... والموتُ من نارِها بالبأس مشتعلا

.... وهو من عَلياهُ في عددٍ ... مقسَّمَ الفِكرِ في أبوابِ كلِّ عُلا

.... طما بحرًا سَطا أسدًا ... أضاء بدرًا ذكا رَوْضًا رَسا جَبَلا

جُودًا وعلمًا وإقدامًا ونورَ هُدًى ... وطيبَ ذكْرٍ وعلمًا بالتُّقى كمُلا

تراهُ بالخيرِ رَوْضًا حاملًا زَهَرًا ... لكنّهُ زَهَرُ الآدابِ محتفِلا

يهزُّه الطَّرفُ غُصنًا حفَّ من أدبٍ ... والحِلم يُرسيه طَوْدًا بالنُّهى ثَقُلا

تهوى محاسنَهُ الدنيا ليمنَحها ... وَصْلًا فيُعرِضُ هِجرانًا لها وقِلى

إن سار كان مقيمًا من مهابتِهِ ... وإن أقام يُرى بالعَزْم مُرتحِلا

وعَدْلُه الشمسُ لكنْ غيرَ آفلةٍ   وفضلُه الظِّلُّ لكن ليس مُنتقِلا

حازَ العمومةَ من عدنانَ مفتخرًا   إلى الخُؤولة من قحطانَ فاكتملا

فمن سَليم بن منصُور وسُؤدَدِها   ومن حِزام عدِيّ مجدَهُ انتَحَلا

وبالجلالينِ من قَيْس ومن يَمَنٍ   أقام قِسطاسَ وَزْنِ الفخرِ معتدلا

يا ابنَ الخلائفِ حازوا المجدَ من مُضَرٍ   فعِزَّهم ذلَّلَ الأيامَ والدُّولا

جَدَّ الزّمانُ وكان الهَزْلُ شيمتَهُ   فينا وجاد علينا بعدَما بَخِلا

فنام بالأمن جَفْنٌ بات من جَزَعٍ   بإثمدِ السُّهد في الظلماءِ مكتحِلا

وقام قاعدُ أمرِ الله منتهضًا   يَفي بحَمْل الأماناتِ التي حَمَلا

وأصبحَتْ دعوةُ التوحيدِ زاهيةً   زهوَ العَرُوس تجُرُّ الحَلْيَ

والبيضُ تهتزُّ مثلَ البيض من طرفٍ   والخَيْلُ تعرفُ فيها نخوةَ الخُيَلا

زَهَا به المجلسُ السامي وحُقَّ لهُ   حتى لقد طار من زهوٍ به جَذِلا

فقلْ لمَن يدَّعي هذا المقامَ: كفَى   فإنّ بُرهانَ هذا يبهَرُ الجَدِلا

واعجَبْ لناديه يقوَى حَمْلُهُ وبهِ   علمٌ وحلمٌ أقلّا السهلَ والجَبَلا

وكفُّه كيف تَهْمي سُحْبُ وابلِها   وليس تُبصرُ في أرجائها بَلَلا

يا لائميهِ على الإفضال ويْحَكمُ   وهل رأيتُمْ ....

من جاد بالذاتِ يومًا لا انتقالَ لهُ   ومن يكنْ عَرَضًا .... منتقلا

قد كاد يسبقُ ظنِّي كونُهُ مَلِكًا   لولا تحقُّقُ عِلمي كونَه رَجُلا

كانت تُروِّعُني الأيامُ ظالمةً   واليومَ إن قصَدَتْني بالخطوبِ فلا

وكيف أخشى لجَوْرِ الدهرِ حادثةً   وعدلُ إدريسَ يَنْفي الحادثَ الجَلَلا

مَن صَفْحُهُ يصرِفُ الجاني بسَطْوتِهِ   إلى المتابِ وكم صَفْح جنَى الزَّلَلا

مـن يَـستلِذُّ ثنـاءَ المـادِحينَ لـهُ　　منّـا كـما يَـستلِذُّ العاشـقُ الغَـزَلا

من يُذعِرُ الأُسْدَ والهيجاءُ قد جعَلـتْ　　لهـا الـصَّوارمَ والعَـسّالةَ الـذُّبُلا

في بعضِه بعضُ وصفِ البيض إن نَظَرتْ　　خِلتَ المضاربَ منها الأعيُنَ النُّجُلا

وكـلُّ حـدٍّ كخـدٍّ فهـيَ إن دُعِيَـتْ　　بيضًا ستحمَرُّ في الهيجاءِ لا خَجَلا

بيضٌ تُعانقُ عشّاقَ الحروبِ هـوًى　　والوصلُ منها صدودٌ يُنفِذُ الأجَلا

هي السيوفُ فإن فاضَتْ جداولُـها　　سقَتْ قلوبَ العدا ماءَ الرَّدى نَـهَلا

يا ناظمَ الحمـدِ بـالأموالِ يُـكثِرُها　　لقد وصَلتَ من العلياءِ ما انفَصَلا

وراغبًـا بـاجتماع الحمـدِ يُكـسِبهُ　　وزاهـدًا بـافتراقِ المـال مُتّـكلا

ما زلت تشعرُ في نظم الفَخـارِ كـما　　ما زلتَ تُخطُبُ في نَثْر اللُّهى عَمَلا

تُبِينُ بالفعـل معنـى المجـدِ تُظهـرُهُ　　والفعلُ أصدقُ مدلولٍ لمـن عَقَـلا

تُـرى أُعِيـدَ بهـا المنـصورُ سـيِّدُنا　　فالتاجُ ثاقـبُ ذاك الـنجم إذْ أَفَـلا

أحيَيْتَ قُطْرًا فقطرًا أرضَ أنـدَلُسٍ　　كأنّـك القَطْـرُ يُحيـي حيثُما نَـزَلا

يـا عاضـدَ الأمـرِ في سرٍّ وفي علـنٍ　　حتى استقَلَّ سُموًّا بالهـدى وعَـلا

وبـاذلَ الـنفْس والأمـوالِ مُبتغيًـا　　إظهارَ دينِ الهدى في كلِّ مـا بَـذَلا

أشبَهْتَ في فعلِك الصِّدِّيقَ حين دعَـا　　خـيرُ البريّـة لبّـى الأمـرَ وامتَـثَلا

إنفـاقُ مالِـك قبـلَ الفـتح أذكَرَنـا　　من شِعْرِ حسّانَ بيتًـا سُـقتُهُ مـثَلا:

«إذا ذكَـرْتَ أخـا فـضل بمَنْـقَبةٍ　　فاذكُرْ أخـاك أبـا بكـرٍ بـما فَعَـلا»

يدعو الإمامُ لرعي الصَّدقِ فيك كـما　　دعَا الرسولُ إلى الصدِّيق إذ فضلا

نبِّـهْ إلى العِلـم دُنيـا طالمـا رقَـدَتْ　　عنـهُ وذكِّـرْ زمانًـا طالمـا غَفَـلا

....　　وحلّ حالي بكـمْ لي ألَّـف العَطِـلا

.... والسعد تهزِمُهمْ ورَوِّح البِيضَ في الأغمادِ والأسلا

وألقِ فيهم عصا موسى فإنّهمُ إن تُلقِها ساعةً في سِحْرِهمْ بَطَلا

.... أمر الله تَنصُرُهُ إذا أقام وتَرعاهُ إذا ارتَحَلا

ليُهنِكَ العيدُ والصّومُ السّعيدُ فما قدَّمتَ من كلِّ بِرٍّ فيه قد قُبِلا

ومن شعرِه: قولُه يَرثي أبا محمد بنَ أبي بكر ابن الجَدّ، وتوفِّي يومَ عيدِ الفِطر، وكان توفِّي له أخٌ قبلَه، ويُعزِّي أباهما أبا بكرٍ[1] [من البسيط]:

أرَجّةُ الصَّعْقِ يومَ النَّفْخ في الصُّورِ؟ أم دَكّة الطُّورِ يوم الصَّعق في الطُّورِ؟

أم هَدَّت الأرضُ إظهارًا لِما زَجَرَت به الخليفةَ من إيقاع محذورِ؟

أم الكواكبُ في آفاقِها انتَشَرت وباتَتِ الشمسُ في طيٍّ وتكويرِ؟

ما للنهارِ تعَرَّى من ثيابِ سَنًا وشابَهَ اللّيلَ في أثوابِ دَيْجورِ؟

قد كان للصّبح طَرْفٌ زانَهُ بَلَقٌ مقسّمُ الخَلْق بين الدَّجْنِ والنورِ

فما المُلمُّ الذي غشَّى بدَهْمتِهِ أديمَهُ عنبرًا من بعدِ كافورِ؟

أصِخْ لتسمعَ من أنبائها نبأً يَطْوي من الأُنسِ فيها كل منشورِ

وانظُرْ فإنّ بني عدنانَ ما حُشِروا إلا لرُزْءٍ عظيمِ القَدْر مشهورِ

وافَى معَ العِيْدِ لا عادت مضَاضتُهُ فشابَ سَلسالَهُ الأصفى بتكديرِ

واعتَامَ دارًا لها في السَّبقِ جَمْهرةٌ من المفاخرِ أزْرَت بالجماهيرِ

رمَى قريشًا فأصمَى سهمُ حادثةٍ أبناءَ فِهرٍ بتفريقِ المقاديرِ

فخانَها الجَدُّ في ابنِ الجَدِّ يومَ قضَى وأثّر الخَطْبُ فيها أيَّ تأثيرِ

لله والمجدِ ما أبقاهُ من أثرٍ أُخرى اللّيالي بطِيب الذِّكرِ مأثورِ

---

(١) وردت هذه القصيدة في أزهار الرياض ٢/ ٣٨٣، وجذوة الاقتباس: ٣٥٤.

نَـوّارةً عنـدما راقَـتْ بـدوحتِها أهوَتْ إلى التُّربِ من بين النـواويرِ
جار الذُّبولُ عليهـا بعـدَما مَـلأَتْ معاطسَ الدّهر من طِيْبٍ وتعطيرِ
وسَيْفُ بأسٍ لكسر الـخَطْبِ أغمَدَهُ صَرْفُ الحوادثِ فيها بعـدَ تكسيرِ
قضَى فوافَقَ شهرَ الـصّوم مُـرتحِلًا ووافَـقَ الـشهرَ في فـضلٍ وتطهـيرِ
واختاره خاطبُ الـخَطْبِ الـمُلمِّ بهِ للصِّهر كُفْئًا فأمضَى العَقدَ للحُـورِ
فـسار للحَـيْنِ مـسرورًا وخلَّفَنـا للحُزْنِ فاعجَبْ لمحزونٍ بمـسرورِ
نادَيْتَ أنجشةَ[1] الأحزانِ يـومَ حَـدَا أظعـانَ قلبَـي: «رِفْقًـا بـالقواريرِ»
فالوَجْدُ والدمعُ من حُزنٍ قـد اقتَـسَما قلبـي وجَفْنـي بمنظـومٍ ومنثـورِ
والقلبُ بالقَيْضِ في تصعيدِ مُستعرٍ والـجَفْنُ بالفَيْض في تصويبِ ممطورِ
وسائقُ الـخَطْبِ يَشْدو الحاملينَ لـهُ يَسُوقُهمْ سَوْقَ حادي العيرِ للعِـيْرِ
وللملائـكِ في آفاقِهـا زَجَـلٌ قـد شـيَّعتْه بتهليـلٍ وتكبـيرِ
ثنَى الـمُصابَ على شيخ الجزيـرةِ في عَقْـدٍ وحَـلٍّ وتقـديمٍ وتـأخيرِ
ذاق الرَّزايـا عـلى مقـدارِ منـصِبهِ والابـتلاءَ عـلى قَـدْرِ المقـاديرِ
لم يُصمِهِ الدّهرُ في الأبناءِ من حنَـقٍ ولا بـلاهُ لترقيـبٍ وتحـويرِ
وإنّـما بـادَرَ الأعـلاقَ منتقيًـا يَـصُونُها صَـوْنَ تعظـيمٍ وتكبـيرِ
إن كان فَـرَّقَ شَمْلَ الأُنسِ عنه فكـم أَولاهُ للأجـرِ مـن جَـمْعٍ وتـوفيرِ
يا دهرُ حَـمَّلتَهُ وقْعَ الخطـوبِ، ولم تَـزَلْ تُنفِّـذُ عنـه كـلَّ مـأمورِ
فلم تجـرِّبْ عليـه جُبنَ ذي خَـوَرٍ في النائبـاتِ ولا إحجـامَ مـذعورِ

---

(١) أنجشة: مولى للنبي ﷺ كان حاديًا له، وله قال: «رفقًا بالقوارير».

أردتَ بالـصَّبر عنـه أن تُقـيمَ لنـا ... بُرهـانَ تقديمِـه للخَـيْر والـخِيْرِ

يا عامرَ التُّرْب كم خلَّفتَ من كبِـدٍ ... ومن فـؤادٍ بشاوي الحـزنِ معمـورِ

لو كنتَ تُحمى وتُفدى للعُلا ابتَدَرتْ ... آلافُهـا بالقَنـا أو بالقنـاطيرِ

أُسْدٌ تُنـادي بعُقبـانِ الـخُيولِ إلى ... تمزيقِ لَـحْم الأعـادي بالقنـاطيرِ

مـشمِّرينَ إلى وردِ الكريهـةِ مـا ... نالوا العـلاءَ الـذي نـالوا بتقـصيرِ

بَنُو الكرام أولو الرايـاتِ قـادَ بهـم ... إلى الوغَى ابنُ نُصَيْرٍ كـلَّ منـصورِ

سـاقَتْهمُ غَـيْرةُ الإيـمانِ فانتَـدَبوا ... لنُـصرة الـدِّين كالأُسْـدِ المهاصـيرِ

بعَـزْم كـلِّ معـدِّيٍّ يُـسايرُهُ ... فتحُ الجزيرة بـين الـسَّرْح والكـورِ

حَجُّـوا أباطيـلَ لـذْرِيقٍ بحقِّهـمُ ... فـأبطلوهُ بأبطـالٍ مغـاويرِ

وإنّـما المـوتُ حُكـمٌ لـيس يَدخُلُـه ... نَـسْخٌ لـخَلْقٍ وعـدلٌ دونَ تجـويرِ

يقضي على الأُسْدِ في الآجامِ حاكمـةً ... وفي الكِنَاس على البِـيض اليعـافيرِ

ويقنِصُ الشُّهْبَ في شَمِّ الجبالِ كـما ... في الـوكْرِ يعتـامُ أفـراخَ العـصافيرِ

أعظِـمْ بآياتِـه في آيـةٍ عَظُمـت ... فلـيس تُـدرَكُ في حـالٍ بتفـسيرِ

فسلِّمِ الأمـرَ فالأقـدارُ قـد نفَـذَتْ ... وكُـلُّ شيءٍ بتقـدير وتـدبيرِ

ما فَقْرُ ذي الفقرِ عن جهلٍ ولا كسَلٍ ... ولا غِنى المرءِ عن كَـيْس وتـشميرِ

ولا الـحِمَامُ بـنقصٍ في الـمِزاج ولا ... ضعفُ الطبيعة عن أسبابِ تـدبيرِ

وكم صحيح قضَى فيهـا بـلا مـرضٍ ... وكـم مـريضٍ أقامتـه لتعمـيرِ

وإنّـما هـي أحكـامٌ مقـدَّرةٌ ... عـلى مـداها وأقـسام بتقـديرِ

فاسـمَعْ بقلبِـك فالأشـياءُ ناطقـةٌ ... وألـسُنُ الحـالِ تُغنـي كـلَّ نحريـرِ

مقـدِّماتُ اللّيـالي طالمـا فـضَحَت ... نتـائجُ الغَـدْر منهـا كـلَّ مغـرورِ

جَـمْعُ السلامةِ معدومُ الوجـودِ بهـا ... وكم بها للـرّدى مـن جمـعِ تكسيرِ

وعاملُ الموتِ قـد أحـصَى مهندسُـهُ ... منـازلَ العُمْـرِ عـدًّا دون تكـسيرِ

والأرضُ طِرْسٌ وهذا الـخَلْقُ أحرفُـهُ ... والـحَرْفُ ما بـينَ ممحـوٍّ ومبشورِ

والدّهرُ يُعرِبُ بالأفعـالِ يُظهِرُهـا ... طوْعًا ويُعجِمُ منهـا كـلَّ مـسطورِ

وإنّـما الخلـقُ أسـماءٌ تعاوَرَهـا ... إعرابُـه بـين مرفـوعٍ ومجـرورِ

وكلُّهم في مـدى الأعـمارِ تحسَبُهم ... كحالِـها بـين ممـدودٍ ومقـصورِ

والموتُ مثلُ عَـروضيٍّ يُقطِّـعُ مـن ... أبياتِــهمْ كـلَّ مـوزونٍ ومكـسورِ

يا مَن يؤمِّلُ أن يبقى وكم نقَـضَتْ ... أيـدي المقـاديرِ مـن إبـرام تقـديرِ

هذي الحقيقـةُ لا مـا حدَّثَـتْكَ بـهِ ... آمالُ نفْسِك عـن دُنيـاك مـن زُورِ

لا تخْـدَعَنْك الليـالي، إنّ فتنتَهـا ... كادت فكـادت تُرينـا كـلَّ محـذورِ

كم باكَرَتْ بعُبوس الـخَطْبِ من ملِكٍ ... قد باتَ بالبِشر وَضّـاحَ الأسـاريرِ

سائلْ بكسرى مليك الفُرس هل تركَتْ ... لـه المنايـا جناحًـا غـيرَ مكـسورِ

وانزِلْ بصنعاءَ في قصرِ ابن ذي يَـزنٍ ... تُلْمِمْ بقصرٍ عـلى الأغيـارِ منـصورِ

واعبُرْ عـلى حِـيرةِ الـنُّعمان معتـبِرًا ... تعـبُرْ بـأطلالِ نُعمَـى ذات تعبـيرِ

وأين مَن كان سِجنُ الجـنِّ في يـدِهِ ... والإنسُ والجِنُّ في قهرٍ وتـسخيرِ؟

وأيـن مخـترِقُ الـدنيا بعَزْمتِـهِ ... يَطوي البلادَ بهـا طـيَّ الطـواميرِ؟

بـادوا فلـيس بهـا بـادٍ يُـحَسُّ بـهِ ... مـنهمْ، وأفنـاهمُ رَيْـبُ الـدّهاريرِ

هـو القـضاءُ أبـا بكـرٍ أُصِبْتَ بـهِ ... فاصبِرْ وسـلِّمْ لـه تـسليمَ مـأجورِ

واللهُ يحـرُسُ عَلْيـاكمْ ويـدفَعُ عـن ... سـامي مَعاليـكَ أنـواعَ المحـاذيرِ

وهذا كما تَراه من النّمطِ العالي، والطِّراز الكامل الـحَسَن [الغالي، لا سيّما أول] قسيمَيْ مطلعِها وبينَه وثانيه انحطاطٌ يتشبَّثُ به النَّقْد، [وقولُه]: «إعرابُهُ بين مرفوع ومجرورِ» نَقَصَه من مُعرَباتِ الأسماء: المنصوبُ، [وقولُه]: «كحالِـها بينَ ممدود ومقصورِ» لا يتناولُ إلا أقلَّ الأسماء وما آخِرُه منها ألفٌ وما قبلَ آخِره حرفُ عِلّة أو أمكَنَ إلحاقُه هناك في مصطلح بعضِهم، ولكنه غَطّى حَسَنَه على قبيحِه، ودخَلَ هجينُه في شفاعةِ صريـحِه.

وقد رأيتُ تثليثَ هاتَيْن القصيدتَيْنِ بقصيدتِه البارعة التي نَظَمَها في مدح سيِّد البشر المصطفى محمدٍ ﷺ وسمّاها (الـمَيْمونيّة) ليعزِّز جمالَ الرائق بكمالِ الفائق، ويَعدِلَ عن مَجازاتِ الـمَجازات إلى حقائقِ الحقائق، نفَعَ اللهُ ناظمَها وراسمَها ومُنشِدَها ومستجيدَها وسامعَها ومستعيدَها، وهي هذه[1] [من الطويل]:

حقيـقٌ علينـا أن نَجيـبَ المعاليـا ... لنُفنيَ في مَـدْح الحبيـبِ الـمَعانيا

ونجمَعَ أشتاتَ الأعاريضِ حِسبةً ... ونحـشُدَ في ذاتِ الإلـه القوافيـا

ونقتـادَ للأشـعارِ كـلَّ كتيبـةٍ ... لنَصْرِ الهدى والدِّين تُـردي الأعاديا

فألسُنُ أربـابِ البيـانِ صـوارمٌ ... مضاربُها تُنسي الـسيوفَ المواضيا

لنُطلِـعَ مـن أمـداحِ أحمـدَ أنجُـمًا ... تَلوحُ فتَجْلـو مـن سَناهُ الـدَّياجيا

كواكـبُ إيـمانٍ تُنـيرُ فيهتـدي ... بأضوائها مَـن بـات يُـدلجُ سـاريا

سهوْتُ بمَدْح الـخَلْق دهري، وهذه ... سُجودي لـجَبْري كلَّ ما كنتُ ساهيا

فـلا مَـدْحَ إلا للـذي بمديــحِهِ ... تُطيعُ إذا مـا كنـتُ بالمدح عاصيا

رسُـولٌ بـراهُ اللهُ مـن صَفْوِ نـورِهِ ... وألبَـسَهُ بُـردًا مـن النـورِ ضـافيا

وما زال ذاك النُّـورُ مـن عهـدِ آدمٍ ... يُنـيرُ بـه اللهُ العـصورَ الـخَواليا

---

(١) وردت هذه القصيدة في أزهار الرياض وجذوة الاقتباس، وقد اشتملت على أمور مشروحة في السِّيَر، وتكثر الحواشي لو علقنا عليها.

ثَـوى في ظهـورِ الطيِّبـينَ يَـصُونُـهُ ... وديعـةُ سرٍّ صـار بالبعـثِ فاشـيا
وخـصَّ بطـونَ الطيِّبـاتِ بحَمْلِـهِ ... لـيَحْمِلنَ فَرعًـا بالـسّيادةِ زاكيـا
بـه وَزَنَ اللهُ الخلائـقَ كلَّهـمْ ... فألفاهُ فـيهمْ راجـحَ الـوزنِ وافيا
وأنقَـذَنا مـن نـارِه بظهـورِهِ ... ولولاه كان الكلُّ بالـشِّرك صـاليا
وآدمُ لـمّا خـاف يُجـزى بذنبِـهِ ... توسَّـل بالمختـارِ لله داعيـا
فتـابَ عليـه اللهُ لـمّا دَعَـا بـهِ ... وأدنـاهُ منـهُ بعـدَما كـان نائيـا
وقد يُهجَرُ المحبوبُ في حالةِ الرِّضـا ... ويـأبى الهـوى ألاّ يـصدق واشـيا
(وعينُ الرِّضا عن كلِّ عيبٍ كليلـةٌ ... ولكنّ عينَ السُّخط تُبدي الـمَساويا)[1]
وأدرَكَ نوحًـا في الـسفينةِ رعيُـهُ ... فخلَّـصَه إذ كـان في المـوج جاريـا
ومـا زالَ سـامٌ وهْـو ثـاوٍ بظهـرِهِ ... عـلى أخوَيْـهِ بالفـضائل سـاميا
فخُـصِّص حتّـى بالمكـانِ كرامـةً ... وأُسـكِنَ في أعـلى الـبلادِ مَراقيـا
وأُنـزِلَ حـامٌ بـالجنوبِ مُجانِبًـا ... ويافـثُ في أقـصى الـشمالِ مُوارِيـا
وأُنـزِلَ سـامٌ للفـضيلةِ وحـدَهُ ... بأوسـطِ معمـورِ الـبلادِ الأعاليـا
وبـادَرَ جبريـلُ الخليـلَ لأجلِـهِ ... ليحميَـهُ إذ أبـصَرَ الجمـرَ حاميـا
ويُـخبَرُ في وقـتِ الـبلاءِ يقينَـهُ ... فصادَفَ وِرْدَ الـخُلّةِ العذب صـافيا
فقـال لـه: هـل تـسالني كفايـةً؟ ... فقـال لـه حـسبي... كافيـا[2]
فكانت عليـه النـارُ بَـرْدًا كـما أتـى ... بـه وسَـلامًا وهْـي نـارٌ كـما هيـا

---

(١) هذا البيت من مقطوعة لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر.

(٢) هكذا في الأصل، وفي البيت اختلال وسقط ظاهران.

وجــازاهُ في الإسراء عنهــا نبيُّنــا وألـهَمَها فـوقَ الـسماواتِ سـاريا

فلـمّا انتَهـى جبريـلُ عنـدَ مقامِـهِ بحيـثُ تَلقَّـى الأمـرَ أنْ لا تَــماديا

أشــار عـلى المختــارِ أنْ سِرْ فإنــهُ مقـاميَ لا أعـدوهُ مـا دمـتُ باقيـا

[فناداه: يا جبريلُ هل لـك حاجـةٌ إلى الله فاسـألها لتُعطـى الأمانيـا؟]

فقــال لــه: سَــلْهُ لأبــسُطَ رغبـةٍ عـلى النـارِ منّـي للعُـصاة جَناحيـا

فدُلِّــيَ في أُفْـقِ الــمَهابةِ رَفْـرَفٌ وزجُّ بُــراقِ العــزِّ في النـورِ رُقِّيـا

ومن أجلِـهِ خـصَّ الـذبيحَ فـداؤه وفي ظهـرِه المختــار أصـبح ثاويـا

فَــداهُ بــذِبْح عَظّــم اللهُ شأنَـــهُ لأنْ كان دهرًا في الفراديسِ راعيـا

وثنَّــى بعبــدِ الله حامــلِ فــضلِهِ فكان بـذاك الفَـرْع للأصـل راقيـا

لــذلك مــا قــال الرسُـولُ منبِّهًــا «أنــا ابــنُ ذَبيحَيْهــا» يعُـدُّ المعاليـا

وعَــفَّ أبــوه إذْ دعَتْــه لنفــسِها فتــاةٌ رأتْ نُــورَ النُّبــوءةِ ضــاحيا

مضَى ولـذاك النـورِ بـينَ جبينِـهِ شُعاعُ سنًا يُعشي العيـونَ الروانيـا

فـأعرَضَ عنهـا ثـم سـار لـشأنِـهِ وكــان لــه الـرّحمنُ بـالحفظِ واقيـا

وعــاد وقــد أدّى أمانـــةَ ربِّــهِ لأُمّتِــه وَعْــدًا مــن الله ماضــيا

ومَـرَّ عـلى حـيِّ الفتـاة فنوديَـتْ هَلُمِّي تصادفْ لدغةُ الحـبِّ راقيـا

فقالت لهـم: قـد كـان ذلـك مـرّةً لأمــرٍ عــصَيْنا في هــواهُ النواهيــا

أردتُ بأن أُعطَى سناهُ وقـد قـضَى لغيري بهِ مَـن كـان بـالحقِّ قاضـيا

وكـم طالـبٍ مـا لا يُنـالُ، وقاعـدٍ سـعادتُه تُبـدي لــه الـسُّؤلَ دانيـا

وكـم شـاهدَتْ مـن آيـةٍ أُمّـةٌ بـه يَـصيرُ بهـا جِيـدُ الديانــةِ حاليـا

رأتْ في معاليــه مَرائــيَ جَــمّةً فــصَدَّقتِ الآثــارُ تلـك المرائيـا

وقيل لها: بُشراكِ فُزتِ بخيرِ مَن ... يُرى فوقَ أكنافِ البسيطةِ ماشيا
وحَفّت به الأملاكُ في حينِ وضعِهِ ... بليلةِ إفضالٍ تَزينُ اللياليا
وبشَّرَ رضوانُ الجِنانِ بخلقِهِ ... ففتَّحَ جنّاتِ النَّعيمِ الثمانيا
ونادى منادي العزِّ: طُوفوا بأحمدٍ ... جهاتِ الدُّنا طُرًّا وعُمّوا النَّواحِيا
بَدَا واضعًا كفَّيْهِ بالأرضِ رافعًا ... لعينيهِ نحوَ الأفْقِ بالطرفِ ساميا
وأعْوَلَ إبليسُ اللَّعينُ وقال: قد ... يئستُ وقِدْمًا كنتُ للكفرِ راجيا
وسارَ إلى صنعاءَ شَيْبةُ جَدُّهُ ... فحَلَّ محلًّا للوِفادةِ قاضيا
وحَيَّا بغمدانَ ابنُ ذي يَزَنٍ بها ... وهنَّأهُ بالمُلكِ إذ عادَ واليا
فقرَّبَهُ دونَ الوفودِ وخصَّهُ ... ليسمعَ قولًا في الرسالةِ شافيا
وقال لهُ: إنّا وجَدْنا بكُتْبِنا ... نبيًّا يُرى من نحوِ أرضِك آتيا
يموتُ أبوهُ ثم تهلِكُ أُمُّهُ ... ويكفُلُه بعضُ العمومةِ حانيا
وقال له: والبيتِ ذي الحُجْب زارَهُ ... وفودُ الوَرى جابوا إليه الفَيافِيا
لَأنت على ما يقتضي الوعدُ جَدُّهُ ... فشيِّدْ به للمجدِ ما كنتَ بانيا
وقال له: احفَظْ ما أقولُ فإنهُ ... سيملِكُ أرضي إذ رأى المُلكَ واهيا
وقولُ هِرَقْلٍ إذ أظلَّ زمانُهُ ... فقال: أرى مُلكَ الختانِ مُوافيا
وطالَعَ فيه مصحفَ الأُفْقِ ناظِرًا ... كما زَعَموهُ يستشيرُ الدَّراريا
فلم تَنقَضِ الأيامُ حتى أتَى لهُ ... كتابُ رسُولِ اللهِ للحقِّ داعيا
فباحَثَ عنه أهلَ مكةَ سائلًا ... وكان بأوصافِ النبيئينَ داريا
ولبَّى الهُدى لـمّا دَعَاهُ جَمالُهُ ... وهامَ قليلًا ثم أُلفيَ ساليا
ووِرْدُ الرِّضا لا يَهتدي لسبيلِهِ ... فيَرْوَى به مَن كان في البَدءِ صاديا

وإيوانُ كسرى ارتجَّ ليلةَ وضعِهِ وبـاتَ عليـه قَـصْرُه مُتـداعيا

وزاد برؤيـا الموبَـذانِ ارتياعُـهُ فأذهَلَـه أنْ يَـستبينَ الـمَـساعيا

وفـسَّرَها شِـقٌّ وشَـقَّ غُبـارَهُ سَطِيحٌ بسَجْع قَصَّ مـا كـان رائيـا

فنَـصّا عـلى إرسـالِ أحمـدَ مثبِتًـا لدِين الـهُدى بالرغم للكفرِ ماحيا

وأُخْمِدتِ النيرانُ نـيرانُ فـارسٍ وكانـت تَلظّـى ألـفَ عـامٍ تواليـا

وحُـمِّل ذاك الـحُلمُ حُجْرَ حليمةٍ لتُرضِـعَه درَّ الفـضائلِ صـافيا

أبى حَـمْلَه النِّسوانُ لليُتْم وانبَرَتْ له فرأَتْ مـن حينِهـا الـرزقَ ناميـا

فحازَتْ بـه الـسَّبْق الأتـانُ كرامـةً وأخصَبَ مرعاهـا ففـاق المراعيـا

وشـارَفَها إذ لا تَـبِضُّ بقطـرةٍ فصارت به ثَجًّا تُـروِّي الـصَّواديا

وفي حيِّهـا وافـاهُ جبريـلُ قاصـدًا وأقبَـلَ ميكائيـلُ بـالأمرِ تاليـا

فـشَقّا بـه صـدرَ النبـيِّ لـشَرْحِهِ فكـان لِـما يُلقِـي لـه اللهُ واعيـا

ورَدّاهُ في الحـينِ التئامًـا فـما تَـرى سـوى أثـرٍ مـا زال للـشَّرح باقيـا

وجـاءا بمِنـديل وطَـسْتٍ ليَغـسِلا بـماءِ الرِّضـا قلبًـا عـن الله راضـيا

وعـاد أخـوه فازعًـا مُخـبِرًا بـما جَرى من مَـخُوفٍ كان للأمر جاريا

فـسارَتْ بـه مـن حينِهِ نحـوَ أُمِّـهِ تخـافُ عليـه إن أقـام العَواديـا

ومـا زال محروسًـا أمينًـا مؤمَّنًـا سَبُوقًا صَدُوقًا ساميَ القـدرِ عاليـا

حيِيًّـا وفِـيًّا خاشـعًا متواضـعًا كـريمًا حلـيمًا يـستفزُّ الرّواسـيا

وفي سَـيْرِه للـشام شـامَ بقُربِـهِ بُروقَ الهدى مَن لم يكنْ قـطُّ رائيـا

أكَـبَّ عليـه في طريـقِ مـسيرِهِ إليهـا (بَحِـيرا) للهـدى مُتَراميـا

ولـمّا رأى تلك العلامـاتِ لم يـزَلْ لِـما وافَـقَ الكُتْـبَ القديمـةَ باكيـا

وكانت به مـن غلّـةِ الـشّوقِ علّـةٌ … فـساقَ لـه اللهُ الطبيـبَ المـداويا

وقــصّتُه في ذي الــمَجاز وعمِّــه … بـه ظمَـأٌ قـد صيَّرَ الـصّبرَ فانيـا

فأهوى ولا مـاءٌ إلى الأرض راكـضًا … ففجَّـر ينبوعًـا مـن المـاءِ جاريـا

وكـم بـان مـن يُـسرٍ لميسرةٍ بـه … يَـرُدُّ أخـا سُكرِ الغوايـة صـاحيا

فكـان إذا اشـتدَّ الــهَجيرُ أظَلَّــهُ … غَـمامٌ عليـه لا يـزالُ مُــماشِيا

وأخـبَرَه نِـسطُورُ بُـصرى ببَعْثِـهِ … فأظهَرَ مـن غيـبِ الرسـالةِ خافيا

وبُغِّضت الأصنامُ للمصطفى فلم … يـزَلْ هـاجرًا فعـلَ الـضّلالةِ قاليـا

وكان يَـرى ضَـوْءًا يَلُـوحُ لوجهِـهِ … ويـسمَعُ تـسليمًا عليـه مُحاذِيـا

ويـأتي حِـراءً للتحنُّـثِ قاصـدًا … محبًّـا لأسبابِ الوِصـالِ مُراعيـا

ويَـخرُجُ مـن بـينِ البيـوتِ لعلّـهُ … يحدِّثُ عنه الـنفْسَ في الـسرِّ خاليـا

وكــان رآه اللهُ أكــرمَ خَلْقِــهِ … فأرسـلَهُ بـالحقِّ للـخَلْقِ هاديـا

وأسرى به لـيلًا إلى حـضرةِ العُـلا … فـما زال فيهـا للحبيـبِ مُناجيـا

وسـار عـلى ظهـرِ الـبُراقِ كرامـةً … لـه راكبًـا إذ سـار جِبريـلُ ماشِـيا

ولـمّا أتـاهُ الـوحيُ وارتـاع قلبُـهُ … لـشدّةِ مـا قـد كـان منـهُ مُلاقيـا

فسارَتْ بـه عَمْـدًا خديجةُ زوجُـهُ … لتـسألَ حَـبْرًا بالزِّمانـةِ فانيـا

وكان امرءًا قد مارَسَ الكُتْـبَ قارئًـا … وبـات لـضِيفانِ المعـارفِ قاريـا

فبَـشَّرَه أنْ سـوف يطلُـعُ صُـبحُهُ … فيكشِفُ مـن ليـل الغوايـةِ داجيـا

وقال له: يـا ليتَـني كنـتُ حـاضرًا … بهـا جَـذِعًا أُوليـكَ نفْـسي وماليـا

ووقتُـك إنْ يُـدرِكْ زمـانيَ يومُـهُ … ومَن لي بـه أنـصُرْك نَـصرًا مُواليـا

وآيتُــهُ في الغــارِ إذ نَــزلا بــهِ … وكان له الـصِّدِّيقُ بالـصِّدقِ ثانيـا

وقـد أرسَـلَ اللهُ الـحَمامَ لبابِـهِ وقارَنَـه بـالعنكبوتِ مُـضاهيا
فباضَ على الفَوْر الـحَمامُ وشَيَّدت من النَّسج أيدي العنكبوتِ مَبانيـا
فـدافَعَ عـن صِدِّيـقِه ورسولِـهِ بأضعفِ أسبابِ الوجـودِ مقاويـا
وكم آيةٍ خَصَّت سُراقـةَ إذ مشَى عـلى أثـرِ المختـارِ للغـارِ قافيـا
فشاهَدَ آثارًا من الـخَسْفِ كـاد أنْ يكـونَ لقـارونَ الـسَّفاهِ مؤاخيـا
ولـمّا دعـا بالهاشـميِّ أجـارَهُ فأبـصَرَه في الحِـين مـن ذاك ناجيـا
وأصـحَبَه منـه ظَهـيرًا[1] مُكرَّمًـا بخـطِّ أبي بكـرٍ يُـخيفُ الـدّواهيا
وأخـبَرَه أنْ سـوفَ يفـتحُ أمـرُهُ مدائنَ كسرى والـبلادَ الأقاصيا
ويُـجعَلُ في كفَّيْـهِ مـن بعـدِ فَتْحِـهِ سِواراهُ مما يُـحرِزُ الـدِّينَ سـاميا
فأنجَزَها الفاروقُ في حينِ فَتْحِهـا لـه عِـدَةً بالـصِّدق فيهـا مُباهيـا
وآياتُـهُ في خَيْمتَـيْ أُمِّ معبَـدٍ وفي الشاةِ إذ لم تَبْقَ تصحَبُ راعيـا
وفي الذئبِ إذ أقعَى وأخبرَ مُفـصِحًا عن المصطفى والذئبُ ما زال عاوِيـا
وفي الـضَّبِّ لـمّا أنْ دعـاهُ أجابَـهُ وقـال لـه: لبَّـيْكَ لبَّـيْكَ داعيـا
وآيتُـهُ إذ فـارَقَ الـجِذعَ فـضْلُهُ فحَنَّ إليه الـجِذعُ في الحالِ شـاكيا
وإنّ انـشقاقَ البـدرِ أعظـمُ آيـةٍ تَـرُدُّ عـلى مـن كـان للـدِّين زاريـا
وفي الـجَمَل الآتي بحضرةِ صَحْبِهِ لِيـشكوَ تكليـفَ المـشقّةِ راغيـا
وقصّتُه في الـمَحْلِ لـمّا دعـا لهـمْ فأبصَرْتَ سُـحْبًا كالجبالِ هَواميا
وسـال بهـا وادي قنـاةٍ[2] لأجلِـهِ ثلاثـينَ يومًـا لم يـزَلْ متواليـا

---

(١) الظهير في الاصطلاح المغربي الأندلسي: الصك. يشير إلى الكتاب الذي أعطاه الرسول ﷺ لسراقة.
(٢) وادي قناة: واد بالمدينة المنورة، وفي الحديث أنه سال شهرًا ولم يأت أحد من ناحيته إلا حدث بالجود.

وفي قصّة الزَّوْراءِ للخَلْقِ آيةٌ وذِكرى لعبدٍ كان للذكْرِ ناسيا

دعا بإناءٍ ليس يَنقَعُ ماؤه لقلَّتِه بالرّي من كان صاديا

ففاضَ نَميرُ الماءِ بينَ بَنانِهِ وكان وَضوءًا للكتيبةِ كافيا

ورِكوتُهُ يومَ الحُدَيْبِيَةِ التي أفاض بها اللهُ البنَانَ سواقيا

وإشباعُهُ الجَمَّ الغفيرَ بقبضةٍ من التّمرِ حتى شاهدوا التمرَ باقيا

وإخبارُه بالشيءِ من قبلِ كونِهِ فيأتي على النصِّ الذي قال حاكيا

فأخبرَ ذا النّورَيْنِ أنْ ستصيبُهُ على الأمر بلْوى تُعقِبُ الأجرَ وافيا

فأخبرَ عمّارًا بأنّ حياتَهُ سيقطَعُها بالقتلِ من كان باغيا

وقال لذي السِّبطَيْنِ أشقَى الورى الذي يُخضِّبُها من هامةِ الرأس عاصيا

يُصادفُ نورَ الشَّيبِ أبيضَ ناصعًا فيسقيهِ صَوْبَ الحَتْف أحمرَ قانيا

ونَصَّ على السِّبطِ الشهيدِ بِكَرْبَلا فقام له الدِّينُ الحنيفيُّ ناعيا

وفي الحَسَن الزاكي أبان بأنهُ سيُصلح بينَ الناس للأجرِ ناويا

وقال لقوم: إنّ آخرَكمْ بها مَماتًا سيَصْلَى جاحمَ الجمرِ حاميا

وقال: إذا ما مات كسرى فما تَرى سَمِيًّا له أخرى اللّيالي مُساميا

وأخبرَ عن موتِ النَّجاشيِّ حينَهُ وبينَهما بحرٌ من الموج طاميا

وقال على قُرب الحِمام لبنتِهِ: تَموتينَ بَعْدي فافرَحي بلقائيا

وآياتُهُ جَلَّت عن العدِّ كثرةً فما تبلُغُ الأقوالُ منها تناهيا

وأعظمُها الوَحْيُ الذي خَصَّه بهِ فبَلَّغَ عنه آمرًا فيه ناهيا

تحَدَّى به أهلَ البيانِ بأسرِهمْ فكلُّهمُ ألفاه بالعجزِ وانيا

وجاء به وحيًا صَريحًا يزيدُهُ مرورُ اللّيالي جِدّةً وتعاليا

تـضمَّن أحكـامَ الوجـودِ بأسرِهـا | وعَـمَّ القـضايا مثبِتًـا فيـه نافيـا
وأخـبرَ عـمّا كـان أو هُـوَ كـائنٌ | يُرى ماضيًا أو مـا يُـرى بعـدُ آتيـا
ووافَـقَ أخبـارَ النبيِّـينَ كلِّهـمْ | وتـمَّم بالغايـاتِ منهـا الـمَباديا
ومـا كتَـبَتْ يُمنـاهُ قـطُّ صـحيفةً | ولا ريءَ يومًـا للـصّحائفِ تاليـا
عليــه ســلامُ الله لا زال رائحًــا | عليـه مـدى الأيـام منّـا وغاديـا

وهذه وثيقةٌ أنشَأَها في بَيْع قلبِه من ربِّه أثبتُّها عَقِبَ هذه القصائدِ الفرائد لأشفَعَ منظومَه بمنثورِه، وأشيرَ بأنّ الصادرَ عنه في الفنَّيْنِ من أفضلِ محفوظِ الكلام ومأثورِه، وهي هذه:

يقولُ العبدُ الذي اعترَف، بما اقتَرَف، لـمَوْلاه، وأقَرَّ له بما أضاعَه، لا بما أطاعَه، على ما منَحَه من النِّعَم وأَوْلاه، الـمَيْمونُ بنُ عليِّ بن عبدِ الخالق الـخَطّابيُّ جَبَرَ اللهُ بالتّقوى كسرَه، وفكَّ من حبائلِ الدّنيا أسرَه: لم أَزَلْ مدّةَ أيام، بل عِدّةَ أعوام، أُخالِلُ كلَّ مُـخِلٍّ بديني، وأستظِلُّ من إطالةِ البِطالة بكلِّ ظلٍّ مضلٍّ يُرديني، وأُخالفُ كلَّ صالح مُصلح، وأحالفُ كلَّ طالح غيرِ مُفلح، وأجُرُّ أذيالَ المجونِ على أرضِ الراحة، وأطلقُ عِنانَ مُهْرِ الغفلة في ميدانِ النِّسيانِ فيطيلُ جِمَاحَه ومَراحَه، راكبًا مطايا التسويفِ دون إهمال، مستوطِئًا فُرُشَ الكسَلِ والانهماكِ في الشّهَواتِ والانهمال، مستوطنًا رَبْعَ التّصابي بقلّةِ الأعمالِ وكثرةِ الآمال، سالكًا سبيلَ الـهَزْلِ وطريقَه، تاركًا قَبيلَ الجِدِّ وفريقَه، لا أَثْني عِناني إلى ما يَعْنيني، ولا أزالُ أعاني ما يُعَنِّيني، ولطائفُ الله عَزَّ وجَلّ التي يَضِيقُ عن حَـمْدِ أصغرِها الأمكنةُ الفسيحة، ولا تُطيقُ بلوغَ شُكرِها الألسنةُ الفصيحة، صافيةُ الورود، ضافيةُ البُرود، قد طَنَّبت عليَّ قِبابَها ورُواقَها، وخَلَعت بعُنُقي ثيابَها وأطواقَها، واطّردتْ بمياه النِّعمة مَذانبُها وأنهارُها، وتساوَى في القدوم بالكرم ليلُها ونهارُها، وأنا معَ ذلك لا أزيدُ إلّا غَفْلةً عن القَصْدِ السَّنِيِّ وسهوًا، ولا أستزيدُ إلا اشتغالًا عن المقصودِ السُّنِّيِّ ولهوًا، إلى أن أجرى اللهُ عادةَ إحسانِه وجُودِه، وأرادتِ

الإرادةُ السائقةُ السابقةُ إخراجَ العبدِ المذكورِ من عَدَم الغفلةِ إلى ظهورِ الإلهام ووجُودِه، فسَلّطَ رَعْدَ الـخَوْف على سحائبِ سمائي فكشَفَها وجلاها، وحَلَّ بساحةِ أرضِها سُكْرُ السُّلوِّ فسَكِرَ بها عن سواه وجَلّاها، وقلَّد أجيادَ فِكْرِه بقلائدِ حَمْدِهِ وشُكرِه وحَلّاها، وسَلَّ من سُوَيْداءِ قلبِه محبّةَ غيرِه فنزَّهَها عنه وسَلّاها، فلاحَ إصباحُ النجاح، وآذَنَ ليلُ الغفلةِ بالصَّباح، ونادى منادي الوَصْلة بمنارِ العُزلة: حيَّ على الفلاح، وصاحَ كالئُ صُبح النُّجح بالسَّفر الـمُعرِّسينَ: شُدُّوا الـمَطِيَّ فقد سال نهرُ النهار، ومال جُرفُ اللّيلِ وانهار، وانفَجَرَ عَمُودُ الفجر بنُورِه الوَضّاح، فلاح، فأفاق العبدُ المذكورُ من نوم الرُّكون إلى السكونِ والكرى، وشَمَّر للسَّيرِ ذيولَه، وضمَّر للسَّبْقِ خيولَه، إذ سَمِع: عندَ الصباح يَحمَدُ القومُ السُّرى.

ثم كتَبَ العبدُ المذكورُ عَقْدًا، وعَهِدَ معَ المولى الجليل عهدًا، وهُو على خوفٍ ووَجَل، من المولى عَزَّ وجَلّ، يسألُه إدراكَ ما أمَّلَه، والوصولَ إلى ما أَمَّ له، ويتبرَّأُ من حولِه وقوّتِه إليه، ويتوكَّلُ في جميع أمورِه عليه، ويقفُ بقَدَم النَّدم بين يدَيْه، معترفًا بما كان له مُقترفًا، وراجيًا أن يكونَ من بحرِ الإحسان لدُرَرِ الامتنان مغترفًا، والعَقْدُ المذكور:

هذا ما اشتَرى الـمَوْلى اللّطيفُ الـجَليل، من العبدِ الضَّعيفِ الذَّليل، الـمَيْمونِ بن عليّ، اشتَرى منه في صَفْقةٍ واحدة دونَ استبقاءٍ ولا تبعيض، ولا استثناءٍ بتصريح ولا تعريض، جميعَ المنزِل المعروفِ بمنزلِ القلبِ والفؤاد، الذي مِن سُكّانِه المحبَّةُ والإخلاصُ والوِداد، حَدُّه من القِبلة قَبُولُ الأوامرِ المطاعة، ومن الشّرقِ لزومُ السَّمع والطاعة، ومن الـجَوْفِ الإقبالُ على ما عليه أهلُ السُّنّةِ والجماعة، ومن الغَرْب دوامُ الـمُراقبة في كلِّ وقتٍ وساعة، بكلِّ ما يَـخُصُّ هذا الـمَبيعَ المذكورَ ويَعُمُّه، وينتهي إليه كلُّ حدٍّ من حدودِه ويضُمُّه، من داخِل الحقوق وخارجِها، ومداخِلِ المنافع ومخارِجِها، وبكلِّ ما لهُ من الآلاتِ التابعة لهُ في التصريف، والحواسِّ الجاريةِ معَه في حالتَي الإضاعةِ والتشريف، السالكةِ مَسْلكَهُ في التنكيرِ والتعريف، من يدَيْنِ ورِجلَيْن، ولسانٍ وشَفتَيْن، وعَيْنَيْنِ وأُذُنَيْن،

اشتراءً صحيحًا تامًّا شائعًا في جميع الـمَبِيع المذكور، وعامًّا ثبتَتْ قواعدُه، وظهَرَت بالتسليم الصّحيح شواهدُه، بلا شَرْطٍ ولا ثنيًا ولا خِيَار، ولا بقيًا مع حظٍّ نفسٍ ولا اختيار، بثمن رُتبتُه العنايةُ الرَّبّانيّة، وقسمتُه المشيئةُ الإلهيّة، بين عاجلٍ وآجِل، فالعاجلُ: العَوْنُ على كلِّ مندوبٍ ومفترَض، والصَّونُ عن كلِّ غَرَضٍ وعَرَض، والثناءُ على النِّعم الظاهرةِ والباطنة، وإهداءُ الآلاءِ المتحرِّكةِ والساكنة، والآجِلُ: الفوزُ بالدارِ القُدُسيّة، والـحَضْرة الأُنسيّة، التي فيها ما امتَدَّ به جَناحُ التواتر بالـخَبَر الصّادقِ وانتشَر، ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سمِعَتْ ولا خَطَرَ على قلبِ بشَر، من النَّعيم الـمُقيم السَّرمَديّ، والـحُبورِ الدائم الأبَديّ.

سَلَّمَ العبدُ المذكورُ هذا الـمَبِيعَ المذكورَ تسليمًا تبرَّأَ به من الـمَلَكة، ورفَعَ به يدَ الاعتراضِ عن ما يفعلُ المولى الجليلُ فيما تـمَلَّكَه، وأيقَنَ أنه المتصرِّفُ فيه في سرِّه وجَهْرِه، وعَلِم أن الـمُلكَ المذكورَ تحتَ يدِ عزّتِه وقهرِه، تجري فيه أحكامُه القاهرة، وتنفُذُ فيه قضاياهُ الباهرة، وتُحيطُ به قُدرتُه الظاهرة، وقد أحاط الـمَوْلى الجليلُ بهذا الـمَبيع المذكور إحاطةَ ظهور، ولم يَـخْفَ عليه شيءٌ من قليلِه وكثيرِه، وجليلِه وحقيرِه، ومَبانيه ومَساكنِه، ومتحرِّكِه وساكنِه، إلا اطّلعَ عليها اطّلاعَ عليمٍ قدير، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

ولـمّا سَلَّم العبدُ المذكورَ الـمَبِيعَ المذكورَ وأمضاه، واستَسلَمَ لـمَوْلاهُ فيما حَكَمَ به وقَضَاه، تفضَّلَ عليه مَوْلاه، وغمَرَه بجُودِه العميم وأَوْلاه، وجعَلَ له السُّكنَى بهذا المنزلِ المذكور مدّةَ حياتِه، والإقامةَ فيه إلى حينِ مماتِه وإتيانِ وفاتِه؛ إذ يستحيلُ على الـمَوْلى الجليلِ الحلولُ في شيّ أو السكون إلى شيّ، وهو مُوجِدُ كلِّ شيّ، وخالقُ كلِّ ميِّتٍ وحَيّ، ومُريدُ كلِّ رُشدٍ وغَيّ، ومُقدِّرُ كلِّ نَشْرٍ وطَيّ، وأيضًا فبالمولى تعالى قيامُ جميع العَبيد، وعلى قَدْرِه غِناهم وفَقرُهم لأنهُ الفَعّالُ لِـما يُريد، وهُو يُيسِّرُهم لليُسرى والعُسرى فمنهم شَقِيٌّ وسَعِيد، وله الغِنَى عن كلِّ شيءٍ واللهُ هو الغنيُّ الحميد.

وقد أمَرَ المولى الـجَليلُ هذا العبدَ بخدمةِ هذا المنزِل المذكور خِدمةَ التقرُّبِ إليه، وجعَلَ له التصرُّفَ فيه لقَبُول أمرِه للفَوْزِ بها لدَيْه، وبهذا المنزِلِ المذكور بَساتينُ تسَمَّى بساتينَ الإخلاص، وجنّاتٌ تُعرَفُ بجنّاتِ حضْرةِ القلبِ المعروف بمحلِّ الاستخلاص.

التزَمَ العبدُ المذكورُ تسهيلَ أرضِها من شَوْكِ الشِّركِ والارتياب، وتذليلَها من حَجَرِ العُجبِ والاضطراب، في حالتَي الحضورِ والغياب، وتنقيتَها من أعشابِ الحسَدِ والحِقد والكِبْر، وزَوالَ ما فيها من عوارضِ الغِشِّ والـخَديعةِ والـمَكْر، وأن يَقطعَ منها كلَّ عُودٍ لا منفعةَ فيه بحديدِ الفِكْر، مثلَ عُودِ الحِرص والطَّمَع، ويَغرِسَ مكانَه شجرَ الزُّهد والوَرَع، ويقلِّمَ أغصانَ الـمَيْل إلى الأدرانِ والأقذار، وأفنانِ الركونِ إلى الأغيار والأكدار، وقُضبانِ السُّكونِ إلى الشّهَواتِ والأوطار، ويفتحَ أبوابَ البَذْلِ والإيثار، بمفاتيح الـجُودِ الحميدِ المساعي والآثار، ويُطلقَ ينابيعَ التوكُّل على مُصرِّفِ الأقدار، وأن يَخدُم ما توعَّر من سواقي مياهِها الإخلاصيّة وحِيَاضِها، ويُمشيَ بالـمَصْلحة الـمُصلحة لدوحتِها وغِيَاضِها، ويَفجُرَ بها مياهَ الصّفاءِ من الأكدار، المتّصلةَ بساقيةِ الوفاءِ في الإيرادِ والإصدار، والـمُلاصقةَ بساقيةِ تَرْك الـجَفافِ في هذه الدار، حتى يبدوَ إن شاء اللهُ صَلاحُها، ويَكثُرَ ببركةِ الله إصلاحُها، وتهُبَّ بقَبُولِ القَبُول أرواحُها، وتُثمرَ بجَنْي الـمُنى أدواحُها، فتُنبتَ قَرَنْفُلَ التنفُّل، وعودَ التبتُّل، وآسَ الأُنس والسَّوسان، وياسَمينَ اليأسِ من كلِّ إنسان، ونُعمانَ النِّعمة التي لا يَصِفُها لسان.

وقد عَلِمَ العبدُ المذكور أنّ بخارج هذا المنزِلِ المذكور حَرَسَ اللهُ إيمانَه، وأدام أمانَه، جيشًا نَفْسِيًّا يُغيرُ عليه في مسائه وصَباحِه، ويَنتهزُ فيه الفرصةَ في غُدوِّه ورواحِه، ويقطَعُ جادّةَ السبيل، بالمرور عليها بلا مسافةٍ إلى حضرةِ الملِك الجليل، وملِكُ هذا الجيشِ المذكور النفْسُ الكثيرةُ الأغراض، الميّالةُ إلى ما يَعرِضُ من الأعراض، المعتكفةُ على المآربِ الـمُهلِكة والأعراض، وخادمُ الملِك المذكور الشَهوةُ الموقوفةُ على خدمتِه، المعدودةُ في أعلى حُرمتِه، ووزيرُه الـمُفاخَرة،

وزِمامُه الـمُنافسةُ في زَهرةِ الدنيا وحاجبُهُ الـمُكاثَرة، وقيِّم جيشِه المقدَّم، وفارسُهُ الأقدم، شجاعُ الغَضَب، الذي عندَه يتولَّد الهلاكُ وبه يكونُ العَطَب. فطلَبَ العبدُ المذكورُ من مولاهُ الإمدادَ بعساكرِ العَزْم، وفوارس الـحَزْم، ورَغِبَ في الإعانة بكتائبِ السَّدادِ والتوفيق، ومواكبِ الرُّشدِ والتحقيق، وإرسالَ جُيوش الاصطبار، وفوارسَ الانتصار، والتدرُّعَ بدروعِ الأذكار، وجَوَلانَ خَيْلِ السّعادة في ميادينِ الاختيار، والعَوْنَ بإعلام العِلم، والسكونِ في حِصْن الحِلم، حتى يُذهِبَ حِدّةَ النفْس ويُزيلَ كيْدَها، ويُميتَها في المجاهدة، بسيوفِ المجالدة، ويَقطعَ قوّتَها وأيْدَها، أو يمُدَّ يدَ التسليم بقَهْرِها واضطرارِها، ويَنطِقَ بلسانِ اعترافِها وإقرارِها، أنها أَسقطَت جُملةَ دَعْواها واختيارِها، ودخَلَت تحتَ امتثالِ الأوامرِ الربّانيّة مسلِّمةً لأقدارِها، والعبدُ يرغَبَ [إلى] مَوْلاه رغبةَ خاشع، ويسأله سؤالَ فقيرٍ إلى رحمتِه خاضع، في تجميل جُودِه وكمالِه، وتحسينِ وَجْهِ علمِه وعَمَلِه بالإخلاص وجَمالِه، وبُلوغِه في الدّارَيْن غايةَ آمالِه، ويستغفرُ استغفارَ آمل بحُسن الرجاءِ عاملٍ ومعامَل، أنه إن لحِقَتْه العنايةُ الربّانيّة ودخَلَ من بابِ اللطيفِ في حَرَم كرم الإلهيّة، قَهَرَ الظهورُ لذلك نفْسَه، وأظهَرَ الحضورُ أُنسَه، حتى تتطهَّرَ النفْسُ المذكورةُ من الأخلاق العَرَضيّة، وتترَقَّى عن الأغيارِ الأرضيّة، وتظهَرَ عليها الشمائلُ الحميدةُ والأخلاقُ الرَّضِيّة، وتنادي: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨].

شَهِدَ على إشهادِ البائع المذكور مَن أشهَدَه به على نفسِه عارفًا بقَدْرِه، في صحّتِه وطَوْعِه وجوازِ أمرِه. وصَلّى اللهُ على سيّدِنا محمد وعلى آلِه وسلَّم تسليمًا.

وقَطَعَ مُددًا من عمُرِه في الارتسام بامتداح ملوكِ عصرِه، فكان يأتي في ذلك بما لم يُسمَعْ ذكْرُه ولا يُطمَعْ في لَـحاقِه، سُرعةَ ارتجال، وحُسنَ افتنان، وبراعةَ إنشاء، له في ذلك أخبارٌ طريفة. ووَلِـيَ بأخرةٍ حِسبةَ السُّوق[1] في مَرّاكُش،

---

(١) من الشعراء الذين أسندت إليهم حسبة الطعام أو ما يشبهها: يحيى الغزال وعزوز الملزوزي في المغرب وابن حجاج في المشرق.

وتوجَّه صُحبةَ الرّشيد من بني عبد المؤمن إلى سَلَا فأدركتْه منيّتُه بها صدرَ سنةِ سبع وثلاثينَ وست مئة[1].

١٨٦ـ مَيْمونُ[2] بن عليِّ بن عيسى بن عِمران بن دافَالَ المِكْناسيُّ الوَرْدميشيُّ الـمَرّاكُشيُّ، أبو محمد.

تفَقَّه بطائفةٍ من أهلِ بلدِه وغيرهم، وكان فقيهًا حافظًا فاضلًا، واستُقضيَ بمالَقةَ والـمَرِيّة فحُمِدت سِيرَهُ وشُكِرت أحوالُه.

١٨٧ـ مَيْمونُ[3] بن محمد بن عبّاس، تاهَرْتيٌّ، مَسِيليُّ الأصل، أبو وكيل.

رَوى بإشبيلِيَةَ عن أبي الـحُسَين بن زَرْقون.

١٨٨ـ مَيْمونُ[4] بن ياسِين اللَّمْتُونيُّ، حَليفُ بني محمد: إحدى قبائل لَـمَتُونةَ، مَرّاكُشيٌّ، سَكنَ الـمَرِيّةَ قديمًا ثم إشبيلِيَةَ بأخَرة، [أبو عُمرَ.

رَحَلَ إلى المشرق] وحَجَّ وأخَذَ بمكّةَ شرَّفَها اللهُ عن أبي عبد الله الطَّبَريّ، ومما أخَذَ عنه: «صحيحُ مسلم» بقراءةِ محمد بن هبة الله (بن مَـمِيل) الدِّمشقيِّ في مجالسَ بتاريخ ثلاثٍ بقينَ من شوّالِ سبع وتسعينَ وأربع مئة (في نُسخة سفريّة) عِدّةُ ورَقها مئةُ ورقة وثلاثٌ وسبعونَ ورقةً، (في كلِّ صفح) منها خمسونَ سطرًا بخطِّ الـمُتقِن البارع أبي عبد الله مالكِ بن يحيى بن أحمدَ بن وُهَيب[5]، وباقتراح أبي عُمرَ المذكور نَسَخَها كذلك عليه في نُسخةٍ أصغرَ منها قصَدَ بها تخفيفَ محمَلِها للرِّحلةِ والإغرابِ بها، وإنها لَـمِن أغرب ما رأيتُ من نُسَخ «صحيح مسلم» وأشرفِه، وممّن سَمع بهذه القراءة أبو مَرْوانَ عبدُ الملِك بن عبد الـجَبّار بن

---

(١) يعرف قبره اليوم بسيدي الخباز عند الباب المعروف بهذا الاسم.

(٢) تقدمت ترجمة والده وأعمامه.

(٣) ترجمته ومصادرها في برنامج الرعيني رقم (١١).

(٤) ترجمه ابن الأبار في التكملة (١٨٥١)، وابن الزبير في صلة الصلة ٣/ الترجمة (١٠٢)، والذهبي في المستملح (٣٦٩) وتاريخ الإسلام ١١/ ٥١٦، والمراكشي في الإعلام ٧/ ٣٠٨.

(٥) ترجمته في الصلة البشكوالية (١٣٦٥)، وتاريخ الإسلام ١١/ ٤٣٦.

ذي القَرْنَيْن الأندَلُسيُّ[1] في آخَرينَ، وابتاعَ أبو عُمرَ أيضًا هناك نُسخةً أخرى مَشْرِقيّةَ الـخَطّ من «صحيح مسلم» مجزّأةً تسعةً وعشرينَ جُزءًا تجمَعُها ستةُ مجلَّدات، سَمِعَ فيها أيضًا على الطَّبري، وقَفْتُ عليها، ورَوى هنالك أيضًا عن أبي عبد الله محمد بن أحمدَ الأندَلُسيِّ[2] الـمُجاوِر مكّةَ شرَّفَها الله، وأخَذَ عنه اختصارَه «تفسيرَ الطَّبريّ»، وعن محمدِ بن موسى بن الفَرَج الدَّربندي وتناوَلَ منه «تُحفةَ الأصحاب في شَرْح الشِّهاب» من جَمْعِه، وعن أبي مكتوم عيسى بن أبي ذرّ الـهَرَويّ، واستَقْدَمَه من مسكَنِه سَراةِ بني شَبابةَ إلى مكّة شرَّفَها الله، وابتاعَ منه أصلَ أبيه بخطِّه من «صحيح البخاريِّ» الذي سَمع فيه على شيوخِه بمالٍ جَسِيم وسَمِعَه عليه في أشهُرٍ عِدّة[3]، وقد وقَفْتُ على أسفارٍ ثلاثةٍ منه وهو تجزِئةُ سبعةِ أسفار. ثم قَفَلَ إلى المغرِب وأسمَعَ الحديثَ بمَرّاكُشَ وتاسقيموتَ[4] وغيرِهما.

---

(١) ترجمته في السفر الخامس (٥١).

(٢) ترجمته في السفر السادس (١٩٣) «روى عنه أبو عمر ميمون بن ياسين اللمتوني».

(٣) روى الإمام الذهبي في ترجمة عيسى بن أبي ذر الهروي (ت ٤٩٧هـ) عن شيخه عبد المؤمن الدمياطي، قال: «قرأتُ على ابن رواج: أخبركم السلفي، قال: اجتمعنا أنا وأبو مكتوم بن أبي ذر في عرفات سنة سبع وتسعين لما حججتُ مع والدي، فقال لي الإمام أبو بكر محمد ابن السمعاني: اذهب بنا إليه نقرأ عليه شيئًا، فقلت: هذا الموضع موضع عبادة وإذا دخلنا إلى مكة نسمع عليه، ونجعله من شيوخ الحرم، فاستصوب ذلك. وقد كان ميمون بن ياسين الصنهاجي من أمراء المرابطين رغب في السماع منه بمكة، واستقدمه من سراة بني شبابة واشترى منه صحيح البخاري أصل أبيه الذي سمعه منه بحملة كبيرة وسمعه عليه في عدة أشهر قبل وصول الحجيج، فلما حج ورجع من عرفات إلى مكة رحل إلى السراة مع النَّفْر الأول من أهل اليمن» (تاريخ الإسلام ١٠/ ٧٩٥)، ونقل هذا الكلام التقي الفاسي في العقد الثمين ٦/ ٤٦٢ عن الذهبي، وكلام السلفي هذا في كتابه «الوجيز في ذكر المجاز والمجيز» ص١٢٤ (بتحقيق صديقنا الدكتور محمد خير البقاعي، دار الغرب ١٩٩١م)، ونقل شيئًا منه أيضًا ابن الأبار في التكملة.

(٤) حصن بناه ميمون بن ياسين المترجم لمدافعة الموحدين ويقع جنوب مراكش في قيادة آيت ورير، وقد تغلب عليه الموحدون وقلعوا أبوابه وجعلوها على باب الفخارين في تنميل سنة ٥٢٦هـ وما تزال تاسقيموت معروفة وأطلالها موجودة (انظر أخبار المهدي: ٤١، ٤٥ ونظم الجمان: ١٥، ٨٥، ١٩٢ وهسبريس ١٩٢٧).

رَوى عنه بَنُوه: أبو إسحاقَ وأبو جعفر، وأبو الـحَجّاج، وأبو حَفْص، وأبو زكريّا، وأبوا عبدِ الله، وأبو عِمران، وأبو موسى عيسى، وعليٌّ، ووكيلٌ[1]، وأبوا إسحاق: ابنُ حُبَيْش وابن فَرْقَد، وآباءُ بكر: حُسَين بن عبد العزيز الأَشْبُونيُّ، والمحمَّدونَ أبناءُ الأحمدِينَ: ابن سَعادة وابن صاحب الصّلاة وابن أصبَغ وابن خَيْر وابن عبد الله الدَّرّاق ابن يوسُفَ الحاجّ، وأبوا الـحَجّاج: ابنُ الـجِذعِ وابن مَسْرور، وآباءُ الـحَسَن: الإدرِيسانِ: ابنُ سُليمان وابن موسى وسُليمانُ بن خَلَف بن سُليمان وعبدُ الرحمن بن محمد بن مَسْلَمَةَ، والعَلِيُّونَ: ابنُ أحمدَ بن عبد الملِك وابنُ محمد بن عِمران وابن نَجبَةَ، وعُمَرُ بن عُمرَ بن أحمدَ بن نَجبَة وعيسى بنُ حَبِيب، والـمُفرِّجان: ابن سَعادة...، وأبو الـحَسَن سُليمان بن أبي زَيْد عبد الرّحمن بن سُليمان الـمُهْريّ... عبد الرّحمن بن شُهَيْد، ... وآباءُ عبد الله ابنا الأحمدَيْنِ: القَيْسيُّ... وابنُ يحيى ابن وُهَيْب، وآباءُ العبّاس: ابنُ عبد الرّحمن ابن الصَّقْر، وابن... أبي طورنيةَ وابن حَكَم، وأبو عليّ الأميرُ منصُورُ بن محمد ابن الحاجِّ داودَ اللَّمْتُونيُّ، وأبو الفَضْل مبارَكٌ مَوْلى الزِّيَاديّ، وأبو القاسم ابن بَشْكُوال، وعُبَيْدُ الله...، وآباءُ محمد: ابنُ أحمد ابن مَوْجُوال وابنُ إبراهيمَ اللَّوَاتيُّ وابنُ سُعود، [وأبوا عليّ:] ابنُ سَعِيد بن الـخَطّاب وابنُ سَهل.

وكان من رؤساءِ قومِه وجِلّتِهم، محدِّثًا [راويةً] صَحيحَ السَّماع، ثقةً فيما يَرويه، فاضلًا مؤْثِرًا سَمْحًا بما يملِكُه، حَسَنَ اللِّقاء، جميلَ العِشرة، كريمَ الأخلاق، جليلَ المقدار، معظَّمًا عندَ العامّة والخاصّة.

توفِّي بإشبيلِيَةَ في ذي القَعْدة سنةَ ثلاثينَ وخمس مئة.

١٨٩ـ نَصْرُ بن أبي الفَرَج، صِقِلِّـيٌّ، أبو الفُتوح.

رَوى بالأندَلُس عن أبي اللّيثِ نَصْرٍ الشّاشِيّ[2].

---

(١) ترجم المؤلف في هذا السفر لبعض أولاد المترجم. انظر رقم (٤٧) و(١٤٥) و(٢٠٧).

(٢) هو نصر بن الحسن بن أبي الشاشي، دخل الأندلس تاجرًا سنة ٤٦٣هـ وصدر عنها في شوال سنة ٤٦٦هـ، وتوفي بأطرابلس الشام سنة ٤٧١هـ (جذوة المقتبس، رقم ٨٣٧، وصلة ابن بشكوال (١٣٩٩) وفيها مصادر ترجمته).

١٩٠ـ **الوليدُ[١] بن محمد بن يوسُفَ بن عُبَيد الله بن عبد العزيز بن عُمرَ بن عُثمانَ بن محمد بن خالِدبن عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ القُرَشيُّ.**

كذا رفَعَ ابنُ الأبّار هذا النّسَبَ وسَمَّى والدَ يوسُفَ: عُبَيدَ الله، ورفَعَه ابنُ حَزْم في «الـجَمهر»[٢]: الوليدَ بنَ محمد بن يوسُف بن عُبَيد الله بن عبد العزيز بن خالِد بن عُثمانَ بن عبد العزيز بن خالد بن عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط، وقد تقدَّم في رَسْم العبّاس ابنِه ما عندَ الفَرَضيِّ في رَفْع هذا النسَب[٣].

رَوى عن بكرِ بن حَمّاد، ويحيى بن عُمرَ وغيرِهما، ودخَلَ الأندَلُسَ من بَرْقةَ عامَ اثنينِ وثمانينَ ومئتين، فأدرَكَ بها عُبَيدَ الله بنَ يحيى بن يحيى، ومحمدَ بن وَضّاح والـخُشَنيَّ وغيـرَهم، فأخَذَ عنهم. وعاد إلى الـمشرِق سنـةَ تسعينَ ومئتين.

١٩١ـ **الوليدُ[٤] الـمَذْحِجيُّ.**

دَخَلَ الأندَلُسَ معَ عبد الرّحمن بن مُعاويةَ، وكان طبيبَهُ ومُدبِّرَ علاجِه وحفظِ صحتِه. أخَذَ عنه ابنُه إبراهيم.

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٣٣٢٧).

(٢) الجمهرة: ١١٥ رفع ابن حزم هذا النسب وهو يتحدث عن ولد خالد بن عقبة بن أبي معيط فقال عاطفًا: «وعبد الله بن عبد الله بن الوليد بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن عبد الله بن عبد العزيز بن خالد بن عثمان بن عبد الله بن عبد العزيز بن خالد بن عقبة بن أبي معيط». وهذا حفيد المترجم هنا كما هو واضح وإنما نقلنا هذه السلسلة لما بينها وبين سلسلة المؤلف هنا من اختلاف.

(٣) الترجمة التي يحيل عليها المؤلف في سفر مفقود. وترجمة العباس المذكور في التكملة (٢٩٥٧)، وانظر ما يشير إليه المؤلف في ترجمة عبد الله المعيطي الذي بويع بالخلافة في شرق الأندلس، والسلسلة عنده كما يلي: عبد الله بن عبيد الله بن الوليد بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمرو بن عثمان بن محمد بن خالد بن عقبة بن أبي معيط.

(٤) له ترجمة في التكملة (٣٣٠٩).

١٩٢ـ **هلالُ**[١] **بنِ أبي عَقِيل عَطِيّةَ بن أبي أحمدَ بن جعفرِ بن محمد بن عَطِيّةَ القُضاعيَّ، مَرّاكُشيٌّ طَرْطُوشيُّ الأصل، أبو زكريّا.**

رَوى بمَرّاكُش عن أبي جعفر بن مَضَاء، وأبي عبد الملِك مَرْوانَ بن عبد العزيز. ودَخَلَ الأندَلُسَ كاتبًا لبعض الوُلاةِ بها.

١٩٣ـ **يحيى بن أحمدَ الأنصاريُّ، سَبْتيٌّ، أبو بكرٍ النّكاريُّ.**

رَوى عن أبي الـحُسَين ابن [الصّائغ].

١٩٤ـ **[يحيى**[٢] **بنُ] إبراهيمَ بن حَجّاج بن يوسُفَ بن حَجّاج التُّجِيبيُّ، مَرّاكُشيٌّ، [أبو زكريّا.**

أخَذَ] عن بعض أهل بلدِه، وكان له حظٌّ من الفقه ليسَ بالوافر. [استُقضيّ بأغماتِ] وَرِيكة، وهو الذي توَلَّى قِبلةَ جامعِها الأعظم.

---

(١) هذا ولد الكاتب أبي عقيل عطية بن عطية الكاتب الذي قتل مع أخيه أبي جعفر بن عطية في خبر معروف، وأخوه أبو طالب عقيل القاضي الأديب مؤلف فصل المقال المخطوط بالخزانة العامة بالرباط. وترجمته في: أعلام مالقة (١٤٨)، والتكملة (١٩٦٥)، وصلة الصلة ٤/ الترجمة ٣٤٠، وتاريخ الإسلام ١٣/ ١٩٤، والإحاطة ٤/ ٢٣٠، والديباج ٢/ ١٣٥. ولا بد أن المؤلف ترجم له في القسم المفقود من الغرباء كما ترجم لأبي عقيل وأبي جعفر في هذا القسم، ونرى أن ترجمة أبي جعفر بن عطية التي في الإحاطة والنفح منقولة عن المؤلف، وجد المترجم أبو أحمد جعفر بن عطية له ترجمة في جذوة الاقتباس رقم (١٣٣) وسلوة الأنفاس ٣/ ٢٥٨. ولا بد أن المؤلف ترجم له في السفر السابع المفقود. ومن بني عطية هؤلاء محمد بن عقيل بن عطية وكان قاضيًا ببعض جهات المغرب وله قصيدة في عتاب صديقه القاضي محمد بن حماد القلعي (انظر الروض المعطار: ٥).

(٢) لم نقف على ترجمته عند غير المؤلف، وهو حفيد قاضي الجماعة بمراكش حجاج بن يوسف الهواري، وقد انتسب بنوه إلى تجيب (التكملة رقم ٧٦٢، والحلل الموشية ١٣٢، وروض القرطاس ٢٠٦) ومن أولاده الحسن بن حجاج بن يوسف (التكملة رقم ٧٢٢، والجذوة رقم ١٤٠، والسلوة ٣/ ٢٥٩) وإبراهيم بن حجاج بن يوسف والد المترجم هنا، ومن أولاد الحسن بن حجاج بن يوسف المذكور أبو عبد الله محمد بن الحسن بن حجاج بن يوسف وقد تقدمت ترجمته في هذا السفر.

واستُقضيَ [بإشبيلِيَةَ بعدَ] استدعاءِ أبي محمدٍ عبد الحقِّ بن عبد الله بن عبد الحقّ إلى قضاءِ مَرّاكُش[1]، وكان أبو زكريّا هذا غيرَ مَرْضيٍّ الأحوال في أحكامِه ولا مشكورًا في سِيرتِه، سَمَحَ اللهُ له.

١٩٥ـ يحيى بنُ أبي بكر بن مكّيّ، بِجَائيٌّ، أبو زكريّا.

كان [كاتبًا بليغًا] حَسَنَ الـخُلُق سَرِيَّ الهمّة فاضلَ الطَّبْع. توفِّي بإشبيلِيَةَ وهو يَتَولَّى الكتابةَ عن واليها أبي العلاءِ الكبيرِ[2] إدريسَ بن أبي يعقوبَ بن عبد المؤمن.

١٩٦ـ يحيى[3] بن داودَ، تادَليٌّ، سَكَنَ فاسَ، أبو زكريّا.

أَخَذَ العربيّةَ بفاسَ عن أبي بكر بن طاهر الخِدَبِّ، وبمَرّاكُشَ عن أبي موسى الـجُزُوليّ، وبالأندَلُس عن أبي عبد الله بن محمد بن أبي البقاءِ وإيّاه اعتمَدَ، ورَوى الحديثَ عن أبي الـحَسَن بن حُنَـيْن، وأبي عبد الله ابن الرَّمّامة وتفَقَّه به وبغيرِه من فقهاءِ فاسَ.

---

(١) كان أبو محمد عبد الحق بن عبد الله قاضيًا على إشبيلية ثم استدعى منها إلى قضاء الجماعة بمراكش سنة ٦١٩هـ. انظر ترجمته في التكملة رقم ٢٥٤٧، ونيل الابتهاج ١٨٤، والإعلام للمراكشي ٨/ ٣٩، وترجمة والده قاضي الجماعة بإشبيلية في التكملة رقم ٢٢٠٣، والإعلام للمراكشي ٨/ ١٩٣. وقد تسلسل القضاء في هذه الأسرة طوال عهد الموحدين وزمنًا من دولة بني مرين، جاء في مذكرات ابن الحاج البلفيقي: «أنشدنا الفقيه القاضي أبو محمد عبد الله ـ قاضي أنفا ـ بن عبد الحق ـ ولي قضاء حاحة ـ بن عبد الله ـ ولي قضاء مراكش ـ بن عبد الحق ـ ولي قضاء إشبيلية ـ بن عبد الله ـ ولي قضاء إشبيلية أيضًا وقدم عليها من المهدية ـ بن عبد الحق ـ ولي قضاء إفريقية...» (النسخة المرقونة ١٣٦ تحقيق ألفريد دي برمار).

(٢) يدعى الكبير تمييزًا بينه وبين أخيه أبي العلاء إدريس بن يعقوب المنصور الملقب في خلافته بالمأمون ويدعى في الكتب التاريخية بأبي العلاء الصغير أو الأصغر، وكان واليًا على إشبيلية في دولة أبيه، وهو الذي بنى بها برج الذهب ـ الذي ما يزال قائمًا إلى اليوم ـ سنة ٦١٧هـ (انظر الاستقصا ٢/ ٢٢٧، والمعجب ٤١٢).

(٣) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٣٤٢٨)، والذهبي في المستملح (٨٧٥)، وتاريخ الإسلام ١٣/ ٣٥٦، والمراكشي في الإعلام ١٠/ ٢١٤.

رَوى عنه أبو عبد الله ابنُ الأبّار، وأبو محمد بنُ عبد الرّحمن ابن بُرطُلّة.

وكان بصيرًا بالأحكام ذا حَظّ من الفقه وأصُولِه، مُشاركًا في العربيّة والأدب، ذاكرًا للأشعارِ، معَ ضَبْط ولَسَن وبلاغة، واستُقضيَ بجزيرة شُقْر مدّةً طويلة ثم صُرِف عن قضائها وسَكَنَها، ووَلِـي الأحكامَ ببَلَنْسِيَةَ لقاضيها أبي إبراهيمَ بن يَغْمور، وتوفِّي بها سنةَ اثنتَيْ عشْرةَ وست مئة.

١٩٧ـ يحيى[1] بنُ عبد الرّحمن بن عبد الـمُنعم بن عبد الله القَيْسيُّ، دمَشْقيٌّ، نزَلَ غَرْناطةَ وسَكَنَها سنينَ، أبو زكريّا مجدُ الدِّين الأصفَهانيُّ.

شُهِر بذلك في مجلسِ أبي الطاهر السِّلَفيّ لدخولِه أصبَهانَ وإقامتِه بها أزيَدَ من خمسةِ أعوام لدَرْس الخِلافيّات.

رَوى عن أبي إسحاقَ إبراهيمَ بن سُفيان بن إبراهيمَ بن مَنْدَة، وأبي بكرٍ محمد بن أحمدَ بن أبي الفَرَج بن الفَضْل السُّكَّريِّ ابن ماشاذة، وأبوي الرَّشيد: إسماعيلَ بن غانِم بن خالدٍ البَيِّع، وعبد الله بن عُمرَ بن عبد الله بن عَمْرٍو الزّاهد العَدْل، وآباءِ عبد الله: المحمَّدَيْنِ: ابن مَعْمَر بن عبد الواحِد، وابن أبي الرّجاء بن محمد بن الفَضْل التَّميميِّ، وسُفيانَ بن الفَضْل بن محمد بن أبي طاهر، والنَّبيه أبي الفُتُوح ظافِر بن محمد بن بَخْتِيار، وأبي موسى الأصبَهانيِّ الـخَلّال، لقِيَهم كلَّهم بأصبَهان، قال: وهم من كبارِ محدِّثيها؛ وأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمدٍ الطُّوسيِّ... وله مصنَّفاتٌ، ومحمد بن أبي سَعْد بن أبي سعيد [البَكْريِّ المعروفِ بالصُّوفيِّ النَّيسابُوريِّ]، وأبي الطاهِر السِّلَفيِّ بالإسكندَريّة وأخَذَ عنه.

وقَصَدَ المغرِب فأخَذَ عن أبي محمد عبد الحقِّ ابن الـخَرّاط ببِجَاية وأجاز له، وهُو الذي أشار عليه بالوَعْظِ والتذكير وامتَثلَ ذلك.

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٣٤٢٧)، وابن الزبير في صلة الصلة ٥/ الترجمة (٥٤٦)، والذهبي في المستملح (٨٧٤) وتاريخ الإسلام ١٣/ ٢٠٤، وغيرهم.

وقَدِمَ الأندَلُسَ وتجوَّلَ ببلادِها، وأخَذَ عنه من أهلِها: آباءُ جعفر: الـجَيّار وابنُ يحيى بن عَمِيرةَ وابن يوسُف... [وأبو] الـحَجّاج بن عليٍّ بن عبد الرزّاق، وأبناءُ حَوْطِ الله، وأبو الرّبيع بن سالم، وأبوا عبد الله: ابنُ محمد بن صَالح وابنُ سَعِيد الطَّرّازُ، وأبو الـحَسَن بن عليٍّ بن سَمْعانَ، وأبو [عَمْرو] بنُ سالم، وأبو القاسم الـمَلّاحيُّ، وابناه: عبدُ الواحِد وعليّ.

وكان شديدَ الـحَياء، وَرِعًا كثيرَ الصَّدَقة، مُثابِرًا على أعمالِ البِرِّ، زاهدًا في الجاه، مُنقبضًا عن رؤساءِ الدنيا، مُداخِلًا لأهل العلم، متحبِّبًا إلى طلَبتِه القاصدينَ إليه للأخْذِ عنه، مُنبسِطًا معَ أهل الدِّين والفَضْل، عالـمًا بأصُولِ الفقه والتصوُّف، فقيهًا شافعيًّا، متّسعَ الرّوايةِ في الحديث، ولم يكنْ ضبطُه بذلك. ومن مصنَّفاتِه: «الرَّوضةُ الأنيقة».

انتَحلَ أوّلَ قدومِه الأندَلُسَ الوعظَ والتذكيرَ، واستمرَّ على ذلك زمانًا، ودخَلَ مَرّاكُشَ وأغماتِ وَريكةَ فيما قيل، ووَعَظَ بهما ونفعَ اللهُ به خَلْقًا كثيرًا، ثم تخَلَّى وانقَطعَ إلى خدمةِ الله تعالى وأقبَلَ على العبادةِ والمجاهدة وآثَرَ الـخُمولَ والـخَلْوةَ إلّا معَ طلبة العلم، ولزِمَ سُكنى رُوَيْضةٍ خارجَ غَرْناطة.

وأرسَلَ إليه وإليها أبو إبراهيمَ إسحاقُ بن أبي يعقوبَ بن عبد المؤمن[1] وزيرَهُ راغبًا منه في الوصُولِ إليه، فأبَى من ذلك بُعدًا من التظاهُر وفِرارًا من مُلابسةِ أبناء الدُّنيا، فبَيْنا أبو زكريّا بموضِع سُكناه سَمِع قَرْعَ بابِه، فقام إلى فَتْحِه، فإذا الأميرُ أبو إبراهيمَ معَ أحدِ غِلمانِه، فدَخَلَ عندَه وقال له: جئتُ إليك إذْ لم تُرِدْ أن تصلَ إليّ، فاشتَدَّ قلقُه لذلك وقال له: أصلَحَك اللهُ، هذا أمرٌ لا يَهُونُ عليّ ولا يَحتملُه حالي، فقال له أبو إبراهيم: لا بدَّ منَ اجتماعِنا إمّا بوصُولي إليك وإمّا بوصُولِك إليّ، فقال: إذا [كان] لا بدَّ من ذلك فعسَى أن يكونَ بموضع خارجَ البلد خامِلٍ لا يُؤبَهُ له ولا يُفطَنُ لتلاقينا فيه، وإذا أردتَ فتقَدَّمْ

---

(١) ذكره ابن الخطيب في سرده لولاة غرناطة (انظر الإحاطة ١/ ١٤١).

إلى الموضِع الذي تُعيِّنُه لتلاقينا فيه، وأرسِلْ إليّ [غلامَك يُعيِّنْ ليَ] الموضعَ فأقصِدَ إليك فيه فنجلسَ فيه ما قُدِّر ونفترق، [فوافقَ على ذلك، وكان] حالُـهما في التلاقي على هذا بُرهةً من الدّهر، ثم إنّ أبا [إبراهيمَ قال: إنّي] رأيتُ أن نَبيتَ معًا، فقال أبو زكريّا: هذا ما لا يُمكنُني [قَبُولُه أبدًا]، فقال له: وما يمنَعُك من ذلك؟ فقال: إنّي عاهدتُ اللهَ أن لا أُبايتَ [أحدًا لا عندي] ولا عندَه، فتَرَكَهُ على حالِه مُستكثرًا بما تأتّى له من مُساعدتِه [على] الاجتماع به على ما وُصِف.

قال أبو جعفرٍ الـجَيّار[1]: ما رأيتُ أشدَّ حياءً منه ولا أزهَدَ، ولا تَرَكَ بعدَه مثلَه فيما عَلِمت، وكانت له دراهمُ من مكسَبٍ طيِّب وأصل حلال، وكان قد دفعَها إلى ثقةٍ من إخوانِه ليتَّجرَ له بها على حُكم القِرَاض فيتقوَّتَ بما يُفيءُ اللهُ عليه من رِبحِها، فلمّا مرِضَ مَرضَه الذي ماتَ منه أوصَى بثُلُثِه لأُولي السَّتْرِ من أهل غَرْناطة وجعَلَ رحمه الله تنفيذَ ذلك إلى سَعِيد بن الحاجِّ بن سَعِيد فنَفَّذَه بعدَه، وكان قد بَعَثَ إليّ بجُملةِ مال إلى مالَقةَ من غَرْناطة، وكتَبَ إليّ أن أشتريَ بها سِلَعَ حُكْرة، فإذا بَلَغَك أنّي توفِّيتُ فتصَدَّقْ بجميعِه على أهل السَّتْر، ففعَلتُ وبَقِيتِ السِّلَعُ نحوَ العامَيْن، فلمّا توفِّي بِعتُها وتصَدَّقتُ بثمنِها كما ذَكَرَ، وصادَفَ ذلك وقتَ شدّةٍ في السِّعر.

وكانت وفاتُه رحمه اللهُ بغَرْناطةَ يومَ الأحد لخمسٍ خَلَوْنَ من شوّالٍ ثمانٍ وست مئة، وقال ابنُ الأبّار: يومَ الاثنين يومَ وفاةِ أبي عبد الله بن نُوح ببَلَنْسِيَةَ، ومولدُه بدمشقَ سنة سبع، وقال ابنُ الأبّار: آخرَ ثمانٍ وأربعينَ وخمس مئة.

١٩٨ ـ يحيى[2] بنُ عبّاس بن أحمدَ بن أيوبَ القَيْسيُّ، قُسْطَنْطينيٌّ، أبو زكريّا.

أَخَذ ببلدِه عن أبي زكريّا بن عليٍّ الزَّوَاويّ، وأبي زَيْد بن عليّ بن الـحَجَر، وأبي عبد الله بن مَيْمونٍ السّمنطاريِّ القَلْعيّ، وأبي العبّاس بن أبي الرّبيع بن ناهِض، وأبي محمدٍ عبد الله الرِّكْليِّ ابن أَمَةِ الله.

---

(١) هو أحمد بن عبد المجيد بن سالم، تقدمت ترجمته في السفر الأول برقم (٣٣٥).

(٢) ترجمه ابن الزبير في صلة الصلة ٥/ الترجمة (٥٤٧).

وقَدِمَ الأندَلُسَ طالبًا العلمَ، فرَوى عن أبي الـحُسَين بن زَرْقُون، وابنَيْ حَوْطِ الله، وأبي الـخَطّاب بن واجِب وأكثَرَ عنه، وأبي الرّبيع بن سالم، وأبوَيْ عبد الله: ابن خَلْفُون وابن نُوح، وأبي محمدٍ عبد الحقِّ بن عبد الله بن عبد الحق، وأبي القاسم: أحمدَ بن محمد الطَّرَسُونيِّ وأكثَرَ عنه، ومحمدِ بن محمد بن عليّ بن بَاز. وأجازَ له أبو جعفرٍ الـجَيّارُ، وأبو عليٍّ الرُّنْديُّ؛ قرَأَ عليهم وسَمِع وعادَ إلى بلدِه بعِلم جَمّ وروايةٍ واسعة.

وكان محدِّثًا عَدْلًا ثقةً مُكثرًا مَرْضيَّ الأحوال سُنّـيًّا مشاركًا [مُقبِلًا على التدريس] مُلازمًا له.

توفِّي ببِجَايةَ سنةَ اثنتينِ وخمسينَ وست مئة.

١٩٩ـ يحيى بنُ [....][١]، صِقِلِّيٌّ، أبو الـحَسَن.

رَوى عن شاعر الدّيار المِصريّة الأعزِّ أبي الفُتوح [نَصْر الله بن عبد الله] بن أبي القاسم مَخْلوفِ بن عليِّ بن عبد القَويّ بن الأزهر اللَّخْميِّ ابن [قَلاقس][٢].

[رَوى عنه] أبو عَمْرو بن سالم، لقِيَه بالـمُنكَّب وقال: كان بصِقِلِّيَةَ كاتبًا للرؤساء.... وقال: كان وَرِعًا زاهدًا فاضلًا.

٢٠٠ـ يحيى[٣] بنُ عيسى بن عليّ بن محمد بن أحمدَ [الـمُرِّيُّ][٤]، تِلِمْسينيٌّ، أبو الـحَسَن، ابنُ الصَّيْقَل.

---

(١) محو في الأصل.

(٢) ترجمة ابن قلاقس ومصادرها في وفيات الأعيان ٥/ ٣٨٥-٣٨٩ وربما أخذ عنه المترجم خلال الفترة التي قضاها في صقلية (انظر كتاب العرب في صقلية للدكتور إحسان عباس ص٢٨٧-٢٩٥).

(٣) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٣٤٢٣) وفي معجم أصحاب الصدفي (٣٠١)، وابن الزبير في صلة الصلة ٥/الترجمة (٥٠٦).

(٤) محو في الأصل، وهو مستفاد من مصادر ترجمته.

رَوى عن أبي عليّ بن سُكّرةَ وأكثرَ عنه. حدّث عنه أبو الفَضْل[1] في «المعجَم». وكان شديدَ العناية بطريقِ الرّواية موصُوفًا بالعدلِ والنّزاهة.

٢٠١ـ يحيى[2] بن محمد بن عبد الرّحمن بن بَقِيّ، سَلَويٌّ، أبو بكر.

أخَذ القراءاتِ والحديثَ والأدبَ عن مَشيَخةِ بلدِه. ودخَلَ الأندَلُسَ وسَكنَ مُرْسِيَةَ وصَحِبَ فيها أبوي العبّاس: ابنَ إدريسَ وابنُ الـحَلّال. رَوى عنه أبو عُمرَ بنُ عَيّاد.

وكان من أهل العلم بالتفسير والأصُول والمعرفة بالآداب، متقدِّمًا في طريقةِ الوَعْظ والتذكير، قاصرًا زمانَه على ذلك، ذا حَظّ نَزْر من قَرْض الشّعر[3].

مولدُه لليلتَيْنِ خَلَتا من ذي الحِجة سنةَ عشْرٍ وخمس مئة، وتوفِّي بمُرْسِيَةَ يومَ الأربعاء لخمسٍ خَلَوْنَ من ذي الحجة سنةَ ثلاثٍ وستِّينَ وخمسٍ مئة، وصَلّى عليه أبو القاسم بنُ حُبَيْش.

٢٠٢ـ يحيى[4] بن محمدِ بن عليّ بن يوسُفَ بن خَلَف بن يحيى الأنصاريُّ، سَبْتيٌّ، أبو الـحُسَين، ابنُ الصّائغ.

رَوى عن آباءِ بكر: ابن رِزق، وعبد الكريم بن غُلَيْب، وابن مُحرِز، وآباءِ الـحَسَن: ابن أحمدَ بن حُنَيْن والأطريّ والزُّهْريّ وابن عُقاب وابن النِّعمة، وأبي الطاهر السِّلَفيّ، وآباءِ عبد الله: ابن الرَّمّامة وابن زَرْقُون وابن سَعادةَ وابن عبد الرّزاق الكَلْبيِّ وابن الـمُجاهد، وأبي عليّ بن سَهْل الـخُشَنيّ، وأبي القاسم

---

(١) يعني: القاضي عياض، وينظر المعجم.

(٢) ترجمه الضبي في بغية الملتمس (١٤٦٤)، والتجيبي في زاد المسافر ١١٥، وابن الأبار في التكملة (٣٤٢٥).

(٣) قال ابن الأبار: «أنشد له أبو عمر ابن عياد أشعارًا ليست هنالك». وقد أورد له مؤلف زاد المسافر قصيدتين وجعله مسك الختام، ص١١٥ وما بعدها.

(٤) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٣٤٢٦)، وابن الزبير في صلة الصلة ٥/ الترجمة (٥٤٥)، والذهبي في المستملح (٨٧٣) وتاريخ الإسلام ١٢/ ١٢٣٣، وهي ترجمة رائعة أكثر النقل فيها عن ابن مسدي.

ابن بَشْكُوال، وأخَذَ عنه «صِلتَه» و«برنامَجَه الأوسَط»[1]، وآباءِ محمد: ابن إبراهيمَ ابن الـجَنّان وابن عُبَيد الله وابن كمال وابن مَوْجُوال وقاسم ابن الحاجِّ الزَّقّاق، وأبي مَرْوانَ بن قُزْمانَ وأكثَرَ عنه، وأبي موسى عيسى ابن الفَخّار.

وترَدَّد كثيرًا إلى الوليِّ الصّالح ذي الكراماتِ المأثورة أبي يعزَى[2] يل النُّور ابن عبد الله[3] الهزميريِّ ـ هزميرةَ إيروقان ـ وقيل: إنه كان يقولُ: إنّ أصلَه من بني صُبح من هَسْكورة، كذا ذَكَرَ نَسَبَه التأريخيُّ أبو يعقوبَ ابن الزَّيّات[4]، وقال الشّيخ [أبو العبّاس العَزَفيُّ]: يللنُّور بن عبد الرّحمن بن أبي بكرٍ الإيلانيِّ من أغماتِ [إيلان]، وقيل: من إيروقان من عَمَل مِكناسةِ الزّيتون من بلادِ المغرِب. ورَحَلَ إليه [أبو الـحُسَين ابنُ الصائغ] متبرِّكًا بلقائه وشاهَدَ من كراماتِه كثيرًا.

رَوى عنه أبو إسحاقَ الواعظُ القَفّـال، وآبـاءُ الـحَسَن: الشارِّيُّ وابنُ عبد الصّمد ابن الـجَنّان وابن [قطْرال]، وأبو الـخَطّاب بن خليل، وأبو الرَّبيع بن عَفّانَ الصَّودي، وأبو زَيْد بن عُمرَ بن عِمران... وآباءُ عبد الله: التُّجِيبيّانِ: ابنُ الـحَسَن بن مُجبر وابنُ عبد الرّحمن نَزيلُ تِلِمْسينَ ـ وهو في عِداد أصحابِه ـ وابنُ خالص الأنصاريُّ وابن عبد الحقِّ التلمسينيُّ وابنُ يحيى بن هشام، وآباءُ العبّاس: ابن عبد الرّحمن الفِهْرِيُّ وابنُ عبد المؤمن، وأبناءُ المحمّدِينَ: ابنا الأحمدَيْنِ: العَزَفيُّ والـمَوْرُوريُّ، وابن حَسَن بن تامتيت، وأبو عليّ الفَضْل بن مُعَلًّى، وأبو الفَضْل

---

(١) لم يشر المؤلف إلى رواية ابن الصائغ كتاب «المستغيثين بالله» عن مؤلفه ابن بشكوال، والنسخة الموجودة من هذا الكتاب هي برواية أبي الحسين ابن الصائغ عن ابن بشكوال، وقد طبع في مدريد.

(٢) هو المعروف اليوم بمولاي بوعزة، وترجمته في التشوف رقم (٧٧) وخصه جماعة بالتأليف، انظر في ذلك الإعلام للمراكشي ١/ ٤٠٦-٤٢٠.

(٣) اختلف في نسبه، في النجم الثاقب «عبد النور بن عبد الله الهزميري سيدي أبو يعزى كذا قرأت نسبه بخط الإمام القاضي أبي عبد الله ابن عبد الملك». والإشارة إلى هذا الموضع وقد عرب يلنور بعبد النور.

(٤) انظر التشوف ١٩٥.

قاسمُ بن أبي بكر بن عليّ القُرَشيُّ القَرَويُّ، وأبوا القاسم: ابنُ الحَدّاد وابنُ رَحْمون، وأبوا محمد: ابنُ موسى الرُّكَيْبيُّ وعبد الحق بن عَبْدون، وأبو موسى عيسى بن عَبْدون، وأبو الوليد ابنُ الحاجّ.

وكان راويةً للحديثِ شديدَ العناية بلقاءِ المشايخ والأخْذِ عنهم، عارفًا بالقراءات، مجوِّدًا للقرآن حَسَنَ التأدية له، صادقَ الزُّهد والوَرَع، بارًّا بطلَبَةِ العلم، صَليبًا في الحقّ مُصمِّمًا عليه، كثيرَ التقشُّف، متقلِّلًا من الدّنيا لا يَتلبَّسُ إلا بأقلِّ ما يُمكنُ من مطعَم وملبَسٍ ومسكَن.

قال أبو عبد الله ابنُ عبد الرّحمن التُّجِيبيُّ[1] وقد ذَكَرَه آخِرَ حرفِ الياء من «معجَم شيوخِه»: ختَمتُ بذكرِه هذا المجموعَ لبركتِه وفَضْلِه.

وقال أبو عبد الله ابنُ مُجبر[2]: كان مصمِّمًا في الحقّ لا تَجري لأحد مَظلمةٌ إلا كشَفَها، غَضِبَ أبو العلاء إدريسُ بن أبي يعقوبَ بن عبد المؤمن أميرُ سَبْتَةَ[3] الشديدُ البأسِ على الناس يومًا على أهلِها، فأمَرَ أن يُحشَرَ الناسُ خارجَها في صَعِيد، وصَعِدَ صَرْحًا كان صُنعَ له هنالك من الخشَب، واجتَمعَ الناسُ رفيعُهم ووَضِيعُهم، وطال بهم المُقام وضَرّتْهمُ الشمسُ، فلم يُكلِّمْهم ولا أذِنَ لهم في الانصرافِ والتفرُّق إلى أنِ انتهى الخَبَرُ إلى أبي الحُسَين ابن الصائغ رحمه الله، فجاء حتّى بَلَغَ من مَرْقَب أبي العلاءِ بحيث يُعاينُه، ثم رَفَعَ رأسَه إليه، وكان في صوتِه جَهارةٌ وفي كلامِه إرهاب، فقال له: انصُبْ صِراطَك وضَعْ موازينَك في كلامٍ غير هذا ونحوه، ثم رَدَّ رأسَه إلى الناس وقال: امشُوا من هنا، فافتَرَقَ الحَفْلُ طاعةً [لأمرِه لمعرفتِهم] بمكانِه عندَ الله تعالى، ونَزَلَ أبو العلاء عن مَرْقبِه ذلك [واختَلطَ] بالناس.

---

(١) ترجمته ومراجعها في السفر السادس رقم (٩٤١).

(٢) تقدمت ترجمته رقم (٨٤).

(٣) هو أبو العلاء الكبير أو الأكبر.

وقال أبو عبد الله ابنُ عبد الحقِّ[1] فيه: زاهدٌ [كبير]، بَلَغَ من التقلُّل من الدنيا الغايةَ القُصْوى والنهايةَ العُليا.

وقال [أبو محمدٍ ابنُ] عبد المؤمن[2]: كانت له بفاسَ زوجة، فكان يَزُورُها، فصادَفْتُه بها، [وسعَيْتُ إليه] في موضعِه زائرًا متبرِّكًا في جُملة من الأصحاب، واستجَزْناه فأنعَمَ، وكنتُ قد لقِيتُه قبلَ ذلك قاصدًا المسجدَ الجامعَ وعليه ثيابٌ خُشْنٌ وفي رِجلَيْه بُلغةٌ خَلِقة وعلى رأسِه قطعةُ ثوبٍ وَسِخ، وعهدي به في سُوق الحلفاءِ والناسُ يجتازون، فكلُّ مَن وقَعَت عينُه عليه بقِيَ شاخصًا فيه لا تُطاوعُه قَدَماهُ على الذهابِ عنه، ثم جلَستُ في جملةٍ من الطّلبة تذاكَروهُ وعَزَموا على قصدِه للاستجازة، فأخَذوا يتواصَفونَه بشَراسةِ الـخُلُق ويَهابُونَ الإقدامَ عليه، ثم عَزَموا على قَصْدِه، فأخَذوا يَدعُونَ اللهَ في طُول طريقِهم إليه أن يَكفيَهم سُوءَ خُلُقِه، فلمّا دخَلْنا عليه رأينا رجلًا أحسَنَ الناس خُلُقًا وقابَلَنا بكلِّ بِشر، وعَلِم قصْدَنا فأنعَمَ ووَعَدَ بكلِّ خير، وفي غالب ظنِّي أنه استَدعى لنا شيئًا فأكَلْناهُ عندَه، ثُم انصَرَفْنا وأتَيْناهُ في اليوم الثاني فقابَلَنا بمِثل ذلك البِشر ووَعَدَنا واعتَذرَ لنا بشُغل فأتَيْناهُ في اليوم الثالث فوجَدْنا الإجازةَ مكتوبة.

قال: وقلّما انكشَف عن أهلِ سَبْتةَ بَلِيّةٌ إلّا على يدِه، وعهدي به وقد سِيقَ أهلُ مَنُرْقَة أسرى وهم مِئُونَ[3]، فأُخلِيَتْ لهم فنادقُ وسُدَّت أبوابُها دون الناس وتُرِكوا يموتونَ جُوعًا، فاستغاث الناسُ بأبي الـحُسَين وقالوا: جماعةٌ من المسلمينَ

(١) تقدمت ترجمته رقم (١١٩).

(٢) هو الشريشي شارح المقامات، وترجمته ومصادرها في السفر الأول، رقم (٣٤٩).

(٣) في البيان المغرب تفصيل لهجوم أسطول سبتة بقيادة السيد أبي العلاء الكبير ونقتطف منه ما يلي: «ولما خفت الأنواء، وحسن الهواء أسرى إليه السيد أبو العلاء في أسطول سبتة وصبحهم فساء صباحهم وبطش بهم الأسطول قبل التئام أحوالهم وترتيب قتالهم فدخل البلد عنوة وقبض على ابن نجاح وسير مع أصحابه إلى الحضرة فهلك بها وأكثرت بها الشعراء في هذا الفتح» (البيان المغرب: ٢١٦).

بين أظهُرِنا يموتونَ جوعًا، انظُرْ في أمرِهم يا فقيهُ، فخَرَجَ إلى البحر في أوحش هيئـة وأُخـرِجَ إليه زَوْرقٌ من البحر ومشَى به في البرِّ إلى قُربِه، ورُفِعَ الفقيهُ على الأكُفِّ وأُنزِلَ فيه ثم أُدخِلَ البحرَ وقصَدَ إلى بليونش، وبها كان أميرُ سَبْتَةَ حينَئذٍ، وانصَرفَ من عندِه في أقربِ وقتٍ بصلةٍ لهم من عند الأمير، وأمَرَ له بأن تُفتحَ أبوابُ الفنادق إلى الناس يَدخُلونَ إليهم ويُواسونَهم بما شاءوا.

وتوفِّي رحمه اللهُ بسَبْتَةَ يومَ السبت لثمانٍ بقِينَ من شعبانِ ست مئة، وقال ابنُ الأبّار: في رمضان، واحتَفلَ الناسُ لحضور جَنازتِه، [وكان يومُ دَفْنِه] يومًا مشهودًا لم يتَخلَّف عنه إلا القليلُ من أهل سَبْتة...

ودُفن بالمقبُرة خارجَ بابِ الصّفاح[1]، وقَبْرُه [بها معروفٌ] مَزُور متبرَّكٌ به إلى الآن.

قال المصنِّفُ عفَا اللهُ عنه: وإذْ قد ذَكَرَ هذا الفاضلُ المبارَكُ أبا يعزَى نفَعَ اللهُ به ورضيَ عنه، فقد أردتُ أن أُثبِتَ هنا نُبذةً من أخبارِه ولمحةً من آثارِه، فأقول: حدَّثني الشيخانِ: الكاتبُ أبو الـحَسَن الرُّعَيْنيُّ قراءةً عليه، والرئيسُ الأسنى أبو القاسم محمدٌ ابنُ الفقيه الفاضل أبي العبّاس إجازةً، كلاهما عن أبي العبّاس العَزَفيِّ قال: وكان ممّن رَحَلَ إلى لقائه ـ يعني أبا يعزَى المذكورَ ـ الشّيخُ الفقيه الراويةُ الزاهد أبو الـحُسَين يحيى بنُ محمد الأنصاريُّ، عُرف بابن الصّائغ، فسمِعتُه يقول: صَحِبَني قومٌ في وِجهتي إليه أو: جَمَعَني وإياهم قدومُنا عليه، وكانوا قد تحدَّثوا في مرحلةٍ من المراحل إلى أنْ ذَكَروا الشّيخَ، فقال بعضُهم: هو جاهلٌ أو: عاميٌّ أو نحوَ هذا، فكان معَهم رُوَيْـجِلٌ أُسَيْمِرٌ، فعاب عليهم ذلك وقال: تمشُونَ إليه الأيام وتُعمِلونَ إليه الرِّكاب ثم تقَعونَ فيه وتغتابونَه؟ قال: فلمّا بَلَغوا إليه وسَلَّموا عليه أمَرَ بإنزالِـهم في بيت، وأمَرَ بحَطَب أخضَر فأوقِدَ

(١) ذكر مؤلف اختصار الأخبار «قبر الشيخ الولي الزاهد السائح في الأرض المشهور الحاج أبي الحسين ابن الصائغ الأنصاري من أهل سبتة». وقال: إنه يقع «بمقبرة الربض البراني داخل سور البحر من الموضع المعروف بمضرب الشبكة».

فيه ـ ولعله كان فَصْلَ الحاجة إلى النار مثلَ فَصْل الشتاء أو الربيع ـ فلقُوا من ذلك شدّةً وضيقًا، ثم جاءهم بعدَ أُمّة فقال لهم: عجبًا لكم! تفارقونَ أوطانَكم وأهليكم وتخرُجونَ إلى الله فيما تزعُمون برَسْم زيارةِ شخص أحسنتُم به الظنّ ثم تَقَعونَ فيه ولم يكنْ فيكم مَن غَيَّر ذلك وأنكَرَه وقام بحقِّ الله فيه إلا هذا الغُلَيِّم؟ لقد كان مقامُكم في ديارِكم وبينَ أهليكم أقربَ إلى سلامتِكم وأقضَى لحاجتِكم، ثم صَفَحَ عنهم وأوصى الجميعَ بخير.

قال الشّيخ أبو العبّاس: وحدَّثني عنه الطالبُ الصيِّنُ ابنُ أُختِه أنه سَمِعَه يقول: كنتُ عند الشّيخ الصّالح أبي يعزَى مرّةً معَ الحاجِّ الصالح أبي محمد بن عاصم، وكان إذا أُدخِلْنا بيتَه عليه أجلَسَني والحاجَّ على سريرِه وأخَذ في إطعام من حَضَر من الوفودِ والزُّوّار، فقلتُ للحاجّ: هذا الطعامُ غليظ ونحن لا نحتملُه! فقال لي: فما الذي يَصلُح؟ فقال أو قلت: رُغَيِّفاتُ قمح بسَمن وعَسَل، ثم حَضَرَ الطعام، وحَلَّق الحاضرونَ حِلَقًا فأرَدْنا النّزولَ لنتحلَّق معَ الناس ونُشاركَهم فيما أكلوه، فأشار إلينا أنْ مكانَكم، ثم أتانا برغائف در[ملكٍ وسَمنٍ وعَسَل، وقال] لنا: كُلوا ما اشتَهيتُم.

قال: وحدَّثنا عنه أيضًا، قال: [خَرَجتُ معَ] ابن عاصم المذكور، فوقَعَتْ عينُنا على أُرْخةٍ[1] تامّة الـخَلْق [حسَنة] الوَصْف، فقال لي الحاجّ: هذه الأُرخةُ كان يَصلُحُ أن تكونَ [عندَنا بسَبْتةَ لنشربَ] لبنَها، فلمّا أردنا الانصرافَ قال: لتأخُذوا هذه الأُرْخة واحمِلوها [معَكم] لتشربوا لبنَها هنالك كما قلتُم.

وحدّثني القاضي أبو محمدٍ حَسَنُ بن عليّ ابن القَطّان عن التأريخيِّ العَدْل أبي يعقوبَ ابن الزَّيّات، قال: حدثنا أبو عبد الله ابنُ خالص الأنصاريُّ قال: سمِعتُ الشّيخ أبا الـحُسَين يحيى بنَ محمد الأنصاريَّ المعروفَ بابن الصائغ يقول: زرت أبا يعزَى، فلما كان وقتُ غروبِ الشمس خَرَجْتُ معَ جماعةٍ لإسباغ

---

(١) الأرخة: البقرة.

الوضوء، فلمّا بَعُدْنا من الطريق حال الأسَدُ بينَنا وبينَ القرية، فقيل لأبي يعزَى: إنّ الأسَد حالَ بينَ ضِيفانِك والقرية، فأخَذَ أبو يعزَى عَصَاهُ في يدِه وجاء إلى الأسد يَضرِبُه بها إلى أن فَرّ، فجئنا، فأخَذَ يأكُلُ عيونَ الدُّفْلَى، فقال بلسانِه وكان لا يُحسنُ العربيّة لـمَن ترجَمَ لي عنه: قُلْ لأبي الـحُسَين: ما تقولونَ معشَرَ الفقهاءِ فيمن يأكُلُ هذه؟ ـ يعني عيونَ الدُّفْلى ـ فقلتُ له: قُلْ له عنِّي: إنّ الفقهاءَ يقولون: مَن أكَلَ هذا فإنه يَطرُدُ الأسَد، فأخبَرَه التَّرْجُمانُ بقولي فرأيتُه يتبسَّم.

قال أبو يعقوبَ ابنُ الزّيّات[1]: وحدَّثني محمدُ بن إبراهيمَ بن محمد الأنصاريُّ، قال: سمِعتُ أبا مَدْيَنَ يقول: سمِعتُ الناسَ يتحدّثونَ بكراماتِ أبي يعزَى، فذهبتُ إليه في جماعةٍ توجَّهَت لزيارتِه، فلمّا وصَلْنا جَبَلَ إيروقان ودخَلْنا على أبي يعزَى أقبَلَ على القوم دوني، فلمّا أُحضِرَ الطعام منَعوني الأكل، فقعدتُ في رُكن الدار، فكلّما أُحضِر الطعامُ وقمتُ إليه انتهَرَني، فأقمتُ على ذلك ثلاثةَ أيام، حتى أجهَدَني الجوعُ ونالَني الذُّلّ، فلمّا انقضَت ثلاثةُ أيام قام أبو يعزَى من مكانِه فأتَيْتُ إلى ذلك المكان ومرَّغتُ وجهي فيه، فلمّا رفَعتُ رأسي نظرتُ، فلم أرَ شيئًا وصِرتُ أعمى، فبقيتُ أبكي طُولَ ليلتي، فلمّا أصبحتُ استدعاني وقال لي: اقرُبْ [يا أندَلُسيّ]، فدَنوتُ منه، فمَسَحَ بيدِه على عيني فأبصَرتُ، ثم مَسَحَ بيدِه على صدري وقال للحاضِرين: هذا يكونُ له شأنٌ عظيم، أو كلامًا هذا معناه، فأذِنَ لي في الانصراف وقال لي: ستَلقَى في طريقِك أسدًا فلا [يَروعُك، فإنْ غَلَبَ عليك خَوفُه] قُلْ له: بحُرمةِ يللنور إلا ما انصَرفتَ عنّي، [وسيَلقاكَ ثلاثةٌ من] اللّصُوص عند شجرة وستَعِظُهم فيتوبُ اثنانِ منهم [على يدِك ويرجِعُ الثالث] ثم يُقتَلُ ويُصلَبُ على تلك الشجرة، فوادَعْتُه وانصَرفْتُ، [فاعتَرَضَني أسدٌ] في الطريق فأقسَمتُ عليه بأبي يعزَى، فتنحَّى عن الطريق، [وجُزتُ وما] زال يتبَعُني إلى أن خرَجتُ من الشّعراء، فرجَعَ عنّي، ثم أتَيْتُ على ثلاثةٍ [من اللّصُوصِ] وهم قعودٌ إلى أصل شجرة، فقاموا إليّ

---

(١) الحكاية في التشوف: ٣١٨-٣١٩.

فوعَظْتُهم فأثَّرَتِ الموعظةُ [في قلوبِ] اثنينِ فانصَرفا، وذهَبَ الثالثُ إلى أصل الشجرة فقَعَدَ عندَه، فسَمعَ به الوالي، فبَعَثَ إليه مَن ضَرَبَ عُنقَه وصَلَبَه على تلك الشجرة، ولم أزَلْ سائرًا إلى أن وصَلتُ إلى بِجَاية.

قال ابنُ الزَّيّات[1]: وحدّثني أبو عليّ حَسَنُ بن محمد الغافقيُّ الصَّوّافُ، وكان قد صَحِبَ أبا مَدْيَن نحوًا من ثلاثينَ سنةً وما فارَقَه حتى مات، قال: سمِعتُ أبا مَدْيَن يقول: زُرتُ الشّيخ أبا يعزَى أوّل مرّة زُرتُه، فمشَيْتُ إليه معَ رجُلَيْنِ فاشتَهى كلُّ واحد منّا طعامًا يأكُلُه عندَه، فلمّا دخَلْنا عليه قَدَّمَ لكلِّ واحدٍ منّا ما اشتهاهُ قبلَ الوصُول إليه، فأقمتُ عندَه أيامًا، فرأيتُه في تلك الأيام يُقدِّمُ الرجُلَ للصّلاة، فإن كان قارئًا مُجيدًا أقَرَّه، وإن كان لَـحّانًا أخرَجَه، وكان أبو يعزَى أُميًّا ولكنه رُزِق إدراكَ عِلم هذا.

قال أبو مَدْيَن[2]: وقالت لي جماعةٌ من الفقهاءِ الـمُجاوِرينَ لأبي يعزَى: ثبتَتْ عندَنا ولايةُ أبي يعزَى، ولكنْ نشاهدُه يلمَسُ صُدورَ النّساءِ وبطونَهنّ ويَتفُلُ عليهنّ فيَبْرَأْنَ، ونَرى أنّ لـمْسَهنّ حرام! فإنْ تكلَّمنا في هذا هَلَكْنا، وإن سكتْنا حِرْنا، فقلت لهم: أرأيتُم لو أنّ ابنةَ أحدِكم أو أُختَه أصابها داءٌ لا يطّلعُ عليه إلا الزّوجُ ولم يُوجَدْ من يُعانيهِ إلا طبيبٌ يهوديٌّ أو نَصْرانيٌّ، ألستُم تُجيزونَ ذلك معَ أن دواءَ اليهوديِّ أو النّصرانيِّ مظنون وأنتم من مُعاناة أبي يعزَى على يقين من الشفاءِ ومن مُعاناة غيرِه على شكّ؟ فبَلَغَ كلامي أبا يعزَى، فكان يقول: إذا رأيتُم شُعَيْبًا فقولوا له: عسى أن يعتنقَني، كأنه استَحسَنَ جوابَه عنه.

قال أبو علي[3]: وكان أبو مَدْيَن يقول: رأيتُ أخبارَ الصّالحين من زمن أُوَيْس القَرَنيّ إلى زمانِنا، فما رأيتُ أعجَبَ من أخبار أبي يعزَى، وينبغي أن تُكتبَ بماءِ الذهب.

---

(١) الحكاية في التشوف: ٣٢٠-٣٢١.

(٢) المصدر نفسه: ٣٢١.

(٣) المصدر نفسه: ٣٢١.

وكراماتُ هذا الشّيخ أبي يعزَى رحمه اللهُ كثيرةٌ، ولولا الخروجُ عن المقصود لأورَدْنا [جُملةً أخرى] منها تبرُّكًا واستنزالًا للرحمة بذِكْرِه، فعندَ ذكْرِ [الصّالحين تتنزّلُ، نفعَنا اللهُ] بهم وأفاضَ علينا بركاتِهم. وقد جَرى له ذكْرٌ في رَسْم [أبي الحَسَن] ابن حَرزهُم، وقد عُني بجَمْع أخبارِه وفضائلِه الشّيخُ الفاضل [أبو العبّاس العَزَفيّ] وأبو يعقوبَ ابنُ الزَّيّات رحمهما الله، فأفرَدَ لها أبو العبّاس مصنَّفًا [سمّاه] «دِعامةَ اليقين في زعامةِ المتّقين»[1]، وذَكَرَ أبو يعقوبَ رَسْمَه [في كتابِه المعروف] بـ«التشوُّف إلى معرفة رجالِ التصوُّف»، فمن أرادَ استيفاءَ أكثرِ أخبارِه [فلْينظُرْها] هنالك إن شاء اللهُ، وقدِ اختلَفا في نَسَبِه كما تقَدَّم.

٢٠٣ـ يحيى[2] بنُ محمد بن [يوسُفَ] الأزديّ، فاسيٌّ، أبو بكر.

دَخَلَ الأندَلُس فلقيَ بالـمَرِيّة أبا عبد الله بن موسى بن وَضّاح وأخَذ عنه «تنبيهَ الغافلين» في الوَعْظ لأبي اللّيث السَّمَرْقَنْديّ، وأبا القاسم عبدَ الغفُور بنَ أبي محمد النَّفْزيَّ، فروى عنه مصنَّفَه المشاهد في الرقائق. لقِيَه أبو عُمر بنُ عيّاد بِانتنيان[3] سنةَ أربع وأربعينَ وخمس مئة فأجازَهما له وهو ابنُ خمسينَ سنةً أو نحوِها.

كان ذا عنايةٍ بالطريقة الوَعْظيّة، عاكفًا عليها مُكثِرًا من روايةِ المصنَّفاتِ فيها.

٢٠٤ـ يحيى بن محمد الصُّنْهاجيُّ، أبو زكريّا.

رَوى عن أبي محمد بن محمد بن جعفر[4].

٢٠٥ـ يحيى[5] بنُ موسى بن عيسى بن عِمْرانَ بن دافَال المِكْناسيُّ ثم الوَرْدميشيُّ، مَرّاكُشيٌّ، أبو زكريّا.

---

(١) يوجد مخطوطًا في الخزائن المغربية.

(٢) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٣٤٢٤)، وابن قاضي شهبة في جذوة الاقتباس ٢/ ٥٣٧.

(٣) من أعمال شاطبة، على ما ذكر ابن الأبار.

(٤) كتبت في المخطوط «بن أبي الفرج» ثم صُوّبت في الطرة إلى جعفر.

(٥) تقدم ذكر أبيه وجده في هذا السفر (٤٤) (١٧٦).

[كان] فقيهًا زاهدًا فاضلًا من بيت نَباهة وعِلم وجَلالة.

٢٠٦ـ يحيى[١] بنُ موسى بن يَزْأن، بياء مَسْفُول مَفْتوح وراءٍ ساكن وهمزة مفتوحة ونُون، الصَّنهاجيُّ الكَبْكَاليُّ، بفَتْح الكاف وسكون الباءِ وكافٍ وألفٍ ولام منسوبًا، أبو زكريّا، ابنُ تاينْدُوْج، بتاء مَعْلوّ وألف وياءٍ مَسْفول ونون ساكن ودال وواوِ مَدّ وجيم.

رَوى عن أبي بحرٍ سُفيانَ ابن العاص، وأبي محمدٍ ابن عَتّاب، وأبي الوليد ابن رُشْد.

٢٠٧ـ يحيى بنُ أبي عُمرَ مَيْمون بن ياسين اللَّمْتُونيُّ مَرّاكُشيٌّ، أبو زكريّا.

رَوى بإشبيلِيَةَ عن أبيه[٢] وسَكَنَها معَه.

٢٠٨ـ يَدَّرُ[٣] بن إبراهيمَ بن يوسُف بن محمد بن عبد الله.

كذا نقَلتُ هذا النسَبَ من خطِّ أبي الأصبَغ الطّحّان، ووقَفْتُ عليه في خطِّ أبي بكرٍ ابن القانه الأزرق: يَدَّرُ بنُ إبراهيمَ بن محمد بن يوسُف، ولم يزِدْ، فاسيٌّ، أبو محمد.

شَرَّقَ وحَجَّ، وأخَذَ ببِجَايَةَ عن أبي الأصبَغ عبد العزيز بن عليّ الطَّحان، وأُراه صَحِبَه في وِجهتِه المَشْرقيّة، وأبي محمدٍ عبد الحقّ ابن الخَرّاط، [وأبي محمد عبد الله] بن عبد الرّحمن الدِّيباجيِّ ابن أبي اليابِس. [وقَفَلَ من راحلتِه]، فدَخَلَ الأندَلُسَ وأخَذَ عنه بإشبيلِيَةَ وغيرِها [أبوا بكرٍ]: ابنُ مُلكون وابنُ مَروانَ ابن القانه، وأراه الأزرق، وأبو الحَسَن [بن عبد الله النَّحْويُّ]، وأبو عبد الله بنُ أبي نَصْر المُكْتِب، وأبو العبّاس بن سيِّد الناس، [وأبو بكرٍ أخو] المذكور.

---

(١) لم نقف له على ترجمة في غير هذا الكتاب.

(٢) تقدمت ترجمت في هذا السفر (١٨٨).

(٣) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٣٥٣٤)، وابن الزبير في صلة الصلة ٥/ الترجمة (٦١٨)، وابن قاضي شهبة في جذوة الاقتباس ٢/ ٥٦٣.

وكان محدِّثًا ضابطًا عَدْلًا خيِّرًا. وتوفِّي بقُرطُبَةَ قبلَ ست مئة[1].

٢٠٩ـ [يَديرُ بن تونارت] الـهَسْكوريُّ، أبو محمد.

رَوى عن أبي عَمْرٍو رضا بن المنذر. وكان متقدِّمًا [في الفقه تا]مًّا فيه، درَّسه دَهْرًا.

٢١٠ـ يَدِيْر[2] ـ بفتح الياءِ الـمَسْفول ودالٍ وياءِ مَدّ وراء ـ ويقال: يِيْدِيْر ـ بياءِ مَسْفول وياءِ مَدّ والباقي كالباقي ـ ابن حِبَاسةَ بن ماكْسِن بن حَبُّوس بن زيريّ بن مُنادٍ الصُّنْهاجيُّ، غَرْناطيٌّ، أبو الـمُعَلَّى.

رَوى عن أبي الفُتوح ثابت بن محمد الـجُرجانيّ.

وكان رئيسًا محبًّا في العلم وأهلِه، ذا حَظٍّ صَالح من الأدب واستمالةِ مُنتَحِليه، وبسببِ يَديرَ هذا امتُحِن أبو الفُتوح الـجُرجانيُّ الوافدُ على الأندَلُس امتحانَه الذي أدى إلى قتلِه على الوَجْهِ الشَّنيع.

وملخَّصُه[3]: أنّ أبا الفُتُوح قَصَدَ أوَل دخولِه الأندَلُس مُنذرَ بن يحيى صاحبَ سَرَقُسْطةَ، فأصاب عندَه ما شاء من كرامةٍ وأوسَعَ نُزُلَه وكرَّم مكانَه وأصحَبَه وَلَدَه يحيى بنَ مُنذر المرشَّح لأمرِه ومكانِه ليأخُذَ عنه وينتفعَ به، فلم يزَلْ لديه مَكينَ المنزِل إلى أن تغيَّر عليه يحيى في سُلطانِه، بعدَ مُضيِّ والدِه منذر،

---

(١) قال ابن الزبير في الصلة: «ووقفت على إجازته لأبي عمر بن حوط الله بتاريخ شعبان سنة ثلاث وتسعين وخمس مئة، وله برنامج أحال عليه في مكتوبه وكان يعرف بالحاج يدر، وكذا يكتب رحمه الله».

(٢) أخباره في مذكرات الأمير عبد الله: التبيان ٢٧-٣٤.

(٣) أخبار ثابت بن محمد الجرجاني وترجمته وما جرى له في جذوة المقتبس (٣٤٥)، والذخيرة لابن بسام ٤/ ٩٠، وصلة ابن بشكوال (٢٨٩)، وبغية الملتمس (٦٠٢)، ومعجم الأدباء ٢/ ٧٧٣، وإنباه الرواة ١/ ٢٦٣، وتاريخ الإسلام ٩/ ٥٠٢، والوافي بالوفيات ١٠/ ٤٦٨، والإحاطة ١/ ٤٥٤ وغيرها. والمؤلف يعتمد هنا على ما ذكره المؤرخ ابن حيان، وكذلك فَصّل ابن الخطيب في الإحاطة فنقل عنه، ولذلك استعنا به في إصلاح ما هو ممحو في النسخة الخطية.

بسِعايةٍ لِحِقَتْه عندَه فارقَه لها مختارًا وخَرَجَ عنه وجَالَ في الأندَلُس ولقِيَ ملوكَها فكلٌّ منهم أولاهُ بِرًّا وإحسانًا إلى أن لحِقَ بغَرْناطةَ وقصَدَ إلى أبي الـمُعَلَّى هذا فأحسَنَ الإقبالَ عليه وبالَغَ في الاحتفاءِ به والإحسان إليه وأقام في كنَفِه مُدّةً إلى أن اتّهم باديسُ بنُ حَبُّوس بن ماكْسِن ابنَ عمِّه أبا الـمُعَلَّى هذا القيامَ عليه وخَلْعَه إياه عن سُلطانِه، ولم يزَلْ هذا يتقرَّرُ عندَ باديسَ، ودَسَّ إليه أنّ لأبي الفُتوح في ذلك مشاركةً وإعانة، فغَمَسَ أبا الفُتوح في تُهمةِ ابن عمِّه وأخافه أشدَّ من إخافتِه، فلم يسَعْهُما إلّا الفِرارُ من غَرْناطة، فلحِقَ بإشبيلِيَةَ، وكان ممّن فَـرَّ معَهما أبو ريش أحدُ أبناء عمٍّ باديسَ، فاستقرّوا جميعًا عندَ القاضي أبي القاسم محمد بن عَبّاد بإشبيلِيَةَ، ثم إنّ أبا ريش نَدِمَ على فِرارِه فطَرَحَ نفسَه على باديسَ فصَفَحَ عنه ولم يُعاقِبْه.

وكان أبو الفُتوح قد ترَكَ بغَرناطةَ زوجًا له أندَلُسيّةً جميلةً جدًّا، [وكان لها من نفْسِه موقعٌ] عظيم، وكان له منها ولدانِ ذكرٌ وأُنثى، فاشتَدَّ شَوْقُه [إليهم حين اضْطُرَّ إلى الابتعادِ] عنهم، وبَلَغَه أنّ باديسَ قد قَبَضَ عليهم وسَجَنَهم بالـمُنكَّب [عند قَدّاح عبدِه] وصاحبِ عذابِه، فعمِلَ على العَوْدِ إلى باديسَ من غير توثُّقٍ [بأمان] أو مُراسلة طمعًا في صفحِه عنه صَفْحَهُ عن ابن عمِّه أبي ريش، فخاب ظنُّه، ففَصَلَ عن [صاحبِه] قاصدًا غَرْناطةَ فصادف باديسَ في عسكرِه وهو مُقبِلٌ من الوقعة [التي كانت بينَه] وبينَ إسماعيلَ بن محمد بن عَبّاد وقَتْلِه إياه في محرّم إحدى وثلاثينَ [وأربع مئة، وأُدخِلَ] على باديس، فقال له ابتداءً: بأيِّ وَجْهٍ جِئتَني يا نَـمّام؟ ما أجرَأكَ على خالقك [وأشدَّ] اغترارَك بسِحرِك، فرَّقتَ بينَ بني ماكْسِن ثم جئتَ تخدَعُني كأنك لم تصنَعْ [شيئًا]؟ فلاطَفَه وقال له: اتّقِ اللهَ فيّ يا سيّدي وارحَمْ غُربتي وسُوءَ مقامي ولا تُلزِمْني ذنْبَ ابن عمِّك فما لي سببٌ فيه ولا حَمَلَني على الفِرار معَه إلّا الخوف، وها أنا قد لفظَتْني البلادُ عليكَ مُقِرًّا بما لم أجْنِه رغبةً في صَفْحِك عنّي، فافعَلْ فعْلَ الملوك الذين يَجِلُّونَ عن الحِقد على مثلي من الصّعاليك.

فقال: أفعلُ ما تستحقُّه إن شاء الله! انطلِقْ إلى غَرْناطة فضُمَّ حالَك والْقَ أهلَك وأصلِحْ من شأنِهم، فاطمأنّ إلى قولِه وخرَجَ نحوَ غَرْناطةَ وقد سَبَقَ الكتابُ إلى قَدّاح بحبسِه، وأُرسِلَ معَه فارسانِ وُكّلا بهِ من حيثُ لا يَشعُر استظهارًا عليه في مرورِه؛ لئلا يبدوَ له فيُنكّبَ عن وجهتِه، فتعرَّضا له وقد خَرَجَ عن العسكر وقالا له: إنا نَصحَبُك في طريقِك، فأنِسَ بهما ولم يعلَمْ بشأنِهما، فسارا معه، فلمّا قَرُبوا من غَرْناطة إذا قومٌ ينتظرونَ أبا الفُتوح بجانبِ الطريق من زَبانِيَة قَدّاح فعَدَلوا به وقَبَضوا عليه فحَلَقوا رأسَه وأركَبُوه على بعيرٍ وخلفَه أسودُ ضَخْم يُوالي صَفْعَه، فأُدخِلَ غَرْناطةَ مُشهَّرًا بهذه الصّفة وعلى هذه الحال وقد برَزَ الـخَلْقُ معَ قَدّاح للنظر إليه، وكان برهونٌ العُدْويُّ أمينُ البلد ممّن تَوَلَّى شأنَه، فاستغاث به من قوة الصَّفْع في مقامِه ذلك فكَلَّم له قَدّاحًا في التخفيفِ عنه، فأشار إلى الأسود بذلك، ولولا ذلك لأُتِيَ عليه مِن شدّةِ قوّةِ الصَّفع، ثُم أُلقيَ في حَبْسٍ ضيّق بعدَ شَهْرِه ومعَه رجلٌ من أصحابِ يَديرَ أُسِرَ في الوقعة بين باديسَ وإسماعيلَ بن عَبّاد، فأقام في الحبسِ إلى أن قَدِمَ باديسُ من إستِجة واستراح أيامًا بغَرْناطةَ وهو يَذكُرُ الـجُرجانيَّ ويَعضُّ [أناملَه، فيُعارِضُه في أمرِه شقيقُه بلقينُ بن حَبُوس ويكذِّبُ الظنَّ به [ويقول: سأكونُ] أولَ من يشفَعُ إليه، والله لا يَصِلُ باديسُ إلى أذاه ما حَيِيت، [فارتبَكَ باديسُ] في أمرِه أيامًا ثم غافَصَ أخاه في قتلِه في وقتٍ أمِنَ فيه [معارضتَه، وأقبَلَ عليه] يسُبُّه ويَلعَنُه ويُبكِّتُه بذنوبِه ويُعلنُ الشّماتَ به ويقولُ له: [لم تُغنِ عنك نجومُك] يا كَذّاب، ألم تكنْ تَعِدُ أميرَك الفاعل - يعني ابنَ عمِّه يَدْير - أنه سوف [يظفَرُ بي ويملِكُ] بلدي ثلاثينَ سنةً، لـمَ لم تُدقِّق النظرَ لنفسِك وتحذَرْ سُوءَ ورطتِك؟ [قد أباح اللهُ] لي دَمَك، فأيقَنَ أبو الفُتوح بالموت وأطْرق ينظُرُ للأرض لا يُكلِّمُه [ولا ينظرُ] إليه، فزاد ذلك في غَيْظِ باديس، فوَثَبَ من مجلسِه والسّيفُ في يدِه، فخَبَطَ [به أبا] الفُتُوح حتى بَرَدَ فحزَّ رأسَه، ثم قُدِّم الصُّنهاجيُّ الذي كان محبوسًا معه إلى السّيف فاشتَدَّ جَزعُه وجعَلَ يعتذرُ من خطيئتِه ويُلحُّ في ضَراعتِه فقال له باديس: أما

تستحيي يا ابنَ الفاعلة؟ يصبِرُ المعلِّمُ الضّعيفُ القلب على الموت مثلَ هذا الصَّبر ويملِكُ نفسَه عن مكالمتي واستعطافي، وأنت تجزَعُ مثلَ هذا الـجَزَع وطالما عدَدتَ نفْسَك في أشدِّ الرجال! لا أقال اللهُ مُقيلَك! اضرِبْ يا غلامُ عنُقَه، فضُرِبَتْ عنُقُه وانفَضَّ المجلس.

قال ابنُ برهون: وأحضَرَني باديسُ فأمَرَني بمُواراةِ الـجُرجانيِّ إلى جانبِ أبي جعفر بن عبّاس كاتبِ زُهير ووزيرِه الذي قتلَه باديسُ إثْرَ وقيعتِه معَ زُهيرٍ الصَّقْلَبيّ.

قال المصنِّفُ عفَا اللهُ عنه: قد تقَدَّم ذكْرُ مقتلِ أحمد بن عبَاسٍ هذا في رَسْمِه[1].

قال ابنُ برهون: ففعلتُ ما أمَرَني به باديسُ، فقبراهما في تلك البُقعة قد أسرّا أدبًا لا كِفاءَ له، وهذه البقعةُ بمقرُبةٍ من قبرِ حَبُوس بن ماكْسِن والدِ باديس.

قال: وكَلَّم الصُّنهاجيُّونَ باديسَ بنَ حَبُوس في جثّةِ صاحبِهم المقتول معَ أبي الفُتوح فأمَرَ بإسلامِها إليهم فخَرجوا بها على نَعْش إلى المقبُرة من فَوْرِهم فأصابوا قبرًا قد احتُفِر لميّت من أهل البلد فاغتَصَبوا فيه صاحبَه وصَبُّوا صاحبَهم فيه، فوارَوْه التّرابَ من غيرِ غُسْل ولا كَفَن، وانطَلَقوا لسبيلِهم، وعجِبَ الناسُ من جُرأةِ هؤلاء الصُّنْهاجيِّين وتَسامُحِهم في الاغتصابِ حتى الموتى في قبورِهم.

قال[2]: وهَبَّ بُلقينُ بن حَبُوس منَ انهماكِه في شُربه، فأُعلِم بقتل أبي الفُتوح الـجُرجانيّ، وقد كان أجاره على أخيه باديسَ فغضِبَ لذلك أشدَّ الغضَبِ واستَوحَشَ من [أخيه، فلمّا عَلِمَ بذلك] رَكِبَ إليه باديسُ واستَلْطفَهُ واسترضاهُ وأسعَفَه [بتسريح زوجةِ أبي الفُتوح] وابنِها وابنتِها منه المعتقلِينَ في الـمُنَكَّب كما مَرَّ ذكْرُه، [والسماح لها] ببعض ما سَلِمَ لها من مال زوجِها، على

---

(١) انظر السفر الأول رقم (٣٥٦).

(٢) من هنا إلى آخر الترجمة غير موجود فيما نقله ابن الخطيب من كلام ابن حيان.

أنّ الفاسقَ قَدّاحًا استخرجَ [معظمَه منها] باشتدادِه عليها، وكانت قد استَتَرت لـمّا فَرَّ زوجُها وألَحَّ في طلبِها وفتَّش الدُّورَ من أجلِها حتى وقَعَتْ بيدِه خادمٌ لها كانت تقومُ... عليها وعذَّبَها في شأنِها فأبَتْ أن تَدُلَّ عليها حتى اغتاظَ يومًا فأهوى إلى إحدى عينَيْها فاقتَلَعَها فلم تُقِرَّ له، فأهوى إلى الأخرى ليقتلعَها فأقَرَّت عند ذلك بمكان مولاتِها، فمضَى واستخرَجَها وطالَبَها بمالِ الـجُرجانيِّ، فأخَذَ أكثرَه وسَلِمَ لها منه ما تستَّرت به مُدَيْدةً بعدَه.

٢١١- يعقوبُ[١] بن محمود[٢]، تلمسينيٌّ أغْماتـيُّ الأصل أبـو يوسُف الأغْماتيُّ.

لقِيَ بمُرْسِيَةَ أبا عليّ الصَّدَفيَّ وأخَذ عنه سنةَ إحدى عشْرةَ وخمس مئة، وعاد إلى تِلِمْسينَ فحدَّث بها، وأخَذ عنه أبو يحيى ابنُ عُصفورٍ وغيرُه.

٢١٢- يَعْلَى بن الفُتُوح الأوربيُّ، أبو محمد.

رَوى بالأندَلُس عن القاضي أبي بكرٍ ابن العَرَبي.

٢١٣- يَعْلَى بن ناصِر اليَجْفَشيُّ، أبو الـحَسَن.

رَوى عن أبي عُمرَ مَيْمونِ بن ياسين اللَّمْتُونيّ.

٢١٤- يَعْلَى[٣] الـمَصْمُوديُّ، أبو محمد.

كان فقيهًا، واستُقْضِيَ ببعضِ بلادِ العُدوة أيامَ يوسُفَ بنِ تاشَفين، ودخَلَ الأندَلُسَ معَه غازيًا صُحبةَ قاضي الجماعة حينَئذٍ أبي مروانَ الـمَصْمُوديِّ[٤]،

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٣٥١٨) وفي معجم أصحاب الصدفي (٣١٤).

(٢) هكذا في الأصل، وفي المعجم: حَـمّاد، وفي التكملة: حَـمُّود.

(٣) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٣٥٣٣).

(٤) هو أبو مروان عبد الملك المصمودي، ترجمه ابن الأبار في التكملة (٢٤٤٥)، وذكره الحميري في الروض المعطار عند كلامه على وقعة الزلاقة ٢٩٢، وابن عذاري في البيان المغرب ٤/ ١٤٠، والمقري في نفح الطيب ٤/ ٣٦٩.

فأكرَمَهما اللهُ بالشهادةِ في وَقيعةِ الزَّلّاقة على النَّصارى، وكانت يومَ الـجُمُعة لخمسٍ خَلَوْنَ من رجبٍ تسع وسبعينَ وأربع مئة.

٢١٥ـ يكسفانُ بن عليّ اللَّمْتُونيُّ، أبو محمد.

رَوى بإشبيلِيَةَ عن القاضي أبي بكرٍ ابن العَرَبيّ.

٢١٦ـ يكسفانُ بن عيسى اللَّمْتُونيُّ الغزّاليُّ، أبو محمد.

رَوى بإشبيلِيَةَ عن القاضي أبي بكرٍ ابن العَرَبيّ.

٢١٧ـ يكسفانُ بن محمدٍ اللَّمْتُونيُّ.

رَوى بإشبيلِيَةَ عن القاضي أبي بكرٍ ابن العَرَبيّ.

٢١٨ـ يوسُفُ[1] **بن أحمَدَ بن عَيّاد التَّمِيميُّ، ملْيانيٌّ، سَكَنَ بأخَرةٍ دانِيَةَ، أبو الـحَكَم.**

شرَّقَ وتجوَّل هنالك وأخَذ سنةَ تسعينَ وخمس مئة بمَلَطْيَةَ: من الشام عن شهابِ الدِّين أبي الفُتوح ناصِر ابن رَشِيد الدِّين السُّهْرَوَرْديِّ «التنقيحات» في أصُولِ الفقه، ومن قِبَلِه استفاد أهلُ الأندلُس [هذا الكتاب].

رَوى عنه أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن عيسى [ابن الـمُناصِف، وأبو] عبد الرّحمن ابن غالِب، وأبو عليّ بن عَمّار، وأبو القاسم البَلَويُّ. [وكان] مشاركًا في أصُول الفقه، رَيّانَ من الأدبِ وهُو الغالبَ عليه، [كاتبًا مُجيدًا ذا] حَظّ من قَرْض الشّعر ونظرٍ في الفلسفة.

كتَبَ وقتًا عن أبي [عِمرانَ بن أبي] موسى بن عبد المؤمن، وقَدِمَ صُحبتَه من إشبيلِيَةَ على مَرّاكُش [مُستدعًى إليها]، ثُم فَصَلَ إلى دانِيَة، وكان شيعيًّا غاليًا، وتجوَّل في العُدوتَيْنِ، وصَحِبَ الصُّوفيّة طويلًا.

وتوفِّي بدانِيَةَ سنةَ إحدى وعشرينَ وست مئة.

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٣٥٠٣)، والذهبي في المستملح (٩٠٤) وتاريخ الإسلام ١٣/ ٦٨٤.

ومن شعرِه يخاطبُ الوزيرَ أبا الـحَسَن عليَّ بن أبي العلاء بن جامع[1] في شأنِ وكيلِه، وكان يُدعَى عَمْرون، وقد مَطَلَه بشيءٍ أمَرَ لهُ به [من المتقارب]:

نَوالُـكَ يـا سـيِّدي مُحسِبُ[2] ... ورَبْعُـك للمعتفـي مُخـصِبُ

ولفظُـكَ مـستعذَبٌ طيِّـبٌ ... ونثـرُك مـن عَذْبِـه أطيـبُ

وعُـذرُ وكيلِـكَ في مَطْلِـهِ ... يَلُـوحُ ولكنّـه يُتعِـبُ

وقـد صِرْتُ زيـدونَ عَمْرٍو بكـمْ ... وعمـرونُ صـار الـذي يُـضرَبُ

وعكـسَ القـضيّة في عـصرِنا ... يقـول النُّحـاةُ إذا أعرَبـوا[3]

ومنه في نَبْذِ مَلولٍ من الرؤساء [من البسيط]:

أقمتُ أخدُمُكم حتّى رأيتُ لكـمْ ... من الـمَلال ضُروبًا لـيس تـنفهمُ

وما الـمَلالُ بعَيْبٍ في الملـوكِ عـلى ... أنّ الـمَلالَ يُنـافي أصـلَهُ الكـرَمُ

لقد طمِعـتُ بتخـصيصٍ يُغبِّطُني ... ولم أخَـلْ أنـهُ بالـسّين يُرتـسمُ

إذا مَلِلـتُمْ ولم تَـسْخوا بنـائلِكمْ ... فدارُ مَن قـد دَراني قبلَـكمْ حـرَمُ

٢١٩ـ يوسُفُ[4] بن أبي الوفاءِ إبراهيمَ بن يحيى الـخَزْرَجيُّ، مِصريٌّ سَكَنَ إشبيلِيَةَ، أبو الـحَجّاج، ابنُ الصَّوّاف.

رَوى عن أبيه، وتوفِّي بمَرّاكُشَ في نحوِ ستَّ عشْرةَ وست مئة.

٢٢٠ـ يوسُفُ بن تاشَفين بن إسحاقَ بن محمد بن عليّ الصُّنْهاجيُّ اللَّمْتُونيُّ، مَرّاكُشيٌّ، أبو يعقوبَ.

---

(١) من أسرة بني جامع الذين توارثوا الوزارة في صدر دولة الموحدين. انظر في أخبارهم الحلة السيراء ٢/ ٢٣٩-٢٤٠، ٢٩٣ (تحقيق د. حسين مؤنس).

(٢) محسب: كثيرٌ وكاف.

(٣) يشير إلى مثال النحويين: ضرب زيد عمرًا.

(٤) تقدمت ترجمة عمه والإشارة إلى ترجمة والده في الرقم (١٤٧).

كان من الرؤساءِ المتعلِّقينَ بطَرَفٍ صالح من العلم الراغبينَ في طلبِه ولقاءِ حَمَلتِه والأخْذِ عنهم، ودَخَلَ الأندَلُسَ.

٢٢١ـ يوسُفُ[١] بن عبد الصَّمد بن يوسُفَ بن عليّ بن عبد الرّحمن بن محمد بن نَمَويّ، فاسيٌّ، أبو الحَجّاج، ابنُ نَمَويّ.

دَرسَ عِلمَ الكلام وأصُولَ الفقه على [أبي عبد الله بن عبد الكريم الفَنْدَلاويِّ وصَحِبَه] إلى أن توفِّي، وأبي عَمْرٍو عثمانَ بن عبد الله السّلالقيِّ [رَوى عنه «البُرهانيّةَ»]؛ وأبي العبّاس القورائيِّ الحافظِ، وفي شيوخِه كثرةٌ من غير [أهل بلدِه، إذْ] كان لا يَرِدُ على فاسَ عالمٌ إلا لقِيَه وأخَذَ عنه، فكثُرَ لذلك [شيوخُه، كان بعضُ] المصنِّفينَ يَدْعونَه بالظاعِنِ المقيم.

رَوى عنه أبو إسحاقَ ابنُ...، وأبو الحَجّاج المُكَلّاتيُّ، وأبو الحَسَن الشارِّيّ، وأبوا عبد الله: ابنُ أحمدَ ابن الحَجّام وابن يحيى ابن هشام، وآباءُ العبّاس: ابنُ محمد ابن تامَتِيت وابنُ عليّ بن هارون وابنُ فُرتون، وأبو القاسم ابنُ رَحْمون، وآباءُ محمد: ابن أبي بكرٍ السَّطّاحُ[٢] وابن عبد الرّحمن العراقيُّ، وعبدُ الحقِّ بن حَكَم.

وكان صَدوقَ اللّسان، حسَنَ الاعتقاد، طيِّبَ النفْس واسعَ المعرفة متفنِّنًا في علوم، مبرِّزًا في الفقه وأصُولِه إمامًا فيهما متقدِّمًا في عِلم الكلام، والاطّلاع على السِّيَر والأخبارِ والتواريخ والأشعار، رَيّانَ من الأدب[٣]، سريعَ الحفظِ ثابتَهُ وَقّاد القريحة، ثاقبَ الذّهن، قَطَعَ عمُرَه كلَّه صَرُورةً لم يتزوَّجْ قَطّ.

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٣٥٠٢)، وابن سعيد في الغصون اليانعة ٤٩، وابن الزبير في صلة الصلة ٥/ الترجمة (٥٩٨)، والذهبي في المستملح (٩٠٣) وتاريخ الإسلام ١٣/ ٤٢٦، وابن القاضي في جذوة الاقتباس (٥٥٠)، والمراكشي في الإعلام ١٠/ ٣٩٣، وغيرهم.

(٢) في عنوان الدراية ١٥٦: أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر ابن السطاح وترجمته في التكملة رقم (٢٣٧٣)، ويبدو من عمود نسبه أنه ابن أخي المذكور هنا.

(٣) انظر نموذجًا من شعره في الغصون اليانعة: ٤٩.

درَّس الكلامَ وأصُولَ الفقه مدّةً ببلدِه، وأخرى [بإشبيلِيَةَ]، ثُم عاد إلى بلدِه سنة ثلاثَ عشْرةَ وست مئة، وقعَدَ لإسماع الحديث والسِّير بالجانبِ الشَّرقيِّ من جامع القَرَوِيِّين، وكانت الدِّرايةُ أغلَبَ عليه من الرّواية، وكان أبو عبد الله ابنُ الكتّانيِّ[1] يقول: ما انتفَعْتُ بمُذاكرةِ أحدٍ [مثلَ] ما انتفَعْتُ بمُذاكرةِ أبي الـحَجّاج ابن نَمَويّ.

وُلد سنةَ أربع أو خمسٍ وخمسينَ وخمس مئة، وتوفِّي لليلتَيْنِ خَلَتا من رجبِ أربعَ عشْرةَ وست مئة[2].

٢٢٢ـ يوسُفُ بن علا الناس[3]، أبو الـحَجّاج [الزَّناتيُّ][4].

رَوى قراءةً وسَماعًا عن أبي الـحَجّاج بن محمد ابن الشّيخ، وأبي القاسم أحمدَ بن يوسُفَ الجقالة وأجاز له، وسَمِعَ على أبي محمد بن محمد الـحَجريّ، وناوَلَه وأجاز له. وعلى أبي عبد الله بن إبراهيمَ ابن الفَخّار، وأبي موسى عيسى بن عبد العزيز الـجُزُوليّ قرأَ عليه، ولم يَذكُرْ أنهما أجازا له.

رَوَى عنه أبو العبّاس بن محمد بن عبد الله بن العَوّام. وكان محدِّثًا زاهدًا وَرِعًا فاضلًا، حيًّا بمَرّاكُش سنةَ تسع وست مئة.

٢٢٣ـ يوسُفُ بن عليّ بن جعفر، تِلِمْسينيٌّ.

رَوى بإشبيلِيَةَ عن القاضي أبي بكرٍ ابن العَرَبيّ.

---

(١) تقدمت ترجمته رقم ١٢٦.

(٢) هكذا التاريخ في صلة الصلة أيضًا: «وتوفي في الثاني من شهر رجب عام أربعة عشر وست مئة» وفي الذخيرة السنية أنه توفي في الثاني من رجب من سنة خمس عشرة وست مئة.

(٣) ترسم أيضًا علناس، وهكذا هي في التشوف، وهي صيغة مغربية للاسم العربي الفصيح: علاء الناس.

(٤) ولم يذكر المؤلف نسبته، والتكملة من التشوف ١٢١، ٣٩٢.

٢٢٤ـ يوسُفُ بن عليّ بن عَشَرة[١]، سَلَويٌّ، أبو الـحَجّاج.

رَوى ببَلَنْسِيَةَ عن أبي عبد الله ابن الـمَوّاق[٢]. وكان ذا حَظّ من روايةِ الحديث والفقه.

٢٢٥ـ [يوسُفُ بن عليّ؟] الصُّنهاجيُّ اللَّمْتُونيُّ، أبو يعقوبَ، ابنُ بزْوِيْنا، [بالباء] وسكونِ الزاي وواوٍ وياءِ مَدّ ونونٍ وألف.

رَوى بإشبيلِيَةَ [عن أبي بكرِ ابن] العَرَبيّ، وشرَّق وحَجّ.

٢٢٦ـ يوسُفُ[٣] بن عيسى بن عليّ بن يوسُف [بن عيسى بن قاسم] الـمَلْجوم ابن عيسى بن محمد بن فنتروسَ بن مُصعَب بن عُمَيْر بن [مُصعَب الداخِل إلى] الأندَلُس[٤]، أزْديٌّ، أبو الـحَجّاج، ابنُ الملجوم.

تفَقَّه بأبيه ورَوى عنه [وعن أبي محمد] عبد العزيز بن عامِر بن قاسم بن عبّاس بن عامرٍ الأسَديِّ الفاسيّ. ورَحَلَ [إلى سِجِلْماسَةَ] فأخَذَ بها عن أبي القاسم بَكّار بن بَرْهون بن عيسى الغَرْديس[٥] الناشئ بها، وأجاز له عامَ ستةٍ وثمانينَ وأربع مئة. وأجاز له من قَلْعةِ حَمّاد أبو القاسم عبدُ الـجَليل بن أبي بكرٍ الرَّبَعيُّ القَيْروانيُّ في ذي القَعْدة سنةَ ثمانٍ وسبعينَ وأربع مئة.

---

(١) من بني عشرة السلويين (انظر دراسة الدكتور بن شريفة في الموضوع).

(٢) كان فقيهًا حافظًا أديبًا ماهرًا استقضي بروطة وتوفي في سنة ثلاث وخمس مئة. وتقدمت ترجمته في السفر السادس (٧٦٥).

(٣) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٣٤٩٩)، والذهبي في المستملح (٩٠١) وتاريخ الإسلام ١٠/ ٧٣٢، وابن القاضي في جذوة الاقتباس ٢/ ٥٤٩، والمراكشي في الإعلام ١٠/ ٤١٨.

(٤) مصعب جد هذه الأسرة هو القادم من أزد السراة بالحجاز في جيش موسى بن نصير وكانت له مآثر في الجهاد، وولده عمير هو الوافد على المولى إدريس الأزهر ووزيره وكان من فرسان العرب وسادتها (انظر بيوتات فاس: ٥-١٠، والاستقصا ١/ ١٦٣ وغيرهما).

(٥) هو جد بني الغرديس الفاسيين (انظر بيوتات فاس: ٦٩).

رَوى عنه ابنُه أبو موسى عيسى[1]. وكان محدِّثًا راويةً عَدْلًا ضابطًا فقيهًا حافظًا رأسًا في الفُتْيا، متقدِّمًا في الأدب، من بيتِ علم وجَلالة ورياسةٍ وأصالة.

ولـمّا خرَجَ من الصّحراء إلى المغرِب أبو بكر بنُ عُمرَ اللَّمْتُونيُّ ووَصَلَ إلى السُّوس ومعَه يوسُفُ بن تاشَفين قائدُ أعِنّتِه، وذلك سنةَ إحدى وستينَ وأربع مئة سافَرَ من فاسَ أبو الـحَجّاج هذا إليهم حتى لِحَقَهم بالسُّوس وأهدى إلى يوسُفَ بن تاشَفين عَيْبَةَ ثياب وسَرْجًا صبريًّا، فأراد مكافأتَه على ذلك فأبَى عليه وقال له: ما أنا بتاجر ولكنّ زَناتةَ أهلُ جَوْر عندَنا وأنتم تملِكونَ بلادَنا فأردتُ معرفتَك، ثم انصَرفَ إلى فاس، ووَرَدَ أبو بكر بن عُمَر بن إبراهيمَ اللَّمْتُونيُّ فاسَ في صَفَرِ اثنَيْنِ وخمسينَ وأربع مئة وأخرج منها زَناتةَ ثم انصَرفَ عنها وترَكَ فيها جُندَه فتغلَّبَ عليهم زَناتةُ ودخَلوا فاسَ أقبحَ دخول وتداوَلوها إلى أن ورَدَها يوسُفُ بن تاشَفينَ بن إبراهيمَ اللَّمْتُونيُّ في ذي الحجة عامَ اثنينِ وستينَ وأربع مئة فألفَى بها قاضيًا أبا الـحَجّاج هذا على القَرَويِّينَ منها فنقَلَه إلى قضاءِ مِكناسةِ الزّيتون ثم بعدَ بُرهة من الزمان قدَّمه لقضاءِ الجماعة بمَرّاكُش - أرى ذلك في عام أربعةٍ وسبعينَ وأربع مئة - وأجاز معَه إلى جزيرةِ الأندَلُس، وحضَرَ معَه الزَّلّاقةَ عامَ تسعةٍ وسبعينَ وأربع مئة، وكان عندَه حظِيًّا مقبولَ الإشارة معتمَدَ الرأي مسموعَ القول.

وكان معَه أبو عبد الله محمدُ بن سَعْدون بن عليّ القَيْروانيُّ[2] يَعزِلُ برأيِهما جميعًا منَ أشارا عليه بعَزْلِه [من القضاة ويُبقي] من أشارا عليه بإبقائه.

ولـمّا وَرَدَ الخبَرُ من الصّحراء [بموتِ أبي بكر بن عُمر بن] إبراهيمَ اللَّمْتُونيِّ، وكان الأميرُ يوسُفُ بن تاشَفين بن إبراهيمَ [غازيًا في مكانٍ] يُعرَفُ بفَجّ

---

(١) تقدمت ترجمته في هذا السفر رقم (٥٠).

(٢) ترجمته في ترتيب المدارك ٨/ ١١٢، والصلة البشكوالية (١٣٢٢)، وتاريخ الإسلام ١٠/ ٥٤٩ وغيرها.

الصّاري عقَدَ له أبو الـحَجّاج هذا الإمارةَ [وبايَعَه] أُمراءُ لَـمْتونةَ ومَن معَهم من لمتُونةَ وسائرُ أجنادِ المغرِب، وذلك في عام [....][1].

[ولم يزَلْ أبو الـحَجّاج] هذا قاضيًا يَرحَلُ إليه طلَبَةُ العلم من فاسَ وغيرِها ومن بلادِ الـمَصامِدة [يدرِّسُ] الفقهَ ويَروي الحديثَ، وكذلك إذا مشَى إلى فاسَ بلدِه يؤخَذُ عنه [العلمُ روايةً] وتفقُّهًا إلى أن خَرَجَ مرّةً من مَرّاكُش قاصدًا فاسَ فتوفِّي بتونين[2] قريبًا من مَرّاكُش فرُدَّ ميِّتًا إلى مَرّاكُش فدُفن بها ثم نُقلَ إلى فاس، وذلك في أواخِر عام اثنينِ وتسعينَ وأربع مئة.

وكانت وفاتُه في ذي القَعْدة منها، ومولدُه في ذي القَعْدة من عام سبعةٍ وعشرينَ وأربع مئة، وقيل: ليلةَ عاشوراءَ عامَ ثمانيةٍ وعشرينَ وأربع مئة.

٢٢٧ـ يوسُفُ[3] بن عيسى بن عِمرانَ بن دافَالَ المِكْناسيُّ ثم الوَرْدميشي، مَرّاكُشيٌّ، أبو يعقوبَ، ابنُ عِمران.

تفقّه بأبيـه وغيـره من أهل بلدِه. استُقْضيَ بفـاسَ وبغيـرِها فحُمِـدت سيرتُه.

---

(١) بياض في الأصل، وتاريخ وفاة الأمير أبي بكر مختلف فيه؛ ففي روض القرطاس والعبر والاستقصا أنها كانت عام ٤٨٠هـ وفي البيان المغرب أنها كانت «في سنة ثمان وستين وأربع مئة» وهذا ما يستفاد أيضًا من الحلل الموشية، وفي نهاية الأرب أنها كانت عام ٤٦٢هـ والتاريخ الأول هو المعتمد. أما فج الصاري الوارد في هذا النص فيقع بطرف جبل حبيب بن يوسف بين سبتة وطنجة (انظر البكري: ١٠٧، ١١٥)، وفي هذا النص معلومات جديدة لا توجد في المصادر التاريخية المعروفة.

(٢) ذكرها الإدريسي في نزهة المشتاق في أول المراحل بين مراكش وسلا وقال: «وتونين: قرية على أول فحص أفيح لا عوج به ولا أمتًا...» ولم يبق هذا الاسم اليوم، ويقدّر بعضهم أنه المكان المعروف اليوم باسم سيدي بوعثمان.

(٣) تقدمت ترجمة والده في هذا السفر رقم (٤٤)، وترجمة المترجم في التشوف ٣٤٩.

٢٢٨ـ يوسُفُ[1] بن عيسى بن لُبّ، سَلَويٌّ شَرِيشيُّ الأصل، أبو عيسى الشَّرِيشيُّ.

رَحَلَ إلى الأندَلُس فرَوى بها عن أبي الـحَجّاج يوسُفَ بن عبد الله الغافقيِّ، وإلى المشرق فأخَذ بالإسكندَريّة عن أبي عبد الله الكَرْكَنْتيّ، وبمِصرَ عن أبي الفضل محمد بن يوسُفَ الغَزْنَويّ، وتجوَّل كثيرًا هنالك واستكثَرَ من لقاءِ الشيوخ والأخْذِ عنهم، وحَجّ.

رَوى عنه أبو بكرٍ عتيقُ بن الـحَسَن بن مكسورِ الـجَنْب، وأبو الـحَجّاج ابنُ الفَتْح الباجِيّ، وأبو الـحَسَن الشارِّيّ، وأبو العبّاس بنُ هارون.

وكان فقيهًا حافظًا متقدِّمًا في معرفةِ الكلام وأصُولِ الفقه، ودرَّس ذلك كلَّه، وكان محرِّضًا على نَشْر العلم وبثِّه حريصًا على طلبه حسَنَ اللقاءِ جميلَ العِشرة برًّا بإخوانِه وأصحابِه مائلًا إلى طريقةِ التصوُّف موصُوفًا بدينٍ متِين وفضلٍ وحُسن مشاركة.

توفِّي بسَلا سنةَ تسع وعشرينَ أو ثلاثينَ وست مئة. وكان له ابنٌ اسمُه عيسى وبه كُنِيَ.

٢٢٩ـ يوسُفُ[2] بن محمد بن الـمُعزِّ الـمُكَلّاتيُّ، فاسيٌّ، أبو الـحَجّاج، الأحدَب، ولم يكن أحدَب.

[أخَذَ عِلمَ الكلام] وأصُولَ الفقه عن أبي الـحَجّاج بن نَمَويّ [وأبي عبد الله ابن الكَتّانيّ].

---

(١) لم نقف على ترجمته عند غير المؤلف، وانظر ما هي صلته بالشريشيين السلويين: أحمد بن محمد البكري (الذيل والتكملة رقم ٥٤٣) وولداه: تاج الدين الشريشي المتصوف المشهور (الإعلام للمراكشي ١/ ١٤٣-١٤٦) وأبو زكريا يحيى قاضي الجماعة في عهد المرتضي، وثمة شريشي سلوي آخر هو أبو علي الشريشي البكاي (التشوف رقم ٧٠).

(٢) لم نقف له على ترجمة عند غير المؤلف.

رَوى عنه أبو إسحاقَ بنُ قَسُّوم، وأبو بكرٍ ابنُ الـجَدّ [وأبو حَفْص التِّلِمْسينيُّ] الشَّهيد، وأبوا عبدِ الله: ابنُ أحمد الرُّنْديُّ وابنُ عيسى [....]، وأبو العبّاس بنُ هارون، وأبو عليّ الـحَسَنُ بن أبي الـحَسَن الماقريُّ، [وأبو محمد حَسَنُ بن] أبي الـحَسَن ابن القَطّان شيخانا.

وكان أحجَّ الـمَهرةِ في عِلم الكلام [وأصُول الفقه] متحقِّقًا بالفنَّيْنِ مُشاركًا في غيرِهما من فنونِ العلم مشاركةً حسَنةً، [منقطعًا إلى] النظر، متفرِّغًا له، لم يكنْ له قطُّ أهلٌ ولا ولد، جيِّدَ التعليم لمن عَلِمَ منه [الـحِذْقَ] والجِدَّ في التعلُّم.

وكان يتجاوزُ الاقتصادَ في أحوالِه إلى حيِّز الإقتار على اتّساع حالِه وكثرة فوائدِه وغزارةِ مالِه.

دخَلَ الأندَلُس مرّتَيْن، أولاهما: صُحبةَ رِكَاب المنصُور من بني عبد المؤمن عامَ أحدٍ وتسعينَ وخمس مئة[1]، وفيها عَرَفَه المنصورُ ونَبَّه عليه فقرَّبَه وأدناه وألزَمَه حضورَ مجلسِه معَ طلبةِ العلم وأحسَنَ إليه. وأُخْراهما: معَ ابنِه الناصِر عامَ سبعةٍ وست مئة[2]. ودرَّس في المرّتَيْن، وعَظُم صِيتُه عندَ أهل الأندَلُس وجَلَّ قَدْرُه وتنافَسوا في الأخْذِ عنه والازدحام بمجلسِه.

وكانت بينَه وبينَ أبي الـحَسَن ابن القَطّان مُنافرةٌ شديدة ومقاطعةٌ مشهورة، وعلى ذلك فقد صَدَرَ عنه في جانبِ أبي الـحَسَن ما فيه أصدقُ دِلالةٍ على حُسن دفاعِه وكرَم طِباعِه.

قُرِئَ على أبي الـحَسَن ابن القَطّان يومًا في مُدّة العادل وهُو على الحال المتقدِّم صفتُها في رَسْمِه[3] حديثٌ من «أعلام النبوّة»، فتكلَّم عليه أبو الـحَسَن

---

(1) في هذا التاريخ كان جواز المنصور إلى الأندلس الذي أسفر عن غزوة الأرك (انظر تفصيل هذا في البيان المغرب (الموحدين): 192 وما بعدها).

(2) انظر حركة الناصر في هذه السنة في البيان المغرب 236 (قسم الموحدين).

(3) راجع ترجمته في هذا السفر رقم (10).

بما حضَره في مضمَّنِه ثم خَتَم الـخَوْضَ فيه بأنْ قال: هذا من صَفاءِ باطن النبيِّ ﷺ وشفِّ جوهرِه، في كلام نحوِ هذا، فنُسِبَ إليه القولُ باكتساب النُّبوّات، وجَرَتْ في ذلك طائفةٌ من ثالِبيه والطاعنينَ عليه وتألَّبوا وكتَبوا رَسْمَيْن: استرْعَوا في أحدِهما شهادةَ الشهود بمقالتِه تلك، واستَدْعَوا في الآخَر فتاوى أهلِ العلم في قائل تلك المقالة، وأطالوا في ذلك وأعرَضوا، ونَسَبَه معظَمُ الفُروعيِّينَ إلى البدعة، وكفَّره آخَرون منهم، وأجمَعَ المتألِّبونَ عليه أنه لا يتمُّ لهم الغَرَضُ من هذا العمل إلا بفُتْيا أبي الـحَجّاج الـمُكَلّاتيِّ هذا، وقالوا: هو لا شكَّ عدوُّه الـمُناصِبُ له، وسيغتنمُ هذه الواقعةَ للظفرِ به والنَّيْل منه، فتوجَّهوا بالرَّسْمَيْنِ إليه [سائلينَ حُكمَ الله فيه] واثقينَ منه بأنه يوجبُ قتلَه أو معاقبتَه العقوبةَ الشديدة، [فلمّا نَظَرَ فيهما] لم يتوقَّفْ عن تمزيقِهما وإعدامِهما البتّة وأنْحى على الساعينَ [في ذلك بأشدِّ اللّوم، وبالَغَ في] توبيخِهم وتقريعِهم، ونال منهم أقبحَ مَنال، ثم قال لهم: يا سيِّئي النظر [وقليلي العقل، تعمَدون] إلى أجلِّ شيوخِكم وأشهرِ علمائكم وقد عَلِمتُم صِيتَه في الآفاق بأنه [وقَفَ حياتَه] واشتُهر طولَ عمُرِه في خدمة السُّنة وعلوم الشريعة حتى صار من أئمتِها [والسابقينَ] في ميدانِ المعرفة بها، وخَوْضُه أبدًا إنّما هو معَ جِلّة حَمَلتِها وعُظماءِ نقَلتِها [من عهدِ الصّحابة] رضوانُ الله عليهم إلى عصرِنا هذا، وتتعرَّضونَ إليه بمثل هذا السّعي القبيح؟! فما [الذي] تفعلونَ غدًا أو بعدَ غَدٍ معي أو معَ أمثالي ممّن لا يَعمُرُ مجالسَه أبدًا إلا بالنظر معَ القَدْريّة والخوارج والشِّيعة والرافضة والمعتزِلة والكَرّاميّة والإباضيّة والإماميّة والإبراهيميّة(١) وغيرِهم من الفلاسفة وأهل الأهواءِ والبِدَع الحائدينَ عن مذاهبِ أهل السُّنة ولا [يَشتغلُ إلا] في ضَرْب بعضِ أقوالِـهم ببعض؟! اذهبوا خيَّبَ اللهُ سَعْيَكم وأراحَ الإسلامَ والمسلمينَ منكم. فانقَلَبوا خائبينَ وأكبَروا ذلك من فعلِه وعَظُمَ تعجُّبُهم منه، وعَمَرَ الناسُ بهذه الأُحدوثة الـحَسَنة

---

(١) كذا في الأصل ولعلها: والإسماعيلية.

[مجالسَهم] مدّةً طويلة، وسَكَنَ قلقَ أبي الـحَسَن ودَفَعَ اللهَ عنه بفعل هذا الشّيخ ما كان يتوقّعُه من سُوءِ مَغبّة ذلك التشنيع الرّديء، وحُفِظت هذه الفَعْلَةُ مأثُرةً كبيرةً من أبي الـحَجّاج هذا، وكثُر تناقُلُ الناس إياها وشُكرُ أهل العقل والفَضْل إياه عليها.

وله مقالاتٌ ومصنَّفاتٌ وجيزةٌ ومتوسطة، وأجوِبةٌ عن مسائلَ كان يُسألُ عنها في عِلم الكلام وأصُول الفقه، ومنها: «لُبابُ المعقول، في عِلم الأصول»(١).

واستَقْضاهُ المستنصِرُ من بني عبد المؤمن على بلدِ نَفّيس(٢)، وأقَرّه مَن أتَى بعدَه منهم عليه، فاستمرَّت ولايتُه القضاءَ إلى أن توفِّي بمَرّاكُش ليلةَ الـجُمُعةِ الحاديةِ والعشرينَ لذي قَعْدةِ عام ستٍّ وعشرينَ وست مئة(٣).

ولم يتخَلَّفْ لنفسِه نظيرًا فيما كان ينتحلُه من العلوم.

٢٣٠ـ يوسُفُ(٤) بن محمد بن يوسُفَ القَيْروانيُّ، قَلْعيٌّ، قَلْعةَ بني حَـمّاد، تُوزَريُّ الأصل، أبو الفضل، ابنُ النَّحْوي.

---

(١) نشر هذا الكتاب في مصر بعناية الدكتورة فوقية حسين سنة ١٩٧٧م عن نسخة وحيدة محفوظة في خزانة القرويين بفاس، وفي مقدمة الكتاب يذكر المكلاتي أنه ألفه بناءً على طلب أحد العلماء، ذكر له أن المذاهب الفلسفية بقطره حاجة مفرطة الشياع، مشهورة البيع والابتياع، والاجتماع على التذاكر فيها والتعظيم لمنتحلها منكشف القناع. وذكر أبو الحسن الرعيني في برنامجه أنه قرأ على أبي زيد الفازازي طررًا رد بها على المكلاتي (برنامج الرعيني: ١٠٣).

(٢) كان بلد نفيس في عصر الموحدين بلدًا عامرًا (انظر الروض المعطار ٥٧٨، ورحلة العبدري: ١٥٩).

(٣) الذين أتوا بعد الناصر حتى هذا التاريخ هم: عبد الواحد المخلوع، وعبد الله العادل، والمأمون.

(٤) ترجمه العماد في الخريدة ١/ ٣٢٥، وابن الأبار في التكملة (٣٥٠٠) وفي تحفة القادم (٨)، والذهبي في المستملح (٩٠٢) وتاريخ الإسلام ١١/ ٢١٣، والسيوطي في بغية الوعاة ٢/ ٣٦٢، وابن القاضي في جذوة الاقتباس ٢/ ٥٥٢، وغيرهم. وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها: «اشتدي أزمة تنفرجي» التي عني الناس بحفظها وشرحها ومعارضتها وتخميسها.

رَوى عن أبي الـحَسَن اللَّخْميُّ وأبي زكريّا الشِّقراطسيِّ، وأبي عبد الله المازَريّ، وعبد الجليل الرَّبَعيّ.

رَوى عنه أبو الـحَسَن [ابنُ] إسماعيل بن حرزهُم[1]، وأبوا عبد الله: ابنُ عبد الـمُعطي الأَذَنيُّ [وأبو عِمرانَ] ابنُ حَمّاد الصُّنْهاجيُّ، وأبو بكر ومحمدٌ ابنا [مخلوفِ بن خَلَف الله].

وكان متقدِّمًا في المعرفة بعلم الكلام وأصُول الفقه [يَميلُ إلى النظر والاجتهاد] ولا يَرى التقليدَ، ولـمّا لقِيَ أبا الـحَسَن اللَّخْميَّ سألهُ: ما جاء بك؟ [فقال: جئتُ] أنسَخُ كتابَك «التبصِرة»، فقال له: إنّما تريدُ أن تحمِلَني في كُمِّك[2] إلى المغرِب، [أو كلامًا هذا] معناه، يشيرُ إلى أنّ عِلمَه كلَّه في هذا الكتاب.

وكان من أهل الفَضْل [يَهتدي بهَدْي] السَّلَف الصّالح، ذا حَظّ من الأدب وقَرْض الشّعر[3]، وكلامُه كلُّه جَزْلٌ عَوِيص على الفَهْم عسيرُ الإفادة، ومن نَظْمِه في تارِك الصلاة [من الكامل]:

في حُكم مَن ترَكَ الصّلاةَ وحُكْمُـهُ	إنْ لم يُقِـرَّ بهـا كحُكـم الكـافرِ
وإذا أقَــرَّ بهــا وجانَــبَ فعلَهــا	فالــحُكمُ فيـه للحُسام البـاترِ
ومـن الأئمـةِ مـن يقـولُ بكُفـرِهِ	يَقـضي لـه في حُكمِـه بالظـاهرِ
وأبــو حنيفــةَ لا يقــول بقتلِــهِ	ويقول بالضّربِ الوجيـعِ الزاخـرِ
هــذي روايــاتُ الأئمــة كلُّهــا	وأجَلُّهــا مــا قلتُــهُ في الآخِــر
المسلمـونَ دمـاؤهـمْ معصومـةٌ	حتــى تُــراقَ بمـستبينٍ بــاهرِ
مثـلَ الزِّنـى والقتـلِ في شَرْطَـيْهما	وانظُـرْ إلى ذاك الحـديثِ الـسائرِ

---

(١) سقطت [بن] وتحرفت حرزهم إلى جوهر في الأصل.

(٢) كذا في الأصل وفي مصادر أخرى: «في كفك»، وهما بمعنى.

(٣) انظر بعض شعره في تحفة القادم لابن الأبار ص٩، والخريدة للعماد ٤/ ١: ٤٠٦-٤٠٧.

وأخبَرَني الإمامُ الأوحد تقيُّ الدِّين أبو الفَتْح محمدٌ ابن الإمام مَجْد الدِّين أبي الحَسَن عليّ بن وَهْب بن مُطيع بن أبي الطاعة القُشَيريُّ ابنُ دَقِيق العِيد مُكاتبةً من مِصْرَ[1]، قال: أنشَدَني الفقيهُ المفتي هارونُ بن عبد الله بن هارون بن الحُسَين بن أحمدَ المَهْرانيُّ قديمًا، قال: أنشَدَني الفقيهُ الإمام العالِم أبو الحَسَن ابن المُفَضَّل المقدِسيُّ لنفسِه[2] [من الكامل]:

خَسِرَ الذي تَركَ الصَّلاةَ وخابا ... وأبَى معادًا صالحًا ومآبا

إن كان يَجْحَدُها فحَسْبُك أنهُ ... أمسَى بربِّك كافرًا مُرتابا

أو كان يترُكُها لنوع تكاسُلٍ ... غَشّى على وجهِ الصّوابِ حِجَابا

فالشافعيُّ ومالكٌ رَأَيا لهُ ... - إن لم يَتُبْ - حَدَّ الحسام عِقابا

ومن الأئمّة من يقولُ بأنهُ ... لا يُنتهى عنهُ وإن هُو تابا

إيهِ ومنهم من يقولُ بقتلِهِ ... كُفرًا ويَقطَعُ دونَهُ الأسبابا

وأبو حنيفةَ قال يُترَكُ مرّةً ... هَمَلًا ويُحبَسُ مرّةً إيجابا

والظاهرُ المشهورُ من أقوالِهِ ... تأديبُهُ زَجْرًا لهُ وعقابا

والرأيُ عندي أن يؤدِّبه الإما ... مُ بكلِّ تأديبٍ يراهُ صَوابا

ويكُفَّ عنه القتلَ طولَ حياتِهِ ... حتى يُلاقي في المآبِ حسابا

فالأصلُ عِصمتُه إلى أنْ يَمتطِي ... إحدى الثلاث إلى الهلاكِ ركابا:

الكُفْرَ أو قتلَ المكافئ عامدًا ... أو مُحصَنٌ طَلَبَ الزّنى فأجابا[3]

---

(١) يبدو أن مكاتبة ابن دقيق العيد للمؤلف جاءت بعد أن عرّفه به العبدري (انظر رحلته ص١٤٠ وسنده في هذه المنظومة ص١٤٣-١٤٤).

(٢) هو علي بن المفضل المقدسي المتوفى سنة ٦١١هـ.

(٣) وردت هذه القصيدة في رحلة العبدري، ودرة الحجال ٢/ ١٨٥ ومنها أكملنا المحو الموجود في نسختنا.

وممّا شاع من نَظْم أبي الفَضْل القصيدةُ المسَمّاة: أُمَّ الفَرَج التي مطلَعُها [من المتدارك]:

* اشتدّي أزمةُ تنفَرِجي *

وهي قصيدةٌ مشهورةٌ كثيرةُ الوجود بأيدي الناس ولم يزالوا يتواصَوْنَ بحفظِها ويتجافَوْنَ عما حَواه معظمُها من حُوشيِّ لفظِها[1].

توفِّي أبو الفَضْل بقلعةِ حَمّاد في محرَّم ثلاثَ عشْرةَ وخمس مئةٍ ابنَ ثمانينَ سنة.

٢٣١ـ يوسُفُ بن مُبشَّر الصُّنهاجيُّ.

رَوى عن أبي الـحَسَن شُرَيْح.

٢٣٢ـ يوسُفُ[2] بن الـمُنتصِر الصُّنهاجيُّ، من بعضِ بلادِ العُدوة، سَكَنَ غَرْناطةَ، أبو الـحَجّاج.

رَوى عن أبي محمد بن أيّوب الشاطبيِّ سنةَ إحدى وعشرينَ وخمس مئة. وكان من أهل العلم والنّزاهة.

٢٣٣ـ يوسُفُ[3] بن موسى بن إبراهيمَ الـهَوّاريُّ، مَهْدَويٌّ سَكَنَ مَرّاكُش، أبو الـحَجّاج، ابنُ لاهية ـ وهي أَمَةٌ اجتَلَبَها الناصِرُ من الـمَهْديّة حين فتَحَها سنةَ [اثنتينِ][4] وست مئة.

---

(١) عني الناس بحفظ المنفردة وشرحها وتخميسها ومعارضتها. انظر تخميس أبي عبد الله المصري في رحلة العبدري: ٥٢-٥٩. وممن شرحها أبو العباس النقاوسي وسمي شرحه «الأنوار المنبلجة في بسط المنفرجة» (كشف الظنون)، وانظر منفرجة ابن يجبش التازي في معارضتها في درة الحجال ٢/ ١٤٩.

(٢) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٣٥٠١).

(٣) لم نقف له على ترجمة عند غير المؤلف، وقد تقدم ذكر اسمه في السفر الأول، وسترد له قطعة شعرية في ترجمة نجم الدين المازندراني الآتية، ويذكر اسمه خلال بعض التراجم في هذا الكتاب، وقد يتحرف اسم لاهية إلى لامية.

(٤) بياض في الأصل، وقد فتحت المهدية بعد حصار في يوم السبت ٢٩ جمادى الأولى سنة ٦٠٢هـ انظر تفصيل حصارها في البيان الموحدي: ٢٢٠-٢٢٤.

رَوى عن أبي الـحَسَن ابن القَطّان، وأبي عبد الله بن عبد الله ابن الصَّفّار، وأبي القاسم عبد الرّحمن بن إسماعيلَ ابن الـحَدّاد وغيرِهم.

رَوى عنه غيرُ واحدٍ من طلبة العلم بمَرّاكُش. وكان ماهرًا في علوم اللّسان أدبًا ولغةً ونحوًا، درَّسَها أحيانًا، شاعرًا مُحسِنًا، كاتبًا بليغًا نبيلَ الأغراض في كلِّ ما يُحاولُ نظمًا ونثرًا، حسَنَ الصّوتِ بالقرآن والشّعر، يأخُذُ بمجامع القلوب متى تلا القرآنَ أو أنشَدَ الشّعر، وكان إذا حَضَرَ معَ الشّعراء للإنشاد بين يدَيْ ملوكِ عصرِه يرغَبُ إلى نقيبِ الطّلبة في إرجائهِ إلى آخرِهم، فإذا أنشَدَ آخِرًا أنسَى بطيبِ نغمتِه وإحسانِ إنشادِه كلَّ إحسانٍ تقَدَّم به غيرُه من مُجيدي الشّعراء، على أنه لم يكنْ مقصِّرًا عنهم فتكونُ المجالسُ له أبدًا.

وله رسالةٌ أدرَجَ فيها شواهدَ «كتاب سِيبوَيْه» على طريقةِ أبي الـحَسَن ابن حَرِيق في أبياتِ «الـجُمَل»[1] شهِدَت بالـجَمْع بين قوّة الاقتدار وجَوْدة الانطباع وقفتُ عليها بخطِّه.

وله في ترتيبِ [حروفِ كتاب «العَيْن»][2] ونَقلتُه من خطِّه [من مخلع البسيط]:

....	غرامُـــــه قـــــادَهُ كئيبـــــا

---

(١) راجع السفر الخامس (الترجمة ٥٥٣) واسم رسالة ابن حريق: «الرسالة الفريدة والأملوحة المفيدة». وهي موجودة مخطوطة.

(٢) ما بين الحاصرتين محو في الأصل، وأكملنا اسم الكتاب اعتمادًا على ما بقي من ترتيب الحروف، ولإبراهيم ابن أصبغ في ترتيب حروف كتاب العين للخليل:

عذبني حلو هـوى خـضته	غوايـــة قائـــدة كـــربي
جالبة شوق ضلوع صبت	ســـاحرة زاجـــرة طبـــي
دوســـية تيمنـــي ظبيهـــا	ذوب ثنايـــاه رضـــا لبـــي
نـــاولني فـــاه بـــلا مـــانع	واضـــحة إحـــسانها يـــربي

قال ابن الأبار: وهو أحسن ما قيل فيه على كثرته (تحفة القادم: ١٣٢).

.... صـبر سَـقامُه زاجـرٌ طبيبـا

.... شـبيهُه رافعًـا لهيبـا

.... محمـودُ وَصْـلِك أن يَؤوبـا

قال المصنِّف: أخَلَّ بترتيبِ بعض عَجُز هذا البيت الآخِر، وذلك بتقديم الواو وحقُّها أن تكونَ بعدَ الياء وتوسيطِ الهمزة فقلت [من مخلع البسيط]:

نـافَرْتَني فجـسمي يُعـادي محمـودَ أُنـس يقـي وَجيبـا

وله في ترتيبِ حروف «تاج اللّغة وصِحاح العربيّة»[1] لأبي نَصْر إسماعيلَ ابن حَمّاد النَّيسابُوريِّ الـجَوْهريّ وما جَرى مَجْراه، وقد تقَدَّم في صَدْرِ هذا الكتاب أنه الترتيبُ الـمُحكَم والذي وَضَع المتقدِّمون ومَن وُفِّق باتّباعِهم من المتأخِّرينَ عليه كتُبَهم وعليه رَتّبتُ كتابي هذا، فقال: ونقلتُه من خطِّه [مشطور الرجز]:

أحِـبْ ببـدرٍ تائـهٍ ثنـاني جَمالُـهُ حَليـفُ خِـلٍّ دانِ

ذكْـرُه راحـي، زهـرُه بـستاني شَرَّد صـبري ضـامرٌ طـواني

ظبـيٍ عـلى غُرّتِـه فتّـانِ قلبـي كـواهُ ليْـتَهُ يُـداني

وهذا الترتيبُ بين الواوِ والهاءِ والياء يَنْخرمُ في أبوابِ «الصِّحاح»؛ لأنّ مصنِّفَه جعَلَ الواوَ والياء في بابٍ واحد بعدَ الهاء ويَطّرِدُ في فصولِ الأبواب وفي سائر الكتُب المشارِ إليها، وقد تقَدَّم مثلُ هذا الترتيبِ لأبي عِمرانَ ابن الـمُناصِف في رَسْمِه[2]. ولي فيه ونظمتُه في بيتَيْنِ، وعُذرُ التكلُّف في مثلِهما لا يخفَى على منصف [من الطويل]:

---

(١) انظر أبياتًا في ترتيب حروف الصحاح في نفح الطيب ٦/ ٢٦٥.

(٢) لا يوجد شيء مما يشير إليه المؤلف في ترجمة ابن المناصف انظر رقم (١٧٧).

أَلِـمَّ بِرَوْضي تَجْـنِ ثَـمَّ جَنَـى حيَـا   خلا دَرَّ ذي رَيٍّ زكـا سَـقْيُه شُرْبـا
صَفا ضِمْنَ طَلٍّ ظَلَّ عندَ غِنًى فَشَا   قِرًى كِيلَ لي من نَهْيِ وَدْقٍ هَمَى سُحْبا

توفِّيَ أبو الـحَجّاج بمَرّاكُشَ سنةَ تسعٍ وأربعينَ وست مئة.

٢٣٤ـ يوسُفُ بن يحيى بن الحاجِّ علي بن عبد الواحِد بن غالبٍ الـمُهْريُّ، سَلَويٌّ سَكَنَ قَصْرَ عبد الكريم مدّةً ومالَقَةَ مدّةً أخرى وسِجِلْماسةَ أخرى، واستَوطنَ بأَخَرةٍ أغماتِ وريكة، أبو يعقوب، ابنُ الـجَنّان.

رَوى عن شيوخ [عصرِه. وكان كاتبًا] شاعرًا سَيّالَ القريحة في الطريقتَيْنِ متوسِّطَ [النَّظْم، أسرَعَ الناس] كَتْبًا وأدومَه.

أخبرَني أنه نَسَخَ «التقريبَ» لابن حَرْبٍ[1] [في القراءاتِ في] يوم واحد، وأنه دأبَ صَدْرَ عمُرِه على نَسْخ عشرينَ ورقةً من [الوَرَق الكبير] وسُطورُ كلِّ صفحة منها سبعةٌ وعشرونَ سطرًا في كلِّ يوم، [ولا يتخلَّفُ عن عادتِه، وشاهدتُ] له من ذلك ما يَقضي منه العجَبَ. وكان أبدًا يَكتُبُ عن الولاةِ ويَقعُدُ [في دُكّانِه] لعَقْدِ الشروط، ويَكتُبُ أزِمّةَ المجابي السُّلطانيّة، وهو معَ هذا كلِّه [دائبُ] النَّسخ، فقلَّ كتابٌ مستعمَلٌ مشهورٌ إلّا نَسَخَه.

ولقد رأيتُ له ممّا نَسَخَ معَ اشتغالِه بما ذُكِر أزيَدَ من مئة مجلَّد في مدّة ليست بالمديدة.

---

(١) عندنا مقرئان ينتهي نسبهما إلى حرب ولكل منهما كتاب في القراءات اسمه «التقريب» أحدهما أحمد بن محمد بن سعيد بن حرب اللخمي الإشبيلي ويكنى أبا العباس المسيلي كان حيًّا سنة ٥٣٩هـ. وصنف في القراءات السبع مختصرًا نبيلًا أسماه «التقريب». والآخر عيسى بن محمد بن فتوح بن فرج بن خلف بن عياش بن وهبون بن فتحون بن حرب الهاشمي البلنسي وكنيته أبو الأصبغ ابن المرابط (ت ٥٥٢هـ) وله في رواية ورش مصنف سماه «التقريب والحرش، في قراءتي قالون وورش» ويسمى اختصارًا «التقريب». ولا نعرف أي الرجلين والكتابين يقصد المؤلف هنا والكتاب الثاني أشهر من الأول. انظر السفر الأول، الترجمة ٦٣١، والخامس، الترجمة ٩٤٦، ورحلة ابن رشيد ٢/ ٨٧ (ط. تونس) وبرنامج التجيبي: ٤٥.

وكَتَبَ عن عبد الكريم بن عِمرانَ[1]، وعن [عبد الله بن عليّ] بن زَنّون[2] أيامَ تأمُّرِه بمالَقَةَ.

حضَرتُ معَه يومًا قريبَ الزَّوالِ بمجلسِ أبي عليّ عُمرَ ابن الفقيه أبي العبّاس بن عثمانَ بن عبد الجَبّار بن داودَ المَتُّوسيِّ المِلْيانيّ[3] وهو والٍ بأغْماتِ وريكة، فذَكَرَ أنه كان ثالثَ ثلاثةِ كُتّاب لابن زَنُّون هو أحَدُهم، وأبو عبد الله الإسْتجِيُّ[4]، وأبو عليٍّ ابنُ ستِّ الدار[5] المذكوران في موضعَيْهما من هذا الكتاب، قال: وكان لابن زَنّونَ خاتَمٌ يطبَعُ به كتُبَه لا يُفارقُه من دَواتِه

---

(1) تقدم التعريف به في ترجمة أبي الحسن الشاري رقم (١٢) وقد كان قاضيًا ببلده قصر عبد الكريم، ومن الممكن أن يكون المترجم كتب عنه أثناء مقامه بهذه المدينة.

(2) تأمر أيامًا بمالقة بعد انتهاء حكم الموحدين في الأندلس، له ترجمة في أعلام مالقة (٨٥)، ومنها نقل مؤلف المرقبة العليا ١١٤، ١٢٣.

(3) هو ولد الفقيه أبي العباس الملياني الذي انتهت إليه رئاسة الشورى ببلده مِلْيانة. وترجمته في عنوان الدراية: ١٠٩-١١٠، والعبر لابن خلدون ٦/ ٦٥٧، وتعريف الخلف: ٣٧، ونيل الابتهاج: ٦٣ وكفاية المحتاج (مخطوط)، أما ولده أبو علي فقد ثار على الحفصيين في مليانة وبعد حصار دام مدة فر أبو علي إلى المغرب الأقصى ولجأ إلى السلطان يعقوب بن عبد الحق فأقطعه بلد أغمات وقد اشترك في غزوة جبل تينمل التي استؤصل فيها بقية الموحدين وكان منه الافتيات المشهور في نبش قبور الخلفاء تزلفًا أو انتقامًا، وفي عهد السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق استعمل على جباية المصامدة وسعى به مشيختهم أنه احتجن المال لنفسه فحوسب وأقصي واعتقل وهلك سنة ٦٨٦هـ واصطنع السلطان ابن أخيه أبا العباس واستعمله في كتابته ولكنه خان الأمانة وتسبب في تلك الفتكة المعروفة التي قتل فيها مشيخة المصامدة انتقامًا لعمه. وترجمته في الإحاطة ١/ ٢٨٤ ومستودع العلامة، وانظر تفصيل أخبار الملياني المذكور عند المؤلف، في العبر ٦/ ٦٥٦-٦٥٧، ٧/ ٤٠١، ٤٧٩ والاستقصا ٣/ ٤٢، ٧٧. وتجدر الإشارة إلى اغتيال العبد سعادة من عبيد الملياني للسلطان يوسف، وهذه الفذلكة التي ذكرها المؤلف تضيف جديدًا لا يوجد عند غيره.

(4) تقدمت ترجمة الإستجي في السفر السادس (٦٩٤).

(5) تقدمت ترجمته في هذا السفر (٣٤).

ولا تُطبَعُ به كُتُبٌ إلّا بحضرتِه فأمَرَ ذاتَ يوم بكُتُب واستَعْجَلَ كُتّابَه الثلاثةَ فيها وانصَرفَ إلى منزِلِه، فلمّا فرَغوا من كَتْبِها أرادوا إعلامَه بذلك ليَحضُرَ على خَتْمِها جَرْيًا على عادتِه، فأرادوا مطالعتَه في ذلك بكَتْبِ بطاقةٍ نثرًا، فقال لهم أبو عبد الله الإسْتِجيُّ: إنه لَيَقبُحُ بنا أن نكونَ أدباءَ شُعراءَ معَ أنّ مخدومَنا يَستحسِنُ الشّعرَ ويهتزُّ لسماعِه[1] ونُخاطبَه في مثل هذا بالنثر، قال: فقلنا له: أنت كبيرُنا ومقدَّمُنا فابدَأْ لنا ما نتّبِعُك عليه ونَحْذو حَذْوَكَ فيه، فقال [من الكامل]:

نُسِجَتْ بُرودُ الكُتْبِ وِفْقَ مُرادِكُمْ   فأتَتْ مفوَّفةً بخطٍّ بارعِ

وكتبَه في بطاقةٍ ودفَعَها إلى أبي عليّ، فزاد عليه بخطِّه [من الكامل]:

وجَمالُها طُرُزٌ لكي تزهى بِهِ   وطِرازُها يا ذا العُلى بالطابَعِ

ودفَعَ إليّ البطاقةَ فزِدتُ عليهما وكتبتُه بخطِّي [من الكامل]:

فالخَتْمُ للمكتوبِ تكرِمةٌ لهُ   وكذا رَوَيْناهُ عنَ اكرمِ شافعِ[2]

[فلمّا وَجّهناها معَ من] أوصَلَها إليه خرَجَ إلينا مستبشِرًا مبتسمًا [والدّواةُ التي] فيها الطابَعُ محمولةٌ بينَ يدَيْه فدفَعَه إلينا فطبَعْنا [به الكُتُبَ وأُعيدَ إلى] موضعِه على جاري العادة.

وحضَرَ لإيرادِ هذه الحكاية [بعضُ مَن] يغشَى مجلسَ أبي عليّ أو يتردَّدُ إليه وله حَظٌّ من الأدب وقَرْض [الشّعر، ومنهم]: قريبُه[3] أبو عبد الله ابنُ المُعزّ[4]،

---

(١) في أعلام مالقة: «وكان مع ذلك مقصودًا من البلاد يرد الناس عليه من كل قطر، وينشده الشعراء فيحسن إليهم ويرفدهم، وكان عطاؤه جزلًا وهاطله ضخمًا».

(٢) إشارة إلى الأثر: «كرامة الكتاب ختمه». انظر العقد ٤/ ١٥٩، والتراتيب الإدارية ١/ ١٧٧، ومحاضرات الراغب ١/ ١٠٥.

(٣) كلمة أصابها المحو في الأصل، ويمكن أن تكون أيضًا: ونسيبه.

(٤) هكذا في الأصل، وفي قصيدة ابن الجنان كما سيأتي أنه أبو محمد عبد الله ابن المعز.

وشاعرُه أبو محمد عبدُ الله[1] بن يحيى بن سُليمان المتراريُّ[2] الحاجُّ المعروفُ بالـمَرّاكُشيّ وصفيُّه الحاجُّ النبيل أبو إبراهيمَ ابنُ عبد السّلام بن عُمرَ القُزُوليُّ[3]، فاستَظْرَفَها أبو عليّ والحاضِرونَ وأعجِبوا بها وتفاوَضوا في شأنِها ساعةً ثم قال أبو علي: ليتَ شِعري! لو كان معَهم رابعٌ ماذا كان يقول؟ وهل تُمكنُ الزّيادةُ على هذه الأبيات؟ فقال الجميعُ: إنّ المعنى قد كمُلَ ومَنَعَ الزّيادةَ، فقال: منَ المحالِ عادةً أن يكونَ معَهم رابع، ولا يَجري مَجْراهم في الإتيانِ بمثل ما أَتَوْا به فخُذوا في الزّيادة عليها، وأشار بذلك إلى ابن الـمُعزّ وأبي محمدٍ الـمَرّاكُشيِّ وأبي إبراهيمَ القُزُوليّ، وأضاف إليهم ابنَ الـجَنّان مورِدَ الحكاية،

---

(١) لا نعرف عنه إلا ما ورد في قصيدة ابن الجنان المذكور آنفًا فهو أبو محمد عبد الله ابن المعز القابسي الأصل، نشأ بالشرق أي بإفريقية حسب اصطلاح معروف، وقد وصف في القصيدة المذكورة بطيب الأصل والنجابة كما نعت بأنه ذو رواية ودراية، ويُفهم من القصيدة أيضًا أنه كان يقول شعرًا غير معرب علاوة على مشاركته في الشعر المعرب. ويصف ابن الجنان شعره غير المعرب بقوله [الكامل]:

يبدي لنا شعرًا قد احكم رصفه	بعروض اخترعت [كسجع الساجع]
لم يروها الأدباء عن شعرائهم	فاعجب لأشعار بنظم [شائع]
لا بالعروض ولا اللغات تسربلت	لكن معانيها كسم ناقع
تبدي لنا غرر البيان مشوبة	بمواعظ فاضت بهن مدامع
وإذا يهاجى ماجنًا كوميّنا	يجري الدموع بكل دمع هامع
طيبًا وضحكًا لا يقاس بطيب	....

وهذا الشعر الموصوف يمكن أن يكون الزجل أو عروض البلد أو الشعر البدوي مما تحدث عنه ابن خلدون في المقدمة. وثمة في الأعلام القريبة أبو فارس ابن المعز الكفيف كان مقربًا عند الواثق أبي دبوس آخر الموحدين، وذلك لفصاحته (البيان المغرب: ٤٦٩).

(٢) نسبة إلى مترارة ولعله هو الذي سمي في الشعر السابق الحاج الكومي، ومترارة موطن كومية.

(٣) لم نقف له على ترجمة.

وقال له: هَبْكَ لستَ أحدَ الناظمينَ المذكورينَ قبلُ، ثم عَطَفَ عليّ وطالَبَني بالموافقة لهم في ذلك ولم يكنْ رأى لي قبلُ بيتًا واحدًا ولا أشعرتُه بأنّي خُضتُ في نَظْم قَطُّ، فاستعفَيْتُه من ذلك فلم يُعفِني وقال: وما الذي يمنَعُك وموادُّ النَّظْم كلُّها عندَك عَتِيدة؟ فلا وَجْهَ لاستعفائك ولا بدَّ من مشاركةِ الأصحاب فيما خاضوا فيه، ثم قال: لا أريدُ أن أشغَلَ خواطرَكم بالنّظر في هذا عن تأنيسِنا، ولكنِ اعمَلوا على اجتماعِنا عَقِبَ العَصْر ولْيَأْتِ كلٌّ منكم بما تيسَّر له إن شاء الله، وبعَثَ بالأخْذِ في ذلك إلى أبرع من اشتَمَلت عليه أغماتُ حينَئذٍ وأسرعِهم بَدِيهةً وأشهرِهم إجادةً وتفنُّنًا أبي الحَسَن بن إسماعيل[1]، وأعلَمَه بالمواعدة لإتيانِ كلٍّ واحدٍ بما عندَه إثْرَ العصر، ثم انصَرَفْنا، فلمّا كان بعدَ العصرِ وافَى كلٌّ منّا بما سَنَحَ له، فقال ابنُ الجَنّان [من الكامل]:

الختْمُ للمكتوبِ تكرِمةٌ لهُ ... وكذا رَوَيْناهُ عنَ اكرمِ شافعِ

فابعَثْ إلينا طابَعًا نختِمْ بهِ ... عملًا بتحريضِ الرسُول الشارعِ

فالمهتدونَ قدِ اقتَفَوْا آثارَهُ ... من صاحبٍ صَدَقَ المقالَ وتابعِ

وقال أبو عبد الله ابنُ المُعزّ [من الكامل]:

وحُلاكُمُ منها التُّقى فلْتَشْرَعوا ... .

فابعَثْ أداةً طُرْزُها طُرْزُ الوَرى ... .

واقرُبْ بأمرِك إذْ نأيْتَ بحَجْبِهِ ... عن مُستحِثٍّ منك خَتْمَ الطابعِ

وقال أبو إبراهيمَ القُزُوليّ [من الكامل]:

ولأنتُمُ أَوْلى الأنام بأنْ يُرى ... لسبيل خَيرِ الخَلْق أكرمَ تابعِ

فأمُرْ لمَن يأتي بخَتْمٍ عاجلًا ... لتكونَ مقتدِيًا بقولِ الشارعِ

---

(١) تقدم التعريف به في ترجمة أبي الحسن الشاري رقم (١٢).

وأَتَى أبو محمدٍ المَرّاكُشيُّ ببيتَيْنِ من الطويل بعيدَيْنِ عن المعنى فردَّه، وقلت [من الكامل]:

وفي الاقتداءِ به أجَلُّ فضيلةٍ   فابعَثْ به لتنالَ فَضْلَ التابعِ
والسرُّ إنّ السِّرَّ فيه محجَّبٌ   بالطّبع عن مستشرفٍ ومُطالعِ

فلَهِجَ أبو عليّ بذلك وحَسُنَ موقعُه منه، ولم يَصِلْ أبو الحَسَن بنُ إسماعيلَ للموعد عَقِبَ العصر، فطال تعجُّبُنا من ذلك وانفضّ المجلسُ، فلمّا كان قريبُ المغرب خَرَجَ أبو عليّ إلى مجلسِه المُطِلِّ على الساقيةِ العُظمى السُّلطانيّة المُشرِفِ على الممَرِّ الأعظم شرقيَّ الجامع، فجالستُه هنالك منفردَيْن، وكنتُ مقابلَ الممَرّ وأبو عليّ مُقبِلٌ عليّ وقد استَدْبَرَه بعضَ الاستدبار، وإذا أبو الحَسَن بنُ إسماعيلَ مُقبِلٌ، فأعلمتُ بوصُولِه أبا عليّ وقلتُ له: ما أراه إلا أتى بشيءٍ، فقَصَدَ إلى جنبِ أبي عليّ من خارج المجلس وطَرَحَ بينَ يدَيْه بطاقةً وانصرف، فلمّا قرَأَها أبو عليّ بالَغَ في استحسانِها، وكلّما كرَّر النظرَ فيها استَجادَها، ثم دَفَعَها إليّ، فإذا فيها بعدَ الأبيات الثلاثة الأولى ما نَصُّه: وقال معظِّمُ الجَلال، ومتملّكُ الكمال مُذيِّلًا [من الكامل]:

كرَمُ الكتابِ خِتامُهُ وكذاكَ قا   ل مُفسِّرٌ للوحي غيرَ مُدافَعِ
في قول بِلقيسٍ: كتابٌ جاءني   ـ مَلَئي ـ كريمٌ أيْ بخَتْم صادعِ
ويحقُّ للمُعطي صيانةُ سرِّهِ   وَصْفُ التكرم في الكلام الشائعِ
حُكمُ الشّريعة باهرٌ أنوارُها   لذوي العقولِ كبدرِ تَمٍّ طالعِ

وبعدَها: وقال متملّكُ الكمال الأوحَدُ، وصَلَ الله سُعودَه [من الكامل]:

ما إنْ تزالُ تُفيدُنا يا ذا العُلا   حِكَمًا وآدابًا بحُكمٍ نافعِ
أوضحتَ للأُدباءِ نَهجَ سبيلِهمْ   وأبَنْتَ مَهْيَعَ كلِّ فضلٍ جامعِ
....   منها تؤُمُّ إلى المدى المتشاسعِ

والسلامُ الكريم الأحفَلُ الأسنى يَخُصُّ المجدَ الأتلد، والكمالَ الأوحد ورحمةُ الله وبَركاتُه.

ولـمّا وقَفْتُ عليها لم أرَ فيها كبيرَ مُستحسَن، بل رأيتُها [نازلةً عمّا عُهِدَ] من إحسانِه، ومُنحطّةً عمّا أتَى به غيرُه، وعجِبتُ من إفراطِ أبي عليّ في استجادتِها على براعة نَقْدِه وجَوْدةِ تمييزِه، ثم هَجَسَ في خاطري [أنّ ذلك] لم يكنْ منه إلا لِـما أتبَعَ به أبو الـحَسَن تذييلَه من الأبياتِ الثلاثة في مَدْحِه، وقلتُ: أراه حاملَه على استحسانِ ما أتَى به أبو الـحَسَن، فصَنَعْتُ تلك الليلةَ قصيدةً في مَدْحِه وأشرتُ إلى أنّ تذييلَ الأبيات كان عن إشارتِه، وزدتُ في التذييل أبياتًا، ولقِيتُه بها بعدَ العَصْر منَ الغدِ لـمّا لم يتأتَّ لقاؤه بها صَدْرَ النهار لخروجِه إلى بعضِ المواضع، ولـمّا جئتُ بها بعدَ العصرِ ألفَيْتُ أبا محمد الـمَرّاكُشيَّ قد جاء بهذينِ البيتَيْن [من الكامل]:

ولُــوعُ همّــتِكمْ بــشِرعةِ أحمــدٍ ... أجـلى وأبهـرُ مــن هــلالٍ طـالعِ
فابعَثْ بطابَعِـك الـسّعيدِ لتقتفـي ... سَـنَنَ الهدايـةِ كـفُّ هـذا الطـابعِ

فخَلوتُ بالـمَرّاكُشيِّ وقلتُ له: هذه مَكِيدةٌ، فقال لي: هو ـ والله ـ كما حدَسْتَ، فإنه لم يَـخْفَ عليَّ كونُ الأبياتِ من المديد[1]، ولكنّي لم أتهَدَّ إلى ما يَصلُحُ ذَيْلًا لها، فصنَعْتُ ذلك حتى أسمَعَ ما أتى به غيري فأحْذُوَ حَذْوَه، وتربَّصتُ بأبي عليٍّ[2] خَلْوَته بدخولِه إلى مجلسِه الخاصّ من مجلسِه العامّ، ودفعتُ إليه القصيدةَ، فلمّا رآها قال لي: لـمَن هذه؟ فقلت: قفْ عليها، فقال لي: هذا خطُّك فمَن ناظمُها؟ قلت: كاتبُها، فاشتَدَّ تعجُّبُه من فعلي أولًا وإتْياني بها ثانيًا حتى كان من كلامِه أنّ هذه البلادَ وَلّادةٌ مُنْجِبة. وهذه القصيدةُ التي رفعتُ له [من الكامل]:

---

(١) هكذا في الأصل، وهي من الكامل.

(٢) في الأصل: فأبى عليّ.

حَرِّرْ مِنَ التقريظِ حُرَّ بدائعِ تَزْهَى بحُسن مطالعٍ ومَقاطعِ
واخصُصْ بها إن شئتَ تشريفًا لها قُطبَ العُلى سرَّ الكمالِ البارعِ
ذاك الفقيهُ ابنُ الفقيه المُعتلي في ذَرْوةِ الحَسَبِ الصّميم الناصعِ
لأبي عليٍّ في المعالي رُتبةٌ أضحَتْ لمجموعِ العُلى كالجامعِ
إرثًا وكسبًا حازَها وبنَى لها بصنائعٍ منه مَشِيدُ مصانعِ
فحُلَى أبيه الحَبْرِ أحمدَ لم تكنْ إلّا حُلى البَرِّ ....
عمَّ الخلافُ فإنْ حَمِدْنا أحمدًا[1] لم نَلْقَ غيرَ [مُوافقٍ ومتابعِ]
بحرُ العلوم درايةً وروايةً قد جال منها في المجالِ [الواسعِ]
وبيانُهُ لأصولِها وفُروعِها [..............................]
فإذا يَحارُ الفهمُ في مُستبهِمٍ منها جَلاهُ بالمقالِ [..............]
بالعلم والدِّين المتينِ جَرى مدى (؟) ورَعٍ إلى الخيرِ الجَسِيم مُسارعِ
ورَعَى حِمى دينِ الهدى... ووَفَى له بشعائرٍ وشرائعِ
في الله لم تأخُذْه لومةُ لائمٍ كلّا ولا استهواهُ كيدُ مُخادعِ
قد باعَ دُنياهُ بأُخراهُ فما ذا حِيزَ من ربحٍ لهذا البائعِ
وتزوَّدَ التقوى بضاعةَ مُخلصٍ لله منقلبٍ بخيرِ بضائعِ
حيّاه رِضوانُ الجِنانِ كرامةً بمزيدِ رِضوانٍ وعفوٍ واسعِ[2]
يا ماجدًا لِعُلًا حَلاهُ تفنُّنٌ أيًّا بلاغةَ شاعرٍ أو ساجعِ
فأصالةٌ وجلاةٌ وجَزالةٌ شَهِدَتْ لفضلِك بالبيانِ الساطعِ

---

(1) يقصد والد الممدوح وهو الفقيه أبو العباس أحمد الملياني.
(2) بعد هذا بياض في الأصل مقداره نحو ستة أبيات.

ونَفاســـةٌ ورِياســـةٌ وزعامـــةٌ بهَـرَتْ فنـازَعَهن كـلُّ مُنـازعِ
وســـيادةٌ قـــد زانَهــا بتواضُـــعٍ أكـرِمْ بـه مـن سـيِّدٍ متواضـعِ
نَــدْبٍ لأعــلام المكــارم رافــعٍ نـدسٍ لأعـلام الأكـارم فـارعِ
تلقاهُ يـومَ الـسِّلم مبتهجَ الـرؤى بـسَنَا الـسّناءِ كبَـدْرِ تَـمٍّ سـاطعِ
وتُــدارُ للهيجـا عُقــارُ قِراعِهـا فـتراهُ خـيرَ مُعـاقِرٍ ومقـارِعِ
قَسَمَ الـجَزاءَ موافقًا للعـدلِ في أقـسامِهِ فأصـابَ حُـسنَ مَواقـعِ
فوليُّــه يحظَــى بــشَهْدٍ نــافعٍ وعــدوُّه يــشقَى بــسُمٍّ نــاقعِ
فلـــــذا [..................] ولــذا رَدَاهُ عــن سَـمُومِ مُمـازعِ
[..................] إلّا الــذي قـد طـابَ مـن خُلُـقٍ لـه وطبـائعِ
[............] المحْل إلّا مـا جَنَـى مــن جُــودِهِ المتــواترِ المتتــابعِ
[............] وفــاقَهم بفِعالِــهِ كم شارح قد فات شَأْوَ الواضـعِ
[..................] قــد حَـوَتْ لعُفـاةِ نائلِهـا عــذابَ مـشارعِ
كَـفٌّ بهـا للجُـودِ خمـسةُ أبحُـرٍ تبـدو لـرأي العَـيْن خمَسَ أصـابعِ
يا من يَقِيسُ بـه سـواءٌ في النّدى ألغَيْـتَ في النظـر اعتبـارَ الجـامعِ
هــذا يجــودُ وفي الموانــع كثــرةٌ وسواهُ ضَـنَّ مـعَ ارتفـاعِ المـانعِ[1]

---

(١) أورد المؤلف هذا البيت والذي قبله في السفر الأول عند ذكر قول ابن عميرة من قصيدة:

أولئـك جـادوا والزمـان مـساعد وجدت لعمري وهو غير مساعد

ونص كلامه هناك: «وقد ألمت بمعنى البيت الأخير من هذه الأبيات فقلت من قصيدة طويلة أمدح بها الفقيه الرئيس الأطول أبا علي عمر ابن الفقيه الأجل العلم الشهير أبي العباس المليان وصل الله أسباب سعادته وهي أول ما رفعت إليه» ثم قال: «وسأذكر إن شاء الله سبب هذه القصيدة في رسم أبي الحجاج ابن الجنان» السفر الأول (الترجمة ٢٣١).

شعري وفكري في امتداحِ خِلالِهِ … ما بينَ محمولٍ له ومُطاوعِ

لم يَنْثنِ المُثني على عَلْيائهِ … عن حَصْرِها إلا لعُذرٍ قاطعِ

من ذا يَعُدُّ الشُّهبَ أو يُحصِي الحَصَى … فاكفُفْ وإلا بُؤْ بيأسِ الطامعِ

يا سيّدًا حاز المعالي ناشئًا … في المهدِ بينَ حواضِنٍ ومراضعِ

منك استفَدْنا كلَّ ما جئنا بهِ … لا زلتَ تُولينا ضروبَ منافعِ

لا غَرْوَ أن بَذّتْ نُهاك عقولَنا … فالشمسُ تَبهَرُ كلَّ نجمٍ طالعِ

نفَذَت إشارتُك الكريمةُ تقتضي … تذييلَ شعرٍ في تطلُّبِ طابعِ

أبياتُه مهما تُعَدُّ ثلاثةٌ … كالرّوض جِيد بصَوْبِ غيثٍ هامعِ

قد دار بينَ ثلاثةٍ إنشاؤها … ما منهمُ إلّا مُجيدُ بدائعِ

حَظَروا الزيادةَ بعدَهمْ إذ كمَّلوا … واستَغْرَقوا المعنى بلفظٍ جامعِ

فقفَوْتُ ممتثلًا على آثارِهمْ … لا بادعًا بإصابةِ المتخادعِ

قال الأديبُ الإسْتِجيُّ مُمهِّدًا … لطلابِهم فأتى بنظم رائعِ:

«نُسِجَتْ برودُ الكُتْبِ وفقَ مُرادِكمْ … فأتَتْ مفوَّفةً بخطٍّ بارعِ»

والكاتبُ ابنُ الستِّ قال تسلُّقًا … لحُصُول بُغيتِهم بنَبْل مُنازعِ:

«وجَمالُها طُرُزٌ لكي تزهَى بهِ … وطِرازُها يا ذا العُلى بالطابعِ»

وفتَى بني الجَنّان حاز الخَصْلَ في … تضمينِه معنى كلام الشارعِ:

«فالخَتْمُ للمكتوبِ تكرِمةٌ له … وكذا رَوَيْناه عنَ اكرمِ شافعِ»

وتلَوْتُهمْ وأنا المُقصِّرُ عنهمُ … ....

حتى أتَيْتُ بخامسٍ وبسادسٍ … وبسابعٍ [وبثامنٍ وبتاسعِ]

وبعاشرٍ كمُلتْ به عَقْدًا حَكَى … عِقْدًا تُنضِّدُه أكفُّ [الصانعِ]

وتلفَّعَتْ خَجَلًا بأحمرَ قانئٍ وتلفَّفتْ وَجَلًا بأصفرَ [فاقعِ]
عوَّذتُ بالسّبع المثاني سبعةً منها مخافةَ نافسٍ أو لاقعِ[1]
ورسَمْتُ هذا الذّيلَ تحريضًا بما راموا وتفضيلًا لهذا الطابعِ
وفي الاقتداءِ به أجلُّ فضيلةٍ فابعَثْ بها لتنالَ فَضْل التابعِ
والسرُّ إنّ السّرَّ فيه محجَّبٌ بالطَّبْع عن مستشرفٍ ومُطالعِ
وبحَوْطِهِ عن نَقْصِه وزيادةٍ فيه حِيَاطةَ كالئٍ لودائعِ
وبصَوْنِهِ الأسرارَ صاحبَ وَصْفِهِ كرمٌ فما سرُّ الكريم بذائعِ
هذا [وفيه] لِصَرْفِ ناظرِ ناظرٍ من غيرِ إذْنٍ فيه أكبرُ وازعِ
إنّ الكتابَ مخاطبٌ لكنّه لنواظرٍ يُثنَى خطابَ مُسامعِ
ولذاك شُبِّهَ ناظرٌ فيه بمَن يَرْنو لنارٍ في الحديثِ الشائعِ
فاخترْ من الأبياتِ ما هُو شائعٌ وانبِذْ سِواها بالمحَلِّ الشاسعِ
وإن اقتضَى النظَرُ الكريمُ بقاءها ذيلًا عليه فما له من دافعِ
واسمَحْ وأغْضِ وغُضَّ طَرْفَ النَّقْدِ عن ... نقد إلى الإبان نوازعِ
رِيعَتْ لناصِب خافضٍ أو جازمٍ إنْ لم تَمُدَّ لها يمينَ الرافعِ
واسلَمْ وعِشْ... فيما تشتهي من نَيْلِ آمالٍ ورَبِّ صنائعِ

وأمَرَ أبا يعقوبَ ابنَ الجنّان بمُعارضتِها فقال: ونقَلتُها من خطِّه [من الكامل]:

أصغَيْتُ للأمرِ الكريم مَسامعي وأنَرْتُ منه مَغاربي ومَطالعي
وعَمَرْتُ منه جَوانحي وتفكُّري وجعلتُهُ حين المنام مُضاجعي

(١) اللاقع: العائن، يقال: لقعه بعينه؛ إذا عانه، ورجل لقاعة وتلقاعة.

شكرًا لِما أوليْتَني من أنعُمٍ	طابَتْ بهنَّ مَواردي ومشارعي
قرَّبْتَني هَذَّبْتَني أكسَبْتَني	صِيتًا بشِعري في عُلًى وتواضُعِ
وَجَدَ المحَلُّ له قَبُولًا فاكتَسى	حُلَلَ المُحَلَّى ذي الرُّواءِ الشائعِ
لكنْ عَرَا من دونِ قَصْدي شاغلٌ	ما زال عن قَصْدٍ ورأيٍ قاطعِ
[..........................]	بَسْط اعتذاري قبلَ سَمْع شوافعي
[...............] من بَذْلِ المُنى	ولقاصديهِ لديه سُوقُ مَطامعِ
[...............] ويَحُوطُهمْ	بالرأي منه وبالحسامِ القاطعِ
[من يلقَهُ يلْقَ] السماحةَ والنَّدى	أعظِمْ به كرَمًا وخيرَ مماصِعِ
[أخلاقُهُ] ورواقُهُ ومساقُهُ	[.........] واتّساقُ منافعِ
[وخِباؤه] وبهاؤهُ وعلاؤهُ	شِيَمٌ تبدَّت عن حُلًى وطبائعِ
إنْ جال في إيرادِها برُويّةٍ	أصمَى الصّوابَ كسَهْمِ رامٍ بارعِ
أو صادَفَ الأطوادَ منهُ مَضاؤهُ	سَهُلتْ مصاعبُ سَمْتِها للرافعِ
للحِلم منه مَواقعٌ مَرْضيّةٌ	للعَزْم منه مضاءُ حدٍّ رائعِ
أولى من البَسْطِ الجميل محافِلًا	نُظِمتْ بناظم أُنسِها وبجامعِ
فيها من الأدباءِ نُخْبةُ دهرِهم	يَرْوُونَ حُسنَ مَطالعٍ ومَقاطعِ
حتّى جرى ذكْرٌ لكتّابٍ سَعَوْا	لرئيسِهم يومًا حضورَ الطابعِ
نَظَموا طِلابَهمُ بأبياتٍ لهمْ	كنجومِ هَقْعةَ أو كنَسْرٍ واقعِ
فالإستجيُّ لهم بَدَا بمقالِهِ	إذْ كان في الآدابِ غيرَ مُنازَعِ:
«نُسِجَت بُرودُ الكُتْبِ وَفْقَ مُرادِكمْ	فأتَتْ مفوَّقةً بخطٍّ بارعِ»

ثم اقتفى عُمَرُ الشّرقِيّ[1] نظْمَهُ أبْدَى البيانَ بخيرِ نظمٍ صادعِ:
«وكما لَها طُرُزٌ لكي تزهَى بهِ وطِرازُها يا ذا العُلى بالطابَعِ»
وتلا ابنَ جَنّانٍ سَنِيَّ مقالِهِمْ ونَحا اقتداءً بالنبيِّ الشارعِ:
«والخَتْمُ للمكتوبِ تكرمةٌ لهُ وكذا رَوَيْناهُ عنَ اكرم شافعِ»
فرأى المُيَمَّنُ ذو المكارم والنَّدى تذييلَها كيما تُزانُ برابعِ
فأجَبْتُهُ عملًا بآراءٍ لهُ حرَّكْنَ مني حُسنَ نظمٍ ناصعِ
فالمهتدونَ قدِ اقتَفَوْا آثارَهُ من صاحبٍ صَدَقَ المقالَ وتابِعِ
فابعَثْ إلينا طابعًا نختِمْ بهِ عملًا بتحريض الرسُولِ الوازعِ
والصَّحْبُ قد وافَوْا بتذييل بهِ صَدَعوا البيانَ بكلِّ سحرٍ ماصعِ
ومضَتْ لنا أيامُ أُنْسٍ أبهجَتْ أوقاتُها بتقاوُلٍ وتراجُعِ
وبنَشْرِ آدابٍ بدَتْ درَجاتُها [في الارتفاع كمثلِ نَجْمٍ طالعِ]
وبجَمْعِنا عبدَ الإلهِ القابسي نَجلَ المُعزِّ [..............][2]
بالشَّرقِ[3] طابَ ولادةً ونَجابةً وروايةً ودرايةً [............]
يُبدي لنا شعرًا قدَ احْكَمَ رَصْفَهُ بعَروضٍ اختُرِعت [............]

---

(١) مكسور، وفوق كلمة الشرقي في الأصل كلمة «كذا» ويجوز أن تكون: «اشرقيٌّ»، وهي الصيغة البربرية للكلمة وبها يستقيم الوزن.

(٢) محو تام، وربما كان فيه فائدة في التعريف بالشخص المذكور، ونخمن أن تكون القافية هكذا: جامع أو مدافع. وعلى هذا التخمين يمكن أن يكون هذا السيد القابسي من بني جامع أمراء قابس الذين انتهت إمارتهم على يد الموحدين وكان آخرهم الأمير مدافع.

(٣) المقصود بالشرق هنا البلدان الواقعة شرق المغرب الأقصى أي بلدان المغرب الأوسط وما وراءه حتى إفريقية؛ وذلك لأن الشخص المشار إليه هنا منسوب إلى قابس.

لم يَرْوِهـا الأدبـاءُ عـن شُـعرائهم ... فاعجَبْ لأشـعارٍ بـنَظْم [....][1]

لا بالعَروضِ ولا اللّغاتِ تسَرْبَلَتْ ... لكـن مَعانيهـا كـسُمٍّ نـاقعِ[2]

تُبـدِي لنـا غُـرَرَ البيـانِ مَـشُوبةً ... بمـواعظٍ فاضَـتْ بهـنّ مـدامعي

وإذا يُهـاجي ماجنًـا كوميًّنـا ... يُجرِي الـشؤونَ بكـلِّ دمـعٍ هـامعِ

طِيبًـا وضِـحْكًا لا يقـاسُ بطيِّـبٍ ... إلا بـأخلاقِ الـرئيسِ الفـارعِ

أبكـارِ كـلِّ فـضيلةٍ موروثـةٍ ... عـن والـدٍ في العلـم بحـرٍ واسـعِ

ذاك الإمـامُ المعتـزي لعلومِـهِ ... إيـضاحَ لَـبْسِ نـوازلٍ وشرائـعِ

الزاهـدُ الـوَرِعُ المـسَمَّى أحمـدًا[3] ... شمسُ الهدى علمًا وطِـرسَ منـافعِ

مـن كـان يَـروي بالمكـارم غُلّـةً ... قـد كـان يُـروَى علـمَ شرعٍ نـافعِ

ما زال صَدْرًا في العلوم وفي النَّدى ... بحـرًا يفـيضُ لآمِـلٍ ولـسامعِ

وأتـى لنـا مـن بعـدِه نُجَبـاؤهُ[4] ... فـاقوا الـوَرى بمكـارمٍ ومَنـازعِ

أبقـاهمُ اللهُ وآمَـلَ جُـودَهمْ ... يحيـا بـبِرٍّ دائـمٍ مُتتـابعِ

وأدام يعقوبًـا[5] لنـا في غِبطـةٍ ... يحيـا بنَـصْرٍ للمُـضاهي سـافعِ

وعَـدَاهُ بـينَ مقتَّـلٍ ومـجَدَّلٍ ... ومقـرَّنٍ بـسلاسلٍ ومجـامعِ

---

(١) محو تام في الأصل.

(٢) يبدو من الأبيات أن الشخص المذكور كان يقول شعرًا على طريقة أشعار العرب وأهل الأمصار العربية التي تحدث عنها ابن خلدون في مقدمته.

(٣) هو اسم والد الممدوح وقد تقدمت الإشارة إلى ترجمته.

(٤) يفهم من هذا أن الملياني الممدوح كان له إخوة وربما كانوا معه في أغمات ولا نعرف منهم إلا عليًّا والد أحمد الملياني صاحب الفعلة المشهورة.

(٥) هو الخليفة أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني ولي نعمة الممدوح.

وجميـع أقطـارِ الـوَرى في حُكمِـهِ والسَّعدُ عنـه الـدهرَ أعظـمُ دافـعِ

فلم يرفَعْ أبو عليّ بها رأسًا، واتّـخَذَ قصيدتي سميرًا ونَجِيًّا وأُنْسًا، يُوالي مطالعتَها، ولا يَسأمُ مُراجعتَها، وكلّما رجَعَ لها بصَرَه، وأعاد فيها نظَرَه، زاد بها شَغَفًا، وشاد لها شَرَفًا، فنَفَقَ سُوقُها، وشُهِرَ سموُّها على أترابِها وبُسُوقُها، وانتَهَت شهادتُه باستحسانِها إلى الشّيخ الأديب الـحَسِيب أبي عليّ حَسَن بن [ ] بن أبي الطاهر(١)، فنَظَمَ في معارضتِها هذه القصيدةَ ورَفَعَها إليه، ونقلتُها من خطِّ ناظمِها [من الكامل]:

يا خـيرَ مُـصْغٍ للقـريضِ وسـامعِ وأجـلَّ مَـن بَـذَلَ النَّـوالَ لقـانعِ

.... كزهْــوِ كواعــبٍ ببَراقــعِ

.... ومــا ســتَرَتْهُ مِــن غَـدْرٍ حِـسَانٍ كالـشّموس طَوالـعِ

[............] أبــا عــليٍّ إنّهــا بـكَ جنّـةٌ تَحْـوي عـذابَ مَـشارعِ

.... مــا تتّقيــه وأهلُهــا فكأنّهــا الــحَرَمُ الأمـينُ لجـازعِ

[وحكَمْتَها] بالعدلِ منك مُساويًا بــينَ العزيــزِ ديانــةً والـضّارعِ

[......] عينَ حَسُودِكمْ يا ذا العُلى وبقِيتَ من حَكَـمٍ رِضًـا متواضـعِ

[...........] تقِـيٌّ زاهـدٍ متورِّعٍ شَــهْمٍ كمِــيٍّ للــشدائدِ دافــعِ

حَــبْرٌ نقــابٌ عــارفٌ متفــنِّنٌ نَــدْبٌ كــريمُ مناقــبٍ وطبــائعِ

يلقَــى العُفــاةَ بمُجــتَلًى متهلِّــلٍ وبنائـلٍ طـمَّ الـخَـصاصةَ قـانعِ

ويُريـكَ نُـورَ البِـشرِ منـه بـشائرٌ تُدْني مـن الأمَـلِ البعيـدِ الـشاسعِ

وإذا تقَــدَّم للــوغى فبِبأسِــهِ لعداتــه فيهــا عــداد مــصارعِ

---

(١) لم نقف على ترجمته ولعل له صلة بالشريف أبي الطاهر المترجم في عنوان الدراية: ٢٣.

تخشَى العُداةُ طعانَهُ وقِرانَهُ ... فبطاعنٍ منهُ تُنالُ وقارعِ

يا ابنَ التقيِّ الزاهدِ الوَرِع الرِّضا ... والعالِم المُحيي رُسومَ شرائعِ

عَلَمُ الفَخارِ سمِيُّ خيرِ مشفَّعٍ ... في الخَلْق ذو الحَسَب الصّميم الناصعِ

يَهنيكَ ما قد حُزتَ من أثرٍ ومِن ... باعٍ مَديدٍ في المعارفِ واسعِ

وإليكَها ممّن تقادَمَ عهدُهُ ... بكَ[1] يا مُنيلَ فوائدٍ ومنافعِ

تتضمّنُ الأبياتُ يا عَلَمَ الهُدى ... للكاتبينَ دُعابةً في طابعِ

إذْ قال عندَ فَراغِهِمْ من كَتْبِ ما ... أمَروا به التِّحريرَ غيرَ مُنازَعِ:

«نُسِجَتْ بُرودُ الكُتْبِ وفقَ مرادكمْ ... فأتَتْ مفوّفةً بخطٍّ بارعِ»

وتلاه في معناه أيضًا تابعٌ ... فأصِخْ سَماعًا للمُجيدِ التابعِ:

«وجَمالُها طُرُزٌ لكي تزهَى بهِ ... وطِرازُها يا ذا العُلى بالطابعِ»

واسمَعْ مقالةَ ثالثٍ نعُمَتْ بها ... قد قالهُ أذُنُ المُصيخ السامعِ:

«فالخَتْمُ للمكتوبِ تكرِمةٌ لهُ ... وكذا رَوَيْناهُ عنَ اكرم شافعِ»

ولرابعٍ فاسمَعْهُ تذييلٌ ودَعْ ... تذييلَ سادسِ خامسٍ أو سابعِ

إيهٍ وفيه زيادةٌ ناطت بهِ ... مَنعَ الزيادة رَقّ سرِّ المانعِ

وبهِ كذلك ضِدُّها متعذِّرٌ ... صَعْبٌ [..................]

لله دَرُّ عصابةِ الأدبِ الأُلى ... سَمَحوا [..................]

هم كالأثافِي قد تُحَلِّي طِرْسَهمْ ... من وَشْي كُتْبٍ [..........]

---

(1) قد يفهم من هذا أن صاحب هذه القصيدة من أصحاب الممدوح الملياني الذين رافقوه عند لجوئه إلى المغرب.

فكـأنّما صـنعاءُ قـد وهبَتْـهُ مـن   وشيٍ بها فَـزَها بـصنعةِ [صـانعِ]
طِرسٌ عليه الـرّوضُ خـالعُ لُبْـسِهِ   زمـنَ الربيـع فيـا لـهُ مـن خـالعِ
شَـتَّى أزاهـرُهُ فمِـن يقـقٍ زَهَـا   ببياضِـهِ الأسـنى وأصـفر فـاقعِ
مُتـضاوعِ النَّفَحـاتِ لكـنْ بَـزَّهُ   طِيـبُ الثنـاءِ الطيِّـبِ الـمُتـضاوعِ
لله ذو أدبٍ تـذكَّرَ مـا جَـرى   في طـابَعٍ كتـب الخلائـف طـابعِ
أصغَيْتَ سمعًا للحـديثِ وحُسنِهِ   وبـه عُنيـتَ لـذكْرِه المتتـابعِ
فاقطُفْ سِراجَ المجدِ زَهْـر كُمامِها   واطرَبْ بشَدْوِ حَمام روضٍ ساجعِ
لا زلـتَ ترفَـعُ للـسيادةِ رايـةً   تَقْـضي بطُـولِ بقـاءِ عـزٍّ الرافـعِ
وجَرى القضاءُ بما تُحـبُّ وتـشتهي   وثَوى ببُرجِـكَ نـورُ أسـعدِ طـالعِ

وهذه القصيدةُ وإن كانت من النّمَطِ الوَسَط فإنّها أقربُ للقَبول من قصيدةِ ابن الـجَنّان.

وقد التمَسْتُ تذييلَ تلك الثلاثة من بعض أصحابِنا، منهم: أبو عِمرانَ [.........] التَّمِيميُّ الإفريقيّ[1]، فقال، ونقَلتُه من خطِّه [من الكامل]:

والخـيرُ كـلُّ الخـيرِ في أن تقتَفـي   مـا جـاء عنـهُ وحَـلَّ أُذْنَ الـسامعِ

---

(١) هو الفقيه الأديب أبو عمران التميمي الإفريقي - نسبة إلى إفريقية، تونس - ذكره مؤلف الذخيرة السنية وقال: إنه كان من جلساء الأمير أبي مالك عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق الذي كان يجالس العلماء والفقهاء والشعراء ويذاكرهم واختص بمنادمته ومسامرته جماعة من أهل الأدب والفقه منهم المذكور والقاضي يوسف بن أحمد بن حكم ومالك بن المرحل وعبد العزيز الملزوزي، وفي الذخيرة السنية نماذج من مسامراتهم الأدبية التي جرت بقصر الأمير في مراكش في المدة التي أعقبت دخول المرينيين إلى مراكش فيما بين سنة ٦٦٨هـ وسنة ٦٧٠هـ (انظر الذخيرة السنية: ١٢٣ وما بعدها) ويبدو أن أبا عمران هذا له صلة ما بهؤلاء التميميين الذين تقلدوا مناصب عند الحفصيين والمرينيين (انظر: مستودع العلامة ونثير فرائد الجمان).

وأبو عِمران [....] ابن الـحَرّار[1] فقال، ونقلتُه من خطِّه [من الكامل]:

فـامنُنْ بتعجيـلِ الخِتـام لعلّهـا ... يغـدو الرسُـولُ بهـا بـأيمَنِ طـالعِ

وأبو محمدٍ عبدُ الرّحمن البَسْطيُّ[2]، فقال، ونقَلتُه من خطِّه [من الكامل]:

وبه الحِجابُ لِـما عليه قـدِ انطـوَى ... كالقُفْـل صـار عـلى مقـرٍّ ودائـعِ

وأبو زكريّا بنُ عليّ بن يحيى بن إسماعيلَ[3]، فقال، ونقلتُه من خطِّه [من الكامل]:

ولقد أصابَ الـحَزْمُ واضعَهُ ليحـ ... ـفَظَ سرَّه أنبِـلْ بـه مـن واضـعِ

سِرُّ الكتـابِ بـه يُـصانُ فلـو عَـرَا ... منـه لأصـبح كالحـديثِ الـشائعِ

قال المصنِّف عَفَا اللهُ عنه: أثبتُّ هنا ما حَضَرني من هذه التذييلات؛ لأنّ فيها أمارة، على أنّ بهذه البلادِ من أهل هذا الفنِّ عِمارة، وكم تقَدَّمَها من عاضِد، [وما سُقناه هنا] على ذلك أصدقُ شاهد.

توفِّي أبو يعقوبَ [ابنُ الـجَنّان يومَ] السَّبت لثلاثَ عشْرةَ ليلةً خَلَت من ربيع الآخِر سنةَ [....][4] وست مئة. مولدُه بِسَلا.

٢٣٥ـ يونُسُ[5] بن مهذَّبِ الدِّين عثمانَ [الـحَسَنيُّ] المازَنْدرانيُّ؛ نَجْمُ الدِّين المازَنْدَرانيّ.

---

(١) لم نقف له على ذكر.

(٢) ذكره ابن عذاري في البيان المغرب (٣/ ٣٣٦-٣٣٧) حيث نقل عنه نصين طريفين أحدهما في وصف أمير المسلمين محمد بن يوسف بن هود والآخر في وصف حال ابن الأحمر عند دخوله غرناطة.

(٣) لم نقف له على ذكر في مكان آخر.

(٤) محو في الأصل.

(٥) له ترجمة في نفح الطيب ٣/ ١٤٥-١٤٦.

رَوى عن أخيه. وقَدمَ الأندَلُسَ [فَروى عنه] بإشبيلِيَةَ أبو القاسم خَلَفُ بن عبد العزيز القَبْتوريُّ[1]؛ وأجاز إلى [العُدوة] وعاد منها إلى الأندَلُس، الكاتبُ الأبرع أبو عبد الله ابنُ الـجَنّان [رسالةَ] إعلامٍ بقَصْدِه للشيخ الأوحد أبي الـحَسَن سَهْل بن مالكٍ[2] رحمَهم الله، وهي [من الطويل]:

سَرى النّجمُ نَجْمُ الدِّين للغربِ قاصدًا ... من الشّرقِ كي يلقَى سِراجَ المعارفِ

فقلتُ له: يا نَجْمُ بلِّغْ تحيّتي ... وذِكْري وشكري للنّدى والعَوارفِ

وزُرْ في ربى نَجْدٍ[3] ديارَ ابنِ مالكٍ ... تجِدْ كلَّ مجدٍ من تليدٍ وطارِفِ

وخيِّم لدى سَهْل فسهلٌ جَنابُهُ ... رَحيبٌ لـجَوّاب الفَلا والتنائفِ

وقَرَّ إذا تلقاهُ عينًا بقُربِهِ ... فسوف يَرى لُقْياك إحدى اللطائفِ

وخُذْ عنه ما تَرويه إن جئتَ مكّةً ... لكلِّ مُلبٍّ بالمشاعرِ طائفِ

وصِفْ لبني السِّبْطيْنِ قومَك فضْلَهُ ... فيا حُسنَ موصوفٍ ويا حُسن واصفِ

كتابي إلى المجلس العلميّ، السُّنِّيِّ السَّنِيّ، زاده اللهُ تكريمًا وترفيعًا، وأبقى للعلوم ببقائه تأصيلًا وتفريعًا، وحرَسَ جانبَه فلا يزالُ بالعزِّ منيعًا وبالسعدِ مَريعًا، كتابٌ يتشرّفُ بالمحمولِ إليه والحامِلِ، وتَغبِطُ النفْسُ فيه حظَّ الطِّرس وخَطَّ الأناملِ؛ ذلكم بأنه خاطبتُ به أشرفَ المجالس، النيّرةَ الـمَقابِس، المحيِية رسومَ الفَضْل الدارس، وبعَثْتُه معَ كبيرٍ من الشّرفاءِ أهل البيتِ النَّبويّ، وذوي الـمَناسب الأطايبِ من ذُريّة البَتُول والوصيّ، وهو الشريفُ السيّد الأوحَد الصَّدْر العليّ الأكمَل الجليلُ الأفضل نَـجْمُ الدِّين الـحَسَنيّ، حفِظَ [اللهُ] رُتبةَ شرفِه، وصَلّى على

(1) ترجمته ومصادرها في مقدمة رسالته التي طبعت في المطبعة الملكية بالرباط بتحقيق الدكتور الهيلة، وانظر بعض ما روى خلف القبتوري عن الشريف نجم الدين في رحلة ابن رشيد ٢/ ١٥٥ تحقيق الشيخ ابن الخوجة.

(2) ترجمته ومصادرها في السفر الرابع (٢٢٩).

(3) في الأصل: «مجد» وهو تحريف، ونجد من معالم غرناطة ومتنزهاتها.

الـمُجتبَيْنَ من سَلَفِه، وإنّ هذا المنتميَ إلى المجد الباهرِ العلياء، والجدِّ الخاتم ديوانَ الأنبياء؛ لتَظهَرُ عليه بركاتٌ يستمِدُّها من عُنصرِها، وتَسري إليه من أُسرةِ الرسالة ومعشَرِها، فمن كمالٍ إنسانيّ، وجلالٍ نَفْسانيّ؛ وآدابٍ حِكَميّة، وآثارٍ مضيئة رَضِيّة، حسَنةٍ حَسَنيّة؛ فإنْ تكلَّم فكلامُه شَرَكُ العقول، وإن رَسَم في القِرطاس تحيَّر التفضيلُ بين المرسوم والـمَقُول؛ وبالـجُملة، فسترَوْنَ منه كلَّ [ما رَقّ وراق، وأمتَعَ الأسماعَ والأحداق]. ولـمّا رمَتْ به نوى الغُربة إلى بلادِ المغرب، وهي التي شكا (عَطَنَها، وعابَها) وما استحسَنَها، واستَوْبأَ هواءها؛ واستَوْبَلَ أهواءها، (ووَجَدَ ناسَها كالأشباح، خاليةً) من الأرواح، وسَماحَها قد غاضَ فلم يبقَ بلَلٌ من سيحِه بالساح، [فكثُرت حوْقلتُهُ] واسترجاعُه، وقال أينَ رونقٌ كان قد قَرَعَ الأسماعَ سَماعُه؟ فقيل له: [ذهب] ما هنالك، وغيَّرت الغِيَرُ المسالكَ والممالك، اللهم إلّا أنّ اللهَ أبقى البلادَ التي هي للفضائل بذلك، وحسَنتَها التي هي نورٌ في اللّيالي الحوالك، [قال]: فمَن تَعنُون؟ قلنا: أبا الـحَسَن سَهْلَ بنَ مالك؛ سيِّدٌ يفاخِرُ به إقليمُه الأقاليم ويُباهي[1]، ويوجَدُ الـجُودُ في ماله وهُو الآمرُ الناهي، وتؤخَذُ عنه من شريعةِ جدِّك عليه السّلام الأوامرُ والنواهي، فقال: وجَدِّي لأعُودَنَّ إلى أرضِه حثيثَ الرِّكاب، مُستسهِلًا في طلبِ الأُنْس به وَحْشةَ القَفْر اليَبَاب، حتى أحُلَّ بمَغْناه، وأحصُلَ من كمالِه على فائدتَيْ لفظِهِ ومعناه؛ فقلنا: هُديتَ يا نَجْمُ سائرًا وساريًا، وسوف تلقَى صباحَ المجدِ المنير لا مُحتجبًا ولا مُتَواريًا، فتحمَدَ سُراك، وتشهَدَ للمغربِ إن شاء اللهُ بحُسن ما أراك؛ وعندَما ثنَى نحوَ ذلكم الرَّبع الآهِل العِنان، وأحبَّ أن يردَ صفْوَ تلكم المناهِل ليعلم الأثَرَ والعِيان، أصحبتُه هذه المخاطبةَ لتشرُفَ بصُحبتِه، وتمجُدَ بإضافةِ تحمُّلِه لها ونسبتِه، وقد أودعتُ شرفَه ودائعَ إخلاص، وبدائعَ اختصاص، يتفضَّلُ بتبليغِها، وتُلقيها بلاغتُه إلى فصيحِ الدّنيا وبليغِها، وإنّي لأرجو أن أسعدَ منكما بين سعيدَيْن، وأن نجدَ جميعًا الرحمةَ

(١) ذكر ابن سعيد أنه كان صاحب العقد والحل في غرناطة، وكان يسخر من ابن هود فنفاه إلى مرسية، ولم يعد إلى بلده إلا بعد موت ابن هود. وقد امتدحه عدد من معاصريه.

مبسوطةً بحبِّ بني السِّبْطَيْن؛ واللهُ تعالى يصلُ أسبابَ الرجاء في فضلِه العميم، ويُصَلّي على محمدٍ وعلى أهل بيتِه الكريم، وهو سبحانَه يُديمُ لكم أيها السيِّدُ الأعلى عُلوَّ المراتب، ومَتْلوَّ المناقب، ويمتِّعُ الوجودَ منكم بالعِلم الـمُناكِب، لأوْج الكواكب. بمَنِّه.

ولـمّا وردَ غَرْناطةَ لقِيَ بها أبا الـحَسَن سَهْلَ بن مالك، فشاهَدَ منه الجلالَ يَعبُقُ نَشْرُه، والإقبالَ يتألقُ بِشْرُه، والنّوالَ يتدفّقُ بحرُه، والكمالَ أربَى على خُبرِه خَبْرُه، ولـمّا ارتَوى من لقائه، واحتَوى على ما استفادَه من تِلقائه، كَرَّ راجعًا إلى سَبْتةَ مؤمِّلًا الوِفادةَ على حضرةِ مَرّاكُش، وكان بسَبْتةَ حينَئذٍ الشّيخُ أبو الـحَسَن الرُّعَيْنيّ فسأل [منه كَتْبَ إعلام إلى أهل] مَرّاكُش فوعَدَه بذلك ثم شَغَلَه عنه شواغلُ ما [كان بصَدَدِه من الانتقال] إلى مَرّاكُش، فكتَبَ نَجْمُ الدِّين إليه ليَستنجِزَ وعْدَه [من الوافر]:

[تُـذكِّرُنا] الرِّقـاعُ إذا نَـسِينا ... ونكتُـبُ كلّـما غَفَـلَ الكـرامُ

[وإنّ الأُمَّ] لم تُرضِـعْ فتاهـا ... معَ الإشفاقِ لو سَكَتَ الغـلامُ[1]

فأجابُه أبو الـحَسَن [من الوافر]:

[عَذِيرُك] يا ابنَ خيرِ الـخَلْق طُـرًّا ... فـإنّ العُـذرَ يقبَلُـهُ الكـرامُ[2]

ولكـنْ عـاقَني شُـغلٌ تـوالَى ... ففـي اليـدِ والفـؤادِ لـهُ ازدحـامُ

وأصحَبَه أبو عبد الله ابنُ الـجَنّان أيضًا رسالةً إلى أبي الـمُطرِّف بن عَمِيرةَ وهو قاضٍ بِسَلا ورِباطِ الفتح يُعلِمُه بشأنِه، ومـحَلِّه من الفضلِ ومكانِه، وهي هذه [من الطويل]:

أيـا راكبًـا نحـوَ الرِّبـاطِ ولي بـهِ ... حبيبٌ ربـاطُ الـصبرِ حُـلَّ لبُعْـدِهِ

رُوَيْـدَك أُودِعْـك الـسلامَ رسـالةً ... إلى وُدِّه فـامنُنْ عـلـيَّ وأدِّهِ

---

(١) يبدو أن البيتين من نظم المذكور.

(٢) بعد هذا بياض في الأصل مقداره بيتان.

وبُثَّ، وُقيتَ البَثَّ، آثارَ لوعتي ووَجْدي وما بي من غرامٍ لمجدِهِ

وقُلْ: يا ابنَ عمّي لو رأيتَ الذي لفَقْدِ التّداني كنتَ تخشَى لفَقْدِهِ

وبالله يا نَجْلَ الشفيعِ شفاعةً ليُحفظَ قلبي لا أقولُ بردِّهِ

كتابي هذا يحمِلُه إلى سيِّدي الحاملُ من العلوم لواءها، ومن المكارم أعباءها، أبقى اللهُ كمالَه محروسَ السَّناء، مأنوسَ الفِناء، مقبوسَ الأضواء، نَجْمٌ في الآفاقِ سارٍ، وفي مطالع الإشراق معَ الخُنَّس الجَواري جارٍ، وهو نَجْمُ الدِّين ابن مُهذَّبِه، الشريفِ الذي تعتقُ بسِرْبِه، نَجْل السيِّد الذي تعزُّ قُريشٌ بسيادتِه، وتقَرُّ عينُ المجدِ النّبويِّ والجدِّ العَلَويِّ بمَجادتِه، زاده اللهُ تألقًا وسَنًا، وقَدَّس أبوَيْه عليًّا وحَسَنًا، وإنه لذو شِيَم عَلَويّة، وحِكَم نَبَويّة، وآدابٍ محاسنُها تجمَعُ محاسنَ الزّمن، وصنائعُها تُطلِعُ في القِرطاس صنعاءَ اليمن، ومعَ ذلك رِقّةٌ كرقّةِ النّسيم، وعُذوبةٌ كعذوبة التّسنيم، وما شاء الشَّرفُ من خُلُقٍ سَنِيّ، وخَلْق حَسَنيّ، وهمّةٍ تكلَفُ بالعُليا، وتعتسفُ المجاهلَ لتُعلمَ أعلامَ الدنيا، ولـمّا سَمِع وصْفَ ذلكم الكمالِ فَراقَه، استَسْهلَ بتدانيهِ نزوحَ الوطنِ وفِراقَه؛ فتحمَّلَ إليه ليحمِلَ عنه ما يُتحِفُ به حجازَهُ وعِراقَه، وحين أخبِر بانتمائكم لذلكم الحَيِّ من قُريش، قال: أيْشٍ أطلُبُ غيرَ لقاءِ ابن العمِّ؟ فيا طِيبَ العَيْش، آنَسُ بقُرباه وقُربِه، وأَصُولُ على الأيام بحِزبِه؛ فقلتُ له عندَما أزمَعَ السَّير وقال: أمَلي لقاءُ المخزومي: سلِّمْ يا نَجْمُ على من يكتحلُ بسَناك ويقولُ عندَ لُقْياك: تبارَكَ من [خَلَقَك فسَوّاك]، فبجَدِّك الرسُول صَلَواتُ الله عليه وسَلامُه، وبأهل البيتِ الذين بهم مُقامُه ومَقامُه، إذا استقَرَّت بك منازلُ قاضينا الفاضل وخِيامُه، وتَجارَى في حَلَبَةِ أولي المحبّة كلامُك وكلامُه؛ فقرِّرْ عندَه ما عندي وثبِّتْه، وأغرِسْهُ في ثَرى أطيبِ أرضٍ لديه وأنبِتْه؛ وقُلْ له: هو فيك كما عَهِدتَه متشيِّع، وبرفضِ ما سوى إمارتِك في البلاغة متشرِّع؛ ليَعلمَ أنّ الأيامَ لم تُكَدِّرْ صفائي، ولم تنقُصْ وفائي، ولم تنقُضْ عهدَ خُلَصائي، فضَمِنَ ليَ التبليغَ الذي يُرضيني، وتكفَّل بأكثرَ مـمّا يقولُه لساني وتخُطُّه يميني، فقلتُ: الآنَ بَلَغْتُ بُغيةً وسؤلًا، وشُرفْتُ بأن وجَدتُ إليكم منَ ابنِ عمِّ الرسُول رسولًا، فالحمدُ لله عليها

نعمةً جَلّت صورةَ فَرَحي، وتَلَتْ سَوْرَةَ مقترَحي، وهذا الشريفُ الماجد، المنسوبةُ إليه المحامد؛ مليءٌ بأخبارِ المشرِق الـمُشرق، والشّرقِ الشَّرِق، فخُذوا عن العدلِ من بني السِّبْطَيْن، حديثَ الشرقَيْن؛ إن شاء الله.

ولـمّا احتَلّ برباطِ الفتح شاهَدَ من قاضيه أبي الـمُطرِّف رَوْضَ الأُنس ومُنى النْفس، [ومقصِدَ] الواردِ والوافد، وعالَـمَ السّراوةِ جُمِع في شخصٍ واحد، وتشوَّف للوِفادة على حضرةِ مَرّاكُش منتهى الرغائب، وجامعةِ أشتاتِ الغرائب، السائرةِ الذِّكرِ في الآفاق، الـمُنسِيةِ ببهجتِها وضخامةِ مملكتِها دمشقَ الشام وبغدادَ العراقً؛ فأصحَبَه أبو الـمُطرِّف كُتُبَ تعريفٍ وإعلام، إلى بعض مَن بها من السُّراةِ الأعلام، فكتَبَ إلى رئيس الكتّاب وعميدِ الآداب، وجامعِ ضروبِ الإحسان، أبي العلاء محمد بن أبي جعفر بن حَسّان[1] [من الكامل]:

يا ابنَ الـوصيِّ إذا حمَلـتَ وصـيّتي	أوجَبْـتَ حقًّـا للحقـوق يُـضافُ
وتحيّتـي كـلُّ التّحايـا دونَهـا	وكـذاك دونَ رسُولِـها الأشرافُ
أحسِنْ بأنْ تلقَـى ابـنَ حَـسّانٍ بهـا	مهتـزّةً لورودِهـا الأعطـافُ
كـالرَّوض بـاكَرَهُ النّـدى فلِقُرْبِهـا	يا ابـنَ النبـيِّ علـى النّـديِّ مَطـافُ
وعَـلاك إنّ أبـا العَـلا ومكَانَـهُ	يُلفَـى[2] بـه الإسعادُ والإسعافُ
[مَن فيـه للـزّور ارتياحـةٌ] ماجـدٍ	مـن زورِهـا وأبيـك لـيس يخافُ
[وأحقُّ من عرَفَ] الكرامَ بوصفِهمْ	مَـن جُمِّعـت مـنهمْ بـه أوصـافُ

[هذه يا سيّدي] تحيّة، تجبُ لها إجابةٌ وَحِيّة[3]، وتَصلُحُ بها هشاشةٌ وأريحيّة،

---

(١) هو الكاتب الطبيب الأديب، خدم بصناعة الطب الخليفة المستنصر الموحدي وأصبح في آخر حياته كاتبًا في بلاط الرشيد الموحدي (ت ٦٤١هـ) انظر ترجمته في القدح المعلى ١٢٦-١٢٧ وعيون الأنباء ٣/ ١٢٩، وهذه الرسالة موجودة في نفح الطيب ٣/ ١٤٥-١٤٦.

(٢) في رسائل ابن عميرة: «يلقى».

(٣) وحية: مستعجلة.

وأريحيّة، [أودعتُها بَطْنَ] هذه العُجالة، وبعثْتُها معَ صدرٍ من أبناءِ الرسالة، ولله درُّه من [راضع درَّ النّبوة]، متواضع معَ شرفِ الأبوّة، نازعتهُ طُرَف[1] الأشعار، وأطراف [الأخبار]، فوجدتُ بحرًا حصَاهُ الدُّرُّ النَّفيس، ورَوْضًا يُجتنى[2] منه أطايبُ الثّمرِ الـجَليس، [ويُنعَتُ] بنَجْم الدِّين، وهو كنَعْتِه نَجْمٌ يضيء سَناه، ويـحُلّ بيتًا من الشّرفِ رَبُّه بناه؛ وقد جابَ الفضاءَ العريض، ورأى القصُورَ الـحُمرَ والبِيض؛ ووَرَدَ الـحُجون، بعدَما شربَ من جَيْحُون، وزار مشاهدَ الحرمَيْن، ثم سار في أرض الهرمَيْن، وطَوَى غيرَها لهذا الأفق مختارًا، وعبَرَ إلى الأندَلُس فأطال اعتبارًا؛ وتشوَّف[3] إلى مطلَع الأنوارِ الـمُفاضة، والنِّعَم السابغةِ الفَضْفاضة، وجعَلَ قَصْدَها لـحَجّةِ سَفَره طوافَ الإفاضةَ[4]؛ وهمُّه أن يشاهدَ سَناها العُلْوي، ويُبصرَ ما يُحقَرُ عندَه المرئيُّ والـمَرْوي، وهي غايةٌ يقولُ الآمِل[5]: عليها أطلتُ حَوْمي، وجَنّةٌ يتلو الداخلُ لها: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي﴾[6]، وسيّدي الأعلى هو منها بابٌ على الفتح بُني، وجَنابٌ عِنانُ الآمل إليه ثُني، وقَصَدَه من هذا الشريفِ أجلُّ قاصد، وأظلّتْه سماءُ المجدِ بجمال المشتري وظَرْف عُطارد، ومتى نَعَتناهُ فالخبرُ ليس كالعِيان، وإن شَبّهناهُ فالتمويهُ بالشِّبْه عقوقٌ للعِقْيان، ومن [يفضَحْ] قريحتَه يقولُ لها: صِفيه، لكنْ هو يُعرِبُ[7] عن نفسِه بما ليس في وُسْع مُنصِفيه، ويقتضي من عزيمةِ برِّه ما لا سعةَ للمترخِّص فيه[8]، إن شاء الله[9].

---

(١) في النفح: «طرق».

(٢) في النفح: «يجني».

(٣) في النفح: «وتشوق».

(٤) لا توجد هذه الفقرة في رسائل ابن عميرة.

(٥) في النفح: «للأمل».

(٦) إشارة إلى الآية الكريمة ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ [يس: ٢٦-٢٧].

(٧) في النفح: «يعرف».

(٨) الإشارة إلى العزيمة والرخصة من المصطلحات الفقهية.

(٩) في نفح الطيب: «إن شاء الله تعالى». ولا توجد في رسائل ابن عميرة. وفي النفح الزيادة الآتية: «وهو يديم علاكم، ويحرس مجدكم وسناكم، بمنه، والسلام الكريم، الطيب العميم يخصكم به معظم مجدكم، المعتد بذخيرة ودكم، المحافظ على كريم عهدكم، ابن عميرة، ورحمة الله تعالى وبركاته. في الرابع والعشرين لربيع الآخر من سنة ٦٣٩. انتهى».

وكتَبَ إلى قاضي القضاة، وأسنى موصُوفٍ بالشِّيَم الـمُرتضاة، بَحْرِ النَّدى وبدرِ النادي، أبي إسحاقَ بن أبي زَيْد الـمَكّادي[1] [من الكامل]:

إن يُقضَ جَمْعُك بالكريم الـمُرتـضَى … قاضي الجماعة فالـمُنى لكَ تقتضى

حَكَمـتْ معاليــهِ لقاصـدِه بـما … يَبْغي وحاشَ لـحُكمه أن يُنقَـضا

ولأنت يا ابـنَ الطيّبـينَ أحـقُّ مَـن … بـالبِرِّ والفَـضْل الـمُبَرِّ لـهُ قـضَى

أحيَيْتَ من ساداتِ قومِك قُدِّسـوا … في الفَضْل والأدَبِ الوصيَّ معَ الرِّضا

وأعدتَ فَخْرَ المعدِن الـحَسَنيِّ في … بـاقي الزّمـان كعهـدِه فـيما مـضَى

أنـتم وحـقِّ البيـتِ آل البيـتِ قـد … [أُلبِستُمُ الـشرَفَ النَّقـيَّ الأبيـضا]

وأبــوكمُ ســأَلَ المــودّةَ فـيكمُ … صـلى [عليـه اللهُ مـا قمـرٌ أضـا]

يَرِدُ على سيِّدي قاضي القُضاة، الفَذِّ في شِيَمِه الـمُرتضاة، من هذا [الشّريف الأجَلّ]، المباركِ الأطهر [الأكمل]، نَجْم الدِّين ابن مُهذَّب الدِّين، وَقَاهُ اللهُ الأفول، [وأبقاه فَرْعًا يُحيى تلك] الأصُول؛ نظيرُ النَّجم سَنًا مُنيرًا، وسُرًى ومَسِيرًا؛ وحيّاه اللهُ من ذي [مُـحَيّا بِشْرُه للوَحْشة] طارد، وظَرْفُه كأنما استَملَى منه عُطارد؛ يَروي من الآدابِ عيونَها، ويَـجْلو [من المحاسِن] أبكارَها وعُونَها، وقد راضَ من المسالكَ ما استَعصَى، وانتهَى إلى المغربِ الأدنى من المشرِق الأقصى؛ حتى كأنه أراد أن يَبلُغَ حيث بَلَغَ ذكْرُ مجدِه، أو يَفرُغَ من مساحة ما كان زُوِيَ[2] لسيّد الأوّلينَ والآخِرينَ جَدِّه؛ وله في معاني التَّجوال ومُعاناةِ الأهوال؛ قَصَصٌ

---

(١) لا نجد له ترجمة في المصادر التي بين أيدينا، وقد كان قاضي الجماعة بمراكش في عهد الرشيد الموحدي وأخيه السعيد. وكان أبوه أبو زيد المكادي قاضي الجماعة في عهد والدهما المأمون. وفي رسائل ابن عميرة رسائل أخرى موجهة إلى أبي إسحاق المكادي هذا (وراجع الترجمة رقم ١٠).

(٢) في الأصل: روي، والصواب ما أثبتنا، والإشارة إلى حديث: «إن الله تعالى زوى لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها». وزوى: جمع.

إنّما يتأدّى برَوْنقِه، من عذوبةِ لفظِه ومنطقِه؛ فإذا جاذَبَه سيّدي أطرافَه، وهزَّ بالإصغاءِ إليه أعطافَه؛ رأى صَدْرًا نمَتْه سادةٌ سُرات، وبحرًا متى يَطعَمُه قال: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ [الفرقان: ٥٣]، وإنّما هو حسَبٌ وَضّاح كقمرِ الدُّجُنّة، ومجدٌ طالبيٌّ من شيعتِه ذلك الجلالُ الماضي على سَنَن السُّنة؛ يُقسَمُ له محبةٌ في أبي القاسم من بِرِّه، ويُدرَى قَدْرُه فلا يُفطَمُ ابنُ فاطمةَ من درِّه؛ إن شاء اللهُ تعالى.

وكتَبَ إلى نقيبِ الطلبة، وصاحبِ القلم الأعلى من الكَتَبَة، أبي زكرّيا الفازَازيّ[1] [من المتقارب]:

«لك الخيرُ لا تُخلِها من قَبُولِ	وخَلِّ لها نَفَحاتِ القَبُولِ
وخُذْها تحيّةَ مستأنِسٍ	يُسلِّمُ بالبابِ قَبْلَ الدخولِ
إذا وصلَتْك فأبرِزْ لها	من البِرِّ صفحةَ بَرٍّ وَصُولِ
وكنْ معَ مَن لا يرى بِرَّها	كسمع المُحبِّ وعَذْلِ العَذُولِ
فإنّ شفيعي لها ابنُ الشفيعِ	وإنّ رسُولي بها ابنُ الرسُولِ

صَلّى الله على نبيِّنا محمدٍ وآلِه، ورزَقَنا من بركةِ المحبة فيه وفي ذَويه ما نلظ[2] بسؤالِه؛ والمشار إليه تولّاه اللهُ بحفظِه، من رُقعتي وتحيّتي تَزْدانُ من يدِه ولفظِه، وهو الشريفُ الأجَلّ، المبارَكُ الأسنى الأكمل[3]، نَجْمُ الدِّين ابن مهذَّب الدِّين، وإنه النَّجمُ في أوْجِه، والبحرُ متدفِّقًا بمَوْجِه؛ شَرف إلى سماءِ الكُرماءِ مَرْقاه،

(١) لا نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر، وكل ما نعرفه عنه أنه أبو زكريا يحيى بن أبي عبد الله الفازازي الذي تقدمت ترجمته برقم (١٥٠) ويستفاد مما هنا ومما في البيان المغرب ٢٨٣ أنه كان ذا خطتين في عهد الرشيد الموحدي؛ وهما خطة نقابة الطلبة وخطة القلم الأعلى.

(٢) نلظ: نكثر، ومنه الحديث: «ألظوا في الدعاء بيا ذا الجلال والإكرام»، أي: أكثروا من قوله والتلفظ به في دعائكم.

(٣) هذه الفقرة غير موجودة في الرسائل.

وأدب من ماءِ الكوثر سقَاه، وكأطيبِ الثمر تخيَّره وانتقاه، والمجدُ في بُحبوحتِه[1]، ومعَ الدّهر متقَلِّبٌ في أرجوحتِه، سَلْ [به المنازلَ والمناهل]، والمعالمَ والمَجاهل؛ والعراقَ ورافدَيْه، والحجازَ ووافدَيْه؛ [طالبُ ربح في مالِه، وباغي] ثوابٍ لمَآلِه؛ وإن شاء سيِّدي باحَثَه عن حدثانِ الدّهر، [وحديثِ ما وراء النهر]، ورَفَعَ الرّوايةَ منه إلى عَليم، وكتَبَ بقلمِه قصّةَ كلِّ إقليم، [فقد خبِرَ الخابور]، وسَبَرَ ناسَ نَيْسابُور؛ وعاينَ من خَرابِ بُخارى؛ ودارَ حيثُ [كان ملكُ دارا]؛ وطاف بمكّةَ أولِ تُربةٍ مسَّت جِلدةَ جدِّه، وحَلَّ يثربَ مأواهُ المشرَّف[2] [بقصدِه]، ورأى القُدسَ ومَسْراه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]؛ ولقد جاوَرَ جَيرون، [بعدَ]ما شربَ من جَيْحُون، وقطَعَ ما بين مِصرَ ونيلِها، وغَرْناطةَ وشنيلِها؛ فترَوْنَ منه إن شاء اللهُ مَن جابَ المسالكَ والممالكَ، وتشوَّف إلى ما هنا وهنالك؛ وأحَبَّ أن تكونَ حضرةُ الإمامة أيّدها الله بحسابِ ما عايَنَ بذلك، وما ثمرُ الجنّة من سائرِ الثمَر، ولا يَنظُرُ إلى السُّها إلّا ساهٍ عن القمر؛ وأيُّ مُذنَّبٍ يُذكَرُ معَ البحر، أم أيُّ يوم يقاسُ بيوم النَّحر؟! وسيُشاهدُ المعالمَ المقدَّسة شرَّفَها اللهُ بعينِ تَدري قَدْرَ ما تُعاينُه، ويَصِفُها بلسانٍ لو أعارهُ لوُصفت به محاسنُه؛ ولسيّدي الأعلى عادةٌ أن يَضُمَّ إليه مَن أعلَقَ به رجاءه، ويُكرمَ كريمةَ قوم إذا جاءه؛ وهذا بلا ارتيابٍ كريمةُ الكرام، وبقيّةُ سادةِ الحرام؛ والراويةُ الصّادقُ اللَّهجة، والحديقةُ الرائقةُ البهجة؛ فهو يزيدُه على تلك العادة، ويَجْلو عليه بدارِ الإمارة وجهَ السعادة، وإنّما يُكبِرُ ابنَ أكبر السِّبْطَيْن، ويُعظِمُ مَن يَنظِمُ من جواهر لفظِه وفَخْرِه سِمْطَيْن؛ وإذا أعلى قدْرَ هذا العَلَوي، وحرَّك بالرفْع ساكنًا من بيتٍ شَرَفُه بمكان الرَّوِي؛ أولاه يدًا يُعطِّرُ ذكْرُها أنديةَ الجلالة، ويُحيلُ في شكرِها على ذمّةِ الرسالة، ولا شرَفَ كشرفِ هذه الحَوالة؛ أدام اللهُ علاءكم،

---

(١) في الرسائل: «فهل من المجد في بحبوحته».

(٢) في الرسائل: «الأشرف».

وحرَسَ مجدَكم وسناءكم؛ بمنِّه، والسلامُ الأتمُّ الأعمُّ يَخُصُّكم به مُعظِّمُ قَدْرِكم، ومُوجِبُ إكبارِكم وبِرِّكم، أخوكم المعتدُّ بكم، الـمُثني عليكم، ابنُ عَمِيرة، ورحمةُ الله وبَرَكاتُه. كتَبَ في الرابع والعشرينَ لربيعٍ الآخِر سنةَ تسع وثلاثينَ وست مئة».

ونقلتُها من خطِّ منشئها في البطاقةِ التي بعَثَ بها صُحبةَ نَـجْم الدِّين إلى أبي زكريّا الفازازيِّ رحمهم الله.

وكتَبَ إلى أخيه القاضي الأديب، الـمُشارِكِ الفاضل الـحَسِيب، أبي عِمرانَ[1] [من الطويل]:

«أتـاكَ شريـفٌ مـن ذُؤابـةِ هاشـمٍ صريـحٌ كـماءِ الـمُزْن بـاقٍ بمُزنِـهِ
له ـ وهْو نَجْمُ الدِّين ـ وجهٌ مباركٌ كنَجْم الـدَّياجي في سَنَاهُ وحُسنِهِ
وبـشَّر موسـى بـالنبيِّ محمـدٍ وهـا أنـا يـا موسـى أُبشِّرُ بابنِـهِ

تَرِدُ عُجالتي هذه أيها الأخُ الحبيب، والماجدُ الـحَسِيب؛ [من جهةِ الشّريفِ الأجَلّ] أبقَى اللهُ منه نجمًا سائرًا في فَلَكِ الـمَجْد، وصُبحًا مُضيئًا على [الغَوْر والنَّجْد، وأوصافُه] لا أُعيرُها استعارتي، ولا أرضَى لها عبارتي؛ وما أقولُ في مَغْذُوٍّ [بدَرِّ النبوّة]، مَقْروٌّ شَرفُه في الآيِ المقروّة؟! سُؤدَدٌ يزِلُّ النّجمُ عن مَرْقاه، وأدبٌ على [شكل حَسَبِهِ] تخيَّره وانتقاه، فعندَه منه شرَفُ الـمَقُول، وشَرَكُ العقول، ولله منه طلّاعٌ من ثنايا الكمال، ناظمٌ بين الـجَنوبِ والشَّمال؛ مجلسُه

(١) هو أبو عمران موسى بن أبي عبد الله محمد الفازازي أخو السابق، لا نجد له ترجمة، وفي السفر السادس إشارة إلى خصومة بينه وبين القاضي أبي القاسم ابن بقي وإيراد لقطعة شعرية لأبي الوليد ابن عفير يؤنس بها القاضي المذكور من جريرة جرها عليه أبو عمران موسى بن أبي عبد الله الفازازي (الترجمة ٣١١)، وانتقل بعض هؤلاء الفازازيين إلى خدمة الحفصيين في تونس، ومنهم أبو عبد الله الفازازي وأبو زيد عيسى الفازازي، قال مؤلف الفارسية: «وكانت للفازازيين حظوة ورئاسة وعلم» (الفارسية: ١٥٠، ١٥١، وتاريخ الدولتين).

لمذهبِ الفَضْل مدرسة، وحفظُه لكُتُب البلاد فِهرِسة؛ مَن جالَسَه ساحَ به حيث ساح، وناوَلَه من أخبارِ البلاد مُسنداتِها الصِّحاح؛ فأدنَى منه صينَها، وعَرَضَ عليه نَصيبِينَها[١]، وأحَلَّه بَلْخَ[٢] وما إليها، ونزَلَ به الكَرْخ[٣] وما حوالَيْها؛ وقَطَعَ به السَّماوةَ[٤] ومَهامِهَها، وأراه الغُوطةَ[٥] وخمائلَها وفواكهَها، ومِصرَ ومنازهَها، وأقرأَهُ سُوَرَ البسيطة وفقَّهَه[٦] مُتشابهَها، ثم عاجَ به على البلدِ الحرام، ومرَّ به على مواقفِ آبائه الكرام، واعتَمرَ به من التنعيم، ومشَى مَعه على زَمْزمَ والحَطِيم، [وحمَلَه][٧] إلى تُربةِ جَدِّه مُسلِّمًا على الحَسَن مترحِّمًا على الحُسَين؛ ونقَلَه إلى مَسْراهُ ﷺ حيث كان قابَ قوسَيْن؛ وكم وَعَى من أعجوبة، وكشَفَ من خبيئةٍ محجوبة؛ وغريبةٍ مكتوبة؛ وقد قَصَدَ تلك الحَضْرة[٨] حَرَسَها الله، لينتهيَ إلى موضع الفائدة من خبرِه، ويبلُغَ الصّفَّ الأوّلَ من صَلاة سَفَرِه؛ وهناك يَحقِرُ من الممالك ما عايَن، ويوجبُ على كلِّ متعالٍ مَرَّ به أن يَتَطامن. وسيّدي وَقَى اللهُ كمالَه من العَيْن، يبَرُّه إذا اجتازَ به في موضعَيْن، أحدُهما: يليه بنفْسِه كما هو المعتاد، والآخر: يُسندُه إلى أخيه المبارك ونِعمَ الإسناد؛ فمجدُه ـ حفِظَه اللهُ ـ المجدُ المؤثَّل، ومكانُه من تلك الدار المكرَّمة المكانُ المؤمَّل، وللوارِدينَ عليها أملٌ به أعلقوه، وشكرٌ عليه أطلقوه؛ والمسؤولُ من الأخ الكريم وصَلَ اللهُ سعادتَه دَيْنٌ عليه في ذِمّتِه، وزَيْنٌ لحَسَبِه يسمو إليه بهمّتِه، إن شاء الله».

---

(١) نصيبين: مدينة معروفة من بلاد الجزيرة بين دجلة والفرات (معجم البلدان ٥/ ٢٨٨).

(٢) بلخ: كانت مدينة عظمى في خراسان وهي اليوم قرية في أفغانستان.

(٣) الكرخ: محلة معروفة ببغداد.

(٤) الإشارة إلى بادية السماوة وهي مفازة بين العراق والشام.

(٥) الغوطة: متنزه دمشق الذي تغنى به الشعراء.

(٦) في رسائل ابن عميرة: «وفهمه».

(٧) ساقطة في الأصل.

(٨) في الرسائل: «قصد حضرة الإمامة».

وكتَبَ إلى عَلَم الـمَجْد وحَسَن المشاركة، الآخِذِ فيما يُسنَدُ إليه بالعزائم المباركة؛ الـمُنفِق جاهَه ونفائسَ مالِه، لمن أعلقَ به أسبابَ آمالِه؛ أبي زكريّا بن محمد بن مُزاحِم[1] [من الطويل]:

«[فدَيْناكَ إنّ الفضلَ منكَ سَجِيّةٌ] وأنت به بَدْءًا[2] وعَوْدًا معوَّدُ

[إذا مَرَّ ذكْرٌ منك ترتاحُ] أَنفُسٌ وتهتاجُ أشواقٌ ويختالُ مشهدُ

[ويحيا بيحيى] مَن تفاءل باسمِهِ وذلك من مقلوبِهِ يتأكّدُ

[أتاك ابنُ] بنتِ الهاشميِّ محمدٌ وحَسْبُك فخرًا مِن نَماهُ محمدُ

شريفٌ له من ذاتِهِ شرَفٌ لهُ على النَّجم وهْو النَجمُ مَرْقًى ومصعَدُ

وإنك في بِرِّ الكرام لَأوحدٌ كما أنَّ هذا بينَهمْ هُو أوحدُ

وكيف لا وهو من الأَرومةِ السَّنِيّة، والدّوحة الـحَسَنيّة، وَلَدتْه الرّسالة، فيا لَشَرفِ هذه الولادة، وشهِدَت لجدِّه أكبر السِّبْطَيْنِ بالسّيادة، وناهيك من منصِب هذه الشّهادة؛ وهو الشريفُ أبو فلان[3]، مَن هو النَّجمُ سناءً وسنًا، والرَّوضُ ما شئتَ من ظِلٍّ وجَنَى؛ وقد رَكِبَ البِطاءَ والسّوابق، ونزَلَ المدارسَ والخوانق[4]، واحتلّ الغَوْرَ والعَلَم، واستظلّ الضالَّ والسَّلَم [من الطويل]:

وشرَّق حتى ليسَ للشرقِ مشرِقٌ وغرَّب حتى ليس للغربِ مغربُ[5]

---

(١) أبو زكريا يحيى بن محمد بن مزاحم الكومي ـ من كومية قبيلة عبد المؤمن ـ كان من رجال الرشيد الموحدي وبطانته، وقد عينه مشرفًا على دار الصناعة بسبتة، ولابن عميرة قصيدة في مدحه ضمن مجموع رسائله (البيان المغرب: ٣٥٠، رسائل ابن عميرة (مخطوط) الخزانة العامة بالرباط).

(٢) في الأصل: «برءًا».

(٣) في رسائل ابن عميرة: «وهو الشريف الأجل نجم الدين ابن مهذب الدين».

(٤) الخوانق: جمع خانقاه، وهي رباط الصوفية، والكلمة من المعرب المولَّد الذي استعمله المتأخرون.

(٥) البيت للمتنبي من قصيدته التي مطلعها:

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وستَرَوْنَ منه نَسَبَ الكرام مرفوعًا، وديوانَ الأدب مجموعًا، ونُخبةَ الشُّرفاءِ الطيِّبينَ أصولًا وفروعًا، وعندَكم ـ وَصَلَ اللهُ رِفعتَكم ـ عادتا بِرٍّ وبِشْر كلاهما يُنعِمُ البال، ويُفعِم السِّجال؛ وهذا الشريفُ المبارَكَ أوْلى مَن وَفَيْتُموه إيّاهما، وأنشَقتُموهُ رَيّاهما؛ وحَقُّ فضلِكم أن يَرعَى فضلَ حقِّه، ويختصَّه من معنى الإدناءِ والاعتناء بأجَلِّه وأدقِّه؛ وبإزاءِ ذلك شكرٌ هو في ذمّةِ الرسالة مترتِّب، وذكْرٌ كلُّ سمِعَ بمَسْرى طِيبِه مرحِّب؛ إن شاء الله، وهو تعالى يُبقِي جَنابَكم معمورًا، ويَزِيدُ فضلَكم ظهورًا، ولا يَعدِمُكم من لدُنْه عطاءً حسابًا ومنًّا موفورًا».

وكتَبَ إلى نُخبةِ الأدباء، وقُطبِ تأنيسِ الغُرباء، أبي الحَسَن بن محمد بن عليّ العُشْبيّ[1] [من المنسرح]:

«هل لك يا سيِّدي أبا الحَسَنِ فيمن لهُ شاهدٌ [على] حَسَنِ

في الشّرفِ المنتقَى له قدَمٌ أثبَتَها بالوَصيِّ والحَسَنِ

أيُّها الأخُ الذي ملَّكتُه قيادي، وأسكنتُه فؤادي؛ عَهْدي بكَ تعتامُ الآدابَ النَّقيّة، وتشتاقُ اللّطائفَ المَشْرقيّة؛ وتنصفُ فترى أنّ في سيلِنا جُفاءً، وبمغرِبنا جَفاءً؛ وأنّ المحاسنَ نَبْتُ أرضٍ ما بها وُلِدنا، وزَرْعُ وادٍ ليس مما عَهِدنا، وأنَا في هذا أُشايعُك وأُتابعُك، وأُناضلُ منَ يُنازلُك؛ وقد أتانا اللهُ بحُجّة تقطعُ الحُجَج، وتُسكتُ الهَمَج؛ وهو الشريفُ أبو فلان[2]، [وإنه نَجلُ الذُّرِّية المختاره، ونَجْمُ] الذُّرّية السيّارة؛ جَرى معَ زعزَعٍ ونَسيم، ورَتَعَ [في جَميم وهَشيم؛ وشاهَدَ عجائبَ] كلِّ إقليم، وشرَّقَ إلى مطلَع ابن

(١) تقدمت ترجمته في هذا السفر رقم (١٣)، وهذه الرسالة واردة في نفح الطيب ٣/ ١٤٦-١٤٧ تحقيق د. إحسان عباس. ولتصحح نسبة العنسي فيه فإن صوابها: العشبي نسبة إلى الحرفة، وهي مرادفة للعشاب والنباتي، أما نسبته القبيلة فهي الكتامي.

(٢) في رسائل ابن عميرة: «وهو الشريف الأجلّ نجم الدين ابن مهذب الدين».

أحلى[1]، وغرَّب حتى نزَلَ [شاطئَ سَلا، وقد توَجَّه] الآنَ إلى تلك الحضرة[2] لينتهيَ من أصابع العَدّ إلى العُقدة، [ويَحصُلَ من] مَخْضِ الحقيقةِ على الزُّبدة؛ وقد عَلِمَ أنّ ما كلُّ الخُطَب كخُطبةِ المِنبَر، [ولا جميعُ الأيام] من يوم الحجِّ الأكبر؛ وأدبُه يا سيّدي من نسبةِ أُفُقِه، بل على شكل [حسَبِه وخُلُقِه]؛ فإذا رأيتَه شهِدتَ بأنّ الشّرقَ قد أتحفَنا برقّةِ بغداذِه، بل رَمانا بجُملة أفلاذِه؛ والحظُّ فيما يجبُ من بِرِّه وتأنيسِه، إنّما هو في الحقيقةِ لجليسِه؛ فيا غِبطةَ من يسبقُ لجِوارِه، ويَقبِسُ من أنوارِه، وأنت لا محالةَ تفهَمُه فَهْمي، وتَشِيمُ من شِيَمِه عارضًا بَرى القلوبَ الهِيم يَهْمي؛ وتَضربُ في الأخذِ من قلائِدِه وفوائِدِه بسَهْم ودِدتُ لو أنه سَهْمي، إن شاء الله؛ وهو تعالى يُديمُ عزتكم ويحفَظُ مودّتكم».

وشيّع أبو المُطرِّف نَجْمَ الدِّين حين سافَرَ في البحر بهذه القصيدة [من مجزوء الكامل]:

يا نائيًا عنّي وهـ ... ـذا النَّأيُ لستُ أُطيقُهُ

النَّجمُ أنت إذا يغـ ... ـرّبُ عادةً تشريقُهُ

والفضلُ فارَقَنا وأنـ ... ـت رفيقُهُ وشقيقُهُ

والصّبرُ حين تغيبُ معـ ... ـنًى ليس لي تحقيقُهُ

والأُنسُ معنًى كاذبٌ ... لا ينبغي تصديقُهُ

أفما ترِقُّ لمن لهُ ... دمعٌ عليك يُريقُهُ؟

وجوًى يَحارُ لِما جَنا ... هُ حَرُّه وحريقُهُ

يا سيِّدًا يَزهَى بهِ ... حِزبُ الهُدى وفريقُهُ

---

(١) في الأصل: «ابن جلا»، ولا معنى له. وابن أحلى كان رئيس بلد لورقة وهي منحازة إلى الشرق في الأندلس، فلعلها المقصودة.

(٢) في رسائل ابن عميرة: «إلى حضرة الإمامة».

في البحـــرِ سرتَ فهـــانَ في دَعَـــةٍ عليـــك طريقُـــهُ

وأمِنـــتَ فيـــه مـــا يُحمَّـــلُ مـــن أذى ويُذيقُـــهُ

لك مـن سَـمِيِّك يـونُسٍ[1] مَنْجاتُـــهُ لا ضِـــيقُهُ

وجميـــلُ عُقبـــاهُ التـــي فيهـــا أقـــام طليقُـــهُ

وأقـــولُ وفَّقـــك الإلـــهُ وحـــسبُنا توفيقُـــهُ

[ولـمّا وَصَلَ إلى مَرّاكُش] تُلقِّيَ بما يُتلَقَّى به أمثالُه، وتَرقَّى إلى الغاية في تسويغ [ما يُسوِّغُه له كمالُه]، ورَعَى كلٌّ من أعلامِها حقَّ وِفادتِه، وسَعَى بجِدِّه [في السّهرِ على ما] يجبُ له في إفادتِه، واستشرفَ إلى لقائه الرّشيدُ فاستدعاهُ [إلى مجلسِه واستدناهُ، ونالهُ] من تأنيسِه وتقريبِه أقصى ما تمنّاهُ، وأمتعَه الشّريفُ بما عندَه من أخبارِه، وطرَّزَ مجالسَه بمُستطرفاتِ أشعارِه، وكان مـمّا أنشَدَ في مجلسِه عندَه وأخبرَ، قال: أخبرني أخي وأنشَدني، قال: حضرتُ مجلسَ الإمام الواعظ أبي الفَرَج ابن الـجَوْزيِّ رحمَه الله ببغدادَ يومَ عاشُوراءَ وقد اكتَحلَ، فقام إليه أحدُ الشِّيعة وقال له: لم تجِدْ متى تكتحلُ إلا في اليوم الذي قُتلَ فيه الـحُسَين وسُفِك فيه دَمُه؟ أوَما علِمتَ أن الكُحلَ من الزّينةِ التي تُناسبُ السرور؟ وكأنّ ذلك كان نَذْرًا عليك! فأجابه أبو الفَرَج بهذينِ البيتَيْنِ ارتجالًا [من مخلع البسيط]:

ولائـــمٍ لامَ في اكتحـــالي يـــومَ اســـتحَلُّوا دمَ الـحُـــسينِ

فقلـــت: دَعْنـــي أحـــقُّ عُـــضوٍ يحظَـــى بلُـــبْس الـــسوادِ عينـــي

فاستظرَفهما الرّشيدُ ولـهجَ بهما وأشار بالأَخْذِ في تذييلِهما بخمسةِ أبيات، فأنهى نقيبُ الطلبة تلك الإشارةَ إلى بعضِ مَن حضَر من الأدباء، فحُفِظتُ عنهم في ذلك تذييلاتٍ، منها: قولُ نقيبِهم أبي زكريّا الفازَازيّ [من مخلع البسيط]:

---

(١) هو نبي الله يونس.

غـــيري بهـــذا الكـــلام يُرمَـــى فـــإنّ مَغْـــزاهُ غـــيرُ هَـــيْنِ

لا يَـــدخُلَنَّ العـــدوُّ جهـــلًا في الـــحُبِّ مـــا بينَـــهُ وبينـــي

فحُـــبُّ آلِ النبـــيِّ زَيْـــنٌ وبُغـــضُهمْ شَـــيْنٌ كـــلِّ شَـــيْنِ

صـــدَقتُ في قـــولتي ومـــثلي مهـــما يقُـــلْ قـــال غـــيرَ مَـــيْنِ

حَـــسْبُك منّـــي هـــذا وحَـــسْبي بكـــاءُ عينـــي بمثـــلِ عَـــيْنِ

وقولُ أبي عليّ ابن حازم[1] [من مخلع البسيط]:

وهـــل لِبـــاسُ الـــسوادِ إلّا شـــعارُ حُـــزنٍ لا زيُّ زَيْـــنِ

كـــأنّ عَيْنـــيَ بعـــدَ رُزْئـــي بمقتـــلِ الـــسِّبطِ تحـــتَ دَيْـــنِ

يُقـــضَى غـــريمُ الغـــرام دمعًـــا كـــالتِّبرِ ذَوْبًـــا لا كـــاللُّجَيْنِ

لـــو أنّنـــي يـــومَ كَـــرْبَلاءٍ شـــهِدتُ مـــا حـــان فيـــه حَيْنـــي

حتـــى أُبيـــدَ العِـــدى ضِرابًـــا بالـــسّيفِ طَـــوْرًا وبـــالرُّدَيْني

وقولُ أبي الـحَسَن حازمِ[2] بن حازم [من مخلع البسيط]:

أمَـــا تَراهـــا تـــسِحُّ دمعًـــا كـــأن عَيْنـــي بكَـــتْ بعَـــيْنِ

والـــدّمعُ مـــمّا يُـــدلُّ أنّ الـــ ـــحِدادَ للحُـــزنِ لا لـــزَيْنِ

إنّ مـــصابَ الـحُـــسين رُزْءٌ فَـــرَّق بـــينَ العَـــزا وبينـــي

حُبِّـــبَ لـــونُ الـــشبابِ عنـــدي وصُـــحِّف الـــشَّيبُ لي بـــشَيْنِ

حتـــى كـــأنّ المـــشِيبَ صُـــبحٌ سَـــقَى حُـــسَينًا كـــؤوسَ حَـــيْنِ

---

(١) هو أبو علي الحسن بن محمد بن حازم، وهو أخو حازم القرطاجني، وقد عاش هو وأخوه مدة في مراكش خلال عهد الرشيد الموحدي، ولهما فيه أمداح، وذلك قبل أن ينتقلا إلى تونس (انظر اختصار القدح: ٢٠ ونفح الطيب (الفهرس)).

(٢) انظر في حازم القرطاجني دراسة الشيخ الدكتور ابن الخوجة.

وقولُ أبي محمدٍ عبد العزيز الطّبيريِّ[1] [من مخلع البسيط]:

كـم خَلَـعَ الـدّهرُ مـن لبـاسٍ ... إلّا ســـوادًا في المقلتَـــيْنِ

فـأين بالـحُزنِ عـن جُفـونٍ ... تجِـمُّ بالـدّمع بعـدَ أيْـنِ

تَبَّـت يـدا قاتليـهِ عَمْـدًا ... لـو أنّ بالـصبرِ لي يَـدَيْنِ

مُـستهدَفٌ للخُطـوبِ قلبـي ... يُـصيبُهُ سـهمُ كـلِّ حَـيْنِ

لا حَمَلَتْـهُ الـضّلوعُ منّـي ... إن حَمَـلَ الـرُّزءَ في حُـسَينِ

وقولُ أبي عبد الله ابن الـخَيّاط[2] [من مخلع البسيط]:

علالـةٌ واحتيـالُ مَـن لم ... يَـذُدْ عـن الـدِّين بـالرُّدَيْني

وحيلـةٌ لـيس يَرتـضيها ... إلا امـرُؤٌ قـاصرُ اليـدَيْنِ

متَـيَّمٌ شـفَّهُ غَـرامٌ ... كَـواهُ منـهُ بـشُعلتَيْنِ

تـصَعَّدتْ مـن حَـشاهُ نـارٌ ... حريقُهـا بـينَ مُقلتَـيْنِ

لعـلّ حُـسنى صـفاتِ وَجْـدي ... أفـوزُ منهـا بالـحُسْنيَيْنِ

وقولُ أبي يوسُفَ حَجّاج بن حَجّاج[3] [من مخلع البسيط]:

لأنّهـا بـالفِراقِ خُـصَّتْ ... وحَجْـبِ إلـفٍ عنهـا وبَـيْنِ

فهْـيَ تُلاقـي الأسـى بـدمعٍ ... كفَـيْض نهـرٍ ومـاءِ عَـيْنِ

---

(١) لم نقف على ترجمته، وفي رحلة ابن رشيد ترجمة لأبي محمد عبد العزيز بن محمد بن السليم الطبيري، ولم ندرك صلته بالمذكور هنا (رحلة ابن رشيد ٢/ ١٦٣-١٦٧).

(٢) لم نقف على ترجمته.

(٣) لم نقف على ترجمته ولعله من الأسرة الحجاجية الإشبيلية التي استقرت بمراكش، وترسم بعض أفرادها بالقضاء والكتابة في بلاط أواخر الموحدين ثم عند المرينيين (انظر السفر السادس، الترجمة ٤٠، ومستودع العلامة: ٤١، وروضة النسرين: ٢٤).

فكـــــان حقًّــــا عـــــليّ أنّي | كَـسوتُها ثــوبَ حُـزنِ حَـيْنِ
وكـــي أرى الـــدّمعَ في ســـوادٍ | يَـصبُغُ خَـدًّا مثـلَ اللُّجَـيْنِ
مـع أنّ وَجْـدي وحُـزنَ قلبـي | زادا سَـــــوادًا في المقلتَـــيْنِ
إذْ كـــلُّ مــا في الــضّمير يَـبدو | بالوجـــهِ والعَـــيْن دونَ مَـــيْنِ

وقولُ أبي عليّ بن أبي ثلاثة[1] [من مخلع البسيط]:

فهـــل رأيـــتَ الـــسّوادَ حُـسنًا | إلا بفَـــــوْدٍ وعارضَـــــيْنِ
كـــم كـــسَفَ النَّيِّـــرَيْنِ حتـــى | باتـــا بـــه غـــيرَ نـــيِّرَيْنِ
فالكُحـــلُ ممـــا يُظَـــنُّ زينًـــا | وربّـــما أنـــه لـــشَيْنِ
بـــل في حُـــسين وفي أخيـــهِ الـــ | ـمـــصلح مـــا بـــينَ الفئتَـــيْنِ
أكحَلُهــــا هكـــــذا وأبكـــــي | مــا عـــشتُ دمعًـــا بغـــيرِ عَـــيْنِ

وقولُ شيخِنا أبي محمدٍ العراقيِّ[2] [من مخلع البسيط]:

خُـــصَّتْ بإدراكِـــهِ فكانـــت | أحـــقَّ بالـــحُزن يـــومَ بَـــيْنِ

(١) هو أبو علي عمر بن أبي ثلاثة. لم نقف على ترجمته ويفهم من المناسبة أنه كان على صلة ببلاط الرشيد الموحدي، ويبدو أنه انتقل بعد ذلك إلى تونس حيث قضى آخر أيامه، وفي رحلة ابن رشيد قصيدة أجاب بها أبا العباس ابن القصير الذي استدعى منه بعض شعره (رحلة ابن رشيد ٢/ ١٦٠-١٦١).

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن العراقي الفاسي من شيوخ المؤلف، وقد ترجم له في السفر السابع المفقود، ويتردد ذكره خلال التراجم، ولي خطة الخزانة في عهد الرشيد وكان نقيب الطلبة بعد ذلك، وفي البيان المغرب أنه كان من خاصة السعيد والمرتضى وتوفي في عهد هذا الأخير، ودفن بدويرة بحومة المرج بمقربة من باب تاغزوت داخل مراكش بجانب جماعة من الأعلام منهم قاضي الجماعة ابن حجاج وابن راحل وغيرهما وهو الذي روى عنه معاصره المؤرخ ولد ابن القطان خبر لقاء ابن تومرت بالغزالي. انظر البيان المغرب: ٣٥٨، ٣٧١ والذيل والتكملة ٦/ الترجمة ٤٠، والأجزاء الأخرى، ونظم الجمان ١٧-١٨، والحلل الموشية ٨٥-٨٦.

فلُبـــسُها للـــسّوادِ فَـــرْضٌ   مـن أجلِهـا قيـلَ: فَـرْضُ عـينِ

ســوادُ قلبــي يمُــدُّ كُحــلي   يَجْــري اضــطرارًا بمقلتَــيْنِ

فكــم أحــالا ثيــابَ جِــسمي   للحُــزنِ كالقــارِ مــرتَيْنِ

فــلا تلُــمْ في بيــاضِ ثــوبٍ   يَــسوَدُّ لــو قُــدَّ مِــن لُــجَيْنِ

وقولُ أبي عبد الرّحمن ابن زَغْبُوش[1] [من مخلع البسيط]:

أقــصِرْ فــإنّ الــذي تــراهُ   مــنَ اكتحــالٍ بالــمُقلتَيْنِ

دُخَــانُ قلــبٍ قــدَ احرقَتْــهُ   نــيرانُ حُــزنٍ بغــير مَــيْنِ

فــصَّعدتْه أنفــاسُ وَجْــدي   فحَــلَّ منّــي بالنــاظرَيْنِ

وانظُــرْ إلى ذا الرمــادِ منــهُ   كيــف تَبــدَّى بالــمَفرِقَيْنِ

فحــبُّ آلِ النبــيِّ حَــتْمٌ   عــلى البَرايــا وفَــرْضُ عــينِ

وقولُ أبي الحَسَن بن محمد العُشْبيّ[2] [من مخلع البسيط]:

ولائــمٍ لامَ في اكتحــالي   يــومَ اســتحَلُّوا دمَ الحُــسَينِ

---

(١) لم نقف على ترجمته، وهو أبو عبد الرّحمن عبد الله بن القاسم بن عبد الله بن محمد بن حماد بن محمد بن زغبوش. وهو من أسرة الزغابشة المكناسيين الذين بادروا إلى تأييد دولة الموحدين أول ظهورها فقتل منهم جماعة على يد يدّر بن ولكوط والي مكناسة من قبل المرابطين، ونال من بقي منهم جاهًا كبيرًا عند الموحدين، وظلوا يتولون خدمتهم في الحاشية والقضاء بالأندلس وغيرها إلى نهاية دولتهم، وقد انتقل بعضهم من مكناسة إلى الأندلس وانتقل آخرون إلى مراكش ولعل منهم من انتقل إلى مصر حيث نجد والي قوص في عهد الملك الكامل يدعى بابن زغبوش. قال ابن غازي: «وقد ذكر ابن عبد الملك في تكملته جماعة منهم» كما أن صاحب «الإتحاف» ترجم لأربعة من زغابشة العصر العلوي، ولا بد أن أبا عبد الرحمن المذكور مترجم في السفر السابع مع الغرباء. انظر الروض الهتون: ١٧، ٢٩، ٥٢ والسفر الأول، الترجمة ٥٣١، والسفر الخامس: ١٢٩٨.

(٢) تقدمت ترجمته رقم (١٣).

يحسَبُهُ حِليةً وزَيْنًا — يا بُعدَ ما بينَهُ وبيني
فقلتُ: دَعْني أحقُّ عُضوٍ — يَحظَى بلُبْس السّوادِ عَيْني
واستمعِ الأمرَ ثم حقِّقْ — يَبِنْ لك الصّدقُ دون مَيْنِ
إنّ سَوادي معَ السُّوَيْدا — فاضا معَ الدّمع سائلَيْنِ
واستوقَفا بعدُ في المَآقي — وقْفةَ مُستَوْلِهٍ لبَيْنِ
كما خَلَعتُ الشّبابَ حُزنًا — فهْو حِدادٌ في المقلتَيْنِ

وقولُ أبي الحَجّاج بن موسى بن لاهِيَةَ[1] [من مخلع البسيط]:

أقصِرْ فما ذا السوادُ كُحلًا — أبديتُهُ مُظهِرًا للزَيْنِ
سَوادُ عَيْني الذي تَراهُ — يسِحُّ دمعًا من غيرِ عَيْنِ
مَحَاهُ طُولُ البُكا عليهِ — فسال في الشّفرِ دون مَيْنِ
وانظُرْ لشَيْبٍ لم أحتسِبْهُ — تُثبِتْ مُصابي بشاهدَيْنِ
هل هُوَ إلا بياضُ جَفْني — جرى مَشِيبًا في العارضَيْنِ

وقولُ أبي الحَسَن ابن زَنُّون[2] [من مخلع البسيط]:

ولو بوُدِّي ملأتُ كُحْلًا — كلَّ بياضٍ في المُقلتَيْنِ
لو كان يُجدي سوَّدتُ شَيْبًا — في الرأس منّي والعارضَيْنِ
أو كان يُغني جلّلتُ حِبرًا — من فوقِ رأسي للأخمَصَيْنِ
حتى أرى كالحديدِ لونًا — ما كان منّي لونَ اللُّجَيْنِ
فلا تلُمْني فذا مصابٌ — ما فيه للصّبرِ من يدَيْنِ

---

(١) تقدمت ترجمته رقم (٢٣٣).
(٢) ترجمته في السفر الخامس (٦٣٩).

وقولُ أبي عبد الله بن يوسُفَ الـمَصانعيِّ[1] في خمس قطعات، أُولاها [من مخلع البسيط]:

وشــاهدي حُبُّــهُ بــأنّي | كحَلْــتُ للحُــزنِ لا لــزَيْنِ
فـأمرُ قتـلِ الـحُـسَيْنِ صـعبٌ | عــليَّ واللهِ غــيرُ هَــيْنِ
وقــد بكيْــتُ الـحُـسينَ حتـى | قرَّحــتُ جَفْنــيَّ دونَ مَــيْنِ
فكــان كُحــلي لــسَتْرِ مــا بي | قــد يَــجلُبُ الـزّينَ شرُّ شَــيْنِ
فــلا تُــشنِّعْ ولا تُبــشِّعْ | فلــستُ مُــستوجِبًا لــذَيْنِ

وثانيتُها [من مخلع البسيط]:

حزِنــتُ إذ لم أجــدْ دفاعًــا | عنــهُ بلفــظٍ ولا يــدَيْنِ
وأنّنــي حــاضرٌ لدَيْــهِ | لم أُعْــزَ في نَــصْرِه لأيْــنِ
بــل قمــتُ في نَــصْرِه مقامًــا | يُبهَــتُ بالــسّيفِ والرُّدَيْنــي
تَــشيُّعي للـحُـسَينِ يُـدرَى | فجــلَّ مــا بينَــهُ وبَيْنــي
لــه عــلى المــسلمينَ حــقٌّ | يَلــزَمُ كــلًّا لــزومَ دَيْــنِ

وثالثتُها [من مخلع البسيط]:

مكتحِــلٌ يومَــهُ لــزَيْنِ | صــاحبُ قلــبٍ حليــفُ رَيْــنِ
وينبغــي لي عليــه حُــزْنٌ | بــسائرِ العُمْــرِ دون بَــيْنِ
يختــصُّ لُــبْسَ الـسوادِ قــومٌ | وحيــلَ مــا بينَــهُ وبينــي
لــو كــان لي لُبْــسُه مباحًــا | لكــان زِيِّــي لحــينِ حَيْنــي
وكــان في حقِّــه لبــاسي | لــهُ ولــو مــن ســوادِ عَيْنــي

---

(1) لم نقف على ترجمته.

ورابعتُها [من مخلع البسيط]:

فكـــان كُحــلي لأجــلِ حُــزنٍ ... مــا كــان كُحــلي لأجــلِ زَيْــنِ

وكيـــف لي زينـــةٌ وعَيْنـــي ... أوْلى بحُــزنٍ مــن كــلِّ عَــينِ؟!

لــولا اكتحــالي لقيــل: تُــذرِي ... عليــه دمعًــا بغــير عَــيْنِ

فكــان كُحــلي لــصَبْغ دمعــي ... أبلــغَ صِــبغ وشــفْر عَــيْنِ

فاعجَــبْ لعــينٍ تجــري بــدمعٍ ... مــن غــيرِ عــينٍ كجَــرْيِ عــينِ

وخامستُها [من مخلع البسيط]:

لــو كــان للجــسم لــونُ كُحــلي ... لُــبْسٌ لَــما قلــتُ: زِيُّ زَيْــنِ

وقمــتُ أنعَــى الــحُــسَينَ فيــهِ ... حتــى يقولــوا: غــرابُ بَــيْنِ

وربّــــما النــــارُ في فــــؤادي ... أبــدَتْ دُخَــانًا بالــمُقلتَيْــنِ

أو ربّــــما أنّ فيــــه سِرًّا ... يُبديــه شــعرٌ شــفيرُ عــينِ

ســـوادُ قلبـــي أتَـــى يُعـــزِّي ... ســـوادَ عَيْنـــيَ في الــحُــسَينِ

وقولُ شيخِنا أبي الـحَسَن الرُّعينيِّ بأخرةٍ على الشّرط في التذييلِ بخمسةِ أبيات [من مخلع البسيط]:

ومــا اكتحلــتُ ابتغــاءَ زَيْــنِ ... ولا اعتنــــاءً بالــــمُقلتَيْنِ

لكــنْ ســوادَ القلــوبِ عمَّــت ... حتــى تبَــدَّتْ في النــاظِرَيْنِ

ســـوادُ قلبـــي سَرَى لعَيْنـــي ... لكــي يــسيلا في الــمَدْمَعَيْنِ

فلــيس كحــلٌ تــرَوْنَ كُحــلًا ... ولــيس زَيْــنٌ خِلــتُمْ بــزَيْنِ

وقد كان سُئل له تذييلًا عليها بأمرٍ رَشِيديٍّ لأوّل قدومِه على مَرّاكُش القَدْمةَ الثانية وطوَّله وأتبَعَه بنَثْر، وهما [من مخلع البسيط]:

ولائـــــم لامَ في اكتحـــــالي — يـــومَ اســـتحَلُّوا دمَ الـحُـــسينِ

فقلـــتُ: دَعْنـــي أحـــقُّ عـــضوٍ — يَـــحظى بلُـــبْس الـــسوادِ عَيْنـــي

حُزنًـــا ليـــوم عَـــصِيبِ كـــرْبٍ — أفـــاضَ للعَـــيْنِ كـــلَّ عـــينِ

أصـــيبَ خـــيرُ الأنـــام فيـــهِ — بالطـــاهرِ ابـــن الـــمُطهَّريْنَ

مـــصرَعُ سِـــبطِ الرسُـــولِ مـــا لي — فيـــه عـــلى الـــصَّبرِ مـــن يـــدَيْنِ

كَـــــرَّ بـــــلاءٌ بكَـــــرْبَلاءٍ — وهـــانَ مـــا لم يكـــنْ بهَـــيْنِ

أرضَـــوْا عِـــداهُ وأســـخَطوهُ — قُـــبِّح راضٍ بالـــخُطّـــتَيْنِ

ألم تَـــمِدْ يـــومَ ذاك أرضٌ — وطَبَّـــق الـــرُّزءُ الخـــافقَيْنِ

ولم تَـــجْرِ الافـــلاكُ طُـــرًّا[1] — أم كيـــف دارت بـــالنيِّرَيْنِ

فـــــاليومَ ودِدتُ أنّي[2] — مـــن قبلِـــه قـــد ورَدتُ حَيْنـــي

حقًّـــا يزيـــدُ القـــرودِ أضـــحى — يقـــرَعُ درَّ الثَّنيّـــتَـــيْنِ

وأنّ رأسَ الـــحُـــسَين وافَى — يحمِلُـــهُ ضِـــدُّه الرُّدَيْنـــي

لا حُـــزْنَ عنـــدي كحُـــزنِ يـــومٍ — أُودِعَـــهُ طَـــسْتَه اللُّجَيْنـــي

فليتَنـــي مِـــتُّ قبـــلَ مـــا قـــد — أصَـــمَّ نـــاعيهِ المَـــسْمِعَـــيْنِ

وليتَنـــي حـــاضرٌ فـــأحظَى — في الـــدّمع عنـــهُ بالـــحُـــسْنيَـــيْنِ

يـــا آلَ حـــربٍ بُـــؤْتُم بحـــربٍ — فقـــد أتَيْـــتُم بكـــلِّ شَـــيْنِ

عـــاديتُمُ المـــصطفى جَهـــارًا — والـــصِّدقَ عارضـــتُمُ بمَـــيْنِ

حقـــدًا قـــديمًا أثَرْتـــموهُ — في حَـــسَنٍ قبـــلُ والـــحُـــسَينِ

ويـــا شـــبابَ الجِنـــانِ صـــبرًا — فقـــد أُصـــبتُمْ في الـــسيِّدَيْنِ

---

(١) الصدر مكسور.

(٢) كذلك.

والله قــد شــاء أن يكونــا	في جنّــةِ الــخُلدِ خالــدَيْنِ
خــاب مُعــاديها وفــازا	بفَــضْل مــا في الــشّهادتَيْنِ[1]

هذا يا سيِّدَنا رضيَ اللهُ عنكم ما أمَرتُم به من الزّيادة، وما قرَنَه بها مقامُكم الأعلى من شَرْطِ الاستحسان، فليس في وُسع العبدِ أن يَدخُلَ تحتَ هذا الارتهان، ومن الذي يتَعاطَى أن يُجارِيَ أبا الفَرَج عُذوبةَ لفظ [وعُمقَ رَويّة، وجَوْدةَ] نظم ونثر فيها انفرَدَ به من سَجِيّة، ورِقّةَ طِباع [حضَريّة أعانه] على حُسنِ الـمَساق، لُدونةُ هواءِ العراق، واغتذاؤه [إيّاه] بدوام الاستنشاق، والعبدُ ـ وسواه ـ عاقَةُ عن اللَّحاق، البعدُ [عن تلك الآفاق]، ومشاهدةُ دَرَنٍ بالعَشيِّ والإشراق[2]، وتنسُّمُ هوائه السابق إلى [الأحداق]، لكنّ العبدَ بادَرَ ائتمارًا، لا مدَّعيًا اقتدارًا، ولن يُطبِقَ الـمَفصِل في مثل ذلك، إلا الشّعراءُ الـمُفْلِقون، لا الكُتّابُ الـمُلفِّقون، وسيِّدُنا رضي اللهُ عنه يوسعُ [عبدَه] عُذرًا، ويُسدلُ عليه للإغضاءِ سَترًا، إن شاء اللهُ تعالى، وهو سبحانَه ينظمُ المشارقَ والمغاربَ في سلكِ مُلكِه، ويعُمُّ بإنعامِه كلَّ عبدٍ تشرَّف بالاعتزاءِ إلى مُلكِه بمَنِّه وكرَمِه.

وعاد نَـجْمُ الدِّين إلى الأندلُس، ودخَلَ منها في كرَّتِه هذه إشبيلِيَةَ، ثم قَفَلَ إلى سَبْتة، وخاطَبَ أبا الـمُطرِّف يُعلِمُه بذلك، فكتَبَ إليه أبو الـمُطرِّف من سَلا:

---

(١) اشتغل بتذييل بيتي ابن الجوزي عدد من الأعلام، وقد وردت التذييلات المذكورة هنا وغيرها أيضًا في رحلة ابن رشيد ٢/ ٣٩٣ (المطبوع) وفي الجزء المخطوط رقم ١٧٣٧ ورقة ١٠٧ وما بعدها، وفي زواهر الفكر لابن المرابط (مخطوط الإسكوريال).

(٢) من العجب ذم منظر (الأطلس) كما يبدو من مراكش. وإذا كنا نعذر المعتمد الذي يقول:

هــذي جبــال درن	مــشوبة بالــدرن
كأنهــا تخــبرني	بأنهــا تقــبرني
يــا ليتنــي لم أرهــا	وليتهــا لم تــرني

فإننا لا نعذر الرعيني الذي عاش في مراكش معززًا مكرمًا وكذلك ابن مضاء القرطبي الذي يقول:

يا ليت شعري وليت غير نافعة	من الصبابة هل للعمر تنفيس؟
متى أرى ناظرًا في جفن قرطبة	وقد تغيب عن عينيَّ نفّيس؟

«عُجالتي هذه رسمتُها خدمةً للنَّجم، المستمدِّ من نُورِ سيِّدِ العَربِ والعُجْم، زادَه اللهُ ائتلاقًا، وأبقَى للاعتناءِ به اعتلاقًا، ووَقَى كمالَه يَزينُ حجازًا وعراقًا، ويُنيرُ آثارَ الشّرفِ الذي أعرقَ فيه إعراقًا، وعندي لجلالِه ما يَعلَمُه يقينًا، وأنا أعتقدُ التوسُّلَ به إلى الله دينًا، ونَفْسي التي أستحقُّ ومَلَك، سالكةٌ بالحقيقة أنَّى سَلَك، وعلى عهدِه أُقيم، ما أقام الكهفُ والرَّقيم، واستقام الصِّراطُ المستقيم، ولعَقْدِ إضماري في محبّتِه العقدُ النَّظيم، ولله عليّ في تيسيرٍ يفي بلقائه المنّةُ الجسيمةُ والفضلُ العظيم، ولمخاطبتِه الكريمة من قلبي سُوَيْداؤه ومن عيني سُوادُها، وبها أفاخِرُ نفوسَ الأمجادِ التي بالنفائس مُفاخرتُها ومجِادُها، وهي نصيبي من الأيام، فلله موهوبُها ومُفادُها، وعندَها يُمسي إذا أدنى الأحبّةَ نأْيُها وبِعادُها، ومنها طِيبي، فكافوري قِرطاسُها ومِسكي مِدادُها، وقد وصَلَتْني منها صِلات، على بيتِ مهديها سلامٌ وصَلَوات، فحصَلتُ على ذخائرِها الأخاير، ولـهَجْتُ لهجَ المبشَّر بالبشائر، ونـهَجْتُ سبيلَ الشُّكر لتشريفاتِها البواهي البواهر، وكان آخِرَها طلوعًا بأُفقي، ومجيئًا على وَفْقي، الكتابُ الـمُعلِم بالانفصال من إشبيلِيَةَ إلى سَبْتةَ حرَسَها اللهُ معًا، الـمُلمِعُ إلى جَلِيّة ما تَعرَّفَه ذلك الجلالُ مرْأًى ومستمَعًا، ورغبتي إلى شَرَفِه الأعلى في مُوالاةِ ما عوَّد من الإعلام، ووَعَدَ وإنْ شَطَّتِ النّوى من [إهداءِ التحيّة والسلام، وقد أبلَغْتُ] عن مجدِه كلَّ من أشار بالإبلاغ إليه، وجميعُهم [شاكرٌ لذلك العلاءِ الذي اجتمَعَتِ] المآثرُ الهاشميّةُ لدَيْه، واللهُ يُنهِضُ الأُمّةَ بواجبِ ابن [نبيِّها الكريم، ويَصِلُ] للشّرفِ الـحَسَنيِّ سُعودًا متلاصقةَ الحديثِ بالقديم، ويُصلِّي [على أهل البيتِ] النّبَويِّ صلاةً متضوِّعةَ النسيم، مورودةً بتسنيم التسليم، ومُعادُ [التحيّة والرحمة] عليكم أيُّها النَّجْمُ الثاقب، ما ازدهَتْ بكمُ المحامدُ وازدانتِ المناقب»[1].

(١) وردت هذه الرسالة أيضًا في مجموع رسائل ابن عميرة مخطوط رقم ٢٣٢ في الخزانة العامة بالرباط، وما بين معقوفين ممحو في الأصل وموجود في المخطوط المذكور.

٢٣٦ـ يونُسُ[١] بن يوسُفَ بن يوسُف بن سُليمانَ بن محمد بن محمود بن أيّوبَ الـجُذَاميُّ، قَصْريٌّ ـ قَصْرَ كُتَامة، ويقال فيه: قَصْر عبدِ الكريم ـ أبو سَهْل وأبو الوليد، ابنُ طَرْبِيّـةَ، وكان يقول: طَرْبُيَّـةَ، بفتح الطاء وسكون الراء وضم الباء بواحدة وجيم أو ياء مشددين وتاء تأنيث.

سَمع من أبي الـحَسَن نَـجَبَةَ، وأبي الـحُسَين ابن الصّائغ، وأبي ذَرّ بن أبي رُكَب، وأبي عبد الله ابن الملوز، بالزاي، وأبي القاسم الـمَلّاحيّ، وأبوي محمد: ابن عُبَيد الله، وابن فَلِيج[٢]. وأجاز له أبو بكرٍ ابنُ الـجَدّ، وأبو عبد الله ابنُ الفَخّار.

رَوى عنه أبو محمدٍ عبدُ الله بن عبد العزيز بن عبد القوِيِّ القُرَشيُّ، وأبو الصَّفاءِ خالصُ بن مَهْدي، وابنُه أبو عَمْرٍو سَعْدُ بنُ خالص.

وكان أديبًا ماهرًا ذا إدراكٍ وإقدام، معَ مشاركةٍ في غير ما فنّ وحَظّ من قَرْض الشعر.

وقَفْتُ من نَظْمِه على مسَمَّطاتِ قصائدِ حسّانَ بن ثابتٍ رضيَ اللهُ عنه في تأبينِ رسُولِ الله ﷺ الثابتة آخرَ ما هذّبَه ابنُ هشام من «السِّيرة» التي جمَعَها ابنُ إسحاق[٣].

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة (٣٥١٥)، وابن الزبير في صلة الصلة ٥/ الترجمة (٦١٢)، والذهبي في المستملح (٩٠٨) وتاريخ الإسلام ١٤/ ٤٠١، والسيوطي في بغية الوعاة ٢/ ٣٦٦.

(٢) في الأصل: «فليح» مصحف.

(٣) ختم ابن هشام السيرة بأربع قصائد في رثاء رسول الله ﷺ، مطلع الأولى:

بطيبــة رســم للرســول ومعهــد ... منير وقـد تعفـو الرسـوم وتهمـد

ومطلع الثانية:

مـا بـال عينيـك لا تنـام كـأنما ... كحلـت مآقيهـا بكحـل الأرمـد

ومطلع الثالثة:

نـب المـساكين أن الخـير فـارقهم ... مـع النبـي تـولى عـنهم سـحرا

ومطلع الرابعة:

آليـت مـا في جميـع النـاس مجتهـدًا ... منـي أليّـة بـر غـير إفنـاد

(انظر سيرة ابن هشام ٤/ ٢٧٣-٢٧٧).

ودخَلَ الأندَلُس وتجوّل فيها ثُم سكَنَ تونُسَ وقتًا، فأخَذَ عنه بها يسيرٌ، وكان يتَسامحُ كثيرًا فيما يحدِّثُ به، سمَحَ اللهُ له. واستُقضِيَ بأطْرابُلُسِ إفريقيّة ثم شرَّقَ سنة سبعَ عشْرةَ أو نحوَها فحَظِيَ بالقاهرة وخَلَفَ أبا الـخَطاب ابنَ الـجُمَيِّل بعدَ وفاتِه بمدرستِه.

وتوفِّي [وهو] يتولّى التدريسَ بأحدِ أيوانَيْ دار الحديث الكامِليّة بالقاهرة آخرَ سنة إحدى وأربعينَ وست مئة[1].

وهذا تسميطُ إحدى القصائدِ الـحَسّانيّة الـمشارِ إليها، نقَلتُها من نسخةٍ سُمِعت من لفظِ مسَمِّطِها أبي سَهْل مرَّتينِ وعليها خطُّه بذلك [من البسيط]:

من كان من معشرِ الباكينَ مقتصِدا	وخاضَ في غَمَراتِ الـحُزن مُتّئـدا
ولم يَـذُبْ أسـفًا ولم يمُـتْ كمَـدا	أنـا الـذي حُزنُـه لا ينتهـي أبـدا
«آلَيْتُ ما في جميـع النـاس مجتهـدا	منّـي أَلِيّـةَ بَـرٍّ غيـرِ إفنـادِ»
[......................] وُلِعَـــتْ	كأنما بـتمادي الـحُزنِ قـد طُبِعـتْ
[........] بكَتْ أو هامة سَجَعتْ	آلَتْ مقالًا وحالًا كيف كان نَعَـتْ
«تالله ما حَمَلتْ أنثـى ولا وضَـعَتْ	مثلَ الرسولِ نبيِّ الرحمـةِ الهـادي»
[ومـا دُهينـا] بـأدهى مـن رَزِيّـتِه	ولا بـأفظعَ يومًـا مـن منيّـتِه
آلَيْـتُ حِلفـةَ بَـرٍّ في أليّـتِهِ	إنّ الرسُـول لَفـردٌ في سجِيّـتِه
«ولا بَـرَا اللهُ خلقًـا مـن بَريّـتِهِ	أوفَى بذمّـة جـارٍ أو بميعـادِ»

---

(١) كان شيخ دار الحديث الكاملية في هذا الوقت هو حافظ الديار المصرية أبا محمد عبد العظيم ابن عبد القوي المنذري (انظر كتاب الدكتور بشار: المنذري وكتابه التكملة، النجف ١٩٦٨م).

ولا أحَـقَّ قـضاءً عنـدَ مُـشتَبهٍ ... ولا أتـمَّ اهتـداءً في تقلُّبـهِ
ولا أمَـنَّ بعفـوٍ في تغلُّبـهِ ... ولا أرَقَّ لمـن يـدعو لمذهبـهِ
«من الذي كـان فينـا يستـضاءُ بـهِ ... مبـارَكَ الأمـرِ ذا عـدلٍ وإرشـادِ»

يا خِيرةَ الـخَلْقِ إنّ الصبرَ قد عُدِما ... إلا ذماءً وما يُـجدي الغـداةَ ذمـا
مصابُك الفَظُّ قد أبكى القلوبَ دما ... يـا تَرْحـةً أُسكِتَتْ فلـم تحـلَّ فـما
«أمسى نساؤكَ عَطَّلنَ البيـوتَ فـما ... يـضرِبْنَ فـوقَ قفـا سَـتْرٍ بأوتـادِ»

مُفجَّعاتٍ بخير الرسْلِ حـين فُقِـدْ ... مروَّعـاتٍ ومـا غـيرَ الفـراقِ رُودْ
مـسلِّماتٍ لأمـرِ الله حـين وَرَدْ ... مستمسِكاتٍ بـصَبْرِ نـافع وجَلَـدْ
«مثلَ الرواهبِ يلبَسنَ المبـاذلَ قـد ... أيقنَّ بالبؤسِ بعدَ النعمةِ البـادي»

قد كنتُ أبعدَ مخلوقٍ عـن الـضّررِ ... حتـى مُنيـتُ بفَقْـدي سيِّدَ البـشرِ
بدَّلتُ من نـومتي بالـذلِّ والـسهرِ ... وعَزَّ صبري فلاتَ حـينَ مُـصطبَرِ
«يا أفضلَ الـخَلْقِ إنّي كنت في نَـهَرِ ... أصبحتُ منه كمثل المفرَدِ الصادي»

مضَى الرسولُ إلى الربِّ الحفـيِّ بـهِ ... فجَـلَّ مِـن مُرتقَـى عـدلٍ بأرحبـهِ
يـا حـسرتي لكـريم الـخَيْم طيِّبـهِ ... يا ربِّ لا تُضحِنا عن ظـلِّ مذهبـهِ
«حتـى نـؤوبَ إلى حـالٍ نُـسَرُّ بـهِ ... يومَ المعادِ فأنـت المرشـدُ الهـادي»

أنت الكريمُ وقَصْدي بـانَ مَعْلَمُـهُ ... وبي مـن الـشّوق أدهـاهُ وأعظمُـهُ
هـذا لِـما أنـا أُخفيـهِ وتَعلَمُـهُ ... يا طُولَ شوقي لـذاكَ القـبرِ ألزَمُـهُ
«مواقـعُ اللَّـثم منّـي حـينَ ألثُمُـهُ ... مواقعُ الماءِ من ذي الغُلّة الصّادي»

يا ربِّ شوقي لذاكِ البيتِ يُقلقُني ....

أخافُ منها ببُجْر الحَوْب توبقُني وا حَسْرتي ....

«وما سواكَ منَ اسْرِ الذّنبِ يُطلقُني أنت القويُّ[1] [ ]

(١) بعد هذا بياض في الأصل ولعله لذكر بقية القصائد المذيلة، وبعد البياض مباشرة تراجم النساء في ورقة واحدة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصَلّى اللهُ على سيّدنا ومَوْلانا محمدٍ نبيِّه الكريم

هذا ذكرُ النّساء

أُوردَهُنَّ مُرتّباتٍ على الحروف، منوَّعاتٍ إلى أندَلُسيّاتٍ وغرائبَ، كما فعَلْنا في الرجال:

٢٣٧ـ أَمَةُ الرّحمن[1] بنتُ عبد الحقّ بن غالب بن عبد الرّحمن بن غالب بن تَـمّام بن عبد الرَّؤوف بن عبد الله بن تَـمّام بن خالد بن خُفَاف الـمُحارِبيِّ، غَرْناطيّةٌ، أُمُّ هاني.

كذا وقَفْتُ على اسمِها وكُنيتِها وبعض نَسَبِها بخطِّها، وقال فيها ابنُ الأبّار: أُمُّ الهناء، ولم يُسَمِّها، وقد أتَيْنا باسمِها وكُنيتِها على الصواب.

أَخذَتْ عن أبيها[2] وأُخِذ عنها، وكانت من أهلِ الفَهْم والعقل جيّدةَ الخط حاضرةَ النادرة سريعةَ التمثُّل. دخَلَ أبوها دارَه بغَرْناطةَ وقد قُلِّد قضاءَ الـمَرِيّة وعيناهُ تدمعانِ أسَفًا لمفارقةِ وطنِه فأنشَدتْه متمثِّلة [من الكامل]:

يا عينُ صـار الـدّمعُ عنـدَكِ عـادةً   تبكِــينَ في فَــرَحٍ وفي أحـــزانِ

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: وهذا البيتُ من أبيات، وهي [من الكامل]:

جـاء الكتـابُ مـن الحبيـبِ بأنـهُ   ســيزورُني فاسـتعبَرَتْ أجفـاني

---

(١) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٩٠)، وابن الزبير في الصلة ٥/ الترجمة (٦٢٥)، ونفح الطيب ٤/ ٢٩٢.

(٢) هو القاضي عبد الحق ابن عطية صاحب التفسير المعروف، انظر فهرس ابن عطية ومقدمة التحقيق (نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٠).

غلَبَ السرورُ عليّ حتى إنهُ	من فَرْطِ عُظم مسرّتي أبكاني
يا عينُ صار الدّمعُ عندَك عادةً	تبكينَ في فَرَح وفي أحزانِ
فاستقبِلي بالبِشر يومَ لقائهِ	ودعي الدموعَ لليلةِ الأحزانِ

ولها مصنَّفٌ في القبور[1]، وآخَرُ في الأدعية، وفيه وقَفْتُ على اسمِها وكُنيتِها كما ذكَرْتُ مجيزةً فيه مَن أخَذَ عنها.

وكانت من الـمُنجِبات، تزوّجها أبو عليّ الـحَسَنُ بن محمد بن حَسّان[2] فوَلَدتْ له أبا جعفرٍ أحمدَ[3] مصنِّف «الـجُمَل» و«التفصيل في تدبير الصحّة في الإقامةِ [والرحيل]»، [وخَلَفَه عليها] أبو عبد الرّحمن محمدُ بن طاهر[4]، فوَلَدت له أبا [جعفرٍ عبدَ الحقّ[5] مؤلِّف] «الأصُول في صناعة العدَد العمليّة»، وقد تقَدَّم ذكْرُ كلِّ واحدٍ [منهم في موضعِه].

٢٣٨ـ [أسماءُ[6] بنت] أبي داودَ سُليمان[7] بن أبي القاسم نَجاح مولى أميرِ المؤمنينَ [هشامٍ المؤيَّدِ بالله] ابن الـحَكَم الـمُستنصِر بالله، بَلَنْسِيَّةٌ[8].

---

(١) توجد منه ورقات في دشت خزانة القرويين، قال الملاحي: «وقفت على تأليفها بخطها والإصلاح فيه بخط أبيها، ورأيت تأليفها هذا عند ابنها الفقيه الحاج الطبيب الفاضل الأديب الماهر أبي جعفر أحمد بن حسان» (صلة الصلة، الترجمة ٦٢٥). وكتب بعضهم في طرة هذه النسخة ما يلي: كنت رأيت هذا التأليف بسوق الكتبيين بفاس حرسها الله تعالى.

(٢) له ترجمة في المغرب ٢/ ٢٥٥ وفيها: أبو علي بن حسان كاتب ابن مردنيش.

(٣) ترجمته ومصادرها في السفر الأول (١٠٤).

(٤) ترجمته ومصادرها في السفر السادس (٨٩٦).

(٥) ترجمته في التكملة رقم (٢٥٤٠).

(٦) لها ترجمة في التكملة رقم (٣٥٧٨)، ولها أخ مترجم عند المؤلف في السفر السادس (٦٥٠).

(٧) ترجمته في الصلة البشكوالية (٤٥٧).

(٨) أي: من بلنسية على النسبة.

أكثَرتْ عن أبيها وشاركَتْه [في بعض] شيوخِه، وهي التي زوَّجها من أحمدَ بن مُحرِز[1]، فتًى كان يقرأُ عليه، وكان [فاضلًا مقلًّا]، فأعجَبَه سَمْتُه فقال له يومًا: أتحبُّ أن أُزوِّجَك ابنتي؟ فخَجِل الفتى [وذكَرَ] حاجةً تمنَعُه من ذلك، فزوَّجها منه ونظَر لها في دارٍ وزَفَّها إليه.

٢٣٩ـ أسماءُ[2] بنتُ عليِّ بن خَلَف بن أحمدَ بن عُمرَ اللَّخْميّةُ، مَرويّةٌ، الرُّشَاطيّة.

حَكَى أبو محمد عبدُ الله[3] بن عليّ بن عبد الله بن عليّ المذكورُ في كتابِه «اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنسابِ الصّحابة ورُواة الآثار» نسبتَه الرُّشاطيَّ وقال، ونقلتُه من خطِّه: هذه نسبتُنا التي اشتُهرنا بها، وقد كنتُ أظُنُّ أنها نسبةٌ إلى موضع أو بلد[4]، فسألتُ عن ذلك أبي رحمه الله فقال: هذه نسبةٌ قد شُهِرنا بها نحن وآباؤنا، ولا أعلمُ لها أصلًا، فسألت عن ذلك أسماءَ عمةَ أبي رحمَها الله، فقالت: إنّ أحدَ أجدادِنا كانت له في جسمِه شامةٌ كبيرةٌ هي التي تُعرَفُ بالوردة ويُسمِّيها العجم رُشْتُه، وكانت له في صِغَرِه خادمٌ عجَميّةٌ تحضُنُه وتكفُلُه، فكانت عندَما تُخدِّعُه وتلاعبُه تقول له: رُشطاله، وكثُرَ ذلك منها حتى غلَبَ عليه وقيل: رُشاطيّ.

قال المصنِّفُ عفَا اللهُ عنه: لولا الإفادةُ بهذه الحكاية عن هذه المرأة لم أذكُرْها؛ لأنّي لم أتحقَّقْ كونَها من أهل العِلم، [فإنْ كان] يوجَدُ أشباهُ هذه الحكاية عندَ مَن ليس من أهل العلم فلا تكونُ من شرطِ الكتاب.

---

(١) تقدمت ترجمته في السفر الأول (٦١١).

(٢) ترجمتها في التكملة (٣٥٨٦)، ومروية نسبة إلى المرية.

(٣) تقدمت ترجمة ابنه علي في السفر الخامس (٤٦٧)، وفيه إشارة إليه، أما هو فمترجم في الصلة البشكوالية (٦٥١).

(٤) هكذا ظنها ياقوت فذكر في حرف الراء رشاطة وقال: أظنها بلدة بالعدوة. ثم نقل عن ابن بشكوال ترجمة عبد الله الرشاطي المذكور.

٢٤٠ـ أسماءُ[١] بنتُ غالب[٢] مولى أمير المؤمنينَ الناصِر لدِين الله أبي الـمُطرِّف عبد الرّحمن بن محمد.

كانت للوزير عبد الرّحمن بن موسى بن حُدَيْر[٣]، فطلَّقَها على عهدِ الـحَكَم، فخَلَفَ عليها المنصورُ أبو عامرٍ محمد بن عبد الله بن أبي عامر ولم يُفارقْها حياتَه، وكانت أريبةً من صَوالح النساء.

ولـمّا خالَفَ أبوها غالبٌ وظفِرَ به المنصورُ امتَحنَها بأنْ أمَرَ بعَرْض رأس أبيها عليها لـمّا أنفَذَه إلى قُرطُبة، فلمّا وُضع بين يدَيْها قالت: الحمدُ لله الذي أراحَك وحَكَم لمولاك، أمَا لولا طاعةُ الإمام المولى وحقُّ الزّوج الـمُطاع لقَضَيْتُ للحُزنِ عليك أوطارًا، وإنّي بالـحُزن لكَ لأَوْلى منّي بالـحُزنِ عليك، عليّ بماءِ الورد والطِّيب، [فغَسَلت] وجهَه ورَجَّلت شعرَه، ونثَرت عليه مِسكًا كثيرًا [ووَجّهت به إلى] الخليفةِ هشام المؤيَّد. وكان مهلِكُ غالب يومَ السّبت [لأربع خَلَوْنَ من المحرَّم سنة] إحدى وسبعينَ وثلاث مئة.

٢٤١ـ أسماءُ[٤] العامريّةُ، إشبيلِيّةٌ.

[كانت شاعرةً] مُحسِنة، خاطَبَت عبدَ المؤمن بن عليّ برسالةٍ تمتُّ إليه فيها بسَلَفِها [العامريِّ، وتسألُه] رَفْعَ الإنزال عن دارِها والاعتقالِ عن مالِـها، وفي آخِرها قصيدةٌ، منها [من الوافر]:

---

(١) ترجمتها في التكملة (٣٥٦٦).

(٢) لغالب ترجمة في جذوة الاقتباس رقم (٥٧٨). وأخباره مبسوطة في كتب التاريخ، ومنها: أعمال الأعلام: ٤٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٧٧، ٨١، والبيان المغرب ٢/ ٢٧٨، ونقط العروس: ٨١-٨٢ (مجلة كلية الآداب ـ القاهرة ١٩٥١م).

(٣) من بيت بني حدير المشهور، وترجمته في تاريخ ابن الفرضي (٧٩٨)، وبعض أخباره في المقتبس: ٢٩، ٨٦، ١٨٥ تحقيق د. الحجي، ونفح الطيب (الفهرس).

(٤) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٨٨)، والمقري في نفح الطيب ٤/ ٢٩٢.

عرَفْنا النّصرَ والفتحَ المُبينا ... بسيّدِنا أميرِ المؤمنينا

إذا كان الحديثُ عن المعالي ... رأيتُ حديثَكمْ فيها شجونا

ومنها:

ورِثتُمْ علمَهُ فعَلِمتموهُ ... وصُنتُمْ عهدَهُ فغدا مَصُونا

٢٤٢ـ إشراقُ[١] السُّوَيْداءُ مولاةُ أبي المُطرِّف عبد الرّحمن بن غَلْبون القُرطُبيِّ الكاتب، سَكَنت بَلَنْسِيَةَ.

أخَذت عن مولاها أبي المُطرِّف العربيّةَ واللّغةَ والآدابَ أيامَ إقامتِه بقُرطُبة، ثم انتَقلَتْ بانتقالِه عنها، وكانت قد فاقَتْه في كثيرٍ ممّا أخَذتْه عنه، وأحسَنتْ في كلِّ ما تناولَتْه، وكان لها تقَدُّمٌ في العلم بالعَروض، وبالعَروضيّة كانت تُشهَر.

أخَذ عنها العَروضَ أبو داودَ المقرئُ[٢]، وقرَأَ عليها «كاملَ» أبي العبّاس المبرِّد و«أماليَ» أبي عليّ القالي، قال: وكانت تحفَظُ الكتابَيْنِ ظهرًا تنُصُّهما حفظًا وتتكلَّمُ عليهما.

وتوفِّيت بدانِيَةَ عندَ أسماءَ بنتِ مجاهد زَوْج رئيسِ بَلَنْسِيَةَ[٣].

٢٤٣ـ أُمُّ الحَسَن[٤] بنتُ أبي لِواءِ سُليمانَ[٥] بن أصبَغَ بن عبد الله بن وانسوس بن بُوزع[٦] المِكْناسيِّ مَوْلى سُليمانَ بن عبد الملك، قُرطُبيّةٌ.

---

(١) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٧١)، وذكرها المقري في نفح الطيب ٤/ ١٧١.

(٢) في الأصل: «العمري»، وهو تحريف، والمراد سليمان بن نجاح أبو داود المقرئ المشهور.

(٣) هو المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر. انظر خبر دولته في البيان المغرب ٣/ ٣٠١.

(٤) ترجمتها في التكملة رقم (٣٥٥٠).

(٥) ترجمة سليمان بن وانسوس وزير الأمير عبد الله الأموي في المغرب ١/ ٣٦٢ والمصادر المذكورة في الحاشية تحقيق د. شوقي ضيف، والمقتبس: ١٨٩ تحقيق د. محمود مكي.

(٦) كذا في الأصل، وفي التكملة: «يربوع».

رَوَت عن بقيِّ بن مَـخْلَد[1] سَماعًا منه وقراءةً عليه وصَحِبَتْه، وكان لها منه يومٌ في الـجُمُعة تنفردُ به لأخْذِ العلم في دارِه، ومِمّا قرأتْ عليه بلفظِها: «كتابُ الدُّهور» وأبو القاسم أحمدُ[2] ابنُه يُمسكُ أصلَ الشّيخ، وكانت صالحةً زاهدةً فاضلة عاقلةً، وحجَّت وسَمِعت هنالك الحديثَ والفقهَ وعادت إلى الأندَلُس، ثم حَجَّت ثانيةً، وتوفِّيت بمكّةَ شرَّفَها الله، ودُفِنت هنالك، وقال الرازي: إنّ بقِيَّ بن مَـخْلَد سَمِع منها، وغَلِط في ذلك، والصوابُ سَماعُها منه[3].

٢٤٤ـ أُمُّ السّعد[4] بنتُ عصام بن أحمدَ بن محمد بن إبراهيمَ بن يحيى بن إبراهيمَ بن يحيى بن خَلَصةَ الحِمْيَرِيِّ الكُتَاميِّ، قُرطُبيّةٌ، سَعْدونةُ.

رَوَتْ عن أبيها[5] وجَدِّها[6] وخاليها: أبي القاسم عامرٍ[7] وأبي يحيى[8] أبي بكر ابنَيْ هشام.

وكانت [أديبةً شاعرة]، وقَفْتُ على خطِّها بالإجازة، وبَلَغَها قولُ [بعضِهم] في صِفة نَعْل رسُول الله ﷺ من قطعة [من السريع]:

[(سـألثُمُ المثـالَ] إذ لم أجِـدْ   للَثْم نَعْل المصطفى من سَبيلْ)

---

(١) هو شيخ المحدثين بالأندلس، وترجمته في غير موضع.

(٢) ترجمته في تاريخ ابن الفرضي (١٠٣).

(٣) الترجمة عند ابن الأبار فيها زيادة فوائد على ما هنا حيث نقل عن الرازي أسماء ست نسوة من بيت بني وانسوس أدَّين فريضة الحج وهن: أم الحسن المذكورة وكلبية زوج أصبغ بن عبد الله ابن وانسوس وأمة الرحمن وأمة الرحيم ابنتا أصبغ هذا ورقية ابنة محمد بن أصبغ وعائشة ابنة عمر بن محمد بن أصبغ. ثم ساق ابن الأبار ترجمة مدمجة في هذه وهي ترجمة أخت القاضي منذر بن سعيد البلوطي.

(٤) ترجمتها في التكملة رقم (٣٦٠٩)، والذهبي في المستملح (٩٣٢)، ونفح الطيب ٤/ ١٦٦.

(٥) تقدمت ترجمته في السفر الخامس (٣٠١).

(٦) ترجمته ومصادرها في السفر الأول (٥٦٤).

(٧) ترجمته ومصادرها في السفر الخامس (٢٠٢).

(٨) ترجمته ومصادرها في برنامج الرعيني: ٢٠٠.

فذَيَّلت عليه [من السريع]:

[لعلّنـــي] أحظـــى بتقبيلِـــهِ في جنّـةِ الفِـردوس أسـنَى مَقِيـلْ

في ظـلّ طـوبَى سـاكنًا آمنًـا أُسـقى بـأكواسٍ مـنَ السّلسبيلْ

وأمـسَحُ القلـبَ بـه علّـةُ يَسكُنُ مـا جـاش بـه مـن غليـلْ

فطالمـا استَشْفى بـأطلالِ مَـن يَهواهُ أهـلُ الحبِّ مـن كـلِّ جيـلْ

توفِّيت بمالَقَةَ سنة أربعينَ وست مئة أو نحوها.

٢٤٥ـ أُمُّ العزِّ[١] بنتُ أحمَدَ بن عليّ بن محمد بن عليّ بن هُذَيْل، بَلَنْسِيّةٌ.

أَخَذتْ قراءةَ وَرْش عن أُمِّ مُعفَّر[٢] إحدى حَرَم الأميرِ محمد بن سَعْد، وبَرَعت في حفظِ الأشعار والتمثُّل بها، وتوفِّيت بشاطِبَةَ إثْرَ خروجِها من حصار بَلَنْسِيَةَ في أحد شهرَيْ ربيعٍ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وست مئة.

٢٤٦ـ أُمُّ العزِّ[٣] بنتُ محمد بن عليّ بن أبي غالبِ العَبْدَريِّ، دانِيـةٌ.

رَوَتْ عن أبيها، ومن مَرْويّاتِها عنه: «صحيحُ البخاري»، قرأَتْه عليه بلفظِها مرَّتين، ورَوَتْ عن زوجِها أبي الـحَسَن ابن الزُّبَيْر وأبي الطيِّب ابن بَرُنْجال، وأبوَيْ عبد الله: ابن أبي بكرٍ وابن أيّوب بن نُوح، وأبي عُمرَ ابن عاتٍ.

وكانت حافظةً لكتابِ الله قائمةً عليه مجوِّدةً له بالسَّبع، وتوفِّيت سنة ستَّ عشْرةَ وست مئة.

٢٤٧ـ أُمُّ عَمْرٍو[٤] بنتُ أبي مَرْوانَ ابن زُهْر، أُختُ أبي بكرٍ ابن زُهْر[٥].

---

(١) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٦٠٨)، والذهبي في المستملح (٩٣١).

(٢) هي صاحبة الترجمة الآتية بعد قليل (٢٤٨).

(٣) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٦٠٥)، والذهبي في المستملح (٩٢٩) وتاريخ الإسلام ١٣/ ٤٩١.

(٤) ذكرها ابن أبي أصيبعة ٣/ ١١٣، ووالدها أبو مروان عبد الملك بن زهر مترجم في السفر الخامس (٣١).

(٥) ترجمته ومصادرها في السفر السادس (١٠٧٦)، وهو ابن زهر الحفيد.

كانت متقدِّمةً في الطبّ ماهرةً في التدبيرِ والعلاج، وحَظِيت بذلك عندَ أُمراءِ بني عبد المؤمن، فكانت تَلِجُ قصورَهم وتنظرُ في علاج مَرْضى نسائهم وأطفالِـهم وإمائهم، وقد تُستفتَى في الطِّبِّ لرجالِـهم فتزيدُ بذلك مكانةً إلى مكانتِها التي يقتضيها مَجْدُها المؤثَّل وشَرَفُها المؤصَّل، وتوفِّيت بعدَ الثمانينَ وخمس مئة.

٢٤٨ـ أُمُّ مُعفّر، إحدى حَرَم الأمير محمدِ بن سَعْد[١].

أخَذَت عنها قراءةَ وَرْش أُمُّ العزِّ بنتُ أحمدَ بن عليّ بن هُذَيْل.

٢٤٩ـ أُمَيْمةُ[٢] الكاتبةُ جاريةُ الـحُسَين بن حُيَي وحَظِيّتُه التي خَلَفَ عليها بعدَه الفقيهُ القُرَشيُّ الـمُغِيريّ[٣].

حَكَى ابنُ حَيّان[٤] عن زوجِها عنها من خبرِ هشام المؤيَّد مخلوع الـمَهْديّ محمد بن هشام بن عبد الـجَبّار وإظهارِه بعدَ [وقعةِ قَنْتيشَ ما دَلَّ على وَهْنِه وأفنِه]، وكانت أُمَيْمةُ هذه ممن يَحْرُسُ هشامًا المؤيَّدَ أيامَ تغييبِه بدار الـحُسَين ابن حُيَي.

٢٥٠ـ البهاءُ[٥] بنتُ الأميـر عبد الرّحـمن بن الـحَكَم بـن هشـام بـن عبد [الرّحمن بن معاوية].

---

(١) هو ابن مردنيش أمير شرق الأندلس الذي ظهر عليه الموحدون، وأخباره مذكورة في كتب التاريخ، وعرف عنه مبالغته في اتخاذ الجواري. انظر ترجمته وأخباره في الإحاطة ٢/ ١٢١-١٢٧، وأعمال: ٢٥٩-٢٦٢، ورفع الحجب المستور ١٠/ ١٢٩، والمن بالإمامة والـمُعْجب والحلة السيراء وغيرها.

(٢) لها ترجمة في التكملة رقم (٣٥٦٩).

(٣) هكذا في الأصل وفي التكملة: «المقرئ»، والصواب فيما يبدو: «المعيطي»، الذي بويع بالخلافة، الصلة (٥٩٢)، والجمهرة لابن حزم: ١١٥، وأعمال: ٢٢٠، والبيان المغرب ٣/ ١١٦، واسمه عبد الله بن عبيد الله بن الوليد.

(٤) انظر البيان المغرب: ٧٧، ٧٩.

(٥) هكذا سَمّاها هنا، وفي التكملة (٣٥٣٩)، ونفح الطيب ١/ ٣٥٠: «الشفاء».

كانت خيِّرةً زاهدةً عابدةً مُتبتِّلةً شديدةَ الرَّغبة [في الـخَيْر، وكانت تَكتُبُ] المصاحفَ وتُـحَبِّسُها، وإليها يُنسَبُ المسجدُ الذي بَربَض الرُّصَافة. [تُوفِّيت في رجبٍ سنةَ] خمسٍ وثلاث مئة فلم يتَخلَّف أحدٌ عن جَنازتِها[1].

٢٥١ـ حَسّانةُ[2] بنتُ [أبي الـمَخْشيّ] عاصم بن زَيْد بن يحيى بن حَنْظلةَ بن عَلْقمةَ بن عَدِيّ بن زَيْد التّميميِّ العباديّ.

وكانت شاعرةً مطبوعة، ومدَحَتِ الأميرَ عبدَ الرّحمن بن الـحَكَم.

٢٥٢ـ حَفْصةُ[3] بنتُ حَـمْدون [بن] حَيْوةَ، حِجَارِيّـةٌ[4].

كانت أديبةً عالمةً شاعرة. ومن شعرِها [من مجزوء الكامل]:

يـــا وَحْـــشتي لأحبّتـــي	يـــا وَحْـــشةً متهاديَـــهْ
يـــا ليلـــةً ودّعـــتُهمْ	يـا ليلـةً هـي مـا هيَـهْ[5]

---

(١) لم يذكر المؤلف في حرف الباء: بركة معتقة ابن القسام الفقيه كاتب القاضي أسلم بن عبد العزيز وهي أم الفقيه أبي محمد عبد الله بن أحمد الصابوني المعروف بابن بركة (التكملة، رقم ٣٥٦٥)، والبهاء بنت الأمير عبد الرحمن بن الحكم (التكملة، رقم ٣٥٤٧)، كما لم يذكر حرف التاء وفيه عند ابن الأبار: تميمة بنت يوسف بن تاشفين (التكملة، رقم ٣٥٨٢)، ولا حرف الجيم وفيه عند ابن الأبار: جؤذر جارية ابن العجوز (التكملة، رقم ٣٥٥٤).

(٢) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٣٨)، والمقري في نفح الطيب ٤/ ١٦٧.

(٣) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٦٤)، وابن سعيد في المغرب ٢/ ٣٧، والسيوطي في نزهة الجلساء ٤٦، والمقري في نفح الطيب ٤/ ٢٨٥-٢٨٦.

(٤) نسبة إلى وادي الحجارة.

(٥) لم يترجم المؤلف لحفصة بنت الحاج الركونية (التكملة، رقم ٣٥٩٨)، وحفصة ابنة القاضي موسى بن حماد الصنهاجي (صلة الصلة ٥/ الترجمة ٦٢٧) وقد أشار إليها في ترجمة زوجها القاضي أبي بكر محمد بن علي المرشاني (الذيل ٦/ الترجمة ١٢٥٧).

وحفصة ابنة أبي عبد الله محمد ابن عروس (صلة الصلة ٥/ الترجمة ٦٢٨)، وحمدونة بنت نافع بن علي بن زرياب (التكملة، رقم ٣٥٤٤).

٢٥٣ـ حَـمْدةُ[١] بنتُ زياد بن بَقِيّ العَوْفِيِّ المؤدِّب، وادي آشيّـةٌ.

رَوى عنها أبو القاسم محمدُ بن عليّ ابن البَرّاق، وكانت أديبةً شاعرة. قال ابنُ البَرّاق: أنشَدتْنا حَـمْدةُ بنتُ زيادٍ العَوْفيّةُ لنفْسِها وقد خرَجَت متنزِّهةً بالرّملة من نواحي وادي آشَ، فرأَتْ [جاريةً] ذاتَ وجهٍ وسيم أعجَبَتْها [من الوافر]:

أبـــاح الــدّمعُ أسراري بِـــوادِ ... بـــه للحُـــسن آثـــارٌ بَـــوادِ

فمــن نَــهَرٍ يطـوفُ بكـلِّ رَوْضٍ ... ومــن رَوْضٍ يطـوفُ بكـلِّ وادِ

ومــن بــين الظِّبــاءِ مَهــاةُ رَمْـلٍ ... سَـبَتْ لُبِّـي وقـد مَلَكـتْ قيـادي

لهــا لَـــحْظٌ تُرقِّـــدُه لأمـــرٍ ... وذاك اللّحــظُ يمنَعُنــي رُقــادي

إذا سَـــدَلتْ ذوائبَهـــا عليهـــا ... رأيــتَ البــدرَ في جُـنح الــدّآدي

كــأن الــصُّبحَ مــات لــه شــقيقٌ ... فمــن حُــزنٍ تــسربَلَ بالحِـدادِ[٢]

٢٥٤ـ رَشِيدةُ[٣].

كانت تتجوَّلُ في بلاد الأندُلس تَعِظُ النّساء وتُذكِّرُهنّ، وكان لها صِيتٌ واتّصافٌ بالخير.

---

(١) ترجمها ياقوت في معجم الأدباء ٣/ ١٢١١، وابن دحية في المطرب ١١، وابن الأبار في التكملة (٣٥٩٩)، وفي تحفة القادم (كما في المقتضب ١٦٢)، وابن سعيد في المغرب ٢/ ١٤٥، ورايات المبرزين ٩٤، وابن الزبير في صلة الصلة ٥/ الترجمة (٦٢٢)، والذهبي في المستملح (٩٢٤)، والصفدي في الوافي ١٣/ ١٦٣، وابن شاكر في عيون التواريخ ١٢/ ٩ وفوات الوفيات ١/ ٣٩٤، وابن الخطيب في الإحاطة ١/ ٤٨٩، والمقري في نفح الطيب ٤/ ٢٨٧ وقال فيها: حمدة: ويقال: حمدونة، ولها عنده ترجمة رائقة.

(٢) فاته أن يترجم هنا لحميدة بنت معاوية بن صالح الحضرمي (التكملة، رقم ٣٥٣٦)، كما لم يذكر في حرف الخاء أحدًا وفيه عند ابن الأبار: خلة جارية معاوية بن صالح (٣٥٣٥).

(٣) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٩٢).

٢٥٥ـ رُقَيّـةُ[١] بنت الوزيرِ تَـمّام[٢] بن عامر بن أحمدَ بن غالب بن تَـمّام بن عَلْقمةَ، مولى عبدِ الرّحمن ابن أُمِّ الـحَكَم الثّقَفي.

كانت كاتبةً لابنةِ الأميرِ الـمُنذر بن محمد.

٢٥٦ـ زُمُرُّد[٣].

كانت كاتبةً حاذقة. توفِّيت سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وثلاث مئة.

٢٥٧ـ زينبُ[٤] ابنةُ عَبّاد بن سِرْحان بن مُسلم بن سيّد الناس الـمَعافِريِّ، شاطِبيّـةٌ.

رَوَتْ عن [أبيها[٥]، وأجاز لها. وكانت ديِّنةً] فاضلةً كثيرةَ الأوراد صَوّامةً قَوّامة [تَسرُدُ الصّومَ. وتوفِّيت] في حدود الثمانينَ وخمس مئة.

٢٥٨ـ زينبُ[٦] ابنةُ محمدِ بن محمد بن أحمدَ بن [مُحرِز الزُّهْريِّ]، بَلَنْسِيّةٌ، تُدعى عزيزةَ، وهي أُختُ أبي بكر بن مُحرِز[٧].

[سَمِعت جَدَّها] لأُمِّها أبا الـحَسَن بن هُذَيْل[٨]، وقد أُخِذَ عنها، وكانت صالحةً طيِّبة.

[وُلدت] سنةَ خمسٍ وخمسينَ وخمس مئة، وتوفِّيت ليلةَ الاثنين منتصَفَ جُمادى [الأولى] سنةَ خمسٍ وثلاثينَ وست مئة، ودُفنت لصلاةِ العَصْر منه بمقبُرة باب بَيْطالةَ [بمقرُبة] من قبرِ أبي داودَ سُليمانَ بن نَجاح.

---

(١) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٥١).

(٢) ترجمته في الحلة السيراء ١/ ١٤٣-١٤٤.

(٣) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٥٥).

(٤) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٩٦).

(٥) ترجمته في الصلة (٩٧٣) والتعليق عليه.

(٦) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٦٠٧)، والذهبي في المستملح (٩٣٠) وتاريخ الإسلام ١٤/ ١٧٣.

(٧) اسمه محمد، ترجمته في التكملة الأبارية (١٧١١) والتعليق عليها.

(٨) تقدمت ترجمته في السفر الخامس (٣٦٨) واسمه علي بن محمد بن علي بن هذيل.

٢٥٩ـ **زينبُ[١] ابنةُ أبي عُمرَ يوسُفَ بن عبد الله بن محمدِ بن عبد البَـرِّ النَّمَريِّ، قُرطُبيّة.**

سكَنَتْ شاطبةَ معَ أبيها ورَوَتْ عنه، وكانت صالحةً فاضلة، وهي أُمُّ سِبْطَيْه: أبي محمدٍ عبدِ الله وأبي جعفرٍ أحمدَ ابنَيْ عليّ اللَّخْميِّ، وتوفِّيت في حياة أبيها.

٢٦٠ـ **زينبُ[٢] ابنةُ أبي يعقوبَ يوسُفَ بن عبد المؤمن بن عليّ.**

وُلدَت بالأندَلُس وتزوَّجها ابنُ عمِّها أبو زَيْد بن أبي حَفْص. أخَذَتْ عن أبي عبد الله بن إبراهيم[٣] عِلمَ الكلام وغيرَ ذلك.

وكانت عالمةً صائبةَ الرأي معروفةَ الشُّفوف على نساءِ زمانِـها متحدَّثًا بنباهةِ شأنِـها.

٢٦١ـ **زينبُ[٤] الـمَرِيّةُ.**

كانت أديبةً شاعرة، وهي القائلةُ [من البسيط]:

يـا أيُّهـا الراكـبُ الغـادي لطيّتِـهِ ... عرِّجْ أُنبِّئْك عن بعض الذي أجدُ

ما عالَجَ الناسُ من وَجْدٍ تضمَّنَهم ... إلّا ووَجْدي به فوقَ الذي وَجَدوا

حَـسْبي رضـاهُ وإنّي في مـسَرّتِهِ ... ووُدِّه آخـرَ الأيـام أجتهـدُ

٢٦٢ـ **سعيدةُ بنتُ محمد بن فِيرُّه الأُمَويِّ التُّطِيليّ.**

ولها أختٌ أصغرُ منها سنَذكُرُها بعدُ بحولِ الله، سكَنَتا مَرّاكُش وكانتا من بيتِ خَيْر وصيانة، قال أبو العبّاس بنُ عبد الرّحمن ابن الصَّقْر[٥]: جاوَرَتاني

---

(١) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٧٦).

(٢) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٦٠٢)، والذهبي في المستملح (٩٢٦).

(٣) هو المعروف بالأصولي، تقدمت ترجمته في هذا السفر (٧٣).

(٤) نقل هذه الترجمة المقري في النفح ٤/ ٢٨٦. والمريية نسبة إلى مدينة المرية.

(٥) ترجمته ومصادرها في السفر الأول (٢٩٢).

فتعرَّفتُ منهما خيرًا وفضلًا وذكاءً ونُبلًا، وكانت سعيدةً تنسَخُ الكُتُب نافذةً فيما تكتبُه أو تُخاطِبُ به، وتزوَّجت.

٢٦٣ـ سيِّدةُ[1] بنت عبد الغنيِّ بن عليّ بن عثمانَ العَبْدريِّ، غَرْناطيّةٌ، أُمُّ العلاء.

تـخَلَّفَها أبوها يتيمةً صغيرةً فنشأتْ بمُرسِيَةَ وتعلَّمتِ القرآنَ وبرَعَت وجاد خَطُّها، وعلَّمت في ديارِ الملوك عُمُرَها كلَّه إلى أن أقعدَتْها عَن ذلك زَمانةٌ ألزمَتْها منزلَها نيّفًا على ثلاثةِ أعوام، فخلَفَها على التعليم بنتانِ لها، وكانت قد لقِيَت أبا زكريّا الدِّمشْقيَّ[2] بغَرناطةَ، وبها علَّمت [القرآنَ أولَ ما نزَعَتْ لذلك، ثم انتَقلت] إلى فاسَ ثم عادت إلى غَرْناطة، ولحِقَت بتونُس فعلَّمت بقَصْر [ملكِها، ونَسَخت «إحياءَ علوم الدِّين» من أصلِه][3].

ولم تزَلْ قائمةً على التلاوة محافظةً على الأدعيةِ [والأذكار والسَّعي] في الـخَيْرات والتوفُّر على أعمالِ البِرّ والإيثار بما تملِكُ وفكِّ الرِّقاب من الأسر [وغيرِ ذلك من أعمالِ البِرِّ] المذكورة، وتوفِّيت على تلك الحالِ عَصْرَ يوم الثلاثاءِ لخمسٍ خلَوْنَ من محرَّم سبع [وأربعينَ] وست مئة، ودُفنت لصلاة الظّهر من يوم الأربعاءِ بعدَه بمقرُبة من المصَلَّى خارجَ تونُس.

---

(١) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٦١٠)، والذهبي في المستملح (٩٣٣) وتاريخ الإسلام ١٤/ ٥٧٩، وابن القاضي في جذوة الاقتباس ٢/ ٥٢١، وترجمة والدها عبد الغني في التكملة (٢٥٧٤).

(٢) تقدمت ترجمته في هذا السفر رقم (١٩٧).

(٣) يفهم من هذا أن الأصل الذي نسخت منه هو لملك تونس، وفي التكملة: «وكانت قد لقيت أبا زكريا الدمشقي بغرناطة، وبها علمت القرآن أول ما نزعت لذلك ثم انتقلت إلى مدينة فاس ثم عادت إلى غرناطة ولحقت بتونس فعلمت بقصرها أيضًا، وكتبت بخطها كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد من أصل أبي زكريا المذكور» وأبو زكريا المذكور هو الدمشقي، وهو الصواب، فعبارة المؤلف ملبسة.

٢٦٤ـ [شُعاع][١]، جاريةُ قاسم بن أصبَغَ، قُرطُبيّة.

سَمِعتْ مَوْلاها وكانت صالحةً، ولها يُنسَبُ المسجدُ الذي بِرَبَض الرُّصافة من قُرطُبة.

٢٦٥ـ عَبْدةُ[٢] بنتُ بِشْر بن حَبِيب بن الوليد بن حَبِيبٍ الـمَرْوانيّةُ.

رَوَتْ عن أبيها أشعارَه وأخبارَه.

٢٦٦ـ عزيزةُ[٣] بنتُ [أبي] محمد بن حَيّان، قُرطُبيّةٌ.

قال ابنُ الأبّار: وجَدتُ خطَّها بمطالعةِ بعضِ ما رَواه أبو القاسم ابنُ بَشْكُوال مطالعةَ تفهُّم وتدبُّر في شوّال إحدى وخمسينَ وخمس مئة.

٢٦٧ـ عَلةُ[٤] بنتُ سُليمانَ بن مَنقُوش مَوْلى هَرِم بن سليم بن عِيَاض القُرَشيِّ العامِريّ، شَذُونيّةٌ.

رَوَتْ عن أبيها ورَوى عنها ابنُها أبو عَمْرٍو عثمانُ بن محمد بن أحمدَ السَّمَرْقَنْديُّ[٥].

---

(١) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٦١).

(٢) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٤٨).

(٣) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٨٩)، وابن الزبير في صلة الصلة ٥/ الترجمة (٦٢٦)، ولكنه سماها: «عزيزة بنت محمد بن نميل»، وقال: «ألفيت سماعها مجلسًا من حديث أبي الفوارس طراد الزينبي سمعته من لفظها. ووقفت على خطها أيضًا على صحائف الصلة لابن بشكوال بتاريخ ذي قعدة من سنة إحدى وخمسين وخمس مئة. وأراها أخت أبي جعفر أحمد بن محمد بن نميل، من أهل مرسية». فهو بهذا لا يظنها بنت القاضي أبي محمد بن حيان.

(٤) استخرج المؤلف ترجمتها من ترجمة والدها في تاريخ ابن الفرضي (٥٤٦).

(٥) لم يذكر المؤلف في هذا الحرف عائشة بنت القاضي أبي الخطاب محمد بن أحمد بن خليل (صلة الصلة ٥/ الترجمة ٦٣١) كما لم يشر إليها في الراوين عنه (الذيل ٥/ الترجمة ١٢٠٠)، وعائشة بنت إبراهيم بن موسى التدميري (التكملة، الترجمة ٣٥٥٩)، وعابدة أم دحون المرواني (التكملة، رقم ٣٥٣٧)، والعليا البلنسية (صلة الصلة ٥/ الترجمة ٦٢٤)، وبغية الملتمس رقم (١٥٨٦)، كما لم يذكر المؤلف بعد حرف الغين حرف الصاد وفيه من النساء: صواب زوج أبي إسحاق القبري (التكملة، رقم ٣٥٨٠، وترجمة زوجها في التكملة ٣٣٧).

٢٦٨ـ غايةُ الـمُنى[1].

جاريةٌ أندَلُسيّةٌ متأدِّبة، كانت تقولُ الشّعرَ، وعُرِضَت على ابن صُمادح صاحبِ الـمَرِيّة، فلمّا مَثُلت بين يدَيْه قال لها: كيف اسمُكِ؟ قالت: غايةُ الـمُنى، فقال لها: أجيزي [من مجزوء الخفيف]:

* سَلْ هوى غايةِ الـمُنى *

فقالت [من مجزوء الخفيف]:

مَن كسَا جِسميَ الضَّنى
وأراني مَدلَّـها سيقولُ الهوى: أنا

كذا أورَدَ السالميُّ هذه الحكايةَ في «تاريخِه»، وقال أبو القاسم ابنُ حُبَيْش: سِيقَتْ لابن صُمادح جاريةٌ نبيلةٌ تقولُ الشّعرَ وتُحسنُ الـمُحاضرةَ، فقال: تُحمَلُ إلى الأستاذ ابن الفَرّاء[2] ـ وكان كفيفًا ـ ليختبرَها، فلمّا وصَلتْه قال لها: ما اسمُكِ؟ فقالت له: غايةُ الـمُنى.

فقال [من مجزوء الخفيف]:

سَلْ هوى غايةِ الـمُنى من كسَا جِسميَ الضَّنى

فقالت تُجيزُه [من مجزوء الخفيف]:

وأراني متيَّما سيقولُ الهوى: أنا

فحَكَى ذلك لابن صُمادح فاشتَراها.

---

(١) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٧٥).

(٢) انظر فيه نفح الطيب ٣/ ٣٨٢-٣٨٣.

٢٦٩ـ **فاطمةُ[1] بنتُ أبي عليّ حُسَين بن محمد بن فِيرُّه بن حَيُّون الصَّدَفيِّ ابن سُكّرة، مُرْسِيّةٌ.**

تَرَكَها أبوها حينَ خَرَج غازيًا إلى كَتُنْدةَ للغَزاة التي استُشهِدَ بها قد قارَبَت الفِطام وأوصَى أنْ لا يُجمَعَ عليها فَقْدُه وفِطامُها، فنشأت صالحةً زاهدة تحفَظُ القرآنَ وتقومُ عليه وتذكُرُ كثيرًا من الحديث في الأدعية وغيرِها، كانت حسَنةَ الـخَطّ ملتزمةً بمطالعةِ الكُتُب، وتزوَّجها صاحبُ الصلاة بمُرْسِيَة أبو محمد عبدُ الله بن موسى بن بُرطُلّة[2]، فوَلَدتْ له [عبدَ الرّحمن[3] فأنجَبَ ووَلَدَت له غيرَه]. وتوفِّيت بعدَ التسعينَ وخمس مئة وقد نَيّـفت على [الثمانينَ].

٢٧٠ـ **[فاطمةُ[4] بنتُ] عبد الرّحمن بن محمد بن حَيْوةَ الوَشْقيِّ.**

طلبتِ العِلمَ وسَمِعَتْ [من أبي داودَ الـمُقرئ بدانِيَةَ] في سنةِ تسعينَ وأربع مئة.

٢٧١ـ **فاطمةُ[5] بنت أبي القاسم عبد الرّحمن [بن محمد بن غالب] الأنصاريِّ الشَّرّاط. قُرطُبيّةٌ، أُمُّ الفَتْح.**

---

(١) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٦٠١)، وهي ابنة أبي علي الصدفي الذي ألف ابن الأبار المعجم في أصحابه، وترجمها الذهبي في المستملح (٩٢٥) باسم خديجة؛ لأنها جاءت كذلك في النسخة الأزهرية من التكملة، وهو ينقل منها.

(٢) ترجمته في التكملة (٢٠٩٩).

(٣) ترجمته في التكملة (٢٣٣٩)، ونيل الابتهاج: ١٦٣، وولده أبو محمد عبد الله الفقيه المحدث الخطيب القاضي (انظر عنوان الدراية: ١٩١، ورحلة العبدري ورحلة ابن رشيد).

(٤) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٨٥)، وترجمة والدها في التكملة (٢٢٨٧).

(٥) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٦٠٤)، وابن الزبير في صلة الصلة ٥/ الترجمة (٦٣١)، والذهبي في المستملح (٩٢٨) وتاريخ الإسلام ١٣/ ٣٨١. وترجمة والدها في التكملة (٢٣٣٥)، وتقدمت ترجمة أخيها غالب في السفر الخامس (٩٨٥)، وزوجها محمد بن أحمد بن محمد ابن الطيلسان في السفر السادس (٨٣)، وابنها أبو القاسم القاسم بن محمد بن أحمد ابن الطيلسان في السفر الخامس (١٠٩٠).

تلَتْ على أبيها القرآنَ بحرف نافع، ثم استَظْهرتْ عليه «تنبيهَ» مكّيّ و«شِهابَ» القُضَاعيِّ و«مختصرَ» الطُّلَيْطُلِيّ، وقابَلَتْ معَه [«صحيحَ] مسلم»، و«السِّير» تهذيبَ ابن هشام، و«كاملَ» الـمُبرِّد، و«أماليَ» القالي، وغيرَ ذلك، وسمِعتْ من لفظِه كثيرًا وحفِظت من شعرِه في الزّهد، وتلَتِ القرآنَ على أبوَيْ عبد الله: الأَنْدَرْشِيِّ الزاهد، وابن الـمُفضَّل الكفيف.

حدَّث عنها ابنُها أبو القاسم ابنُ الطَّيْلَسان، تلا عليها القرآنَ بقراءة وَرْش وقرأ عليها ما عَرَضَت على أبيها من الكُتُب، وسمِعَ منها غيرَ شيء، وأجازت له بخطِّها وقال: أظُنُّ أبا مَرْوانَ بن مسَرّةَ أجاز لها، فإنهُ الذي سَمّاها ودَعَا لها، حمَلَها إليه أبوها يومَ ولادتِها. وتوفِّيت سنةَ ثلاثَ عشْرةَ وست مئة.

أنشَدْتُ على شيخِنا أبي الـحَسَن الرُّعينيِّ قال[1]: [أنشَدَني أبو القاسم ابن الطَّيْلَسان، قال]: أنشَدتْني والدتي فاطمةُ أُمُّ الفتح قالت: أنشَدَني [أبي] أبو القاسم عبد الرّحمن بن محمد بن غالبٍ لنفسِه [من المتقارب]:

سئمتُ الحياةَ على حبِّها ... وحُقَّ لذي السُّقْم أن يَسأَما

فلا عيشَ إلا لذي صحةٍ ... تكونُ له للتُّقى سُلَّما

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: وقد أنشَدتُها على شيخِنا العَدْل أبي القاسم أحمدَ بن محمد البَلَويِّ، عن ناظمِها فيما أذِنَ لي في روايتِه عنه، وأنشَدتُ على شيخِنا القاضي أبي الوليد محمد بن إسماعيلَ بن عُفَيْر، عن أبيه، لنفسِه زيادةً عليهما [من المتقارب]:

ولا داءَ إلا لمَن لم يزَلْ ... يُقارفُ في دينِه مأثَما

فلستَ تعالِجُ جَرْحَ الهوى ... ـ هُديتَ ـ بمثلِ التُّقى مَرْهَما

---

(1) ينظر برنامجه: ٢٩-٣٠.

٢٧٢ـ **فاطمةُ[١] بنتُ عَتِيق بن عليّ بن خَلَف الأمَويِّ ابن قَنْـتَرال، مالَقيّةٌ سكنَتْ مَرّاكُش.**

وقد تقَدَّم رفْعُ نسبِ أبيها في رَسْمِه[٢]. كانت حافظةً للكتاب كثيرةَ التلاوةِ له، مُواظبةً على أفعالِ الخير وأعمالِ البِرّ، وكانت زَوْجَ الفاضل أبي عَمْرٍو عبدِ الواحِد بن تَقيّ[٣] وأُمَّ صاحبِنا أبي الـحَسَن محمدِ ابنِه، وتوفِّيت بمَرّاكُش في حدودِ الخمسينَ وست مئة قبلَها بيسير.

٢٧٣ـ **فاطمةُ[٤] الأرْحَبِيّةُ، غَرْناطيّةٌ.**

أديبةٌ مذكورةٌ بالأدب.

٢٧٤ـ **فَتْحونَةُ[٥] بنتُ جعفرِ بن جعفر، مُرْسِيَّةٌ، أُمُّ الفَتْح.**

أديبةٌ تأريخيّة، لها في قِيان الأندَلُس مصنَّفٌ عارضَتْ به كتابَ أبي [الفَرَج الأصبَهانيّ].

٢٧٥ـ **[كِتْمانُ][٦]، قُرطُبيّة.**

من جَواري قَصْر الخلافةِ بقُرطُبَةَ المتّصِفاتِ [بالفَهْم، وهي كانت] الكاتبةَ عن الناصِر عبد الرّحمن.

٢٧٦ـ **لُبنَى[٧].**

---

(١) انفرد ابن عبد الملك في ترجمتها.

(٢) في السفر الخامس (٢٣٨).

(٣) تقدمت ترجمته في السفر الخامس (١٤٥).

(٤) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٩٤).

(٥) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٧٩).

(٦) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٥٨).

(٧) ترجمها ابن بشكوال في الصلة (١٥٢٩)، والضبي في بغية الملتمس (١٥٨٩)، وابن الأبار في التكملة (٣٥٥٧).

كاتبةُ الـحَكَم المستنصِر [بالله]، العادلةُ مُزْنَ[1] كاتبةَ أبيه الناصِر في الـمَرْتبة الزائدةُ عليها؛ إذ كانت [عَرُوضيّةً حاذقةً] بالكتابة بارعةَ الـخَطِّ أديبةً نَحْويّةً شاعرةً، بصيرةً بالحساب مشاركة، لم يكنْ في قَصْرِهم أنبَلُ منها. وتوفِّيت سنةَ ستٍّ وسبعينَ وثلاث مئة.

٢٧٧ـ مُزْن[2].

كاتبةُ الناصِر عبد الرّحمن، في طبقةِ كتمانَ المذكورةِ.

٢٧٨ـ مَسْعَدة[3] بنتُ أبي الـحَسَن بن أحمدَ بن خَلَف بن الباذِش، زَوْجُ أبي عبد الله بن عبد الرّحمن النُّمَيْريِّ.

حدَّثت عن أبيها وأخيها أبي جعفرٍ وزوجِها النُّمَيْريِّ بمختصرَ الطُّلَيْطُليّ. وكانت فاضلةً صالحة. توفِّيت بعدَ السبعينَ وخمس مئة.

٢٧٩ـ مُهْجةُ[4] بنتُ عِصام بن أحمدَ بن محمد بن إبراهيمَ بن يحيى الـحِمْيَريِّ، [قُرطُبيّةٌ، وهي] أختُ أُمِّ السّعد المذكورةِ قبلُ.

رَوَت عن أبيها وجَدِّها، وكانت أديبةً شاعرة. توفِّيت بقُرطُبَةَ سنةَ سبعَ عشْرةَ أو ثمانِ عشْرةَ وست مئة.

٢٨٠ـ مُهْجةُ[5] بنتُ ابن عبد الرزّاق، قَشْتَرِيّةٌ[6]، من عمَل غَرْناطةَ.

كانت أديبةً شاعرةً من طبقة نَزْهونَ القُلَيْعيّة، وكان لها تصاوُن.

(١) هكذا في الأصل، وفي الصلة: «مزنة»، وينظر التعليق بعده.

(٢) سماها ابن بشكوال في الصلة (١٥٣٠) مزنة نقلًا عن ابن مسعود في كتاب الأنيق، ونقله من خط ابن حيان، وذكر أنها توفيت سنة ٣٥٨هـ.

(٣) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٩٥)، وابن الزبير في صلة الصلة ٥/ الترجمة (٦٣٠).

(٤) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٦٠٦).

(٥) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٦٠٠) وفي تحفة القادم (المقتضب ١٦٣).

(٦) في الأصل: بشرية، وكان يمكن قبول هذه النسبة فالبشرات من عمل غرناطة، إلا أن قول ابن الأبار: من أهل قشتر، يعيّن أنه تحريف.

٢٨١ـ نُزهةُ[١] بنت القُلَيْعيِّ، قال ابنُ الأبّار: وهو ـ فيما أحسَب ـ أبو بكر محمدُ بن أحمد بن خَلَف بن عبد الملِك بن غالبٍ الغَسّانيُّ، غَرْناطيّة.

كانت أديبةً شاعرةً سريعةَ الـجَواب صاحبةَ فُكاهة ودُعابة، أخَذَتْ عن أبي بكرٍ الـمَخْزوميِّ الأعمى، وكانت يومًا تقرأُ عليه، فدخَلَ إليه أبو بكرٍ الكُتَنْديُّ فقال يخاطبُ المخزوميَّ [من الكامل الأحذّ]:

* لو كنت تُبصرُ من تجالسُهُ *

فقالت نَزْهون [من الكامل الأحذّ]:

لَغَـدوتَ أخـرسَ مـن خَلاخِلِـهِ

البـــدرُ يَطلُـــعُ مـــن أزرّتِـــهِ والغُـــصنُ يمْـــرَحُ في غلائِلِـــهِ

ولقِيَت الأديبَ أبا بكر بنَ قُزمان وعليه غِفارةٌ صفراء، فقالت له: يا أستاذ، أصبحتَ بقرةَ بني إسرائيل ولكن لا تَسُرُّ الناظرين!

٢٨٢ـ نِظَامُ[٢] الكاتبةُ بقَصْر الخلافة من قُرطُبة أيامَ هشامٍ المؤيَّد ابن الـحَكَم.

وكانت بليغةً مُدرِكةً محبِّرةً للرسائل، ومن إنشائها كان الخِطابُ الذي عَزَى فيه المظفَّرُ عبدَ الملِك ابنَ المنصُور محمدِ بن أبي عامرٍ عن أبيه وجدَّد له العهدَ بولايتِه في شوّالِ اثنينِ وتسعينَ وثلاث مئة.

٢٨٣ـ وَرْقاءُ[٣] بنتُ ينتانَ، طُلَيْطُليّةٌ سكَنَت فاسَ.

---

(١) ترجمها الضبي في بغية الملتمس (١٥٨٨)، وابن الأبار في التكملة (٣٥٩١) وسمّاها: «نزهون»، وفي تحفة القادم (المقتضب منه ١٦٤)، وابن سعيد في المغرب ٢/ ١٢١، ورايات المبرزين ٩١، والمقري في نفح الطيب ٤/ ٢٩٥.

(٢) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٦٧).

(٣) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٨٧)، وابن الزبير في صلة الصلة ٥/ الترجمة (٦٢٣)، وابن القاضي في جذوة الاقتباس (٥٢٣).

كانت أديبةً شاعرةً صالحةً حافظةً للقرآن بارعةَ الـخَطِّ، [شرَّقت] وحَجَّت. وتوفِّيت بعدَ الأربعينَ وخمس مئة. قال ابنُ فَرتون: وكانت في دار جَدِّ أبي لأمِّه.

٢٨٤ـ ابنةُ فائز[1]، قُرطُبيَّةٌ، زَوْجُ [أبي عبد الله بن عَتّاب.

أخَذت] عن أبيها فائزٍ علمَ التفسير واللّغة والعربيّة والشعر، وعن [زوجِها الفقهَ والرقائق]، ورَحَلت إلى دانِيَةَ للقاءِ أبي عَمْرٍو المقرئ، وأخَذت عنه فألفَتْه [مريضًا من قُرحةٍ] كانت سببَ منيّـتِه، فحضَرت جَنازتَه، ثم سألت عن أصْحابِه فذُكر [لها أبو داودَ بنُ نَجاح] فلحِقَت به بعدَ وصُولِه إلى بَلَنْسِيَة، فتَلَتْ عليه القرآنَ بالسَّبع في آخِر أربع [وأربعينَ وأربع مئة]. وحجَّت. وتوفِّيت بمِصرَ تمامَ حجِّها قافلةً إلى الأندَلُس سنةَ ستٍّ [وأربعينَ] وأربع مئة.

٢٨٥ـ ابنةُ محمد بن فِيرُّه الأمَويِّ التُّطِيليِّ، أُختُ سعيدةَ المذكورةِ قبلُ وصغيرتُها.

وقد تقَدَّم ما اشتركتا فيه من حالِـهما، وقال أبو العبّاس ابنُ الصَّقر: إنّ صُغراهُما كانت مُلازمةً للقراءة والنّسخ وفِعْل الـخَيْر إلى أن توفِّيت شابّةً، وقال: كتبَتْ إليّ، يعني سعيدةَ، أن أُختَها المذكورةَ قالت في بعض ذوي قرابتِها وقد رأت منه بخلًا كثيرًا [من البسيط]:

بخِلْـتَ والبُخْـلُ داءٌ لا دواءَ لَـهُ ... أعيـا الأطبّـاءَ طُـرًّا والـمُداوينا
أطَعْتَ شُحَّكَ حتى لستَ مُقتَـديًا ... إذا اقتَـدَى النـاسُ يومًـا بالنبيِّينـا
إذا دعـا لَـكَ داعٍ بعـدُ مُبـتهلًا ... بطُـولِ فقـرٍ وشُـحّ قلـتَ: آمينـا

---

(١) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٧٣)، والذهبي في المستملح (٩٢٢) وتاريخ الإسلام ٩/ ٦٨٧، وتقدمت ترجمة والدها فائز في السفر الخامس (١٠٠٩)، وزوجها عبد الرحمن بن محمد بن عتاب مترجم في الصلة (٧٤٧).

٢٨٦ـ **أُمُّ شُرَيْح**[١] **ابن محمد بن شُرَيْح المقرئ، إشبيليّةٌ.**

أخَذت عن زوجِها أبي عبد الله بن شُرَيْح، وكانت تقرئُ مَن خَفَّ عليها خَلْفَ سِتر بحرفِ نافع، وكان أبو بكر عِيَاض بن بقِيّ[٢] قد قرأ عليها في صِغَرِه فكان يفخَرُ بذلك ويُذاكرُ به ابنَها شُرَيحًا ويقول: قرأتُ على أبيك وأُمِّك، فلي مَزِيّةٌ على أصحابِك، وماتّةٌ لا يَمُتُّ بمثلِها أحدٌ إليك، فيُقرُّ له الشيخ ويُصدِّقُه.

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه: ذكَرَها ابنُ الأبّار عن ابن خَيْر هكذا غيرَ منسوبة، وهي أُختُ أبي عبد الله أحمدَ بن محمد بن عبد الله بن عبد الرّحمن بن غَلْبُون الـخَوْلانيِّ ابن الـحَصّار[٣]، فهو خالُ شُرَيْح، فلعلّها ابنةُ أبي عبد الله محمد[٤] والد أحمدَ هذا، ولم أَبُتَّ بذلك؛ لاحتمالِ أن تكونَ أختَ أحمدَ المذكور لأُمِّه من غيرِ أبي عبد الله، فاجعَلْ تحقيقَ ذلك من مباحثِك واللهُ يُطلِعُ على الجلاءِ فيه.

٢٨٧ـ **جاريةٌ**[٥] **للحَكَم.**

أخرَجَ الـحَكَمُ الـمُستنصِر بالله من قَصْره وَصِيفةً غُلاميّةً ذكيّةً كاتبةً فَهِمة، فأمَرَ أبا القاسم سُليمانَ بن أحمدَ بن سُليمانَ الأنصاريَّ المعروفَ بالرُّصَافيِّ وبالقَسّام[٦] أن يُعلِّمَها التعديلَ وخِدمةَ الإسطرلابِ وما يجري مجرى هذا، فقبِلَت ذلك وحَذَقَتْه وساعدتْها قريحتُها [في ذلك، فأتقَنَتْ] عِلمَه في ثلاثة أعوام أو نحوها، وأُعجِبَ الـحَكَمُ بها وألزَمَها خدمةَ ما تعلّمتْه في دارِه، ووَصَلَ سُليمانَ بصلةٍ سَنِيّة وضاعَفَ له التكرِمة.

---

(١) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٨١).

(٢) تقدمت ترجمته في السفر الخامس (٨٨٧).

(٣) ترجمته في الصلة (١٦٠).

(٤) ترجمته في الصلة (١١٧٢).

(٥) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٦٠)، ومنها رممنا بعض المحو.

(٦) كان من أعيان الخاصة في عهد الحكم المستنصر وهو من طبقة عبد الرحمن بن وافد وكانا أمينين في عهد المستنصر (انظر المقتبس: ١٥٣ تحقيق عبد الرحمن الحجي).

٢٨٨ـ الشِّلْبيّةُ(١).

لا يوقَفُ على اسمِها. كانت أديبةً شاعرةً مُجيدة، [وتظلَّمت من وُلاةِ بلدِها وصاحبِ خَراجِها] فكتبت هذه الأبياتَ إلى المنصور أبي يوسُفَ يعقوبَ من بني عبد المؤمن [من الكامل]:

قـد آن أن تبكـي العيـونُ الآبِيـهْ ... ولقـد أرى أنّ الحجـارةَ باكيـهْ

يا قاصدَ الـمِصر الذي يُرجَى بـهِ ... إنْ قـدَّر الـرّحمنُ رفْـعَ كراهيـهْ

نـادِ الإمـامَ إذا وقَفْـتَ ببابِـهِ: ... يـا راعيًـا إنّ الرعيّـةَ فانيـهْ

أرسـلتَها هَـمَلًا ولا مرعـى لهـا ... وتركتَهـا نَـهْبَ الـسِّباع العافيـهْ

شِـلبٌ كـلا شِـلبٍ وكانـت جَنّـةً ... فأعادهـا الطـاعونُ نـارًا حاميـهْ

خافوا ومـا خـافوا عقوبـةَ ربِّـهمْ ... واللهُ لا تخفـى عليـه خافيـهْ

٢٨٩ـ العَبّاديّة(٢). **جاريةُ الـمُعتضِد عَبّاد بن محمد، أهداها إليه مجاهدٌ العامريُّ.**

كانت أديبةً طريفةً كاتبةً شاعرةً، ذاكرةً لكثير من اللغة.

قال أبو الـحَزْم ابنُ عُلَيم(٣) في «شَرْح أدب الكتّاب» للقتْبي، وذكَرَ الموسعةَ، وهي خشَبةٌ بين حَـمّالَيْن يجعَلُ كلُّ واحد منهما طَرَفَها على عُنقِه. وبذكرِ الموسعةِ أغرَبَتْ جاريةٌ لمجاهدٍ أهداها إلى عَبّاد، كاتبةٌ شاعرة ـ على علماءِ إشبيلِيَةَ، وبالـهَزْمة التي تظهَرُ في أذقانِ بعض الأحداث وتعتري بعضَهم في الـخَدَّيْن عند الضَّحِك، فأمّا التي في الذّقَن فهي النُّونة ومنه قولُ عثمان: دَسِّموا نُونتَه لتدفعَ العين، وأمّا التي في الخدِّ عند الضَّحِك فهي الفَحْصة، فما كان في إشبيلِيَة في ذلك الوقت مَن عَرَفَ منها واحدة.

---

(١) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٩٧)، والمقري في نفح الطيب ٤/ ٢٩٤.

(٢) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٧٤)، والمقري في نفح الطيب ٤/ ٢٨٣.

(٣) هو الحسن بن محمد بن يحيى بن عليم البطليوسي، ترجمته في الصلة (٣١٦).

قال: وسَهِرَ عَبّادُ ليلةً لأمرٍ حَزَبَه وهي نائمةٌ فقال [من المتقارب]:

تنـــامُ ومُـــدنفُها يَـــسهَرُ   وتُبـــصرُ عنـــه ولا يُبـــصرُ

فأجابتْه [من المتقارب]:

لـــئن دام هـــذا وهـــذا بـــهِ   ســـيهلِكُ وَجْـــدًا ولا يَـــشعُرُ

الغرائب[1]

٢٩٠ـ حوّاءُ[2] بنت إبراهيمَ بن تيفلويت.

كانت خيِّرةً فاضلةً كريمةً مُمدّحة، تقرأُ القرآنَ وتُحاضرُ الأدباء، وإيّاها مَدَحَ أبو جعفر بنُ عُبَيد الله بن هريرةَ القَيْسيُّ التُّطِيلِيُّ[3] [من البسيط]:

---

(١) يلاحظ أن المؤلف بدأ الغرائب بحواء وأهمل بعض الأسماء قبلها مثل: تميمة بنت يوسف بن تاشفين التي ترجم لها ابن الأبار في التكملة رقم (٣٥٨٢) ونقلها مؤلف جذوة الاقتباس رقم ١٣٠، وحفصة ابنة القاضي موسى بن حماد ولها ترجمة في صلة الصلة ٥/ الترجمة (٦٢٧).

(٢) ترجمها ابن الأبار في التكملة (٣٥٨٤).

(٣) انظر ديوانه: ١٥-١٨، وثمة بعض اختلاف بين رواية المؤلف ورواية الديوان ففي ديباجة القصيدة: «وقال أيضًا يمدح الحرة حواء» هكذا من غير نسب، وعندنا في هذا العصر سيدتان حرتان إحداهما هذه المترجم بها عند ابن الأبار وابن عبد الملك، والثانية السيدة الحرة حواء بنت تاشفين التي نجد بعض أخبارها في البيان المغرب، وهذه حواء بنت أخي يوسف بن تاشفين أمير المسلمين لأمه وزوج الأمير سير بن أبي بكر الذي كان له فضل في تمهيد الأندلس للمرابطين وولي إشبيلية واستمر فيها مدة سبع وعشرين سنة إلى أن توفي سنة ٥٠٧هـ وكانت هذه الحرة حواء أديبة شاعرة جليلة ماهرة ذات نباهة وخطر وبديهة وبراعة وكان لها مجلس للكتبة والشعراء تحاضرهم فيه وتستمع إلى حديثهم في الشعر وتنتقد عليهم، ومن أعلام هذا المجلس مالك بن وهيب وابن القصيرة وابن المرخي (انظر البيان المغرب ٤/ ٥٦-٥٧).

ويبدو من فحص قصيدة التطيلي أنها في حواء هذه لا في ابنة إبراهيم بن تيفلويت كما ذهب إلى ذلك ابن الأبار وابن عبد الملك هنا، فالشاعر يتوسل إليها بالجوار في إشبيلية ويسمي إخوة لها هم: يحيى ومحمد وأبو بكر، وهؤلاء هم الأمير يحيى بن تاشفين الذي ولاه أمير المسلمين =

أمَا رأيـتَ نَـدى حـوّاءَ كيـف دَنَـا ... بالغَوْثِ إذ كان يأتي دونَه العَطَـبُ

دنيـا ولا تـرفٌ، ديـنٌ ولا قـشفٌ ... مُلـكٌ ولا سَرَفٌ، دَرْكٌ ولا طلـبُ

بُـرْءٌ ولا سَـقَمٌ، عـيشٌ ولا هَـرَمٌ ... جِـدٌّ ولا نَـصَبٌ، وِرْدٌ ولا قُـرَبُ

رِدْ غمـرَهُ ترتمـي مـن كـلِّ ناحيـةٍ ... عُبابهـا الفـضّةُ البيـضاءُ والـذهبُ

مُلَيْـكةٌ لا يُـوازي قَـدْرَها ملـكٌ ... كالشمس تَصغرُ عن مقدارِها الشُّهبُ

وهــضبةٌ طالمـا لاذوا بجانبِهـا ... فـما لهـم لم يقولـوا: معقـلٌ أشِـبُ

أُنثى سَمَا باسمِها النادي وكم ذَكَـرٍ ... يُدعى كأنّ اسمَه مـن لؤمِـهِ لقـبُ

وقلّـما نقَـصَ التأنيـثُ صـاحبَهُ ... إذا تُـذكِّرت الأفعـالُ والنُّـصُبُ

والحيّةُ الصَّلُّ أدهـى كلّـما انبعَثَتْ ... من أن تُمارسَها الأرسانُ والقُضُبُ

وهذه الكعبةُ استولت عـلى شرفٍ ... فذُبذِبت دونَهُ الأوثـانُ والـصُّلُبُ

ومنها:

يا أُختَ خير مُلوكِ الأرض إن قُـصِدوا ... وإن أُعِدُّوا وإن سُمُّوا وإن نُـسِبُوا:

= علي بن يوسف على قرطبة، وفي البيان ٤/ ٦١: «وهو ابن عمه أخي أبيه لأمه». والأمير محمد بن تاشفين الذي كلفه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بتحرير بلنسية (البيان ٤/ ٣٤-٣٧، ٤٠، ١٤٣)، والأمير أبو بكر، وهو أيضًا ابن أخي يوسف بن تاشفين لأمه (البيان المغرب ٤/ ٣٤).

ويقول التطيلي في قصيدته:

بنـى لـك ابـن عـلي بيـت مكرمـة ... لـه العـوالي عـماد والظبـا طنـب

ولاك أبهـج فخـر تفخـرين بـه ... إذا انتدى للفخار الـسادة النجـب

وابن علي المذكور في فهمنا هو أبو الممدوحة تاشفين بن علي. جاء في البيان المغرب ٤/ ٥٦ عند ذكر حواء بنت تاشفين ما يلي: «وكان هذا تاشفين أخو يوسف بن تاشفين لأمه وابن عمه؛ لأنه لما مات تاشفين والد يوسف دخل مكانه أخوه علي» وعلى هذا تكون حواء بنت تاشفين هي التي عناها التطيلي، والله أعلم.

محمـــدٌ وأبـــو بكـــرٍ وعـــزُّهمُ يحيى، وحَسْبُكَ عـزًّا كلما حُـسِبوا
ثلاثـةٌ هـم مـدارُ النـاسِ كلِّهـمُ كالدّهرِ ماضٍ وموجودٌ ومرتقَـبُ

قال المصنِّفُ عَفَا اللهُ عنه:

هذا من النّظم البديع، والبزُّ الغالي الرّفيع، ثم خَتَمَها ببيتٍ أراه عَوْذَةً لِـما تقَدَّمه، وهو [من البسيط]:

قد عَـمَّ بِـرُّك أهـلَ الأرض قاطبـةً فكيف أُخرِجَ عنه جارُك الـجُنُبُ؟!

وللاشتراك الذي في لفظِ الـجُنُب يَقبُحُ استعمالُه، ولا سيّما في مخاطبة النّساء، وكذلك لفظُ الذكَر الواقع في البيتِ الذي أوله «أُنثى فتأمَّلْه».

٢٩١ـ زَينبُ[١] ابنةُ إبراهيم بن تيفلويت، أُختُ حَوّاء المفروغِ من ذكْرِها آنفًا، زَوْجُ أبي الطاهرِ تميم[٢] بن يوسُف بن تاشَفين.

---

(١) ترجمتها في التكملة رقم (٣٥٨٣). وقد اتفق ابن الأبار وابن عبد الملك على تسميتها بزينب، والذي في ديوان ابن خفاجة: ٩٦ أنها الحرة مريم زوج الأمير أبي الطاهر تميم، وكانت ممن تقوم على كثير من الخير وتحفظ جملة وافرة من الشعر وتحاضر به وتثيب عليه، ويذكر الشاعر اسمها في هذا البيت:

وكفـى احـتماء مكانـة وصـيانة أني علقـت بذمـة مـن مـريم

وقد استشهد المؤلفان المذكوران بأربعة أبيات من قصيدة ابن خفاجة على أنها في مدح من سمياها زينب، والواضح أنهما لم يقفا على القصيدة بتمامها كما أن الأبيات عندهما غير متتابعة ويبدو أن تقديم القصيدة الذي سردناه هو أصل الترجمة عندهما، ولسنا ندري كيف وقع لهما هذا الوهم، ولا نظن أن هذه السيدة كان لها اسمان، وورد اسم الحرة الفاضلة مريم بنت إبراهيم مقترنًا باسم السلطان أبي الطاهر تميم في المطرب: ٢٠١ (ط. مصر) ويبدو من النص أن أبا الطاهر مات قبلها.

(٢) كان أكبر من أخيه علي بن يوسف بن تاشفين ولما مات والدهما ودفن خرج أبو الطاهر إلى الناس ويده في يد أخيه مجددًا له البيعة، وقد ولي في عهده عدة في الأندلس (انظر أخباره في البيان المغرب ٤/ ٤٨ وما بعدها (الفهرس) ونظم الجمان (الفهرس) ومصادر ترجمته أيضًا في آخر ديوان ابن خفاجة: ٤٤٣ تحقيق د. غازي).

كانت من أهل الـخَيْر والتصاوُن والصَّدقات والنوائل تقومُ على كثيرٍ من الخير، وتحفَظُ جملةً وافرةً من الشِّعر، ولها يقولُ أبو إسحاقَ الـخَفَاجيُّ من قصيدة[1] [من الكامل]:

مشهورةٌ في الفَضْل قِـدمًا والنُّهـى ... والنُّبـل شُـهرةَ غُـرّةٍ في أدهـمِ

تُولي الأيادي عن يـدٍ نـزَلَ النّـدى ... منهـا بمنزلـةِ المحـبِّ المكـرَمِ

ملكَـتْ بـه الأحـرارَ أكـرمُ حُـرّة ... بَسَطَ الـمُقلُّ بها يمـينَ الـمُنعمِ

حـمَلَ الثنـاءَ بهـا القـريضُ وإنّـما ... حـمَلَ الحديثَ روايةً عـن مـسلمِ

٢٩٢ـ زينبُ ابنةُ إبراهيم بن يوسُف بن قُرقول.

وقد تقَدَّم رفْعُ نسَبِها في رسم أبيها[2].

كانت فاضلةً صالحة، سمِعت أباها فأكثرت، وقَفْتُ على سَماعِها عليه في «جامع التِّرمذيّ» [....][3] وكانت ضابطةً مُتقِنة.

٢٩٣ـ سارة[4].

---

(١) ديوان ابن خفاجة: ٩٦-٩٨ تحقيق د. غازي. وفيه أنه كتب بالقصيدة إلى الحرة مريم يتشفع بها إلى زوجها الأمير أبي الطاهر وأنها ما وقفت على ما كتب به حتى نفذ العهد بحملانه على أتم وجوه البر والمحافظة والمراعاة والمكارمة.

(٢) ترجمته في التكملة (٣٩٣) والتعليق عليها.

(٣) كلام ممحو يبدو أنه يتعلق بتصرف والد المترجم بها في كتاب المشارق للقاضي عياض.

(٤) ورد هذا الاسم مجردًا في آخر سطر من الورقة الأخيرة في الأصل. وتتمة الترجمة وبقية النساء الغرائب في الورقات المفقودة، وأغلب الظن أن سارة هذه التي ذكر اسمها فقط هي سارة الحلبية الوافدة على الأندلس والمغرب في أواخر القرن السابع الهجري ولها مدح في أمراء الأندلس ودخلت سبتة وفاس ولها مخاطبات ومجاوبات شعرية ونثرية مع بعض الأعلام، وأغلب الظن أن ترجمتها الموجودة في جذوة الاقتباس رقم (٦٠٧) منقولة من الذيل والتكملة.

هذا ولا نعرف عدد الغرائب الباقيات ممن هن على شرط المؤلف ونقدر أنه ترجم لأم المجد مريم بنت أبي الحسن الشاري المسنة المسندة، وزينب بنت إسحاق الهواري المشهورة بالنفزية، وحفصة ابنة القاضي موسى بن حماد الصنهاجي ولها ترجمة في صلة الصلة ٥/ الترجمة ٦٢٧ وغيرهن.

المحتويات



دار الغرب الإسلامي

تـونـس

لصاحبها : الحبيب اللمسي

6 نهج الدالية بالفي - تونس – فاكس: 0021671396545 – خلوي: 216-96-346567

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B.P.: 677 - R.P. 1035 TUNIS

الـرقـم : 527/ 1500 / 08 / 2012

التنضيد : الآثار الشرقية – عمّان

الطباعة : دار صادر – بيروت

Andalusian Biography Series

IX

AL-DHAYL WAL-TAKMILA

LI KITĀBAY AL-MAWSŪL WAL-ṢILA

By

Ibn ʿAbd al-Malik

(634-703 AH)

Edited with a critical introduction by

Professors

Ihsan Abbas, Mohamad Ben Sharifa and Bashar Marouf

VOL. 5



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI

TUNIS